انتصاراً للدين والعقل والعلم

التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي

-قراءة نقدية لكتاب إحياء علوم الدين تكشف جانبا كبيرا مما تضمنه الكتاب من تضليلات وتحريفات-

الأستاذ الدكتور
خالد كبير علال

- دار المحتسب -
-الطبعة الأولى - الجزائر-

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على النبي الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله و صحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين ، و بعد: أفردتُ كتابي هذا لنقد كتاب إحياء علوم لأبي حامد الغزالي الطوسي (450 – 505 هـ) من جانب سلبي غطى قسما كبيرا من الكتاب يتعلق بموضوعية الرجل وأمانته ومدى التزامه بالمنهج العلمي الصحيح في تدوينه لإحياء علوم الدين ، وقد عنونته ب: التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي . وقد جمعت بين عبارتي التضليل والتحريف ، لأنهما يُكملان ويشرحان بعضهما ، وأي تضليل يتضمن ممارسة التحريف، وأي عملية تحريف تتطلب التضليل أيضا.

وكتابي هذا واضح من عنوانه أنه خاص بجانب سلبي من الكتاب، وعليه فلا أتكلم عن الإيجابيات التي تضمنها ، وهي موجودة بهامشه لا بصلبه ومضمونه الأساسي المتعلق بالتصوف. فهي إيجابيات تقع في أطراف الكتاب مما نقله الغزالي من الشرع وآثار الصحابة والتابعين والعلماء من غير الصوفية.

وعلى القارئ الكريم أن لا يتعجب من قولنا بوجود التضليل والتحريف في كتاب الإحياء، لأنه سيتبين لاحقا أن وجود ذلك هو من ضروريات الكتاب، فلابد أن يتضمن ذلك وبشكل واسع جدا ،لأن الغزالي كتبه بلسانين لا بلسان واحد، وهذا اعترف به هو شخصيا كما سنبينه في مواضعه. والذي سأذكره من تلك الممارسات ليس افتراء على الرجل، وإنما هو إظهار لما اعترف به بنفسه ولِما دوّنه في كتابه تطبيقا لمنهج التقية الذي قرره الغزالي ومارسه بمختلف طرق التضليل والتحريف، وبالإشارات المَلغزة والعبارات الواضحة أيضا .

علما بأن ما سأذكره من نماذج وشواهد من التضليلات والتحريفات الواردة في الاحياء هي من باب التمثيل لا الحصر، وإلا فقد أغفلتُ شواهد أخرى كثيرة لم أذكرها لأن الغرض من الكتاب التمثيل الواسع لا الحصر. ولا شك أن النماذج التي ذكرتها كافية لإثبات ممارسة الغزالي لمختلف

طرق للتضليل والتحريف في كتابه الإحياء بشكل واسع ومقصود، فكان ذلك أصلا عنده لا استثناءً .وقد أضربتُ صفحا عن مواضيع صوفية كثيرة في الإحياء لم أتوسع في الرد فيها على أبي حامد الغزالي لأنه سبق أن توسعتُ في نقدها وبيان الحق فيها في كتابي: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف. وأنا في كتابي هذا لا أُدَلِل الغزالي كما دلّله المدللون، ولا أبحث له عن المبررات ولا اعتذر له ما دام كلامه يحتمل ما قلته، وإنما أتعامل معه بكل موضوعية وحزم من دون تسامح ولا اعتذار، ولن أكذب عليه ،ولا أحرف كلامه ولا أحمله ما ليس فيه.

وأنا على يقين بأن كثيرا من أهل العلم سينكر عليّ تصنيفي هذا الكتاب ولا يُعجبهم ما ذكرته فيه، بدعوى أنه يُسيء لعالم كبير من علماء المسلمين، ولا توجد فائدة راجحة في تأليفه ، وأنه يُفرح الأعداء لا الأصدقاء. فأقول: نعم هذا الاعتراض له وجه مقبول، وقد يقتنع به كثير من الناس، لكن بالنسبة إليّ فهو اعتراض غير صحيح، لأني وصلتُ إلى قناعة راسخة بالأدلة والشواهد الشرعية والعلمية الدامغة إلى أن حقيقة ما فعله أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين هو عمل هادم للشرع والعقل والعلم وليس إحياءً للدين ولا للعقل ولا للعلم. ولهذا أصبح من الواجب شرعا وعقلا وعلما الرد على هذا الرجل ، ولا يصح ولا يجوز السكوت عنه ولا تبرير فعله. فاقتنعتُ بأنه حرام ومن الجريمة السكوت عنه ، ولا بد من الرد عليه. هذه قناعتي ، ومن يرد عليّ بالعلم أسمع له وآخذ برأيه إن تبيّن أني أخطأت فيما كتبتُه. وأما من يعترض عليّ بالسب والشتم ،والتهويل والتخوين ،والتجهيل والاتهام فلن أسمع له ، ولن أرد عليه، ولن أدخل معه في أي نقاش علمي.

وربما يلومني بعض أهل العلم على تأليفي لهذا الكتاب بدعوى أن أمر كتاب إحياء علوم الدين مع ما فيه من نقائص وسلبيات فإن محاسنه وإيجابياته أكثر من نقائصه وسلبياته. لذا فليس من الحكمة ولا من المصلحة تأليف كتاب في التضليلات والتحريفات التي تضمنها الإحياء. وأقول:أنا أُخالف هذا الموقف، لأنه قد تبيّن لي أن كتاب الإحياء ليس حاله كذلك، فهو كتاب هادم للوحي والعقل والعلم مع تستره بالإسلام وتظاهره به؛ ولهذا لا يصح السكوت عنه ولا تزكيته ،ولا حث عامة الناس على مطالعته، وإنما يجب كشف حقيقته وهدمه بالوحي والعقل والعلم. ويعلم الله سبحانه وتعالى

إنـي لـم أُصـنف كتـابي هـذا إلا انتصـارا للشـرع والعقـل والعلـم، ولـم أُصـنفه تشهيرا بالرجل ولا نكاية فيه .

وعلـى الذين يلمونني علـى تأليفي لهذا الكتاب عليهم أن يُطالعوه أولا فإن وجدوا ما قلته غير صحيح هنا يحق لهم لومي والرد علـيّ ، وإن وجـدوا مـا قلتـه صـحيحا ولـم اكـذب علـى مؤلفـه، ولا حملـت كلامـه مـا لـيس فيـه ، فهنـا عليهم أن يعترفوا بالحقيقة ويلموا أبا حامد الغزالي لا مؤلف هذا الكتاب. فلا إنســان فــوق النقــد إلا الأنبيــاء -علــيهم الصــلاة والســلام- لأنهــم رُســل رب العــالمين، قــال ســبحانه: ((فَـلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِنُـونَ حَتَّـىَ يُحَكِّمُـوكَ فِيمَـا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِـي أَنفُسِـهِمْ حَرَجـاً مِّمَّـا قَضَـيْتَ وَيُسَـلِّمُواْ تَسْـلِيماً((النسـاء : 65))، و((وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِـن رَّسُـولٍ إِلاَّ لِيُطَـاعَ بِـإِذْنِ اللّهِ وَلَـوْ أَنَّهُـمْ إِذ ظَّلَمُـواْ أَنفُسَــهُمْ جَــآؤُوكَ فَاسْـتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْـتَغْفَرَ لَهُـمُ الرَّسُـولُ لَوَجَـدُواْ اللّهَ تَوَّابـاً رَّحِيماً)(النساء: 64)).

وأخيــرا أســأل الله عــزّ وجــل التوفيــق والســداد ،والثبــات واليقــين، والإخــلاص فــي القــول و العمــل . وصــلى الله علــى محمــد خــاتم الأنبيــاء والمرسلين.

الأستاذ الدكتور خالد كبير علال

الجزائر: رجب 1435 هـ / ماي 2014 م

الفصل الأول

التضليل والتحريف في تقرير أبي حامد الغزالي لمبدأ التقية وحفظ أسرار التصوف وأهله

أولا: عرض أقوال الغزالي المتعلقة بالتقية.

ثانيا : التضليل والتحريف في قول الغزالي بالتقية .

التضليل والتحريف في تقرير أبي حامد الغزالي لمبدأ التقية وحفظ أسرار التصوف وأهله

صرّح أبو حامد الغزالي[1](ت 505 هـ) بوضوح بأنه سيُمارس التقية- إظهار خلاف ما يُبطن- في كتابه إحياء علوم الدين حسب طبيعة المواضيع التي يتناولها وعلاقاتها بأسرار التصوف التي حرص الغزالي على إخفائها من جهة، وعلى نشرها والانتصار لها بالإشارات والتلغيزات من جهة أخرى. وحث الصوفية على إخفاء أسرار التصوف وحرّم إظهارها لغير أهلها . فما تفاصيل ذلك ؟، وما هي مبرراته ؟، وأليس أخذه بالتقية هو اعتراف منه بأنه لا يكون صادقا في كل ما سيكتبه في إحيائه ؟؟. وهل من يُمارس التقية يكون موضوعيا وأمينا في أقواله ومصنفاته وسلوكياته ؟؟.

أولا: عرض أقوال الغزالي المتعلقة بالتقية:

أكثر الغزالي من الكلام في التقية تقريرا وانتصارا بصيغ مختلفة بثها متفرقة في كتابه إحياء علوم الدين. منها أنه قال : ((وقد كان الجنيد - رحمه الله- ينشد أبياتا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهى هذه الأبيات:

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم ... فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراضا بقرب الله في ظل قدسه ... تجول به أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته ... وفى حلل التوحيد تمشى وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته ... وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمى به ما يصونه ... وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم ... وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرا يصونه ... إلى أهله في السر والصون أجمل[2].

وحسب الغزالي أن أمثال تلك ((المعارف التى إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن

[1] هو الفقيه الفيلسوف الصوفي محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي : وولد سنة 450 هـ، و توفي في يوم الاثنين 14 جمادى الآخرة 505 هـ . مر بأزمة فكرية ونفسية دامت نحو 6 أشهر من سنة 488 هـ - ثم بعدها انتهى به المطاف إلى اعتناق التصوف كمنقذ له حسب رأيه . ثم شرع في ممارسة عبادات الطريق الصوفي-الخلوة، الجوع، السهر، الذكر- نحو 10 سنوات ، وفي نهاياتها صنف كتابه إحياء علوم الدين الذي هو أهم كتبها وأجمعها لفكره . أنظر: الغزالي: المنقذ من الضلال، ص: 14 وما بعدها . ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر، بيروت، ج 9 ص: 170،168.

[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج 4 ص: 453 .

لم ينكشف له، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا. فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها، وبطلت الأسواق والمعايش. بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم))[1].

و((ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار. ولقد قال بعض العارفين: ("إفشاء سر الربوبية كفر"، بل قال سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم: "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله "، ومهما كثر أهل الاغترار وجب حفظ الأسرار على وجه الإسرار))[2]. و((فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر))[3].

وعندما قسم الغزالي مراتب الموحدين حسب العقيدة الصوفية وقسم التوحيد إلى أربع مراتب جعل الرابعة أعلى المراتب- وهي مرتبة شيوخ الصوفية- ،و نص على أنه لا يتوسع في شرح هذه المرتبة بدعوى أنه لا يجوز ذلك فقال: ((أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه))[4].

وفرّق بصراحة بين علم الشرع وعلم الصوفية المزعوم ، فسمى الأول علم المعاملة وهو الذي سيذكره في الإحياء ويتوسع فيه ، والثاني هو علم المكاشفة ولا يجوز تدوينه في الكتب بالعبارات الواضحة ، وإنما سيُشير إليه بالإشارات والتلغيزات. فقال: ((والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه.وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء))[5].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 453 .
[2] الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 1 .
[3] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 336 .
[5] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 4 .

و((وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار، وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه و سلم بقوله :" إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى "، فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز و جل لم يحقره إذ آتاه إياه"))[1].

و((وقال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر. وقال بعضهم: للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة ،وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام . وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقص فيه وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة))[2].

وبعدما تكلم الغزالي في جانب بما يعتقد أنه من حكاية علوم المكاشفة ، ذكر أن ((شرح جميع علوم المكاشفة مما لا رخصة في ذكره ، ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره ...))[3]. وأشار إلى الناس ينكرون على الصوفية أقوالهم ويجهلون مقصودهم فيضحكون عليهم لجهلهم بمعاني كلامهم و((ضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين))[4].

وعندما تكلم أبو حامد الغزالي عن الرجاء والخوف وعظم أمرهما ، أشار إلى أن خوف العارفين- الصوفية- هو أعلى مراتب الخوف، وذكر أنهم لا يخافون النار وإنما يخافون الحجاب ، ثم توقف عن الشرح وقال: ((فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم، وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ، ومن كان أهلا له استبصر بنفسه))[5].

ونفس ذلك الكلام قرره في بعض كتبه من غير الإحياء نصّ فيها على القول بالتقية والدعوة إلى لزومها وممارستها، منها القولان الآتيان: الأول مفاده أنه قال:

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 20 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 100 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الآفاق العربية، حققه محمد محمد تامر ، ط1 ، القاهرة، 2004 ، ج 3 ص: 532 .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 118 .
[5] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 219 .

إذا كان قد صح الخلاف فواجب ** على كل ذي عقل لزوم التقية[1].

والقول الثاني: ((لعلك تقول كلامك في هذا الكتاب انقسم إلى ما يطابق مذهب الأشعرية وبعض المتكلمين، ولا يفهم الكلام إلا على مذهب واحد، فما الحق من هذه المذاهب؟ فإن كان الكل حقاً فكيف يتصور هذا، وإن كان بعضه حقاً فما ذلك الحق؟ فيقال لك: إذا عرفت حقيقة المذهب لا تنفعك قط، إذا الناس فيه فريقان: فريق يقول المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب: إحداها ما يتعصب له في المباهاة والمناظرات، والأخرى ما يسار به في التعليمات والإرشادات، والثالث، ما يعتقده الإنسان في نفسه، مما انكشف له من النظريات. ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار. فأما المذهب بالاعتبار الأول، فهو نمط الآباء والأجداد، ومذهب المعلم ومذهب أهل البلد، الذي فيه النشوء. وذلك يختلف بالبلاد والأقطار، ويختلف بالعلمين. فمن ولد في بلد المعتزلة أو الأشعرية أو الشفعوية أو الحنفية، انغرس في نفسه منذ صباه التعصب له والذبّ دونه والذم لما سواه... المذهب الثاني ما ينطبق في الإرشاد والتعليم على من جاءه مستفيداً مسترشداً. وهذا لا يتعين على وجه واحد، بل يختلف بحسب المسترشد، فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه... المذهب الثالث ما يعتقده الرجل سراً بينه وبين الله عز وجل، لا يطلع عليه غير الله تعالى، ولا يذكره إلا مع من هو شريكه في الاطلاع على ما اطلع، أو بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهم))[2].

وتجد الإشارة هنا إلى أن القول بالتقية- إظهار المرء لخلاف ما يُبطن- ليس خاصا بأبي حامد الغزالي فقط، وإنما هو أصل من أصول الدين الصوفي، قال به شيوخ الصوفية الأوائل وسار عليه أتباعهم. لأن القول بالتقية من ضروريات التصوف، ولا قيام له بين المسلمين إلا بها[3].

فمن أقوال شيوخهم الأوائل: أقوال للأبي القاسم الجنيد البغدادي (ت 297 هـ)، منها أنه عندما كشف الحسين بن منصور الحلاج عن حقيقة حاله وقوله بوحدة الوجود قال الجنيد : ((لقد فضحنا الحلاج))[4].

وعندما وصلته رسالة من الصوفي أبي بكر الشلي (ت 334 هـ) تضمنت التلميح بكشف سر الصوفية في إلى القول بوحدة الوجود من دون

---

[1] الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص: 191 .

[2] الغزالي: ميزان العمل ، حققه سليمان دنيا، دار المعارف ، القاهرة، 1964 ،ص: 405 .

[3] توسعتُ في ذلك وبينته وناقشتُ فيه الموضوع بتوسع في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ، والكتاب منشور إلكترونيا.

[4] يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، جمع وتعليق سعيد عاشور،، مكتبة الآداب ن القاهرة، 2002 ، ص: 215 .

تصريح ، رد عليه الجنيد بخطاب ، منه قوله: ((يا أبا بكر ، الله الله في الخلق، كنا نأخذ الكلمة فننشقها، ونقرظها، ونتكلم بها في السراديب، وقد جئت أنت فخلعت العذار! بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة، في أول طبقة يذهب ما وصفت))[1]. وفي رواية أنه قال له : ((نحن حبرنا هذا العلم تحبيرا ثم خبأناه في السراديب فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ))[2].

وأنشد الجنيد في لاميته :

تروح بعز مفرد من صفاته *** وفى حلل التوحيد تمشى وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته ***وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمى به ما يصونه *** وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطى عباد الله منه حقوقهم *** وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرا يصونه *** إلى أهله في السر والصون أجمل[3].

وقال الجنيد : ((أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هى كفر عند العامة. وقال مرة :لو سمعها العموم لكفروهم))[4]. و((لا ينبغي للفقير قراءة كتب التوحيد الخاص، إلا بين المصدقين لأهل الطريق، أو المُسَلِّمين لهم))[5]. وقال في رسالة إلى أحد إخوانه : ((... وأنا أسأل المنان بفضله وطوله أن يجعلنا وإياك من الأمناء على سره الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره ...))[6].

ومن ذلك أيضا ما ذكره الصوفي عبد الوهاب الشعراني عن عن أبي القاسم الجنيد ، فقال: ((وكان الجنيد -رضي الله عنه- لا يتكلم قط في علم التوحيد، إلا في قعر بيته بعد أن يغلق أبواب داره، ويأخذ مفاتيحها تحت وركه ويقول: أتحبون أن يكذب الناس أولياء الله تعالى وخاصته، ويرمونهم بالزندقة، والكفر، وكان سبب فعله ذلك تكلمهم فيه كما سيأتي آخر هذه المقدمة، فكان بعد ذلك يستتر بالفقه إلى أن مات))[7].

ومن هؤلاء الصوفية أيضا: أبو الحسين أحمد النوري البغدادي (ت 295هـ) ، رُوي أنه قال للجنيد عندما التف الناس حوله، وتركوا النوري:

---

[1] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 305-306 .. و محمود القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ص: 10 .
[2] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 145 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 337 .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 6 ص: 422 .
[5] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 277 .
[6] أبو نعيم الأصبهاني: الحلية ، ج 10 ص: 280 .
[7] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 15 .

((يـا أبـا القاسـم غششـتهم فأجلسـوك علـى المنـابر ونصـحتُهم فرمـوني فـي المزابل))[1].

ومنهم أبو العباس بن عطاء البغدادي (ت 310 هـ)، اعترف أنه يتعمد استخدام الإشارة لكي لا يكشف حقيقة تصوفه، فيجيب بالتلغيز والتعمية إخفاءً لحاله. من ذلك أنه أنشد :

إذا أهل العبارة سألونا **** أجبناهم بأعلام الإشارة

نشير بها فنجعلها غموضاً ** ** تقصر عنه ترجمة العبارة[2].

والصوفي أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري ثم البغدادي (ت 328 هـ) ، سُئل عن التصوف فقال: " الإشكال والتلبيس والكتمان". ثم أنشد يقول:

سري وسرك لا يعلم به أحد ** إلا الجليل ولا ينطق به نطق

وانشد أيضاً:

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ** لكيلا يحسبوا أن الهوى حيث تنظر[3].

تنظر[3].

ومنهم شيخ الصوفية أبو بكر الشبلي (ت 334 هـ)، أظهر بالتلميح جانبا من سر الصوفية الذي حرصوا على إخفائه عن المسلمين، فأنكر عليه أبو القاسم الجنيد وأنبه بقوله : ((نحن حبرنا هذا العلم تحبيرا ثم خبأناه في السراديب فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ))[4]. وروى الخطيب البغدادي بإسناده ((أنبأنا بن الفتح، أنبأنا محمد بن الحسين قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: " كنت أنا والحسين بن منصور -الحلاج- شيئا واحدا إلا أنه أظهر وكتمت"))[5].

وآخرهم الصوفي أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري البغدادي(ت371هـ)، قال : ((عرّضوا ولا تصرحوا فان التعريض أستر))[6]. فالرجل نصح الصوفية وحثهم على إخفاء حالهم باستخدام

---

[1] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 146 .

[2] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 89 .

[3] ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص: 23 . وأبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص: 100 .

[4] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 145 .

[5] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 8 ص: 121 . و الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 11 ص: 534 .

[6] ابن الملقن : طبقات الأولياء ، ص: 36 .

المعاريض والإشارات بدلا من التعبير عن أحوالهم بالكلام الواضح والمفهوم .

ثانيا : ثانيا : التضليل والتحريف في قول الغزالي بالتقية:

ردا على تلك الشواهد القائلة بالتقية أقول: أولا إن أبا حامد الغزالي اعتراف أنه سيخفي أسرار التصوف التي كان يعتقدها، وسيجتهد في إخفائها وصيانتها والدفاع عنها والانتصار لها.وهذا يعني أنه سيكون مزدوج أو متعدد الخطاب، فيُظهر ما ينفعه ويُخفي ما يضره . أي إنه سيكتب إحياءه بأكثر من لسان ، فيتكلم عن الإسلام والجوانب التي لا تتعلق بأسرار التصوف بلسان واضح بيّن من دون إخفاء. وسيتكلم بلسان يخفي به أسرار التصوف ولا يبوح بها ، لكنه يُشير إليها بالإشارات والإيماءات والتلغيزات حماية للتصوف وانتصارا له وتلبيسا على خصومه.

والغزالي قد اعترف أن سبب ممارسته للتقية وحثه على ممارستها هو أن غايات التصوف وأسراره ضلالات وكفريات لذا يجب إخفاؤها، وإلا لماذا يُخفيها ؟؟ !! ، إنه كشف ذلك عندما قال: ((فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر))[1]. وبما أن غايات دين الإسلام الدنيوية والأخروية معروفة ومفصلة في الكتاب والسنة وليس فيها ما يُخفى ، فإن هذا يعني أن الرجل كان يخفي ما يخالف دين الإسلام، ولهذا صرّح هؤلاء العارفون بأن إفشاء أسرارهم كفر، لأنه يفضحهم ويكشف ضلالهم .

ولا شك أن قول الغزالي بالتقية وحثه للصوفية بإظهار خلاف ما يُبطنون عند تكلمهم عن أسرار التصوف مع غير أهله ، هو قول صريح منه بأنه لن يكون موضوعيا ولا حياديا ولا أمينا في كل ما سيكتبه في الإحياء، وإنما سيكتبه بلسانين أو أكثر حسب منفعته ومصلحة التصوف وأهله. وهذا يعني أنه أعطى لنفسه المبرر باستخدام كل الوسائل الممكنة للدفاع عن التصوف والرد على خصومه. وبمعنى آخر إن الرجل سيطبق مبدأ : الغاية تبرر الوسيلة ، ولهذا فلا يكون موضوعيا ولا صادقا في كل ما يكتبه في كتابه: إحياء علوم الدين ، لأن مقياسه وميزانه في ذلك هو عقائد وأسرار التصوف التي اعترف هو شخصيا أنها ضلالات وكفريات ،وأنه سيخفيها ولا يعبر عنها إلا بالتلميحات والإشارات غالبا. فالغزالي اعترف أنه لن يكون

---

[1] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .

موضوعيا ولا حياديا ولا ملتزما بضوابط الشرع والعقل والعلم، ، وإنما سيكون محكوما بذاتيته وعقائده الصوفية التي أخفاها ولم يُعبر عنها غالبا إلا بالتلغيزات والتلميحات والإشارات . فالرجل لا يكون صادقا ولا أمينا مع الناس فيما يكتبه في إحيائه إلا في الجوانب التي لا تخالف التصوف !!.

وبما أن الغزالي ذكر صراحة أنه سيكتب الإحياء بلسانين، وسينتصر لتصوفه لأنه هو الحق عنده، وانه سيُخفي أسراره المزعومة. وبما أنه كذلك وسيخوض في مواقف ومواضيع وقضايا منها ما يُخالف الشرع، ومنها ما يتعارض مع التصوف وسينتصر له فإن الرجل سيُمارس بالضرورة مختلف أنواع التضليل والتحريف في إحياء علوم الدين انتصارا للتصوف وردا على خصومه. وبهذا سيكون كتابه مملوءا بشتى أنواع التضليل والتحريف بالضرورة، وهذا الذي سيُظهر كتابنا جانبا منه. فالتضليل والتحريف أصبح من ضروريات كتاب إحياء علوم الدين ،وأصلا لا استثناءً ، وأن ما سيظهره كتابنا ليس جديدا ولا افتراءً على الرجل ومصنفه، وإنما هو إظهار وإبراز مركز وموسع لأمور اعترف بها الغزالي ومارسها في مصنفه. ولهذا فكتاب إحياء علوم الدين لابد أن يكون متعدد الخطاب وكثير التناقضات والتضليلات والتحريفات.

وثانيا إن تبرير الغزالي لقوله بالتقية وممارسة الصوفية لها في كتمان أحوالهم وأفكارهم بدعوى أنها من أسرارهم ومعارفهم هو تبرير لا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما . لأن ما يكتمه هؤلاء إن كان صحيحا فهو بالضرورة موافق للشرع والعقل والعلم ، ونافع للمجتمع ؛ وهنا يجب إظهاره للناس ولا يصح كتمانه عنهم، ولا ضرر على الصوفية في كشفه لهم. وإن كان مخالفا للشرع فهو أيضا مخالف للعقل والعلم، وهنا يجب على الغزالي وأصحابه أن يتخلوا عن أسرارهم المزعومة ، وعليهم إظهارها للناس وبيان فسادها وتحذيرهم منها. وبما أن الغزالي وأصحابه دعوا إلى إخفاء أحوالهم وعقائدهم عن غير الصوفية، فهذا دليل دامغ على أنها أحوال فاسدة وأسرار باطلة، وعقائد مخالفة للشرع والعقل والعلم. ولهذا فلا يصح الاهتمام بها، ولا الدعوة إليها، ولا كتمانها ، ويجب عليهم أن يتخلوا عنها .

علما بأنه لو كانت أسرار التصوف المزعومة موافقة لدين الإسلام ما أخفاه الغزالي والصوفية، بل لحرصوا وسارعوا إلى إظهارها تقية وتمويها على الناس وتظاهرا بها على أنها موافقة للشرع لتشهد لهم على تمسكهم

بالشرع، وتقوي نفوذهم في المجتمع وسيطرتهم عليه.فدعوة الغزالي والصوفية إلى اخفاء عقائدهم بدعوى أنها من أسرار التصوف هي دليل دامغ ضدهم، وشاهد قوي على بطلان مزاعمهم .

والشاهد على بطلان تلك المزاعم أيضا هو أن دين الإسلام فصّل أصول الدين وفروعه وغاياته ، وبيّن أحوال المؤمنين من المقربين وأصحاب اليمين ولم يُخفها ولا دعا إلى كتمانها، وإنما فصلها تفصيلا من جهة، ولم يجعلها خاصة بطائفة معينة من الناس وإنما هي تشمل كل المؤمنين من جهة ثانية. وقد فصلها وبينها وحث كل المسلمين على الاجتهاد لبلوغها من جهة ثالثة. منها مثلا قوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حبب إليكم الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)) و((أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)(الزمر: 22))،و ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تقشعر مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر : 23))، و ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجلت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15)) .

وجاء في الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال:((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))[1].

ولذلك فكل من يقول بوجود أصول وأسرار تتعلق بالشرع لكن الإسلام لم يفصلها ودعا إلى كتمانها فهو كاذب قطعا ، وزعمه باطل ومردود عليه، وأسرارها المزعومة ما هي إلا أباطيل وأوهام ، وهلوسات وتلبيسات شيطانية[2].

---

[1] الألباني: صحيح الجامع الصغير ، ج 1 ص: 291 ، رقم: 3044 .

[2] سبق أن بينا ذلك في كتابنا نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، وسنبين جانبا آخر منها في كتابنا هذا .

وتشـهد أقوالـه أيضـا علـى بطـلان مـا دعـا إليـه الغزالـي وأن أسـراره المزعومة مخالفة لدين الإسلام، ولهذا دعا إلى إخفائها وإلا ما فعل ذلك. وقد ذكر صراحة بأنه لا يجوز إظهار أحوال الصوفية، فلماذا لا يجوز والشرع قد فصّل الدين وأحوال المؤمنين الإيمانية تفصيلا لا مزيد عليه ؟؟ !!. إن الرجل صـادق مـع نفسـه وتصـوفه وأصـحابه، لكنـه لـيس صـادقا مـع دينـه والمسلمين وكل بنـي آدم ، لأنـه أخفـى عنـهم عقيدتـه الصـوفية وأظهـر لهـم خلافهـا متسـترا بالإسـلام. إن الرجـل أفتـى بعـدم جـواز إظهـار مـا يخفيـه الصوفية لأنه يعلم يقينا أن ما يعتقده هو وأصحابه مخالف للشرع ولِما كان عليه المسلمون ، لذا فهو يعتقد بوجوب إخفائه عنهم لكي لا ينكشف أمر الصوفية بين المسلمين ويتخذون ضدهم الإجراءات المناسبة للرد عليهم. وموقفـه هـذا هـو الـذي يفـرض عليـه ممارسـة مختلـف مظـاهر التضـليل والتحريف في كتابه إحياء علوم الدين.

وثالثا إن تقسيم الغزالي لمراتب التوحيد والموحدين إلى أربعة أنواع ، وقوله عن الرابع : ((أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانـه))[1]. فهو شـاهد آخر يُدين الرجل ويكشف حقيقة ما يعتقده هو الصوفية في قولهم بأسرارهم المزعومـة التـي قـال فيهـا أيضـا: ((فـاعلم أن هـذه غايـة علـوم المكاشـفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العـارفون إفشـاء سـر الربوبية كفر))[2]. فلماذا لا يجوز الخوض في توحيده الرابع وفي أسرارهم الأخرى ؟! ، فهل يوجد في الإسلام توحيد أخفاه الله عن أمتـه ؟؟ كـلا وألـف كـلا، وإنمـا الرجـل يقصـد التوحيـد الصـوفي الـذي سـنبينه لاحقـا. ولمـاذا لا يجـوز الخـوض فيـه لشـرحه وبيانـه للنـاس وإفـادتهم بـه إن كـان صـحيحا ولتحذيرهم منه إن كان باطلا ؟؟. أليس قوله هذا اعتراف صريح من الرجل بأنه لا يكون صادقا ولا موضوعيا في جانب كبير مما سيكتبه في إحيائـه ؟. وأيـة قيمـة علميـة ستكون لـه ولكتابـه بمـا أنـه سيدون كتابـه بـأكثر مـن لسـان حسب مصلحته ؟؟.

ولذلك فإن قول الغزالي: ((فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر))[3]. هو شاهد دامغ ضده بأنه وأصحابه دعوا إلى ممارسة التقيـة لأنـهم يخفون مـا يُخـالف دين الإسـلام . وبمـا أن كل مـا يتعلـق بـالعقائد والعبـادات والأحـوال الإيمانيـة موجـودة ومفصـلة فـي القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 336 .
[2] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .
[3] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .

الصحيحة، وأن الله تعالى قد أكمل دينه وأتم نِعمه على المسلمين؛ فإن كل من يدعي أن لديه أسرارا إيمانية ليست في الشرع ، أولا يعرفها المسلمون ولا يجوز تسطيرها في كتاب ولا إفشاؤها بين الناس ، فهو قد شهد على نفسه بالانحراف عن الإسلام وأنه يعتقد أفكارا مخالفة له .لأنه في هذه الحالة إن كان ما يعتقده موافقا للشرع فيجب إظهاره ولا معنى ولا فائدة من إخفائه، وإن كان مخالفا له فهنا يجب عليه تركه والتوبة عما كان فيه، وعليه أن يُظهره لتحذير المسلمين منه . وبما الغزالي لم يفعل ذلك وأصر على موقفه فهو قد شهد على نفسه بالانحراف عن الشرع والاعتقاد بما يُناقضه، وأنه لن يكون موضوعيا في كثير مما يقوله في إحيائه، وهذا الموقف هو تطبيق عملي لقوله بالتقية التي هي من أصول الدين الصوفي. وبها أوجد المبررات لنفسه وسمح لها باستخدام مختلف الوسائل الأخلاقية وغير الأخلاقية، الشرعية وغير الشرعية، العلمية وغير العلمية تقريرا للتصوف وانتصارا له.

وبتلك التقية سمح لنفسه باستخدام الروايات الحديثية والتاريخية الضعيفة والموضوعة، دون الاهتمام بتحقيقها، ولا الحرص على تحصيل صحيحها وإبعاد سقيمها. وبها سمح لنفسه باستخدام الأحاديث التي لا أصل لها – لا أسانيد لها- ، والأحاديث التي لا وجود لها خارج كتب الغزالي، مما جعل بعض الباحثين يقول: ((مما يجعلنا نظن أن الواضع لها أو لبعضها على الأقل هو الغزالي نفسه، أو كشفه. وأما إذا أردنا الحق فيبقى الغزالي متهما بوضعها كلها حتى يثبت العكس))[1]. وبها سمح لنفسه بأن تتناقض في مواقفها من دون حرج ، وتمارس مختلف أنواع التضليل والتحريف والتلاعب والتدليس من دون أي رادع من شرع ولا من عقل ولا من علم. وبها تبنى مبدأ : الغاية تبرر الوسيلة، وهو مبدأ هادم للحق والأخلاق، وللدين والعقل والعلم.

ورابعا إن الغزالي مع أنه كرر مرارا بأنه لا يبوح بأسرار التصوف ، وأنه لا يجوز الخوض فيها مع غير أهلها، وقد التزم بذلك في مواضع كثيرة من الكتاب ؛ لكنه من جهة أخرى قد أخل بذلك وخاض فيها بتوسع في مواضع ليست قليلة من إحيائه كما سنبينها لاحقا. وفيها خاض في جوانب من اسرار الصوفية المزعومة وانتصر لها بكل ما يستطيع ووظف الشرع والعقل لتأييدها مستخدما التضليل والتحريف، والإشارات والتلغيزات. فكان

[1] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1987، ص: 637.

عمله هذا مظهرا من مظاهر ممارسة أبي حامد الغزالي للتقية من جانبين: الأول أنه قال بأنه لا يخوض في أسرار الصوفية ومكاشفاتهم المزعومة ،لأن ذلك حرام ولا يجوز فعله ولا ذكره في علوم المعاملة . والثاني هو أنه لم يلتزم بذلك المنع والتحريم وخاض في مواضع كثيرة من أسرار الصوفية وتوسع في بعضها بالإشارات والتقريبات لا بالعبارات الواضحة المكشوفة التي يفهمها عامة أهل العلم .وهو قد اعترف بهذا عندما قال: إن شرح ((جميع علوم المكاشفة مما لا رخصة في ذكره ، ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره ...))[1]. فمع أنه كان قد حرّم الخوض فيه أصلا، فقد عاد وترخص فيه وشرحه ، ثم بعدما حقق مبتغاه بطريقته الخاصة عاد وذكر أن هذا الذي أورده لعله كان من الأولى تركه !!!! . وهذا كله تطبيق عملي للتقية ومن مظاهر ممارسة الرجل للتضليل والتحريف لتحقيق غايات في نفسه.

وأما قوله بأن الأنبياء جاؤوا بعلم المعاملة لا المكاشفة، وأنهم لم يتكلموا في علم المكاشفة إلا ((بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء))[2]. فهو زعم باطل في معظمه، وشاهد على ممارسة للرجل للتقية، لأن النبي-عليه الصلاة والسلام- جاء بعلم واحد فقط هو علم الدين ويشمل العقائد والمعاملات والعبادات، والمفاهيم والتصورات الكونية، ويغطي كل جوانب حياة الإنسان القلبية والجسدية، المعنوية والمادية ، ولا وجود فيه لحكاية علم المكاشفة أصلا، وإنما هو من بِدع الصوفية ومفترياتهم التي هي أيضا من نتائج ممارستهم للتقية.

وأما الحديث الذي احتج به الغزالي على قوله بعلم المكاشفة وأسرار الصوفية بقوله: ((وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه و سلم بقوله:" إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى" فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز و جل لم يحقره إذ آتاه إياه"))[3]. و((بل قال سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم: "إن من العلم كهيئة المكنون لا

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 532 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 4 .
[3] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 20 .

يعلمه الا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله "))[1].فهو قول فيه افتراء على النبي-عليه الصلاة والسلام- من جهتين: الأولى إن رسول الله لم يقل ذلك الحديث، لأنه لم يصح عنه ، فهو حديث ضعيف[2]، وكان على الغزالي قبل أن ينسبه إلى رسول الله أن يتأكد أولا من صحته إن كان فعلا طالبا للحقيقة وحريصا على الالتزام بالشرع.

والثانية إن نبينا-عليه الصلاة والسلام- لم يكن يُمارس التقية ، ولا أخفى دين الله تعالى عن الناس، ولا دعا إلى إخفائه، ولا جاء بأسرار أخفاها عن أمته، ولا كان مزدوج الخطاب كالغزالي وأمثاله ؛ وإنما أمره الله تعالى بأن يصدع بدينه ويُبلغ رسالته بصدق وإخلاص ووضوح لا بتقية ولا نفاق، فقال له: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)(الحجر: 94))، و((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67))، و((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)(الكهف: 29))، و((وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(النور: 54)) .

وخامسا إن قول الغزالي: ((...ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار. فأما المذهب بالاعتبار الأول، فهو نمط الآباء والأجداد ... المذهب الثاني ما ينطبق في الإرشاد والتعليم على من جاءه مستفيداً مسترشداً... المذهب الثالث ما يعتقده الرجل سراً بينه وبين الله عز وجل، لا يطلع عليه غير الله تعالى، ولا يذكره إلا مع من هو شريكه في الاطلاع على ما اطلع، أو بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهم))[3]. فهو قول خطير جدا واعتراف صريح من الرجل بأنه يعتقد بتعدد الخطاب و يحث عليه، فالمرء الكامل عنده من له ثلاثة ألسن: لسان يُخاطب به العامة، ولسان يُعلم ويُربي به، ولسان يُخفي به عقيدته، ويُعبر به عنها مع أمثاله، ويكتب به عنها في الكتب بالإشارات والتلغيزات لا بالعبارات الواضحة. وهذا لا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما، ومن يُمارسه فهو مُغالط ومدلس ومُحرف ، وغير صادق مع الله ولا مع الناس ، ويُلحق بالمنافقين الذين يُظهرون خلاف ما يُبطنون. إن الله تعالى أمرنا أن نكون مع الصادقين بقوله سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)(التوبة: 119))، و((لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً)(الأحزاب: 8)) ، لكن الغزالي زعم أن

---

[1] الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 1 .

[2] الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار، ص: 9 .

[3] الغزالي: ميزان العمل ، حققه سليمان دنيا، دار المعارف ، القاهرة، 1964 ،ص: 405 .

الإنسان الكامل هو الذي يتكلم بثلاثة ألسن ، كل لسان مع طائفة من الناس. ومن هذا حاله لا يكون كاملا ولا صادقا مع الله ولا مع الناس ، وإنما يكون منافقا وصادقا مع عقيدته وطائفته. ومن تلك صفاته لا يُحسن به الظن ،ولا يُوثق بكلامه ولا يُحتج به إلا إذا قام الدليل على صحته من خارجه.

وبذلك يكون الغزالي قد قنن عقيدة التقية وممارستها والدعوة إليها ، فلماذا هذا كله ؟؟. وأين صفة الصدق التي تكلم عنها الغزالي في إحيائه وتوسع في شرحها والحث عليها ؟؟ !! . إنه تكلم عن الصدق الصوفي لا عن الصدق الذي أمرنا الله به، فحث الصوفي على أن يكون صادقا في تصوفه وممارسته للتقية ، ولم يحثه على الصدق في تعامله مع الشرع وعامة الناس، اللهم إلا إذا تطلبت مصلحته الصدق معهم .

وأما إشارته إلى أن الناس ينكرون على الصوفية أقوالهم ويجهلون مقصودهم فيضحكون عليهم لجهلهم بمعاني كلامهم و((ضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين))[1]. فهذا اعتراف منه بأن الصوفية يتعمدون تلغيز كلامهم وتعميته حتى أن الناس ينكرون عليهم لأنهم لم يفهموا مقصودهم. فمن حق الناس على الصوفية أن يوضحوا كلامهم بعبارات مفهومة واضحة، ولا يحق لهم أن يتظاهروا أنهم من أهل الدين والإيمان والصلاح ثم هم يتعمدون إخفاء عقائدهم عنهم ويُعبرون عنها بطلاسم وألفاظ ملغزة لكي لا يفهمها غيرهم . فهذا سلوك مذموم شرعا وعقلا وعلما، وليس من تصرفات الصادقين والصديقين.

ولذلك فإن وصف الغزالي للصوفي بالعدالة والصلاح لا يصح وفيه تضليل وتحريف، فعرّف الصوفي بأنه ((عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أُخر وراء الصلاح))[2]. إنه لا يصح في ميزان الشرع والعقل، لأن من يتعمد ممارسة التقية ، ويحرص على أظهار خلاف ما يُبطن ، ويستعمل الإشارات والتلغيزات بدلا من العبارات الواضحة، ومن يتعمد خداع الناس ويخاطبهم بأكثر من لسان، لا يُمكن أن يكون عدلا ولا صالحا ولا ثقة ولا موضوعيا، ولا يصح الوثوق فيه ولا في علمه إلا بعد التحقق منه بميزان الوحي والعقل والعلم؛ وإنما يكون صوفيا ممارسا للتقية متلاعبا مُضللا منتصرا للتصوف وأهله أولا، ثم قد يصدق مع غير الصوفية حسب ما تُمليه عليه مصلحته ثانيا .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 118 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 352 .

وأخيرا – سادسا- إن تبرير الغزالي لقوله بالتقية وعدم جواز كشف ما يُخفيه الصوفية من معارفهم وأسرارهم بدعوى أنه لو ((اشترك الناس فيها لخربت الدنيا. فالحكمة تقتضى شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها، وبطلت الأسواق والمعايش. بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم))[1]. فهو تبرير لا يصح بدليل الشواهد الآتية:

أولها إن معارف الصوفية التي دعا الغزالي إلى عدم نشرها بين الناس لكي لا يحل الخراب بالدنيا ، فهي بين أمرين: إن كانت معارف صحيحة فهي مفيدة ونافعة وهذا يُوجب نشرها بين الناس وحثهم على معرفتها والانتفاع بها. لأنه لا يصح شرعا ولا عقلا أن نحرمهم من المعارف الصحيحة، ولا يوجد مانع من اشتراكهم فيها .

والأمر الثاني فإن كانت تلك المعارف غير صحيحة فيجب التخلي عنها ولا يصح الاحتفاظ بها ولا الدعوة إليها، ولا التفاخر والتعالي بها . وبما أن الغزالي دعا إلى إخفائها فهذا دليل دامغ على أنها معارف مخالفة للشرع والعقل والعلم . وأليس قوله بأن اشتراك الناس فيها يُؤدي إلى خراب الدنيا هو اعتراف منه بأنها أسرار هادمة للدين والدنيا ؟؟. وأليس هدمها هذا هو دليل على فسادها وبطلانها أيضا ؟؟.

والشاهد الثاني: ليس صحيحا أن الحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الأرض، لأن الله تعالى أنزل دينه للدين والدنيا ومن مهامه عمارة الأرض ونشر الحق والعدل والمساواة بين الناس، وإخراج العباد من عبادة أهوائهم وشياطينهم وإلى عبادة خالقهم، وتسخير خيرات الكون لصالح بني آدم. فليس من أهداف دين الإسلام نشر الغفلة والدعوة إليها كما قال الغزالي، فهذا من أصول وغايات الدين الصوفي الهادم للوحي والعقل والعلم بدعوته إلى العزلة والجوع والسهر ليصبح البشر كلهم أربابا وآلهة عندما يصلون إلى الفناء في الله حسب مزاعم الصوفية[2].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 453 .

[2] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

والشاهد الثالث: ليس صحيحا أنه ((لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها، وبطلت الأسواق والمعايش)). فهذا غير صحيح شرعا وواقعا، لأنه لو كان الأمر كذلك ما أنزل الله تعالى دينه للدنيا والآخرة ، ولما حثنا على عمارة الأرض، وإخراج الزكاة ، ونشر دين الإسلام . ومما يُبطل قوله أيضا أنه من الثابت أن الأمة الإسلامية عاشت أعز وأزهى أيامها الزاهرة في ظل العدل والأخوة، والعمل والنشاط ، والجهاد وأكل الحلال في العهدين المدني والراشدي مدة زادت عن ثلاثين سنة وليس أربعين يوما فقط. فعاشت كل تلك المدة ولم يحدث فيها خراب للدنيا كما زعم الغزالي، بل حدث فيها خلاف ذلك تماما .

والشاهد الأخير- الرابع- ليس صحيحا قوله: ((بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم)). فلا يصح لأنه من الثابت أن علماء الإسلام الربانيين من الصحابة والتابعين لهم إلى يومنا هذا أكلوا الحلال وجمعوا بين العلم والعمل، وبين الزهد والجهاد بمختلف أنواعه حسب قدراتهم وظروفهم ، وتركوا لنا ثروة علمية هامة جدا كماً ونوعا، منها مثلا مؤلفات الطبري، والقاضي عياض، وابن تيمية، والذهبي، وابن قيم الجوزية، وابن حجر العسقلاني، ومالك بن نبي، وسيد قطب، وابن باز، وأبو الأعلى المودودي، ووحيد الدين خان ، وغيرهم كثير. فأين ما زعمه الرجل ؟؟. إنه يتكلم بلسان الدين الصوفي لا بلسان دين الإسلام ، لكنه يتستر به وهو مخالف له تطبيقا للتقية وانتصارا للتصوف !! .

وأما قول الغزالي : ((إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا))[1]. فهو شاهد آخر على صحة ما قلناه بأن الرجل وأصحابه كانوا يُخفون انتماءهم الحقيقي للتصوف كدين قائم بذاته له أصوله وفروعه وغاياته، ومن أجله مارسوا التقية بكل أشكالها انتصارا له. لكنهم مع ذلك أظهروا انتماءهم إلى مختلف المذاهب الفقهية والعقيدية ، فكان منهم المالكي الأشعري، والشافعي الأشعري، والحنفي الماتُريدي، والحنبلي السلفي. وكان الغزالي شافعي الفروع أشعري الأصول. فمع أن الغزالي صرّح بأنه ليس من ((شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا))[2].لكن الصوفية انتموا إلى مختلف المذاهب، فلماذا فعلوا ذلك ؟؟ . إنهم انتموا إليها لغايات

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 100- 101 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 100- 101 .

في نفوسهم ، منها التستر والتعيش بها بين أهلها ، لكن ولاءهم الحقيقي للتصوف أولا، ولهذا حث الغزالي على ممارسة التقية انتصارا للتصوف مع التستر بالإسلام والمذاهب المنتمية إليه .

وأما إذا قيل: إن الإسلام أباح للمسلم ممارسة التقية في حالات معينة، والصوفية أخذوا بذلك .

فأقول: هذا من التضليل والتحريف ، لأن الشرع عندما أباح للمسلم أن يكتم الإيمان ويُظهر الكفر فهذا عند الضرورة ، فهو استثناء لا أصل ، ومن الرخصة لا العزيمة ، فهو رخصة لمن أُكره واُضطر ولم يستطع الصبر والتحمل وخاف على نفسه الضرر وقلبه مُطمئن بالإيمان. قال تعالى: ((إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(النحل: 106))، و((لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ)(آل عمران: 28)).فالإسلام أباح فعل ذلك عند الضرورة بحيث يُخفي المسلم الإيمان بدين الإسلام ويُظهر الكفر عندما يكون في دار الكفر والظلم ولا يستطيع التحمل والأخذ بالعزيمة، فهو أمر مباح استثناءً لا أصلا. لكن الصوفية جعلوا التقية أصلا لا استثناء، وحثوا عليها أتباعهم ، فهي عندهم عزيمة لا رخصة. وهم من جهة أخرى كانوا يعيشون في مجتمع مسلم، فهم غير مضطرين إلى ممارسة التقية، ولا يجوز لهم فعلها، ولا مبرر لها أصلا ما داموا يعيشون في مجتمع مسلم تحكمه شريعة الله تعالى. وإن هم مارسوها فماذا يكتمون وماذا يُخفون ؟؟. فلاشك أنهم يخفون عكس ما أباحه الشرع للمسلم، فهو أباح له أن يُظهر الكفر ويُخفي الإيمان ، لكن الصوفية عندما يُمارسونها سيُظهرون الإسلام ويُبطنون ما يُخالفوه. وإلا فلا معنى ولا مبرر لممارسة التقية ولا من الدعوة إليها ، ولا من التواصي والحرص على الأخذ بها وتطبيقها . وبما أن الأمر كذلك فلا يصح ولا يجوز لهم ممارسة التقية بين المسلمين لأنهم في هذه الحالة سيُبطنون الضلال ويُظهرون الإسلام، وهذا حرام في الشرع وخطر على الإسلام والمسلمين

وربما يُعترض علينا بقول الغزالي: ((ثم ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار))[1].ولهذا أوجب الغزالي الأخذ بالتقية كما سبق بيانه .

[1]الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 3 .

وأقول: نعم هناك أمور لا يصح أن يعرفها كل الناس لأنها لا تهمهم ، وقد تضرهم كما قال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(المائدة: 101)) . وهذه الأشياء التي نهى الشرع عن السؤال عنها تتعلق بفضول الكلام ، أو بأسرار الناس، أو بجزئيات الحياة التي تضر ولا تنفع، أو التي ضررها أكثر من نفعها ، لكنها لا تتعلق بأصول الدين وفروعه وغاياته التي تهم كل البشر، ولا بما ينفع الناس في الدنيا والآخرة، فهذه لا يصح كتمانها، والسؤال عنها مطلوب . قال سبحانه : ((فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل: 43)). والله تعالى قد نهانا عن كتمان دينه وكلف الرسل وأتباعهم بتبليغ دعوته. قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة: 67)) ، و((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)(الأحزاب: 39))، و((ومَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(النور: 54)) .

ونحن لا ننكر بأنه توجد أمور من أحوال الناس يجب أن لا يعلمها كل فرد منهم ، وإنما تبقى مستورة عن بعضهم أو معظمهم . إنها تبقى في الكتمان لأنها لا تهمهم ، أو أنها تضرهم ولا تنفعهم. وهي من جهة أخرى ليست باطلة في ذاتها، ولا تخالف شرعا ولا علما ولا عقلا، فلو كانت كذلك لحرمها الشرع ونهى عنها وأمر باجتنابها لا باعتقادها واخفائها كما يفعل الصوفية مع أسرارهم المزعومة . قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(المائدة: 101)). لكن هذا لا ينطبق أبدا على الدين في ذاته بأصوله وفروعه وغاياته . فالله تعالى قد بينه وفصله لنا ، وأمرنا بتدبر كتابه لاستخراج كنوزه وحِكمه ودُرره ونشرها بين الناس ودعوتهم إلى طلبها ومعرفتها والانتفاع بها ، وليس لإخفائها كالصوفية الذين كتموا عقائدهم وأسرارهم عن الناس . قال سبحانه : ((: ((قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)(المائدة: 15))، و((طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ)(النمل : 1))،و(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(القمر: 17))، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)) ،و((الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود: 1))، و((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ

إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص: 29))، و((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد: 24)) . ولهذا فأي إنسان يزعم أن أمور الدين والإيمان ملغزة ، ويجب إخفاؤها فهو كاذب ومحرف ومتلاعب وصاحب هوى وعلى دين باطل ، لأن الدين الحق لا يقوم أبدا على التستر والتقية، ولا على التعمية والتلغيز والتأويل الفاسد.

وأما بالنسبة للتصوف فالأمر مخُتلف تماما، فلا تصح فيه تقية ، ولا رخصة ، ولا عزيمة. لأنه سبق أن بينا أن تقيته مخالفة للشرع والعقل. وأن الصوفية اتخذوها وسيلة لهدم الدين والعقل والعلم، انتصارا للتصوف ودفاعا عنه . وعليه فلا يصح ولا يجوز استخدام التقية لإخفاء عقائد التصوف وألغازه وطلاسمه ؛ وإنما يجب إظهارها والرد عليها، وتحذير الناس منها .

لكن أبا حامد الغزالي خالف ذلك واتخذ التقية وسيلة لإخفاء أسرار التصوف والانتصار له مع الحرص الشديد على عدم كشف أسراره ، وعلى التستر بالإسلام، وهذا لن يتحقق له إلا بتعدد الخطاب واستخدام مختلف أنواع التضليل والتحريف، فمارسها في تقرير مبدأ التقية والانتصار لها، وفي تطبيقها تأييدا للتصوف ودفاعا عنه . فاختار هذا الطريق وغرق فيه إلى الأذقان، فأورده المهالك وأفقده أكثر موضوعيته وحياده ،ومصداقيته وأمانته، وهذا الذي سنبينه فيما يأتي من فصول كتابنا هذا .

الفصل الثاني

التضليل والتحريف في قول الغزالي بعلم المكاشفة ومعرفة أسرار الكون

أولا : التضليل والتحريف في قول الغزالي بعلم المكاشفات .
ثانيا: التضليل والتحريف في موقف الغزالي من الأنبياء والأولياء.
ثالثا: التضليل والتحريف في إبعاد الغزالي للفقهاء عن علم التزكية.

التضليل والتحريف في قول الغزالي بعلم المكاشفة ومعرفة أسرار الكون

مارس أبو حامد الغزالي التضليل والتحريف بتطبيقه لمبدأ التقية عندما تكلم في حقيقة علم الصوفية- غاية التصوف- الذي سماه علم المكاشفة- المعروف أيضا بعلم الباطن- ؛ فبيّن صفاته وحدوده، ونصيب أولياء الصوفية منه وعلاقته بالأنبياء والفقهاء، وبالغ جدا في تعظيمه حتى خرج عن حدود الشرع والعقل والعلم وأوقعه في تضليلات وتحريفات وأخطاء كثيرة جدا. فما تفاصيل ذلك ؟، وما حقيقة علم المكاشفة الذي قال به الغزالي؟؟ وهل هو علم صحيح أم هو مجرد أوهام وهلوسات وتلبيسات شيطانية ؟؟ . وما هي مظاهر ممارسة الغزالي للتقية الصوفية ؟؟.

أولا : التضليل والتحريف في قول الغزالي بعلم المكاشفة :

قسم الغزالي العلم إلى علمين: علم المعاملة وهو علم الدين ويتضمن أعمال القلوب والجوارح . والثاني: علم المكاشفة- علم الباطن- وهو غاية الدين الصوفي يصل إليه أولياء الصوفية وشيوخهم بعد ممارستهم لعبادات الطريق الصوفي. وقد خاض فيه الغزالي بشيء من التفصيل جمع فيه بين الإشارات والتلغيزات والعبارات الواضحة والمجملة تطبيقا لمبدأ التقية وممارسة للتضليل والتحريف في قوله بالمكاشفة وانتصاره لها وغلوّه فيها وفي أهلها.

فمن ذلك الشواهد الآتية: أولها ، قال أبو حامد الغزالي: ((وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران أحدهما وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه.وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء))[1].

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 4 .

وأقول: كلامه هذا فيه تضليل وتحريف ، والرجل من أول كتابه- إحياء علوم الدين- عرض علمه الصوفي وسماه علم المكاشفة وانتصر له وقدمه على الشرع والعقل والعلم ، وذكر أنه لا يُرخص بوضعه في الكتب ، وسمى علوم الشرع : علم المعاملة . وعمله هذا هو من التلبيس والتضليل ليُمهد به لما سيقوله لاحقا عن علمه المزعوم . وقوله بعلم المكاشفة لا يصح لأنه أولا إن تقسيمه لأنواع العلم غير صحيح، لأن العلم بمصادره ومجالاته الأساسية ثلاثة أنواع لا رابع لها، وهي: علم الوحي ، وعلم البديهيات – علم الفطرة عقلا وقلبا- ، وعلم الطبيعة والعمران البشري، وهذه العلوم والمصادر يشهد لها الواقع ومُتضمنة في قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج: 8)) . وكل هذه العلوم هي علوم موضوعية تقوم على معطيات ملموسة ، ويُمكن اختبارها والتأكد من صحتها مباشرة أو بطريق غير مباشر بآثارها والشواهد الدالة عليها . وهي من جهة أخرى علوم لها علاقات فيما بينها وتصدّق بعضها ولا تتناقض فيما بينها أبدا.

وأما علم المكاشفة المزعوم الذي قال به الغزالي فهو علم له موضوعه ومنهجه ونتائجه ، لكنه ليس علما صحيحا ، ولا يندرج ضمن العلم الصحيح المندرج في مجموعة العلوم الثلاثة المذكورة أعلاه ، بدليل موضوعه ومنهجه ونتائجه.
فالبنسبة لموضوعه ، فمع أن مجاله القلب والوجدان ، وهذا أمر موضوعي يحس به كل إنسان إلا أن فعله ونشاطه لا يتم في حضور الوعي والعقل والعلم والشرع ، وإنما يتم في حالة لا شرع ولا عقل، ولا وعي ولا علم. لأن الطريق الصوفي هو الذي ينقل صاحبه من حالة الصحة والوعي إلى حالة المرض والغيبوبة- اللاوعي- ، وفيها تتم عمليات ونشاطات علم المكاشفة المزعوم .

وأما منهجه-الطريق الصوفي- ، فهو أيضا منهج غير علمي لأنه يقوم على الغلو وتجاوز الاعتدال إلى حد تدمير الإنسان. وباختصار شديد فإن الطريق الصوفي يقوم أساسا على الخلوة، و الجوع الشديد، والعطش، والصمت ، والسهر- قلة النوم- . وعندما يُمارس الصوفي هذه العبادات الصوفية تُفقده قواه العقلية والنفسية والجسدية وتُخرجه من الصحة والوعي

إلى المرض والغيبوبة ، وهنا يدخل في عالم الأوهام والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية، ومنها يتلقى علمه المزعوم[1].

وأما نتائجه-غايات التصوف- فهي ثمرة لمنهجه وموضوعه ، فماذا ننتظر من علم مزعوم موضوعه ومنهجه كما بيناهما أعلاه ؟؟!! . إنها نتائج مخالفة للشرع والعقل والعلم من دون شك، وأخطاؤه وانحرافاته المنهجية كثيرة جدا ، بل إنها مدمرة للوحي والعقل والعلم. وليس هنا تفصيل ذلك، لكن سيتبين لنا جانبا منه فيما يأتي من كتابنا هذا، وقد سبق لنا أن فصلنا نتائجه وآثاره في كتاب أفردناه لنقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.

وبذلك يتبين أن علم المكاشفة المزعوم ليس علما صحيحا ، وإنما هو مجموعة ظنون أوهام ،وهلوسات وتلبيسات، وخليط من الأفكار والهواجس. ومن هذا حاله ليس علما ، وإن تضمن أفكارا صحيحة في هوامشه فيجب إخضاعها أولا للنقد والتمحيص للتأكد من صحتها وإلا فلا تُقبل .

وأما إذا قيل: كيف يكون علم المكاشفة ليس علما صحيحا وله علاقة مباشرة وقوية بعلم التزكية في الشرع وعلم النفس الحديث ؟ . فأقول: تلك العلاقة هي مجرد علاقة اسمية شكلية وليست علاقة حقيقية منهجا وموضوعا وآثارا، لأن علم المكاشفة المزعوم علم غير موضوعي، وليس منضبطا بشرع ولا بعقل ولا بعلم. وإنما هو فكر ذاتي ظني وهمي هلوسي يتم في حالة مرض وغياب للوعي كما سبق أن بيناه. ولهذا فالكشف الصوفي ليس شرعيا ولا علميا ، واهتمامه بالقلب يختلف تماما عن اهتمام الشرع والعلم بالوجدان عامة والقلب خاصة.

وتفصيل ذلك هو أن التزكية الشرعية هي من الشرع ومنضبطة به منطلقا ووسيلة وغاية، وليست مخالفة للشرع ولا للعقل ولا للعلم ، ولا تُدمر في الإنسان قواه العقلية ولا الجسدية ولا النفسية ، وإنما تنمي فيه تلك القِوى وترسخها وتزيدها قوة وثباتا . لأن التزكية الشرعية تقوم على العبادات التي فرضها الله علينا وهي كلها تقوم على الاعتدال وإعطاء النفس والجسد حقهما بلا إفراط ولا تفريط ،ولا تقوم على الغلو والتطرف وحرمان النفس

---

[1] سبق أن توسعنا في ذلك وبيناه بالشواهد الكثيرة في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

والجسد وتعذيبهما. ولا تقوم على الخلوة والانعزال عن المجتمع وترك صلوات الجماعة في المسجد، ولا على الجوع الشديد الذي قد يستمر أياما، وإنما تقوم على الجوع الشرعي- الصيام من الفجر إلى المغرب- ، ولا تقوم على السهر- قلة النوم- وإنما على اعطاء الجسم حقه من النوم مع قيام الليل كل حسب ظروفه وطاقته. فلا مجال للمقارنة بين التزكية الشرعية وعبادات الطريق الصوفي ، فنحن أمام منهجين مختلفية كل منهما له دينه الذي ينطلق منه وعباداته التي يُمارسها ، وغاياته التي ينتهي إليها . فشتان بين التزكية الشرعية التي تزيد المسلم إيمانا وإخلاصا والتزاما بالشرع، وبين العبادات الصوفية التي تُخرج صاحبها من الشرع والعقل والعلم وترمي به في أحضان الأوهام والظنون والهلوسات والتلبيسات الشيطانية!!.

علما بأن الشريعة كلها علم وهو علم واحد ، منها ما يتعلق بالجوانب الغيبية والكونية ، ومنها ما يتعلق بحياة الإنسان في الدنيا، وهذا الجانب منه قسم يتعلق بأعمال القلوب، وآخر يتعلق بأعمال الجوارح ، وكلها حقائق وعلوم، وأثناء ممارسة المسلم لها تنعكس على أحواله الظاهرة والقلبية، فالمتعلقة بالقلوب تنعكس آثارها على باطن المسلم وخارجه، والمتعلقة بأعمال الجوارح هي أيضا تنعكس على المسلم ظاهرا وباطنا. وكل هذه الأعمال تُثمر أذواقا وأحوالا إيمانية ربانية تُسعد المسلم في الدنيا، وتعطيه إشارات على سعادته في الآخرة. كقوله تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)) ، و((وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البقرة: 25)).

فذلك هو العلم الشرعي وتزكيته الروحية، وأما علم المكاشفة المزعوم فلا مكان له في دين الله تعالى، ولا له دليل صحيح يُثبته من العقل ولا من العلم. ولهذا عجز الغزالي أن يأتي لنا بدليل صحيح من الشرع يُؤيد قوله بحكاية علم المكاشفة، واكتفى بكلام برر به موقفه هو في الحقيقة افتراء على الشرع وذم له وطعن فيه، وتحايل على القراء بالتضليل والتحريف .

وثانيا إن قوله : ((ولكن لم يتكلم الأنبياء - صلوات الله عليهم- مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه.وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ...))، فهو قول فيه حق وباطل، فأما الحق فهو حقا أن الأنبياء لم يأتوا بعلم المكاشفة ولا تكلموا فيه . وأما الباطل فزعمه بأنهم لم يتكلموا في المكاشفة إلا رمزا وتمثيلا لقصور فهم الناس عن فهمه وتحمله. فهذا باطل لأن علم المكاشفة سبق أن بينا أنه ليس علما صحيحا ، وإنما هو فكر خليط من الأوهام والظنون والهلوسات والتلبيسات من جهة، ولا يندرج ضمن العلم الصحيح الذي جاء به الشرع وأرشد إليه وحث عليه من جهة أخرى. فالعلم الصحيح لا يخرج عن علم الوحي، وعلم الفطرة-البديهيات- ، وعلم الطبيعة والعمران البشري قال تعالى: ((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)(الإسراء: 36))، و((قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ)(آل عمران: 137))، و((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(العنكبوت: 20))، و((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج: 8)) . وبما أن علم المكاشفة المزعوم ليس من هذه العلوم ولا يندرج فيها فليس علما صحيحا ولا شرعيا ، ولا تكلم فيه النبي تلميحا ولا تصريحا ، ولا أرشد إليه ولا حث عليه.

علما بأن قول الغزالي: إن الأنبياء لم يتكلموا في علم المكاشفة " إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ..." هو اتهام لهم وللدين بأنهم أخفوا عن معظم الناس أهم مقصد جاؤوا به، وهو مطلب الصديقين حسب زعم الغزالي ، فلم يدلوهم عليه ، وحرموهم منه بدعوى عدم قدرتهم على تحمله . وهذا زعم باطل شرعا وعقلا . لأن الشرع حدد بدقة دور النبي-عليه الصلاة والسلام- بأنه جاء داعيا ونذيرا ومعلما ومزكيا للبشر، ومبينا ومرشدا ،وسراجا منيرا وأنه أدى دوره كاملا وأنه مات بعدما أدى الأمانة وأكمل الدين، كقوله تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)(المائدة: 3))، و((لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)(آل عمران: 164)) . وبما أن الأمر كذلك فلاشك أن

الرسول قد أدى دوره كاملا وبيّن لأمته كل ما تحتاجه وما هو ضروري لها في دينها ودنياها، ولا يُمكن أن يخفي عنها أهم وأعظم ما جاء به.

وليس من العقل أن يأتي النبي الخاتم المبعوث إلى العالمين بآخر الرسالات الإلهية ، ويجاهد من أجلها مع صحابته الكرام ثم هو يُخفي أهم مقصد للدين لا يعلمه غالبية أصحابه وكل المسلمين من بعده إلا شيوخ الصوفية !!. وأية فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب ثم بعد ذلك تُخفى عن البشر أهم غايات الدين ؟؟ !!، أليس هذا تعطيل له ، وطعن فيه، وتحايل عليه!!.

وثالثا إن الزعم بأن الشرع أخفى عن الغالبية الساحقة من المسلمين علم المكاشفة هو طعن في الله ودينه ورسوله، ومخالف لما قرره الله تعالى بأنه بيّن للناس الطريق المستقيم وهداهم إليه، وأنه لم يفرط في الكتاب شيئا، وأنه سبحانه أكمل دينه. قال سبحانه: ((وهاديا وسراجا))، و((الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود: 1))، و((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت: 42))، وو((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة: 67))، و((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)(المائدة: 3)). و(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)(الشعراء: 2)، و(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ)(النمل : 79)، و(وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ)(يس: 17)، و((وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(النور: 54)) .

ومما يُبطل ذلك أيضا أن الله تعالى ذكر صراحة أن الأنبياء ومنهم خاتمهم محمد –عليه الصلاة والسلام- أن مهمتهم الأساسية هو تبليغ دين الله إلى البشرية كلها بلسان واضح بيّن مفهوم لا لبُس فيه ولا ألغاز بدليل قوله سبحانه : ((فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ)(المائدة : 92)، و(فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ)(النحل : 35)، و(فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ (النحل: 82)، و(وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(النور: 54)، و(فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(التغابن: 12). وبما أن التبليغ المبين ينفي ما زعمه الغزالي وينسفه من أساسه فقول الغزالي من جهة أخرى هو تكذيب لله ورسوله وافتراء عليهما .

وليس صحيحا أن الشرع أخفى عن معظم الأمة المقصد الحقيقي والنهائي من الدين ، فهذا باطل قطعا ، لأن المقصد الحقيقي منه مذكور في عشرات النصوص الشرعية ، وهو عبادة الله تعالى وفق شريعته والتحقق بها قلبا وقالبا . من ذلك قوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))،و((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162))، و((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة: 2))، و((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(الأعراف: 59)) . وإنما الغزالي هو الذي أخفى عن الناس ما كان يعتقده في باطنه فلم يشرحه بوضوح كما شرح علم المعاملة، بل قرر أنه لا يتكلم فيه. وزعمه هذا لا يصح ، لأن الشرع اهتم بالدنيا والآخرة وذكر للناس كل ما يحتاجونه فيهما، لكن الرجل لما كان يُخالف الشرع لف ودار وضلّل وحرّف لكي يُقرر عقيدته ويخفيها من جهة ، ويتستر بالعبادة الشرعية من جهة أخرى.

علما بأن الله تعالى بيّن في نصوص كثيرة غايات العبادة ووضح أحوالها الظاهرة والقلبية وليست مستورة، بل هي من صفات المؤمنين الأتقياء، كقوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15))، و((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23)). وفي الحديث عن النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))[1]. تلك بعض المعارف والأحوال القلبية التي يتذوقها المسلم من طاعته لله والتزامه بدينه، وهي صفات مذكورة في الشرع وليست مستورة ولا مخفية ولا أشار إليها رمزا ولا تلغيزا، ولا تعمية. فالرجل من أجل

[1] البخاري: الصحيح ، ج 1 ص: 12 ، رقم: 16 .

تصوفه تعمد التحريف والكلام على الشرع بلا دليل ، وإنما قرر كلاما صوفيا لا شرعيا عن سبق إصرار وترصد لغاية في نفسه. ولهذا فإن حكاية علم المكاشفة كلام غير صحيح ، لأن الدين كامل وتام وجاء بسعادة الدنيا والآخرة.

وبما أن الله تعالى ذكر أنه أكمل دينه وأتمه ، وأنه جعل كتابه تبيانا لكل شيء ، وأرسل نبيه مبينا ومرشدا، وبشيرا ونذيرا فلا يُمكن أن يكون الله تعالى قد أخفى عن البشر عامة والمسلمين خاصة أهم مقصد في دينه تعالى. ولهذا فزعم الرجل باطل قطعا ، وهو اتهام لله ورسوله بأنهما أخفيا عن الأمة أهم مقصد لإسعادهم في الدنيا والآخرة .

ورابعا إن تبرير الرجل بأن عامة الناس غير قادرين على تحمل علم المكاشفة هو كلام صوفي لا شرعي، أخفى به الرجل ما أخفاه سلفه الصوفية في سرهم المزعوم الذي أخفوه وعبروا عنه بالإشارات لا بالعبارات المفهومة. فهذا هو الذي لا يستطيع معظم الناس تحمله، وإما دين الله تعالى فقول الرجل لا يصدق عليه أبدا بدليل المُعطيين الآتيين: الأول إن الله تعالى وجه نداءه لكل المؤمنين بإتباع دينه والالتزام به قلبا وقالبا- أعمال القلوب والجوارح- ولم يخص طائفة منهم بأوامر دون باقي المسلمين ، ولو كان الأمر كما زعم الغزالي لخاطب طائفة منهم فقط، وهذا لم يحدث. فلا يوجد في الشرع هذا التخصيص أبدا، ولا ذكر أن جماعة قليلة منهم فقط هي التي لها القدرة على تحمل الشرع. نعم المؤمنون يختلفون في درجات إيمانهم وأعمالهم ، لكن هذا مرتبط بمدى ما يعملونه إخلاصا والتزاما بالشرع، وليس مرتبطا بحكاية علم المكاشفة، ولا بتوضيح حقيقة الدين . فهذا أمر لا وجود له في دين الإسلام، ولا يوجد تناقض بين ما يناله المسلمون المُقربون وإخوانهم من أصحاب اليمين ،وإنما هو تباين في الجزاء على حسب قوة الإيمان والإخلاص والأعمال، وصفات الطائفتين مذكورة في النصوص الشرعية.

والمُعطى الثاني مفاده أن النبي-عليه الصلاة والسلام- كون مجتمعا إسلاميا تقيا صالحا بشهادة الشرع والتاريخ، ولم يقل لهم أن معظمكم غير قادر على تحمل الدين قلبا وقالبا، وإنما وصفهم الله تعالى بقوله: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(آل

عمران: 110))، وهذا جمع بين أعمال القلوب والجوارح، وبين الإيمان والعمل الصالح . فكان الغالب عليهم كما وصفهم القرآن ولم يكونوا قلة. ولا يوجد دليل تاريخي صحيح يقول بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- قسم أصحابه إلى طائفتين: طائفة طلبت علم المعاملة، وأخرى جمعت بين علمي المعاملة والمكاشفة حسب زعم الغزالي. ، ولا أن طائفة عجزت عن عمل علم المكاشفة وأخرى جمعت بينه وبين علم المعاملة. فالغزالي لم يكن يبحث عن الحكم الشرعي ولا عن أحوال المسلمين الإيمانية في الإسلام، وإنما كان يتكلم عن المكاشفة المزعومة - علم الباطن- عن سبق وإصرار وترصد ليصل إلى تقرير ما أراد انتصارا للتصوف وتسترا بالإسلام تطبيقا للتقية الصوفية، وهذا تطلب منه استخدام التضليل والتحريف والتأويل الفاسد في تعامله من الشرع .

وبذلك يتبين أن الغزالي من أجل تصوفه اتهم الإسلام بالقصور والنقص، واتهم الله ونبيه بأنهما أخفيا عن الناس أهم ما في الدين ولم يُظهراه. ومن أجل تصوفه اختلق ا المبرر الفاسد الذي هو طعن في دين الإسلام وانتصار للدين الصوفي. فحسب زعمه أن النبي- عليه الصلاة والسلام- غش أمته ولم يكن صادقا معها وأخفى عنها أعظم شيء في الدين فجاء الصوفية واكتشفوه وأخرجوه للناس. وبما أن هذا يتضمنه كلام الغزالي، فإنه شاهد دامغ على بطلانه من أساسه. وهو اعتراف منه بأن التصوف ليس من دين الإسلام، وإنما هو دين قائم بذاته، فميزه عن دين الإسلام، وهذا اعترف بأنه ليس من علومه، ثم فضله على علوم الشرع. وفيما بعد سيذكر غايته الكبرى التي هي نقض لختم النبوة وهدم للوحي والعقل والعلم، كما سنبينه لاحقا .

واتضح أيضا أن الغزالي ذكر ما كتبه عن سبق إصرار وترصد من دون أي دليل صحيح، لأنه كان يُخفي سر الصوفية بدعوى علم المكاشفة وعلم الباطن ، فوضع مقدمة ذاتية صوفية بها قرر ما يريد وتحايل على القراء وضللهم ليعطي تبريرا وشرعنة لما كان يخفيه، وسيتسلط به على مخالفيه فيما بعد بدعوى أنه من أرباب القلوب والكشف وغيره من أرباب الظاهر والمعاملة، ومن ثم فهو صاحب الكلام الفصل، والبرهان الدامغ والقاطع في القضايا التي سيطرحها في إحيائه وينتصر لها !!!!.

والشاهد الثاني مفاده أن الغزالي زعم أن الصوفي عندما يصل إلى غاية التصوف- بممارسته للطريق الصوفي- يصبح يعلم بالكشف والمشاهدة عالم المُلك والملكوت بنور البصيرة، وفيها يُرفع الحجاب بينه وبين الله وتتجلى في قلبه صورة المُلك والملكوت. والمُلك هو عالم الشهادة ، والملكوت هو عالم الأسرار الغائبة عن المشاهدة بالأبصار وتدرك بالبصائر[1]. ذلك هو علم الكشف والمشاهدة عند الغزالي الذي به يصبح الصوفي يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم كل ما في الوجود!!!! . وعرّفه أيضا بقوله:((وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحِكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ،ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ،ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار ،وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب .ومعنى قوله تعالى: "اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً -الإسراء: 14 ". ومعنى قوله تعالى:" وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - العنكبوت: 64 " ومعنى لقاء الله عز و جل والنظر إلى وجهه الكريم . ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ... فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم- في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 20 . و طبعة دار المعرفة ، ج 1 ص: 283 ، 284 .

بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار .وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه و سلم بقوله : "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى" فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه))[1].

وأقول: إن الرجل ذكر صراحة أن الصوفي عندما يصل إلى غاية التصوف يصبح يعلم كل أسرار الكون بل وحتى ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله!!!! . وقوله هذا قمة الغرور والجنون ، ولا يصح ولا يحق أن يقوله مسلم ولا عاقل ، وهو زعم باطل قطعا . لأنه أولا إن قوله هذا هو مجرد زعم ولم يذكر عليه دليلا صحيحا، ولا يحمل بينة تثبته ، فهو زعم، والزعم لا يعجز عنه أحد فبإمكان أي إنسان أن يدعي ما قاله الغزالي، ولا اعتبار له إذا لم يذكر دليلا صحيحا يثبته. ولهذا فقول الغزالي لا يُكون صحيحا إلا بإقامة الأدلة الشرعية والعقلية التي تُثبته وبما أنه لم يفعل ذلك فقوله ليس من العلم في شيء ، وإنما هو من الأوهام والظنون ، والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية. ويمكن لأي إنسان أن يرده بنفس الطريقة، فيقول: بفضل تأملي في الشرع وفي نفسي والطبيعة، وبفضل ممارستي للعبادات الشرعية من صيام وذكر وعزلة عن الشر، فقد تبين لي بطلان ما قاله الغزالي، لأن الإنسان بما أنه إنسان لا يُمكن أن يصبح كما وصفه الغزالي من جهة ، وأحوال شيوخ الصوفية وعلومهم المزعومة تشهد على بطلان مزاعم الغزالي من جهة أخرى . وانطلاقاً من هذا فمن حقي أن أرد ما قاله الغزالي وأكذبه بنفس الطريقة التي تبناها الغزالي.

والرجل هنا تكلم عن علمه المزعوم بوضوح صريح، ولم يلتزم بما قاله بأن علمه هذا لا يُرخص بتدوينه في الكتب، فقد دون منه هنا جانبا كبيرا وخطيرا وشرحه بطريقته الخاصة مزج فيها الإشارات بالعبارات تطبيقا للتقية الصوفية. وهو هنا قد تكلم عن مقام الفناء عند الصوفية عندما يصلون إلى وحدة الوجود ويصبحون أربابا وآلهة ويعلمون كل أسرار الكون حسب زعمهم. لكنه أشار إلى جانب منها من دون أن يتكلم عن حقيقتها ، وإنما تكلم عن بعض صفاتها، وهذا من تضليلات الرجل وتحريفاته . لكنه من

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 19- 20 .

جهة أخرى اعترف بذلك ضمنيا عندما ذكر أن علمه يوصله إلى معرفة كل شيء معرفة حقيقية عيانية لا لَُبس فيها. فهذا هو العلم الصوفي المزعوم الذي قال الغزالي بأنه لا يسطره في كتاب لكنه هنا سطر جانبا خطيرا منه تناوله بنسبة كبيرة من الصراحة، لكنه أدخل فيه نوعا من التغليط والتلبيس والتلاعب والتحريف ليصل إلى مبتغاه تطبيقا للتقية الصوفية.

وأما قوله بأن أساس علم المكاشفة هو نور يظهر على القلب عند تطهيره وتزكيته، فهو ليس نورا حقيقيا وإنما هو نور زائف ، وظلام وضلال، بدليل المُعطيين الآتيين: الأول إن هذا النور المزعوم أوصل الغزالي وأصحابه إلى القول بعلم الغيب ومعرفة الذات الإلهية وأسرار الكون وهذا باطل قطعا، لأنه مخالف للشرع ولطبيعة الإنسان، ولواقع والصوفية وأحوالهم من كثرة انحرافاتهم وأخطائهم الشرعية والعلمية كما سنبينه في كتابنا هذا. فلو كان نورا حقيقيا وكما وصفه الغزالي ما كانت تلك هي آثاره على الصوفية من كثرة الأخطاء والانحرافات.

والمُعطى الثاني مفاده أن ذلك النور المزعوم لو كان نورا حقيقيا ما خالف النور الشرعي الذي ذكره الله تعالى في كتابه وفصل آثاره الحميدة على المؤمنين . كقوله تعالى: ((ومَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (النور : 40)))، و((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) وهذا النور الشرعي أثمر أحوالا وأذواقا إيمانية صحيحة ومتفقة مع الشرع وتزيد في إيمان المؤمنين ، كقوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2)) . وبما أن هذا هو نور الله تعالى وآثاره ، وبما أن نور الله واحد وهو صراطه المستقيم ، لقوله سبحانه : ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153))، فإن ذلك النور الصوفي المزعوم- نور علم المكاشفة- ليس نورا حقيقيا ولا شرعيا ، وإنما هو ظلام وضلال، ونور زائف ومن سُبل الشيطان التي حذرنا الله تعالى من اتباعها، ونهانا عنها.

وثانيا إن الرجل زعم أن علم المكاشفة- العلم الصوفي- هو نفسه علم الباطن الذي يوصل أصحابه إلى معرفة ذات الله وأفعاله وصفاته معرفة حقيقية وعيانا. وهذا زعم باطل ولا دليل عليه من الشرع ولا من العقل، ولم يتسن حتى للنبي-عليه الصلاة والسلام- وعندما سُئل عن الله تعالى قال: " نور إني أراه "[1] . وقال الله تعالى- على لسان عيسى- عليه السلام- : ((تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)(المائدة: 116)). وقد صح الخبر أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا أبدا لا يقظة ولا مناما ولا عيانا ولا قلبا. ولن نرى الله تعالى إلا يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين فقط[2] والله تعالى يقول : ((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(الأنعام: 103)). وهذا نفي عام لأي إدراك لله تعالى عيانا ولا قلبا ، والرجل زعم أنه علمه يوصل إلى المعرفة التامة والعيانية والحقيقية بذات الله وأفعاله وصفاته. فقوله هذا باطل قطعا، ومستحيل أن يصل إليه مخلوق ، قال تعالى على لسان نبيه –عيسى –عليه السلام- : ((تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)(المائدة: 116))،فإذا كان نبي الله عيسى لم يكن يعلم ما في نفس الله، فغيره من الصوفية وكل بني آدم لن يعرفوا ذلك ، ولن يصلوا إليه ولا قريبا منه.

علما بأنه لا يصح الاحتجاج بعلم الصوفية- الكشف- لأنه سبق أن بينا أنه ليس فكرا صحيحا ولا هو من العلم ، وإنما هو خليط من الأفكار والأحول النفسية ،والظنون والأوهام، والهلوسات والتلبيسات. وهذا وحده كافٍ لرد كل ما زعمه الغزالي ، والحكم عليه بعدم الصحة، لأنه تجاوز حدود الشرع والعقل والعلم ودخل في عالم اللا وعي والجنون. ومتى كان ذلك علما أو مصدرا له ؟؟!! .فكلام الغزالي مزاعم جوفاء وليس من العلم في شيء.

وثالثا إن الرجل قال بأن علمه المزعوم يجعل الصوفي يعرف حقيقة الوحي والنبوة، وكيفية نزول الملائكة على الأنبياء، وحصول الوحي. وهذا زعم باطل قطعا لأن هذا لن يدركه إلا النبي، وبما أن الصوفي ليس بنبي ، والنبوة قد خُتمت بنبينا محمد –عليه الصلاة والسلام- فلن يستطيع معرفة ذلك على الحقيقة أحد . ولا يُعرف منها إلا ما ورد من صفاتها في النصوص الشرعية. ومما يُبطل ذلك أيضا أن الصحابة كانوا مؤمنين أتقياء

[1] الترمذي: السنن ، ج 5 ص: 396 ، رقم: 3282 .
[2] بينت ذلك وذكرت النصوص الشرعية المؤيدة لما قلته في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، ص: 504 . النسخة الإلكترونيا.

ومن أولياء الله تعالى وقد شهد لهم بالإيمان والعلم الصالح ، ومع ذلك فلا واحد أدعى ما ادعاه الغزالي، وكانوا يسألون النبي-عليه الصلاة والسلام- في أمور الدين من الغيب والحياة الدنيوية، وقد سألوه عن الوحي كيف يأتيه. فلو كان ما زعمه الغزالي لكان الصحابة أولى بذلك ، وما سألوا النبي-عليه الصلاة والسلام- ليدلهم على الطريق الذي يوصلهم إليه لو كان الأمر كما زعم الغزالي.

ورابعا إن الرجل اعترف صراحة بأن علمه المزعوم يجعل الصوفي يعلم غيب السموات والأرض وتفاصيلها ابتداء من الله بذاته وصفاته وأفعاله، والنبوة والوحي، والملائكة والجنة والنار وعالم الملكوت . وهذا زعم باطل قطعا لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولا كان يعلمه رسوله ولا الصحابة، ومن يزعم ما قاله الغزالي فهو مفترٍ ومُضلل ،ومغالط ومحرف للشرع. قال تعالى: ((قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ))- سورة النمل/65- و((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (الجن)–سورة الجن /26- ،و((ما كان الله ليطلعكم على الغيب)) – سورة آل عمران/179- ، و((قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ،ولا أعلم الغيب))-سورة الأنعام/50- ،و((لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير))-سورة الأعراف/188- ،و((فقل إنما الغيب لله ، فانتظروا إني معكم من المنتظرين))-سورة يونس /20- ، و((إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل : 74)).

وخامسا إن قوله بأن ما ذكره ممكن الحدوث في جوهر الإنسان إذا طهّر الإنسان قلبه ، فهذا كلام لا يصح لأن الإنسان كائن مخلوق محدود القدرات وقلبه جزء منه وعلومه محدودة للغاية، ومعلوماته نسبية يكتسبها من باطنه بالإحساس الداخلي ومن خارجه بواسطة الحواس ولا يُمكن أن يتجاوز قدراته النسبية ولا تنفع معها المزاعم والدعاوى الجوفاء.ومهما مارس الصوفية طريقهم فإن القلب سيبقى محدودا ولن يتجاوز قدراته. وعندما بالغوا في ممارستهم لعبادات الطريق الصوفي خرجوا من الوعي والشرع والعقل وفقدوا كل قدراتهم وتعطلت قلوبهم وعقولهم وقدراتهم الجسدية ودخلوا في حالات من الهلوسة والتلبيس الشيطاني فأضلتهم وأفسدتهم وتلاعبت بهم وأصبحوا يُشبهون متعاطي المخدرات المهلوسة في عالمهم

الخيالي الهلوسي[1] . ولا تنفع المزاعم والمبالغات وحكاية الأنوار فهذا مزاعم يستطيع إي إنسان أن يدعيها ولا يعجز عنها أحد، لأن أحوال الصوفية ومنهم الغزالي تدل على عجزهم وعدم قدرتهم على توفير أبسط حاجياتهم الدنيوية، وعلى ضعف عقولهم وقلة علومهم وكثرة أخطائهم الشرعية والعقلية والعلمية[2]، فهي أدلة دامغة بل قطعية تشهد ضدهم وعلى بطلان مزاعمهم في قولهم بعلم المكاشفة والباطن ومعرفة أسرار الكون !!.

وسادسا إن قول أبي حامد الغزالي يستلزم بالضرورة نقض النبوة ، وتعطيل الشرع وهدمه ، وعدم حاجة الصوفي العارف إلى الشريعة أصلا بحكم أنه أصبح يعلم كل أسرار الكون حسب زعم الرجل . وهذا باطل قطعا لأن الله تعالى فرض على البشر كلهم اتباع دينه ولم يستثن أحدا منهم ، ولو كان الأمر كما زعم الغزالي ما فرض الله تعالى علينا شريعته ولا أوجب على كل بني آدم اتباع دين الإسلام ؛ بل ولا أرسل الرسل ولا أنزل الكتب فيكفي بأن يأمرهم بإتباع الطريق الصوفي ليصبحوا أنبياء وعارفين وأربابا وآلهة . وبما أن الأمر ليس كذلك دل هذا على بطلان مزاعم الغزالي كلها.

وسابعا إن من غرائب الرجل وتناقضاته وتضليلاته وتحريفاته أنه بعدما خالف الشرع ونقضه وادعى أن علمه يوصله إلى علم غيب السموات والأرض، بل وإلى نقض النبوة وتجاوز الأنبياء والاتصاف ببعض أوصاف الربوبية والألوهية، عاد وقال بأن طريق علم المكاشفة يتم ب: بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم. وهذا مناقض لما قاله سابقا قطعا، وإنما الرجل هنا على طريق الصوفية في ممارسة التقية والتمكين للتصوف والتستر بالإسلام. لأن الشرع لم يأمرنا بالكف عن الشهوات مطلقا ، ولا كان النبي يمارس الطريق الصوفي، وإنما الشرع أمرنا أن نتناول الشهوات باعتدال ، قال تعالى: ((وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))، و((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223)). وأي إتباع للشرع والأنبياء يبقى لمن يقول بما قاله الغزالي ؟؟ !! أليس قوله هو هدم للدين باسم الدين ؟!. وهل من يصبح يعلم أسرار الكون وغيوبه يكون في حاجة إلى إتباع الشرع والأنبياء ؟؟، وأليس مطالبة العالم

[1] توسعنا في ذلك وأوردنا الشواهد العلمية والواقعية والتاريخية التي تُثبت صحة ما قلناه ، ذكرناها في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ، والكتاب منشور إلكترونيا .

[2] سنبين جانبا من ذلك في كتابنا هذا، وسبق أن توسعنا فيه في كتابنا نقد نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، وتبين أن التصوف كله باطل بأصوله وفروعه وغاياته، والصحيح منه يوجد في هامشه لا في صلبه وأصوله .

والعارف بذات الإله والمكطلع على أسرار الكون باتباع الشرع هو عبث في حقه ؟؟ ، وهل من يقول بما قاله الرجل هو متبع للشرع أم لهواه وشيطانه ؟؟. وأليس من يتبع الأنبياء ويلتزم بدين الله تعالى لا يقول أبدا بما قاله الغزالي ؟؟!!.

وليس صحيحا أن من يزهد في الدنيا ويُجاهد نفسه بالطريق الشرعي، ويتبع الأنبياء في عباداتهم يصل إلى ما قاله الغزالي، فهذا افتراء على الشرع والواقع ؛ لأن الزهد الشرعي-التزكية الإيمانية- القائم على الاعتدال في تناول الشهوات والذي أمرنا الشرع باتباعه وطبقه النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته ،وظهرت عليهم آثاره الإيمانية، وأورثهم أحوالا ومواجيد صحيحة ، ليس منه ما ذكره أبو حامد الغزالي الغزالي، وإنما منه الصفات الإيمانية المذكورة في الشرع ، كما في قوله تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7))، و((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23))، ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام : 122)). فهذا هو النور الإيماني الصحيح الذي هو من آثار التزكية الشرعية وليس فيه أبدا ما يخالف الشرع ، ولا فيه تلك الأباطيل والضلالات التي ذكرها الغزالي. فالشرع الحكيم أمرنا بتطهير القلوب، وبالاعتدال في الأكل والشرب والنوم والصوم ، ووعدنا بالإيمان والأحوال الربانية والسعادة في الدنيا والآخرة لكنه لم يقل لنا أبدا أننا نصبح نعلم غيوب الكون، ولا نعرف كنه ذات الله وأفعاله وصفاته، ولا أننا نصل درجة الأنبياء أو نتجاوزها ، ولا أن التزكية الشرعية توصلنا إلى نقض النبوة، بل إن الله تعالى نفى عنا ذلك، وإنما الغزالي هو الذي زعم كل ذلك، فهدم به الشرع والعقل والعلم، وارتمى في أحضان الأوهام والهلوسات والتلبيسات بدعوى تطهير القلوب وعلم المكاشفة، فضل وأضل، وهنا تكمن مأساة الغزالي !!.

وذلك يعني أن الطريق الذي قال به الغزالي ودعا إليه وذكر آثاره هو طريق غير شرعي، ومن ثم فهو طريق فاسد وزائف ،ومخالف للشرع والعقل والعلم، لأنه طريق تشهد أصوله وفروعه وآثاره على بطلانه.

فأصوله تقوم على ممارسة عبادات الطريق الصوفي القائم على العزلة، والجوع الشديد، والعطش، وقلة النوم ، والمداومة على ذلك وهي لا تورث الصوفية علما ولا نورا وإنما تضعفهم وتفقدهم قدراتهم العقلية والجسدية ، وتنقلهم من حالة الوعي إلى اللاوعي، ومن العقل إلى اللاعقل، ومن العلم إلى اللاعلم ، ومن الصحة إلى المرض وهنا يصبح الصوفي مريضا مهلوسا وفريسة للتلبيسات النفسية والشيطانية .وهذه الحالة لا يُمكن أن تورث الصوفية علوما ولا أنوارا ، وإنما تورثهم أمراضا وأوهاما وهلوسات وتلبيسات شيطانية. وفكر هذا مصدره لا يُمكن أن يكون علما ولا فكرا صحيحا بأي حال من الأحوال ، لأن العلم مصدره الوعي لا الهلوسات والأوهام والتلبيسات.

وأما نتائجه فهي أدلة قطعية على بطلانه ، لأن الغزالي ذكر أن الطريق الصوفي الموصل إلى علم المكاشفة يجعل الصوفي يعلم غيوب الكون وأسراره ، ويعرف كنه الذات الإلهية وأفعالها وصفاتها . وهذه مزاعم باطلة قطعا بدليل الشرع والعقل والعلم كما بيناه أعلاه. ومن يقول بكلام الغزالي فهو إما أنه مريض مهلوس مُلبس عليه، وإما أنه جاهل لا يعي ما يقول، وإما أنه كاذب وصاحب هوى قاله لغاية في نفسه . وأما الحديث الذي استشهد به على قوله بعلم المكاشفة (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله ...) فهو حديث ضعيف[1] ،و شاهد ضده ومُبطل لمزاعمه، لأن من يعلم أسرار الكون لا يعتمد على الحديث الضعيف، بل وليس في حاجة إليه أصلا !!.

والشاهد الثالث هو امتداد للسابق ومفاده أن الغزالي ذكر أحاديث وآيات ليصل إلى القول بوجود سر كان النبي- عليه الصلاة والسلام- يخفيه عن المسلمين ، ليجد الغزالي المبرر ليقول بسر الصوفية المزعوم الذي سماه علم المكاشفة ، من ذلك قوله: ((وقال صلى الله عليه و سلم : "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا" . فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره))[2].

---

[1] الحافظ العراقي: المغني عن حمل الأسفار، ص: 9 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 100 .

وأقول: أولا إن قوله هذا يندرج ضمن ممارسته للتقية والتضليل والتحريف انتصارا للتصوف وتسترا بالإسلام من جهة، وليتخذه مُبررا في قوله بالمكاشفة وتقديمها على الشرع والتسلط بها على مخالفيه من جهة أخرى. ومحاولته هذه فاشلة دون شك ، ومهما حاول أن يجد مبررا أو مدخلا لتحقيق غايته باستخدام القرآن والأحاديث النبوية فلن يستطيع، لأن الأمر الذي يدعو إليه باطل شرعا وعقلا وعلما كما بيناه في بحثنا هذا، وفي كتاب: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف. وكل محاولة لتأويل النصوص الشرعية تأويلات فاسدة فيُمكن كشفها وإظهار بطلانها. والأحاديث التي اعتمد عليها فهي إما أنها غير صحيحة، أو أنها مُؤّولة تأويلا فاسدا، أو أنها لا تحمل المعنى الذي أراده منها.

وثانيا إنه ليس في دين الإسلام أسرار ، فعقائده وتشريعاته وأخلاقه واضحة، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يُؤدي الرسالة بأكمل وجهة، وان يُبين للناس ما أُنزل إليه ، و ثم شهد له بأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة وأكملها الله تعالى وأتمها على يديه . والله تعالى قد وصف كتابه بأنه مُحكم ومُبين ، وان رسوله بينه للناس، وهذا يستلزم أنه لا توجد أسرار في الشرع تنفع الناس وضرورية لهم أخفاه الله ورسوله عنهم . ولهذا من يدعي وجود أسرار في الإسلام أخفاه النبي- عليه الصلاة والسلام- عن أمته فهو إما جاهل، وإما كاذب صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه. وبما أن الأمر كذلك فلماذا الغزالي مصر على حكاية أسرار الصوفية وإخفاء الشرع لها، مع أنها باطلة ،وليست من دين الإسلام أصلا ؟؟.

وثالثا إن الحديث الذي ذكره الغزالي لا يتضمن القول بوجود سر أخفاه النبي-عليه الصلاة والسلام- عن أصحابه، لقصور أفهامهم عن إدراكه، وإنما هو واضح منه أنه قال لهم: " لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا"[1]. ولم ويقل لهم لا تفهمونه، أو فوق طاقتكم، وإنما هو يتعلق بالخوف والرجاء، وكيف يبكون وهم لا يفهمونه ؟؟. ولاشك أن النبي-عليه الصلاة والسلام- بما أنه نبي فهو يعلم مالا يعلمه الصحابة ،وهذا أمر عادي وطبيعي جدا. ومن جهة أخرى فحتى لو كان سرا فهذا السر لم يكلفه الله بتبليغه لأمته، ولا هو مخالف للشرع ولا للعقل ولا للعلم. ولا هم مكلفون بطلبه، ولا هو ضروري لهم . وهذا خلاف السر الصوفي- علم المكاشفة- الذي بينا بالأدلة الدامغة مخالفته للشرع والعقل والعلم، وبل هدمه لكل مصادر العلم .

---

[1] الألباني: صحيح الجامع الصغير ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ج 1 ص: 368، رقم: 4002 .

ثم أن الرجل بعدما ذكر الأحاديث وبعض أقوال الصحابة ليقرر حكاية السر ذكر أقوالا لبعض الصوفية نصت صراحة على سرهم وبعضها اعترف بأن سرهم هذا كفر وتدمير للدين والنبوة والعلم . فمن ذلك: ((وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر . وقال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام))[1]. فهذا هو السر الصوفي الذي يقول به الغزالي وأصحابه إنه هادم للوحي والعقل والعلم ، لكن الغزالي- مع ذلك- لا يتورع من توظيف الدين لتأييد قول الصوفية بسرهم المزعوم- المكاشفة- مع أنه مدمر للدين كله !!. فلم يجد الرجل حرجا في التستر بالإسلام والاحتجاج به للبرهنة على صحة علم المكاشفة المزعوم الذي هو نقض للدين وإبطال له!!. فلا حرج في ذلك عند الغزالي، فالغاية تبرر الوسيلة، والتقية ضرورية للتصوف، فلا تصوف ولا صوفية دون تقية!!. ولا تصوف ولا صوفية دون تضليل وتحريف للوحي والعقل والعلم!!. ولا إحياء لعلوم الدين عند الغزالي دون تقية وتحريف للنصوص الشرعية!!. ففي كل الحالات الغاية تبرر الوسيلة، فمن أجل علم المكاشفة وأهله من حق الغزالي والصوفية ممارسة التقية بكل أشكالها!!!!.

والشاهد الرابع مضمونه أن من ضمن المكاشفة المزعومة أن الغزالي زعم أن المحب لله القائم ليلا للصلاة يعرض أحواله على الله، ويرفع ((إليه سريرته إليه ، والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به))[2].

وأقول: إن الغزالي حرص في كتابه إحياء علوم الدين على أنه ما إن يتكلم عن العبادات من جانب أعمالها القلبية إلا ويُدخل فيها تصوفه عامة والمكاشفة خاصة بدعوى علم الباطن والمكاشفة حتى وإن كان الأمر مخالفا للشرع مخالفة صريحة. فقوله بأن المحب القائم يسمع من الله مباشرة كلام باطل، وناقض للنبوة وهادم للدين، قاله الرجل لأنه طريق يوصل إلى خرافة علم المكاشفة- الفناء الله، وحدة الوجود- . لأنه من الثابت قطعا أن الله تعالى لا يُكلم ولا أحد يسمعه إلا الأنبياء، قال سبحانه: ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى: 51)). وبما أن النبوة خُتمت فلا أحد يسمع

---
[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 100 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 358 .

من الله أبدا، ومن يدعي أنه يسمع منه فهو مُخطئ، أو مُلبس عليه، أو كاذب وصاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه.والله تعالى وصف أحوال المؤمنين والمحبين، ولم يذكر من بينها أنهم يسمعون من الله ما يرد إلى خواطرهم كما زعم الغزالي . ولو كان ما زعمه الغزالي صحيحا لذكره الله تعالى في كتابه، ولحثنا على طلبه والاجتهاد للفوز به، وبما أنه لم يذكره، وإنما أمرنا بطاعته ودعائه والالتزام بدينه دل هذا على بطلان زعم الغزالي.

والشاهد الخامس: عندما تكلم الغزالي عن الصفات الإلهية ذكر صراحة أنها لا تُعرف بالشرع وإنما بالمكاشفة- علم الباطن- ، فقال: ((وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع - الشرع- ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه. فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف. والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله))[1] .

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف للشرع وتعالم عليه، وهو زعم باطل لأنه أولا إن قوله: ((الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع)) مخالف للشرع ومناقض له، ولا يصح أيضا، لأن الشرع هو وحي إلهي ، فهو نور ويقين من دون شك . ولهذا فقول الرجل باطل قطعا ، لأن رأيه المزعوم الذي سماه نورا لا يصح تقديمه على النور الإلهي - الوحي، السمع- ، ولو كان نوره المزعوم نورا حقا ما خالف الشرع ، ولا تقدم عليه . علما بأن قول الغزالي هو ازدراء بالوحي الإلهي وتقدم وتعالم عليه، ووصف له بما لا يليق، لأنه قال: " بنور إلهي لا بالسماع". فرأيه ووجدانه الصوفيان سماهما نورا إلهيا، والوحي الإلهي سماه سماعا، بمعنى أنه مجرد خبر سمعناه، والخبر كما هو معروف الغالب عليه أنه ظني لا يقيني،. نعم صحيح أن الوحي يُعرف بالسماع أيضا ، لكن كلام الغزالي قارن بين كلامه وسماه نورا إلهيا وبين الوحي وسماه سماعا، ثم تقدم وتعالم عليه، ولم يسمه وحيا ولا نورا إلهيا. فعجبا من جرأة هذا الرجل على الشرع ، إنه سمى رأيه نورا إلهيا وسمى الوحي الإلهي سماعا!!، لكن لا عجب ولا تعجب، إنه علم المكاشفة المزعوم الهادم للوحي والعقل والعلم!!

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين مج 1 ص : 180 .

وثانيا إن قوله : ((فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ،وما خالف أولوه)). هو شاهد ضده على أنه يعتقد إمكانية تعارض نوره المزعوم مع الوحي الإلهي- وهو نور- . وهذا يعني أن "نوره" ليس يقينيا لأنه لو كان يقينيا ما خالف النور الإلهي. لكن الرجل لم يُرجعه هذا إلى النور الإلهي ويُجنبه الانحراف وإنما زاد في انحرافه وضلاله فقدم نوره المزعوم على الوحي الإلهي ، وتعالم عليه وجعله تابعا له !! . وهذا موقف غير صحيح قطعا، وانحراف كبير عن الشرع والعقل. لأنه لا يصح بأي حال من الأحوال تقديم آرائنا وأحوالنا النفسية على كلام الله ورسوله.

ومن جهة أخرى فإن من يقول بتأويل آيات الصفات بدعوى أنها تخالف العقل، أو أنها تُوهم التناقض والتشبيه، كما فعل الغزالي؛ فهو قد أقام الدليل على نفسه بفساد فكره، وقلة فهمه وعلمه. ولهذا فإن قول الغزالي بذلك التأويل هو دليل ضده على بطلان حكاية علم المكاشفة- علم الباطن-، لأنه لو كان كما زعم لما احتاج أبدا إلى ممارسة التأويل التحريفي. لأن من يُمارسه يعني أنه عجز عن فهم الوحي الإلهي، ومن هذا حاله فهو ليس من الراسخين في العلم ، وأن علمه المزعوم ليس علما صحيحا،وإنما هو أوهام وظنون وأباطيل وتلبيسات. لأنه لو كان علما صحيحا لفهم الوحي الإلهي فهما صحيحا ولَمَا تقدم عليه، ولَمَا تسلط عليه بالتأويلات الفاسدة. لكن الرجل مع أنه أدرك بأنه في مشكلة لكنه لم يشك في علمه البشري وشك في الوحي الإلهي، فتقدم عليه وتسلط عليه بالتأويل التحريفي،فانحرف عن الصراط المستقيم وضل وأضل بدعوى علم المكاشفة !!.

علما بأن كلام الغزالي تضمن تناقضين صريحين واضحين : الأول هو ان الرجل قدم ذوقه الصوفي على الوحي الإلهي وجعله حَكما عليه، وهذا لا يصح عقلا ولا شرعا بأي حال من الأحوال، لأنه نقض لأصل الإيمان بأن القرآن كلام الله وأن محمدا رسول الله . والتناقض الثاني مفاده أن من يعتقد بأن الإسلام دين الله تعالى ثم يقول: ((فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف))[1]. فهو متناقض مع نفسه ويكون قد نقض إيمانه بدينه أحب أم كره، أقر أو لم يُقر.

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين مج 1 ص : 180 .

وأخيرا- ثالثا- ليس صحيحا أن الصفات الإلهية تمثل مشكلة في الشرع وأن حد الاقتصاد فيها ((دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع...)).، فهذا قول باطل ،لأن الحقيقة هي أن آيات الصفات هي من المحكمات وليست من المتشابهات أصلا. فلو فُهمت فهما صحيحا وفق المنهج الشرعي لما أثارت أية إشكالات ولا تناقضات. فلو نظرنا إلى موضوع الصفات انطلاقا من فآيات التنزيه كقوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11))، و((فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل: 74))، و((وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)(الإخلاص: 4)) . ((وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأعراف: 180)).ثم عرضنا عليها آيات إثبات الصفات ، لحُل الأمر بسهولة ، ولما وجدنا أي إشكال تماما، وما احتجنا إلى تأويلات المتكلمين ولا إلى أحوال الصوفية. ولهذا فمن يقول بما قاله الغزالي وأمثاله من المؤولين فإما أنه جاهل بالشرع، وإما أنه على مذهب فاسد ومنحرف عن الشرع في التلقي والفهم، وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه. ولذلك فمن يخالف الشرع ويتقدم عليه بآرائه وأهوائه وأحواله فهو الذي ينطبق عليه قول الغزالي: ((فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف)).وليس العكس.فمن يأخذ بالصفات كما بينها الشرع هو الذي يستقر ويثبت ويكون على يقين. لأن التأويل التحريفي للصفات هو المشكلة، وليس التأويل الصحيح لها هو المشكلة،ولهذا فمن يأخذ بالتأويل الفاسد الذي تبناه الغزالي وأمثاله لن يصل إلى يقين ولا إلى حل صحيح فيما يتعلق بالصفات الإلهية وسيضل متناقضا ومتخبطا إلى أن يموت. ولن يرتفع ذلك التناقض والتخبط إلا بالتأويل الشرعي القائم على إثبات الصفات مع التنزيه التزاما بقوله سبحانه : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11)).

ويرى الشيخ تقي الدين بن تيمية أن مضمون كلام الغزالي هو أنه لا يستفاد من الشرع شيء من الأمور العملية ، و إنما يدرك كل إنسان بما يحصل له من المشاهدة والنور، وهذا-عند ابن تيمية- أصل للإلحاد ، لذا يجب على كل ذي مكاشفة باطنية أن يزنها بالكتاب و السنة ، وإلا دخل في الضلالات ، لأن ما يقع لأهل القلوب فيه صواب و خطأ يجب عرضه على نور الوحي[1].

[1] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 3 ص : 81 .

ومن جهة أخرى فإن قول الغزالي هو اعتراف خطير ضده يشهد عليه وعلى الصوفية بأنهم يقدمون أحوالهم ومواجيدهم ورغباتهم على الشرع فيما يتعلق بالصفات الإلهية بل وفي كل مجالات التصوف كما بيناه في كتابنا هذا ،فهو اعتراف يندرج ضمن : ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا)(يوسف: 26)). فحسب زعمه أن الوحي لا يكفي ولا يوصل إلى قرار في مسألة الصفات، وجعل المرجع فيها إلى ما يدعيه الصوفية من كشف ومشاهدة قلبية .وهذا نقض لمبدأ الإيمان بالشرع وقدح فيه ، وتعالم عليه ، تقدم بين يدي الله ورسوله ، لأن محصلة دعواه أن الوحي ناقص ولا يكفي وحده ، وأن أرباب المشاهدة ليسوا في حاجة إليه ؛ ويتقدمون عليه بأحوالهم وجدانياتهم . وبذلك ينفتح الطريق أمام كل إنسان أن يقول ما يشاء اعتمادا على هواه و وجدانه ومذهبيته ، جاعلا الوحي وراء ظهره.وهذا أصل ضلال أهل الأهواء كلهم، وهو اعتراض وكلام لا يقوله مسلم صادق الإيمان ويعي ما يقول.

والشاهد السادس: عندما تكلم الغزالي عن القلب عرّفه وذكر أنه يُطلق على معنيين، فأخطأ فيهما معا. وتظاهر بأنه لا يتكلم فيما يخص علم المكاشفة المتعلق بالقلب، لأن ذلك يستدعي إفشاء سر الروح ، وهذا لم يتكلم فيه النبي- عليه الصلاة والسلام- عندما سُئل عن الروح حسب زعم الرجل . قال الغزالي: ((لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه. ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية.وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت . ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين. والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني. وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما

لم يتكلم فيه رسول الله- صلى الله عليه و سلم-))[1]. ثم أنه ذكر قوله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)(الإسراء: 85)) وقرر أن العقل لا يدركها، لكنها تُدرك بنور أخر وأشرف من العقل هو نور يشرق في ((عالم النبوة والولاية ، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال))[2].

وأقول : قوله هذا فيه تضليل وتحريف للشرع، وأخطاء وأباطيل ،وتعالم على الدين وتظاهر بمعرفة سر الروح، وهذا كله زعم باطل. لأنه أولا إن كلامه يعني أن النبي- عليه الصلاة والسلام- عندما سُئل عن الروح كان يعلم ذلك لكنه تجنب الإجابة وانتظر الوحي. وهذا غير صحيح ، وإنما انتظر الوحي ليس ليأذن له بالكلام في الروح من عدمه وإنما توقف لأنه لم يكن على علم بسرها. بدليل قوله تعالى: ((((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)(الإسراء: 85)). فهي سر من أمر الله لا يعلمها إلا الله. ولو كان النبي يعرف سرها وانتظر الإذن من الله ليُبينها لنزلت الآية تتعلق بذلك وتوضحه. فتقول له مثلا: لا تتكلم، أو لا تكشف سرها، أو بينه. لكن الآية لم تشر لهذا الأمر مما يعني صحة ما قلناه، لأن الآية نصت صراحة على أن الروح من أمر الله، وما عندنا من العلم إلا القليل .

وثانيا إن كلام الغزالي يتضمن إيماءً بأنه كان يعلم سر الروح بحكم أنه من أرباب علم المكاشفة حسب زعمه ، لكنه امتنع من كشفه والحديث عنه لأنه ليس من علم المعاملة ، ولأن النبي- عليه الصلاة والسلام- امتنع من كشفه فهو يتبعه في ذلك ولا يكشفه. وزعمه هذا باطل قطعا لأمرين : الأول هو أن تفسيره للآية غير صحيح، ومضمونها وسياقها مع سبب النزول ينفي ذلك. والثاني أن الرجل أخطأ عدة أخطاء علمية عندما تكلم عن القلب من جانبه العضوي- كما سنبينه في موضع آخر- فلو كان على علم بعلم أسرار القلب والروح ما وقع في تلك الأخطاء. مما يعني أن قوله بعلم الباطن والمكاشفة كلام باطل، وما هو إلا مزاعم وأهواء وظنون.

وقال أيضا في وصفه للروح عند الأطباء بقوله : ((جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 4 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 156، 157 .

البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت... والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان))[1].

وأقول: كلامه هذا شاهد ضده على بطلان وفساد حكاية علم المكاشفة المزعوم. فهو هنا كرر الخطأ عندما ذكر أن القلب له تجويف ، مع أن الحقيقة هي أن فيه أربعة تجاويف لا تجوف واحد[2].

والخطأ الثاني إنه زعم بأن الروح من الجانب الطبي هو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب. وهذا غير صحيح، لأن القلب ليس فيه بخار، وإنما الدم يحمل الأكسجين وثاني أكسيد الكربون ، وحرارة القلب لا تصل إلى درجة التبخر، فهي ضمن حرارة الجسم 37 درجة مئوية وهي لا تكفي لتبخر الدم . ولو كانت علية لاحترق الإنسان كله. فأين حكاية علم المكاشفة ومعرفة أسرار الكون ؟؟. فالرجل يتظاهر بعلمه ويتعالم به من جهة ، ثم هو يُخفي سره المزعوم بدعوى أنه ليس من علم المعاملة من جهة ثانية، ثم نجده يظهره وينشره في مواضع كثيرة من كتابه من جهة ثالثة. مع أن حقيقة ما عنده أكثره أوهام وهلوسات ،وتلبيسات وأباطيل أضلته وأفسدت تفكيره وأبعدته عن الصراط المستقيم .

والشاهد السابع، قال الغزالي: ((اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ، ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب. والأول يسمى إلهاما ونفثا في الروع . والثاني يسمى وحيا وتختص به الأنبياء . والأول يختص به الأولياء والأصفياء. والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 4 .
[2] سنعود إليه لاحقا .

به العلماء. وحقيقة القول فيه: إن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة ... وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل ... ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فإن ذلك ليس باختيار العبد. ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة المَلِك المفيد للعلم فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة وإليه الإشارة بقوله تعالى:((وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف ، وأخطاء وأباطيل ، ومزاعم جوفاء . لأنه أولا إن الإنسان كائن مخلوق محدود العلم ونسبي القدرات والمعرفة ، ولا توجد فيه قوة مطلقة في كسبه للعلم ، سواء طلبه بالعقل ، أو بالحواس ، أو بالقلب، أو بكل ذلك. ولهذا فإن القلب لن يشذ عن هذه المحدودية والنسبية، والواقع يشهد على ذلك، فالقلب له معرفة ذاتية محدودة لا تتعدى مجاله، ومن جهة أخرى فهو يتلقى معارفه من خارجه بالحواس والعقل، ولن يستطيع الإنسان بكل قواه تجاوز حدوده حتى وإن تجاوزها بأوهامه وهلوساته وخرافاته، فإنها لن تخرجه عن حدوده وطبيعته، ولن تقدم له شيئا صحيحا. وهذا مشهود ومجرب في الواقع، ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ((وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل: 78))، و((وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)(الإسراء: 85))، و((وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة : 216)). فالإنسان نسبي المعرفة بكل قواه القلبية والعقلية والمادية مُجتمعة أو مُنفردة. وبما أن الأمر كذلك فإن كلام الغزالي مرفوض ومردود عليه ولا يصح ،لأنه مخالف لهذه الحقيقة التي ذكرناها، ولأنه لم يقدم لنا دليلا صحيحا على زعمه، فهو مجرد زعم ، والزعم وحده ليس دليلا، ولا يعجز عنه أحد . ومن جهة أخرى فقد سبق أن بينا أن علم الصوفية المزعوم ليس علما صحيحا وإنما هو خليط من الأفكار والأوهام ، والهلوسات والتلبيسات الشيطانية، وفكر هذا حاله لا يصح أن يُحتج ، ولا أن يكون فكرا صحيحا.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 24- 25 .

وقد أثبتنا ذلك بما ذكرناه في كتابنا هذا من كثرة أخطاء الغزالي الشرعية والعقلية والعلمية ، فهي أدلة قطعية على فساد وبطلان قوله بالإلهام والكشف الصوفيين .

وثانيا إن مما يرد ذلك ويُبطله أيضا أن كلا من الشرع والممارسة بينا أن الالتزام بالعبادات الشرعية يُكسب المؤمن الأحوال والأذواق الإيمانية، وهي من ثمار العبادة الصحيحة المذكورة في النصوص الشرعية، لكن لا يُوجد من بينها الكشف والإلهام الصوفيان، ولا علم بالغيب كما زعم الرجل. مما يعني أن الغزالي يقصد عبادات الطريق الصوفي لا العبادات الشرعية، فعبادات التصوف هي التي تُوصل إلى ما ذكره الرجل حسب زعمه . والطريق الصوفي يقوم أساسا على: الخلوة، وشدة الجوع والعطش، والصمت والسهر لمدة طويلة. وممارسة هذا الطريق لا يُمكن أن توصل إلى علم صحيح، ولا إلى علم الغيب وكشف أسرار الملكوت كما زعم الغزالي . ولا يُمكن لها تحقيق ذلك لثلاثة موانع: الأول إن عبادات الطريق الصوفي مخالفة للعبادات الشرعية في مضمونها ومنطلقها وغاياتها وإن تشابهت معها في الأسماء. وأية عبادات مخالفة للشرع فنتائجها لا تكون صحيحة.

والمانع الثاني مفاده أن الشرع نص على ختم النبوة وأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وبما أن كشف الغزالي وإلهامه ينقضان ختم النبوة ويوصلان الصوفي إلى القول بعلم الغيب وأسرا الكون، فإن هذا دليل قطعي على فساد منهج الغزالي في تحصيل العلم القائم على الكشف والإلهام الصوفيين، وعلى بطلان زعمه في القول بعلم غيوب السموات والأرض .

والمانع الثالث: بما أنه سبق أن بينا أن العلم الصوفي ليس علما صحيحا ، وإنما هو علم زائف وفاسد بموضوعه ومنهجه ونتائجه فإن ما ينعكس بسببه على الصوفي من أحوال وأذواق وأفكار بدعوى الكشف والإلهام هي آثار غير صحيحة، لأن ما بُني على باطل فباطل .

والمانع الأخير - الرابع -: إن عبادات الطريق الصوفي- بسبب العزلة والجوع والعطش والسهر والصمت- تنقل صاحبها من الصحة إلى المرض، وتضعف قواه العقلية والبدنية والنفسة ، فتخرجه من الوعي إلى اللا وعي ، ومن العلم إلى اللاعلم، وترمي به في عالم خداع الحواس

والهلوسات والتلبيسات الشيطانية. وفي هذه الحالة يتلقى الصوفي مكاشفاته وإلهاماتـه المزعومـة، وأيـة معرفـة تـتم بتلـك الطريقـة لا يُمكـن أن تكـون معرفة صحيحة ولا علميـة، ولا يصـح الوثـوق بهـا بـأي حـال مـن الأحـوال. والدليل القطعي على ذلك أن قمة ما يصل إليه الصوفي من تلك الأحوال هو بلوغ مقام الفناء في الله- بعدما فنى عن الخلق- الذي يعني وحدة الوجود. ونحن نعلم قطعا ان وحدة الوجود باطلة شرعا وعقلا وعلما[1]، مما يعني قطعا أن منهج الصوفية في تحصيل العلم بالكشف والإلهام هو منهج باطل.

وثالثا بما أن الشرع نص على ختم النبوة، وأنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله تعالى، وانه سبحانه فرض علينا اتباع شريعته ، فإن قول الغزالي بالإلهام والكشف الصوفيين باطل، لأن ما ادعاه هو نقض لختم النبوة، وادعاء لعلم الغيب، وتجاوز للشريعة حتى وأن لم يُصرّح هو بذلك، لكن زعمه يتضمن بالضرورة نقض ختم النبوة والقول بعلم الغيب. والرجل يعرف هذا جيدا ، لكنه لم يقله صراحة لأنه يندرج ضمن ممارسته للتقية والتضليل والتحريف وتستره بالإسلام مع أنه قد هدمه بكشفه وإلهامه المزعومين. فقوله بالإلهام والكشف الصوفيين باطل قطعا.

وأما إذا احتج الغزالي بالحديثين النبويين المتعلقين بالإلهام والإلقاء، وأولهما: عن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال:((إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق. وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان...))[2].
والثاني: عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (("قد كان يكون فى الأمم قبلكم مُحدّثُون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم ». قال ابن وهب تفسير مُحدّثُون ملهمون))[3].
فأقول: الحديث الأول ضعيف[4]، وعلى فرض صحته فإن الحديثين محكومين بأصول الشرع، فلا يصح إخراجهما من سياقهما وموضوعهما، وهما لم ينقضا ختم النبوة، ولا نصا على علم الغيب وكشف أسرار الملكوت. ولو نصا على هذا فهما باطلان قطعا، لأنهما خالفا ما هو معروف بالضرورة من دين الإسلام. ولهذا فهما ينقضان ما زعمه الغزالي، فلا

---
[1] توسعتُ في مناقشتها وإبطالها في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[2] الألباني: ضعيف سنن الترمذي ، ج 1 ص: 360 ، رقم: 572 .
[3] مسلم: الصحيح ، ج 7 ص: 115 ، رقم: 6357 .
[4] الألباني: ضعيف سنن الترمذي ، ج 1 ص: 360 ، رقم: 572 .

كشف ولا إلهام فيهما. والحديث الأول ذكر أمرا معروفا ومحسوسا يعرفه الناس. فكل إنسان يحس من داخله أن أحيانا تهجم عليه أفكار شريرة هي من الشيطان، وأحيانا أخرى تخطر عليه أفكار خيرة هي من الملائكة. لكن هذه الإلقاءات نسبية وليست نبوة، ولا علما بالغيب ولا يقينية. والصحيح منها أكثره يكون نتائج متأخرة لجهود فكرية بذلها صاحبها بحثا عن حلول لقضايا شرعية وفلسفية وعلمية ، ففي لحظة من اللحظات يحس صاحبها أنها سقطت عليه كإجابات وحلول عما كان يبحث عنه . لكنها ليست بالضرورة صحيحة، فمنها ما هو صحيح، ومنها ما يُعدل، ومنها ما يُستبعد مع أن ظاهرها في البداية كان صحيحا. فمثل هذه الخواطر والإلهامات نسبية، مصدرها النفس، أو الشيطان ، أو الملائكة، أو تكون خليطا من كل ذلك. ولا يُوجد إنسان يتلقى خواطر وإلقاءات الملائكة فقط ، إلا الأنبياء المعصومون بالوحي لا بذواتهم ، وهم لا يتلقون خواطر وإنما كلام الله . وبما أن الصوفية بشر كغيرهم من بني آدم ، وليسوا بأنبياء، فإلهاماتهم وخواطرهم نسبية ولا تختلف عن إلهامات وخواطر غيرهم من البشر. والدليل القطعي على ذلك أيضا أن الصوفية وقعوا في أخطاء شرعية وعلمية كثيرة جدا بينا جانبا منها في كتابنا هذا. فلو كانت إلهاماتهم صحيحة ويقينية ما وقعوا في تلك الأخطاء.

والحديث الثاني ليس فيه كشف ولا علم بالغيب، وإنما فيه إشارة إلى أن المُحَدثون أكثر توفيقا وصوابا بسبب اجتهادهم وتقواهم وحرصهم على اتباع الشرع فيكونون اكثر صوابا وأقل خطأ، ولا يعني أبدا علم الغيب ولا اكتساب النبوة، ولا العصمة . ولهذا خالف الصحابة عمر بن الخطاب في كثير من المسائل الفقهية، والشرع أمر الصحابة والمسلمين بالرد إلى الله ورسوله عند الاختلاف ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء: 59)). فلو كان عمر أو غيره من الصحابة معصوما بدعوى التحديث والإلهام لأمرهم الشرع باتباعه لا بالرد إلى الله ورسوله. فالإلهام والكشف ليسا عصمة ، ولا علما بالغيب، ولا نبوة، وإنما هما وسيلتان نسبيتان يتمتع بهما المؤمن التقي في بعض الأمور وليس في كل مجالات الحياة.علما بأن الإلهام ليس خاصا بالمسلمين فقط، فهو معروف عند كل الشعوب .

ورابعا بناءً على ما ذكرناه فلا تصح التسوية بين الإلهام الذي يتلقاه الصوفي كغيره من البشر وبين الوحي الذي يتلقاه النبي من عند الله تعالى.

لأن الـوحي قطعـي يقينــي يتلقـاه النبــي مـن عنـد الله مباشـرة ، لكـن الإلهـام الصوفي المزعوم ليس وحيا ولا يتلقاه من عند الله تعالى مباشرة ، وإنما هو إلهـام وخـواطر وإلقـاءات قـد تكـون مـن الـنفس، أو مـن الشـيطان، أو مـن الملائكة، أو خليطا من ذلك. والذي يتلقاه من الملائكـة لـيس نبـوة، ولا علمـا بالغيب ، لأن النبوة خُتمت ، وحتـى وإن لـم تُختم فلا تتم بالكسب وإنمـا تتم بفضل من الله واختياره. ولأن علم الغيب استأثر الله تعالى به، فلا يعلمه أحد سواه. فالإلهام ليس علما بالغيب ولا عصمة فيه، ولا تكليما من الله تعالى.

ومـن مغالطـات الرجـل وتحريفـه للنصـوص أنـه أدخـل الإلهـام والكشـف الصوفيين ضمن الوحي الإلهي من جهة اليقين والصدق عندما قال: ((ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة المَلِك المفيد للعلم فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة وإليه الإشارة بقوله تعالى :" وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ -الشورى : 51"))[1].

وزعمه هذا لا يصح من جهتين: الأولى أن الوحي الإلهي يقيني من عند الله مباشـرة إلـى النبـي، لكـن الإلهـام الصـوفي – كغيـره من إلهامـات البشـر-نسبي يتم بما يبذله الصوفي من اجتهادات في ممارسته لعبادات الطريق الصوفي، ومصدره إما النفس، أو الشيطان أو من الملائكة، أو خليط من ذلك . وبما أن الغالب على التصوف مخالفة الشرع والعقل والعلم فإن معظم إلهامات الصوفية هي من نفوسهم وشياطينهم. بدليل أن كل أصول التصوف وفروعـه الأساسـية وغاياتـه مخالفـة للشـرع والعقـل والعلـم[2]. ولهـذا كـان التصـوف مُعطـلا للشـرع، وهادمـا للـوحي والعقـل والعلـم. ممـا يعنـي أن إلهامـات الصـوفية ليسـت صـحيحة ولا يقينيـة ولا يصـح تسـويتها بـوحي الأنبياء.

والجهة الثانية مفادها أنه لا يصح إدخال إلهامات البشر ومنها الصوفية ضـمن قولـه تعـالى: ((وَمَـا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَن يُكَلِّمَـهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيـاً أَوْ مِـن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِـهِ مَـا يَشَـاءُ إِنَّـهُ عَلِـيٌّ حَكِيمٌ (الشورى : 51)). فهذه الآية لا تنطبق إلا على الأنبياء ولا تنطبق على الصوفية ولا على غيرهم من الناس، لأنهم ليسوا أنبياء، ولا يُوحي إليهم، والآية صريحة

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 24- 25 .
[2] سبق أن بينا ذلك وتوسعنا في مناقشته وإثباته ن في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

بأن وحي الله هو تكليم منه لأنبيائه، والإلهام ليس تكليما من الله لعباده كما سبق بيانه. وإلهام الصوفية المزعوم نسبي مُكتسب بجهودهم لا يختلف عن إلهامات غيرهم من البشر، ولا يصح مقارنته بوحي الأنبياء ولا التسوية بينهما في المصدر ولا في الوسيلة ولا في النتيجة. ولا يصح تسميته تكليما إلهيا ، وإلا كان كل البشر أنبياء، وبما أن هذا باطل دل على فساد تفسير الغزالي واستدلاله به.

علما بأن التسوية بينهما من جهة اليقين والصحة تتضمن نقضا لختم النبوة لأن الصوفي الذي يصبح إلهامه يقينيا ويتلقاه من الله فقد أصبح نبيا ، وليس في حاجة إلى شريعة الإسلام ، سواء سمى نفسه وليا أو عارفا أو نبيا، أو سمى إلهامه وحيا ، أو نورا ، أو فتحا فالنتيجة واحدة هي أن الكشف والإلهام الصوفيين ينقضان ختم النبوة ويجعلان الصوفي نبيا. وبما أن الأمر كذلك، فإن الكشف والإلهام الصوفيين ليسا صحيحين ولا يقينيين ولا هما من الوحي، وإنما هما من أفكار وأوهام وهلوسات وتلبيسات الشياطين على الصوفية .

وأخيرا- خامسا- إن قول الغزالي بأن الصوفي بفضل الإلهام يصبح يتلقى العلم من اللوح المحفوظ ، هو قول باطل ، وشاهد آخر على فساد قوله بذلك الإلهام. لأن النبي- عليه الصلاة والسلام- لم يكن يتلقى الوحي من اللوح المحفوظ، ولا كان يعلم الغيب ، وإنما كان ينتظر الوحي بواسطة جبريل. ولو كان الكشف والإلهام الصوفيين كما وصفهما الرجل ما كان الصوفية من أكثر الناس خطأً ومخالفة للشرع والعقل والعلم. منهم الغزالي نفسه فقد وقع في أخطاء وانحرافات شرعية وعلمية كثيرة جدا ذكرنا طرفا منها في كتابنا هذا من باب التمثيل الواسع لا الحصر.

والشاهد الثامن مضمونه أن أبا حامد الغزالي زعم أن للقلب عجائب يدركها الصوفية بممارستهم لعبادات الطريق الصوفي، الذي يفجر العلم في قلوبهم فيقتبسونه من اللوح المحفوظ . ثم شرح ذلك بقوله: ((فإن قلت: فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه ؟. فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يُسمح بذكره في علم المعاملة. بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة . فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة

العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة. والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال ،فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما. ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال .والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال ،والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الإنسان وقلبه ،والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ))[1].

وأقول: مثاله هذا فيه حق وباطل، وفيه تلبيس وتضليل وتحريف لغاية في نفسه انتصارا للعلم الصوفي المزعوم. والنتيجة الأخيرة التي خرج بها غير صحيحة عندما قال: ((والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال ،والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الإنسان وقلبه ،والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ)) . إن هذا غير صحيح لأنه أولا إن الرجل تعمد الخلط والتسوية بين الكتابة في اللوح المحفوظ وبين الخلق والإيجاد في الواقع، فنحن أمام مستويين مختلفين في طبيعة الوجود وحقيقته. الأول تمت فيه الكتابة قضاءً وقدرا ، والثاني تم فيه الخلق بإخراج المسطور إلى كائنات حقيقية في الواقع . فهنا أخرج ما كان مكتوبا إلى موجودات فاعلة في الواقع، والتي هي هذا الكون العجيب الذي نراه . فهذا العالم ليس موجودا في اللوح المحفوظ كما هو الآن ، وإنما كان مكتوبا فقط. وشتان بين الكائن المكتوب بأنه سيُخلق وبين والمخلوق الموجود في الواقع. وإلا لم يفعل الله شيئا، ولا معنى لقوله بأنه خلق العالم بعد أن لم يكن. ولهذا فالعالم كما هو موجود الآن ليس موافقا لما هو مكتوب في اللوح المحفوظ من جهة الطبيعة والكينونة. نعم هناك تشابه نظري من جهة المعنى، لكن الفرق يبقى حاسما بين الشيء المكتوب وبين الموجود في الواقع. فهناك فرق كبير بين أن الله تعالى كتب في اللوح أنه سيخلق فلانا وصفاته كذا وكذا ، وبين خلقه في الواقع بتلك الصفات. فهل قبل خلقه كان كائنا موجودا مخلوقا في اللوح المحفوظ ؟؟ طبعا لا ، وهذا هو الفارق الحاسم بينهما ، ومن ثم لا يصح القول أن العالم المخلوق موافق تماما للعالم المكتوب في اللوح المحفوظ !!.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 27 .

والمهندس الذي يضع مخططا لبناء عمارة وقد يُجسمها فهي ما تزال في طور الكتابة والرسم، وعندما تُجسد في الواقع ويتم بناؤها فرغم أنها تشبه مخططها الورقي والمجسم ، فتبقى تختلف عنه اختلافا أساسيا هو أنها أصبحت تمثل بناء قائما بذاته وصالحا للسكن. فهل يستطيع صاحبه أن يسكنه وهو ما يزال مرسوما على الورق ؟؟!! ، وهل تُسكن العمارات وهي مرسومة على الأوراق أم بعد إتمام بنائها ؟؟!!. وهل يشتري الناس المساكن وهي مرسومة من دون أن تصبح بناءات جاهزة ؟؟!!. وبهذه الخاصية فلا يُمكن أن تكون البناءات الجاهزة تتوافق و تتطابق مع مخططاتها. ولهذا فمن الخطأ القول أنها موافقة لمخططها كما زعم الغزالي، فهذا من التضليل والتغليط والتلاعب.

وثانيا لا يصح القول بأن الصورة التي نأخذها عن العالم ثم نتخيلها تكون موافقة له كما هو في الواقع. فهذا غير صحيح وإنما الأمر نسبي حسب قدراتنا ووسائلنا والحالة التي نكون فيها نفسيا وعقليا ، قربا وبُعدا. ومهما دققنا وحرصنا فلن نستطيع أن نأخذ صورة كاملة وصحيحة تشمل كل جوانب العالم فهذا مستحيل. وبما أن الأمر كذلك فالصورة التي نأخذها عن العالم نسبية ومحدودة جدا ومملوءة بالأخطاء والنقائص، ولهذا لا يمكن أن تكون موافقة للعالم الحقيقي. وبما أن صورتنا ناقصة جدا عن حقيقة العالم فما يصل إلى القلب قليل وناقص بالضرورة ولا يُعبر عن الحقيقية كما هي في الواقع إلا بنسبة ضعيفة . فشتان بين رؤيتنا للقمر بالعين المجردة، وبين رؤيتنا له بالمنظار، وبين من رآه وهو فوقه .

وأُشير هنا إلى أن الغزالي بنى زعمه انطلاقا من أن العالم صورة منسخوخة عما في اللوح المحفوظ. وهذا خطأ لأن هذا اللوح كتاب تضمن ما قضاه الله تعالى وقدره كتابة ، فهو كتاب القضاء والقدر قبل خلق العالم. وأما الكون فهو مخلوق في الواقع انتقل من المكتوب النظري إلى المخلوق في الواقع. ولهذا ليس العالم صورة منسوخة عن اللوح المحفوظ. فهل عندما يصف إنسان مدرسة وصفا كتابيا قبل بنائها، تكون المدرسة نسخة مصورة عن ذلك الوصف ؟؟ طبعا لا ، لأن المستوى الأول يختلف جذريا عن المستوى الثاني الذي أصبحت فيه المدرسة بناية قائمة بذاتها. فشتان بين الطور المكتوب والطور المخلوق .

وأخيرا –ثالثا- فإن مما يُبطل زعم الرجل ومثاله أن هدفه من كل ما ذكره هو إثبات قوله بالكشف والإلهام الصوفيين،وهذا سبق أن بينا بطلانه بثلاثة أدلة دامغة: أولها إن العلم الصوفي ليس علما صحيحا، وإنما هو علم زائف خيالي هلوسي وتلبيسي. وثانيها إن الكشف والإلهام الصوفيين ينقضان ختم النبوة، وهذا باطل قطعا. وثالثها إنهما – أي الكشف والإلهام- يجعلان الصوفي بعلم الغيب وأسرار الكون، وهذا باطل بدليل الشرع والواقع .

والشاهد التاسع ، قال الغزالي: ((إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت-عالم الغيب- فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وغير صحيح في معظمه، وتضمن اعترافا خطيرا من الغزالي كشف به حقيقة الكشف الصوفي وآثاره على الصوفية. فمن ذلك أولا إن القول بأن الكشف يجعل الصوفي يطلع على عالم الملكوت- الغيب وأسراره- وبه تنكشف له الأمور على ما هي عليه، هو زعم باطل قطعا لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ولأن العلم الصوفي المزعوم ليس علما صحيحا ، ولأن أحوال الصوفية تنقض زعم الغزالي، فهم من أكثر الناس خطأ وانحرافا عن الشرع والعقل والعلم[2]. فالقلب سواء تعاطى الشهوات أم لا فلا يُمكنه معرفة الغيب ولا الاطلاع على اللوح المحفوظ وملكوت السموات والأرض. فهذا مما استأثر الله تعالى به ولن يصل إليه الإنسان وهذا ثابت بدليل الشرع والواقع .

وثانيا ليس صحيحا أن الشهوات في ذاتها تحول دون القلب من تلقي العلوم، وإنما الذي يحول دونه في تلقيه العلوم التي يُمكنه معرفتها – وليس علم الملكوت- هو تناول الإنسان الشهوات الحرام والإكثار منها . وأما تناولها بالحلال والاعتدال فهي تساعد على التزكية الروحية لأنها من العبادات وتساعد على الاستقرار النفسي وتوفر للجسم حاجياته الضرورية، وتكون له علاجا أيضا، لأن الطعام الحلال الطيب هو غذاء للجسم ودواء له أيضا. قال تعالى: ((وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))، و((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 230- 239 .
[2] بين ذلك بالتفصيل في كتابنا نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، وبينا جانبا منه في كتابنا هذا .

وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223)).

ومن جهة أخرى فإن عبادات الطريق الصوفي- الخلوة، الجوع، العطش، الصمت، السهر- لا يُمكنها أن تكون غذاء للعقل ولا للقلب ولا للجسم ، لأنها عبادات مُتلفة ومُفسدة تنقل الصوفي من الصحة إلى المرض ،ومن القوة إلى الضعف، ومن الوعي إلى اللاوعي، وهنا يصبح الصوفي في حالة يشبه فيها حالة متناولي المخدرات المهلوسة. ويقع فريسة لخداعات الحواس، والهلوسات والتلبيسات الشيطانية ،ومنها يتلقى الصوفي علومه المزعومة.

وتلك العلوم المزعومة باطلة قطعا لأنها تنقض ختم النبوة، وتدعي علم الغيب ، ومخالفة للشرع والعقل والعلم.وهذا الذي اعترف به الغزالي عندما قال: ((فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات))[1]. فهذا الكشف المزعوم يجعل الصوفي يكتشف أن ما تلقاه من أفكار مخالف لما هو في الواقع، ويُوصله إلى الشك في العقائد التي كان يعتقدها ، والتي عليها عامة المسلمين. وبمعنى آخر يصبح الصوفي يشك في دين الإسلام نفسه. وهذا اعتراف خطير جدا من الغزالي كشف به بأن الكشف الصوفي- علم الباطن- ينتهي بصاحبه إلى الاعتقاد بما يُخالف دين الإسلام . ومع أن اعترافه هذا هو دليل قطعي على فساد الكشف الصوفي، لأن ما يُخالف الشرع فهو بالضرورة باطل ومخالف للعقل والعلم أيضا؛ إلا أن الغزالي فهم الأمر بالعكس، لأنه فقد قدرته على التفكير الصحيح القائم على الوحي والعقل والعلم بعدما أصبح فريسة للتصوف وأسيرا لكشفه المزعوم. ولهذا مارس الغزالي التقية واستخدم مختلف وسائل التضليل والتلاعب انتصارا للتصوف من جهة، وخالف الشرع وعمل على هدمه مع تستره به من جهة اخرى !! . إنها التقية والغاية تُبرر الوسيلة انتصارا للتصوف وكشفه المزعوم !! .

والشاهد العاشر، قال الغزالي: ((بل أرباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 230- 239 .

بـالعجز ...فـاعلم إن لكـل ذرة فـي السـموات والأرض مـع أربـاب القلـوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى. فإنها كلمات تستمد من بحـر كـلام الله تعـالى الـذي لا نهايـة لـه...ثـم إنهـا تتنـاجى بأسـرار الملـك والملكوت. وإفشاء السر لؤم بل صدور الأحرار قبور الأسرار. وهل رأيت قط أمينا على أسرار ملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه و سلم: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا" .بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون . ولما نهى عن إفشاء سر القدر . ولما قال: "إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا" . ولما خص حذيفة -رضي الله عنه- ببعض الأسرار . فإذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان: أحدهما استحالة إفشاء السر ،والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية))[1]. وزعم أيضا أن العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات لهم القدرة على معرفة حقيقة ذوات الملائكة والشياطين وصفاتهم[2].

وأقول: قوله هذا باطل جملة وتفصيلا، وفيه تضليل وتحريف ، وغرور وجنون. لأنه أولا إن الرجل لم يذكر دليلا صحيحا على صدق قوله، وكل ما قاله مزاعم ودعاوى وأوهام وخيالات . ولهذا فإن كلامه مردود عليه ولن يثبت إلا إذا أقام الدليل على صحته من الشرع ،أومن العقل ، أو من العلم، وبما أنه لم يفعل ذلك، فقوله مرفوض ومردود عليه، بل ولا يصح. لأنه أولا فقد سبق أن بينا أن العلم الصوفي ليس علما صحيحا ، وإنما هو علم زائف وفاسد قام أساسا على الأوهام والهلوسات والتلبيسات الشيطانية من جهة، وعلى مخالفة الشرع والعقل والعلم من جهة أخرى، وهذا يعني بطلان حكاية الكشف والعلم بأسرار الكون ، لأن ما بُني على باطل فهو باطل .

وثانيا إن مما يُبطل قوله أيضا إن زعمه هذا يتضمن نقض ختم النبوة، ويعني أن شيوخ الصوفية يعلمون غيوب السموات والأرض ، وأنهم معصومون من الخطأ. وبما أن النبوة قد خُتمت، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وأن شيوخ الصوفية كانوا غارقين في الأخطاء الشرعية والعلمية[3]،

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 248 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 38 .
[3] ذكرنا منها نماذج كثيرة في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف. وذكرنا منها أيضا أمثلة كثيرة من أخطاء الغزالي في كتابنا هذا .

فإن مزاعم الغزالي باطلة قطعا وما هي إلا أوهام وهلوسات،وتلبيسات شيطانية.

وثالثا إن احتجاج الغزالي بالأحاديث التي ذكرها فهي لا علاقة لها بمزاعمه، لأنها لو صحت أو لم تصح فليس فيها إخفاء لعقائد الإسلام ولا لأصوله ولا لفروعه، ولا تضمنت ما يخالف الشرع ولا العقل ولا العلم كما هو حال كلام الغزالي والصوفية الذي خالفوا به الشرع وعطلوه. لكن الغزالي استخدمها لتأييد قوله بالكشف وعلم الغيب من جهة ، ولمخالفة الشرع وتعطيله وهدمه من جهة أخرى. ففي الوقت ذكر هذه الأحاديث لتأييد قوله بالكشف وعلم الغيب، ونقض ختم النبوة، تناسى وليس نسي بأن محمدا الذي نسب إليه تلك الأحاديث هو خاتم الأنبياء، وقال للعالم كله بأنه لا يعلم الغيب، قال سبحانه: ((وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف: 188))، و((قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ)(الأنعام : 50))، لكن الغزالي جعل هذا وراء ظهره واحتج بتلك الأحاديث لنقض ما جاء به محمد-عليه الصلاة والسلام- من جهة ، وجعل شيوخ الصوفية فوق الأنبياء، ويعلمون أسرار السموات والأرض من جهة أخرى، أليس هذا تضليل وتحريف وتلاعب بالشرع عن سبق إصرار وترصد ؟؟ !!!! .

وأما ما ذكره الرجل عن وجوب إخفاء أسرار الصوفية ، فهو اعتراف ضده بأنه هو وأصحابه كانوا يُمارسون التقية ويُخفون ما يُخالف الإسلام، وإلا ما أخفوها عن المسلمين. فهي إن كانت صحيحة عليهم أن يظهروها لينتفع بها الناس، وإن كانت باطلة يجب عليهم إظهارها أيضا لتحذير الناس منها أولا ، ولكشف منتحليها للأمة ثانيا. وبما أنهم أصروا على إخفائها دل هذا على أنها مخالفة للإسلام وأنها من ضلالات القوم وانحرافاتهم. والغريب من أمر الغزالي وتلبيساته وتحريفاته أنه افتخر بأنه يُخفي أسرار الصوفية، وأن ((إفشاء السر لؤم بل صدور الأحرار قبور الأسرار. وهل رأيت قط أمينا على أسرار ملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق)). وموقفه هذا باطل ومرفوض شرعا وعقلا وعلما ، لأن من يخفي ما يخالف الشرع ويهدم الوحي والعقل والعلم فهو ليس أمينا وإنما هو مجرم وخائن لدينه وأمته. فكان من الواجب عليه شرعا وعقلا أن يقول

الحقيقة ويكشف صراحة ما كان يُخفيه هو وأصحابه، ثم يعلن توبته عما كان يعتقده. فلو تدبر جيدا لعلم أن ما يخفونه لو كان صحيحا ما خالف الشرع والواقع، وبما أنه خالفهما فهذا دليل قطعي على بطلان أسرارهم المزعومة. لكن الرجل انحرف عن التفكير السليم فضل وأضل، وأصبح يفتخر ويتباهى بإخفائه لأسرار الصوفية الخرافية ،وقال: " صدور الأحرار قبور الأسرار"، مع أن الحقيقة أن صدورهم كانت قبورا لضلالاتهم وانحرافاتهم .

والشاهد الحادي عشر، قال الغزالي :((فإن قيل: ألم يقل الله تعالى: " فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً"(الجن :26- 27)، وسماع الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة، وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب ؟ ، فكيف يطلع عليها من ليس برسول ؟. قلنا: في الكلام حذف يدل على صحة تقديره للشرع الصادق والمشاهدة الصورية، وهو أن يكون معناه: إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالإخلاص والاستقامة، أو عمل بما جاء به النبي؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله »، وهل يبقى إلا ما غاب عنه أن ينكشف إليه؟، وقال: " إن يكن منكم محدثون فعمر" ، أو كما قال: "المؤمن ينظر بنور الله " ، وفي القرآن "قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ "(النمل : 40)، فعلم ما غاب عن غيره من إمكان بيان وعد به ، وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا. وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من إخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال :" فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً"(الكهف: 98))[1].

وأقول: قوله هذا لا يصح، وفيه تضليل وتحريف وتلاعب بالآية لتوجيهها حسب رغبة الغزالي، وهذا ليس من الاستدلال العلمي في شيء. لأنه أولا إنه من الثابت شرعا وواقعا أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وحتى الأنبياء لا يعلمون الغيب وإنما الله تعالى يُظهرهم على بعض علمه حسب ما تتطلبه النبوة. والآية السابقة ((فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً"(الجن :26- 27)). واضحة أنها تقصد من أرسله الله تعالى من الأنبياء، أو من

[1] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 34 .

الملائكة. فهي تتعلق بمن ارتضاه الله تعالى رسولا. وهذا الرسول لا أحد يختاره إلا هو سبحانه ولا يدخل فيه من لم يصطفيه ، ولا يُعرف المُختار إلا بالوحي، ولا يصح إدخال غيره في ذلك ولا تعميمه على غيره دون وحي صحيح. فالأصل لا أحد يعلم الغيب إلا من اختاره الله تعالى رسولا فيُخبره ببعض غيبه لا أنه يصبح عالما بالغيب، ولا يُعمم هذا على غيره من المخلوقات دون دليل قطعي من الوحي.

وثانيا إن قول الغزالي بأن الآية فيها حذف تقديره : " إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بإخلاص والاستقامة..."، فهو تحريف مُتعمد للآية وتلاعب بها، وإدخال فيها ما ليس منها. وهو جريمة فعلها الغزالي انتصارا للتصوف لا بحثا عن الحقيقة الشرعية، إنه يريد فرض عقيدته بالقوة على الآية بالتأويل الفاسد وإقحام فيها ما ليس منها ، إنه فعل ذلك عن سبق إصرا وترصد عندما وجد الآية تهدم ما بناه ، وتنسف قوله بعلم شيوخ الصوفية للغيب بدعوى المكاشفة !!. وهذا سلوك ليس من العلم في شيء، فهو عمل تضليلي تحريفي مكشوف، لأن الآية واضحة تماما ومتفقة مع النصوص الشرعية الأخرى التي نصت على أن لا أحد يعلم الغيب إلا الله، وحتى الرسول لا يعلمه إلا بما يُعلمه الله. ومن الثابت قطعا أن الصحابة زكاهم الله تعالى وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح وما كونوا يعلمون الغيب. ولو كانوا كذلك لأصبحوا أنبياء، ولا كانوا في حاجة إلا أن يسألوا النبي- عليه الصلاة والسلام- ولا أن ينتظروا نزول الوحي، ولَمَا اختلفوا فيما بينهم ، ولما أمرهم الله تعالى بالرد إلى الله ورسوله عند التنازع. وبما الأمر كذلك، والقول بعلم الغيب لغير الأنبياء يُعطل الشرع، وينقض النبوة فإن تأويل الغزالي باطل قطعا.

علما بأن تفسير الرجل للآية مع أنه تحريف واضح لها فهو أيضا فاسد ولا يصح . لأن الآية صريحة في أن الله تعالى قال: ((فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ)(الجن :26- 27)، فجاء الغزالي وأضاف إليها" ومن اتبع الرسول بإخلاص والاستقامة" فأدخل فيها ما ليس منها وجعل كل المؤمنين يُطلعهم الله على الغيب كالرسل . وتفسيره هذا مع أنه مخالف للآية ولا ينسجم معها ، فهو أيضا باطل ومردود بآيات أخرى كقوله تعالى: ((ما كان الله ليطلعكم على الغيب)(سورة آل عمران/179). فالله تعالى لا يُطلع الغيب أحدا من المؤمنين ، ولا من الصوفية، ولا من الكفار.

وأما الشواهد التي أوردها فيجب إخضاعها للقرآن الكريم وليس إخضاع القرآن لها ، فتُفسر تفسيرا صحيحا حسب ما يتفق معه، وإن خالفته فهي غير صحيحة تاريخيا أو أنها خطأ من أصحابها. وأما احتجاجه بنور المؤمن فصحيح أن الله تعالى يرزق عباده المؤمنين نور الإيمان ليكون فرقانا لهم لكن هذا ليس علما بالغيب ولا نبوة ولا عصمة. فقد كان النبي- عليه الصلاة والسلام- يتمتع بنور النبوة- ونفى الله عنه علم الغييب ،ورزق سبحانه الصحابة الإيمان ونوّرهم به لكنه نفى عنهم علم الغيب ونفاه عن كل المخلوقات :((قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ))- سورة النمل/65- و((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (الجن)–سورة الجن /26- ،و((ما كان الله ليطلعكم على الغيب)) – سورة آل عمران/179- .

ولا يصح الاحتجاج بقوله تعالى: (("قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ "(النمل : 40)،و((فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً"(الكهف: 98))[1].لأن الله تعالى عندما خص الأنبياء بعلم النبوة لم يجعلهم يعلمون الغيب ، ولا أصبحوا يعلمونه. وعندما جعل الجن مثلا يعلمون من الكون ما لا نعلمه نحن لم يجعلهم يعلمون الغيب ، ولا أنهم أصبحوا بخلقتهم يعلمونه ،وإنما خصهم بعلم أمور نحن لا نعلمها، ومع ذلك فهم لم يكونوا يعلمون الغيب ، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولأنه سبحانه قال عن الجن : ((فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)(سبأ: 14)).

وأما قول ذي القرنين فليس فيه غيب أصلا، لأن لكل مخلوق أجل، فعندما يصل أجله ينتهي، فهل من يقول ذلك يعلم الغيب ؟؟!! . فهو لم يقل أن السد سيُدمر في سنة كذا، وفي يوم كذا، وفي ساعة كذا، وعلى يد فلان، إلخ .وحتى إذا فرضنا جدلا أنه قال ذلك فهذا ليس علما بالغيب ، وإنما الله أخبره بذلك، ولا يستطيع أن يعلم غيبا آخر لم يُخبره الله تعالى به. وهذا أمر خاص به أيضا لا يصح لأحد ان يدعيه لأنه مخالف للشرع وللواقع، ولا يثبت ذلك لأحد إلا من نص عليه الوحي الصحيح باسمه وبما قاله . ولهذا لا يصح لصوفي أن يأتي ويزعم أن الله أعلمه بالغيب كما أعلم الأنبياء وبعض الصالحين . لأن الأصل هو لا أحد يعلم الغيب إلا الله، ومن الاستثناء هو أن

---
[1] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 34 .

الله تعالى قد يُعلم بعض مخلوقاته جانبا من غيبه لا أن يجعلهم يعلمون الغيب . وهذا لا يثبت إلا في حق من ذكره الوحي الصحيح، وبما أن النبوة قد خُتمت فهذا الباب قد أُغلق نهائيا . وعلى هذا فلا أحد يعلم الغيب ، ولا جانبا منه، ولا يصح لأحد أن يدعيه .

وأما ما يُروى من أخبار بأن فلانا تنبأ فأصاب في تنبئه ، فلا يصح تصديقها لأن الغالب أنها أخبار مكذوبة ، وما أسهل اختلاق الروايات المتعلقة بذلك، وهذا كثير في تاريخنا الإسلامي. وإن صح بعضها فهو من باب القراءات والاستشرافات الاحتمالية، فصاحبها قرأ المستقبل فأصاب في قراءته، أو أنه تكلم من باب الحظ والصدفة والاحتمال ، فإذا لم يكن أسود فهو أبيض . وإن صح بعضها فهو أيضا قد يكون من باب الخواطر والإلهامات وهذه ليست علما بالغيب وإنما قد تحدث نتيجة اجتهاد فكري وبحث مضنٍ فتأتي النتيجة مُتأخرة فيظن أنه علم بالغيب. وقد يصح بعضها ليس لأنه من علم الغيب وإنما هي من لمات الملائكة في المنام لا من لمات وخواطر الشيطان والنفس. وهذا ليس علما بالغيب، فهو أمر طبيعي عند كل البشر، وليس خاصا بالصوفية دون غيرهم. فما من إنسان إلا وقد جرب ذلك في حياته مرات . فذلك ليس من الغيب ، لأنه لو كان منه ما حدث لأن علم الغيب انفرد به الله وحده .

والشاهد الثاني عشر، مفاده أن الغزالي وضع مبحثا في إحيائه سماه: " بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد". ثم قال: ((إن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح، وفيه تغليط وتحايل ،وتضليل وتسلط على القارئ، وليس من الشرع ولا من العقل ولا من العلم في شيء، وفيه دعوة إلى السلبية والتقليد الأعمى، وتعطيل الشرع والعقل والعلم والارتماء في أحضان الأوهام والظنون . لأنه أولا سبق أن بينا أن التصوف ليس علما صحيحا، وإنما هو علم فاسد وزائف الغالب عليه أنه خليط من الأفكار

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 30 .

والأوهام ،والهلوسات والتلبيسات الشيطانية ؛ وعلم هذا حاله لا يُوثق به ،ولا يُمكن أن يكون صحيحا ، وما بني عليه فباطل ، منه كلام الغزالي.

ثانيا إنه لا يوجد طريق يوصل إلى العلم من دون تعلم واجتهاد ، ولا يوجد طريق يُوصل إلى الله تعالى خارج طرق العلم التي ذكرها الشرع ودلّ عليها،وطبقها رسوله، والمتضمنة في قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج: 8))، وهي: طريق الوحي، وطريق الفطرة، وطريق العلم الطبيعي والبشري . والتعلم مطلوب لأنه لا علم بلا تعلم، ولهذا قيل: إنما العلم بالتعلم. وسواء تعلق التعلم بعلوم الشرع ، أوالعقل، أو القلب ، أوالطبيعة، أو العمران البشري ، فكلها تتم بالاجتهاد والتعلم والممارسة. وأي طريق تربوي يخالف الوحي الصحيح فهو باطل ومخالف للعقل والعلم أيضا . والتزكية الإيمانية- الروحية- هي جزء من شريعة الإسلام يتحصل عليها المسلم بإيمانه وإخلاصه وتطبيقه للشرع قلبا وقالبا يرزقه الله بها عند قبول أعماله. وهذا المنهج جاء به الشرع وطبقه نبينا-عليه الصلاة والسلام – في تربيته لأصحابه تربية شاملة قلبا وعقلا وبدنا وجهادا . بدليل قوله سبحانه: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة: 2)). وبناء على ذلك فلا وجود للطريق الصوفي في دين الله تعالى، وبذلك تسقط محاولات وتلبيسات الغزالي لشرعنه الطريق الصوفي وتبريره، وكل النصوص التي استشهد بها انتصارا للتصوف هي ضده ،ولا علاقة لها بالدين الصوفي وإنما هي من دين الإسلام الذي جمع بين تعدد طرق التربية التي هي كلها تقوم على العلم والإيمان والإخلاص والعمل الصالح، ولا مكان فيها لعبادات الطريق الصوفي التي هي من مكونات التصوف لا من دين الإسلام.

وثالثا ليس صحيحا أن الإلهام الصحيح يدل على صحة طريق الصوفية ، إنه لا يدل على ذلك لأمرين أساسيين: الأول هو أنه سبق أن بينا أن التصوف ليس علما صحيحا بالشرع والعقل والعلم، وإنما هو فكر فاسد وزائف ، وبما أنه كذلك فلا يُمكن أن يشهد له الإلهام الصحيح بالصحة. والثاني مفاده أنه سبق أن بينا أن الإلهام ثلاثة أنواع: نفسي،وشيطاني، وملائكي. وقد تختلط تلك الإلهامات في إلهام واحد. والإلهام الصحيح – من النفس أو من الملائكة- معروف وقد جربه كثير من أهل العلم قديما وحديثا ويكون غالبا نتيجة اجتهاد وأرق وتعب بحثا عن حلول لقضايا وأفكار

مُختلف فيها ، فيأتي الجواب صحيحا أو خليطا بين الخطأ والصواب. وهذا الإلهام قد جربناه ولم يدلنا على صحة طريق التصوف كما زعم الرجل، بل جاء مؤكدا لحقائق الشرع والعقل والعلم ومبطلا لمزاعم الصوفية التي اختصوا بها.

ورابعا لا يصح أن ننصح أحدا أن يُؤمن بأمر لا دليل صحيح يُثبته، خاصة إذا كان مخالفا للشرع والعقل والعلم كما هو حال التصوف. إن من يقول ذلك هو دليل دامغ على أن فكره لا يملك الدليل الصحيح لإثباته، فيتحايل على الناس بدعوى أنهم لا يُدركون حقيقة فكره حتى يُؤمنوا به، فيُحيلهم على مجهول . وهذه حيلة يصطاد بها أهل الأهواء الأتباع وينشرون بها أفكارهم بينهم. والدليل الدامغ على ذلك أن منهج الغزالي مخالف للمنهج الشرعي في الدعوة إلى دين الله تعالى. فالله سبحانه عندما أرسل الأنبياء أعطاهم الأدلة القطعية الملموسة التي تُثبت صدقهم ، وبعدها يُخبرهم بالغيب والعقائد.قال سبحانه: ((وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)(المائدة : 32)))، و((وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)(فاطر : 25))). وكان ذلك أكثر وضوحا مع خاتم الأنبياء محمد- عليه الصلاة والسلام- أنزل معه كتابا تحدى الله به الإنس والجن إلى يوم القيامة، ليكون دليلا قاطعا على صحة نبوته، ثم بعد الإيمان بالدليل الصحيح يأتي التشريع والإخبار بالعقائد الغيبية وغيرها. فلا إيمان دون برهان أولا، قال سبحانه: ((قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة: 111)). فلا تصح مقولة: اعتقد ثم أطلب البرهان، بل: أطلب البرهان ثم اعتقد . فهذا هو ديننا، وهذا هو الذي يقوله العقل الصريح والعلم الصحيح. ولهذا فقول الغزالي لا يصح، ومردود عليه، وهو من التحايل والتغليط لا من الشرع ولا من العقل.

ولا يصح القول بأن الشرع اهتم بالتزكية القلبية وهذا يتفق مع التصوف القائم على المجاهدات الصوفية لصقل القلوب وتهيئتها لتلقي علوم الغيب. لا يصح ذلك لأن التزكية القلبية في الإسلام هي تزكية ربانية قائمة على الشرع منطلقا ووسيلة وغاية، لكن المجاهدات الصوفية ليست تزكية أصلا، وإنما هي في مجملها إفساد للقلب والعقل وللعلم، وتدمير للإنسان، وتعطيل للشرع وهدم له، والغالب عليها أنها عبادات تقوم على التطرف والغلو وتدمير قِوى الإنسان العقلية والنفسية والبدنية، فتنتج عن ذلك الأوهام

وخداعات الحواس ،والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية. فالتزكية الشرعية تقوم على الالتزام بالشرع قلبا وقالبا، وهي وموافقة للعقل الصريح والعلم الصحيح، وتنمي في الإنسان الإرادة والصبر والتحمل ، وتُشفيه من كثير من الأمراض النفسية ، وتزكيه نفسيا وروحيا. لكن المجاهدات الصوفية تقوم على خلاف ذلك تماما كما بيناه أعلاه .

والتزكية الشرعية لا تقوم على عبادات الطريق الصوفي القائمة على الغلو في: العزلة، والجوع، والعطش، والصمت، والسهر ، وإنما تقوم على الالتزام بالشرع كله قلبا وقالبا، وباعتدال جمعا بين الأكل والجوع، والخلطة والعزلة، والكلام والصمت، والنوم والسهر.فهو منهج قائم على الوسطية والاقتصاد،لقوله سبحانه: ((وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))، ولا ((وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً)(الإسراء : 29)) ، و((وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً)(الفرقان: 67))، ولقول نبينا- عليه الصلاة والسلام- للصحابي عثمان بن مظعون : ((يا عثمان أرغبت عن سنتي ؟،قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقا ،وإن لضيفك عليك حقا ،وإن لنفسك عليك حقا، فصم وأفطر، وصل ونم))[1].

والتزكية الشرعية آثارها وثمارها زكية نورانية ربانية موافقة للشريعة، وليست مخالفة للعقل ولا للعلم، وهي ثمرة التزام المسلم بدين الإسلام قلبا وقالبا ، منها الاطمئنان والثبات، واليقين والخشوع ، والإخبات والتواضع، ، لقوله سبحانه: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23)) و((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7))، فهي كلها أحوال شرعية رحمانية لا فيها نقض للنبوة، ولا تعالم على الشرع ولا هدم له، ولا فيها علم بأسرار الكون كما زعم الغزالي، ولا فيها الفناء في الله- وحدة الوجود -. لكن آثار العبادات الصوفية خلاف ذلك تماما، فهي خليط من الشكوك والأوهام، والهلوسات والجنون، والحيرة والاضطراب ، والتلبيسات النفسية

[1] الألباني: صحيح أبي داود ، ج 1 ص: 256 ، رقم: 1220 .

والشيطانية ،والدعاوى الجوفاء، والمزاعم الطويلة والعريضة، الرنانة والطنانة حتى تنتهي بأصحابها إلى نقض النبوة، وهدم الوحي والعقل والعلم عندما يقولون بعلم أسرار الكون ،و وحدة الوجود. وهذا أمر سبق لنا أن فصلناه ووثقناه فلا نعيده هنا[1].

وأما شواهد الشرع التي استشهد بها الغزالي فالصحيح منها ضده، والتي تُؤيده هي من الحديث الضعيف حسب ما أشار إليه مُخَرّج أحاديث الكتاب[2]. علما بأن كل النصوص الشرعية الصحيحة التي ذكرها هي من دين الإسلام وتنسجم معه ومن أجله ، وليست من الدين الصوفي، ولا يصح انتقاؤها وإخراجها من دينها وسياقها ثم توجيهها لتكون في صالح التصوف. وبمعنى آخر فإن الرجل نسب التزكية الشرعية إلى التصوف وأنها موافقة له وهو منها أيضا. وهذا فعل باطل ، وعملية تغليطية تحريفية عن سبق إصرار وترصد لغايات مُخطط لها سلفا .وهو فعل محكوم عليه بالفشل مُسبقا . ولا يحق للغزالي أو غيره أن يأخذ نصوص الشرع للاستشهاد بها على صحة دين آخر مناقض وهادم لدين الإسلام ، ولا أن يُدخل في الإسلام ما ليس منه، ولا أن يجعله خادما ومؤيدا للتصوف،ولا أن يجعل التصوف من دين الإسلام. ولهذا فإن استشهاد الغزالي بتلك النصوص باطل من أساسه لأنها من الإسلام لا من التصوف. ولهذا فلا داعٍ من تتبعه وبيان فساد استشهاده بها، لأن ما بُني على باطل فهو باطل[3].

علما بأن قول الغزالي بأن القلب يتلقى علوما بلا تعلم تنفتح عليه بممارسته لعبادات الطريق الصوفي حتى ينتهي به الحال إلى المكاشفة والإلهام ومعرفة أسرار الكون. هو قول مبالغ فيه جدا، وغير صحيح في معظمه، حوّل به الحبة الصغيرة جدا إلى قبة كبيرة جدا انتصارا للتصوف.
وتفصيل ذلك أولا إن القلب في كل ما يتلقاه من علوم هو متعلم فيها ، لأنه لا علم بلا تعلم. فالمسلم يتعلم بتطبيقه للشرع، فعندما يتزكى قلبه بالذكر والإخلاص والزكاة ، فهو في عمل وعلم . بدليل قوله تعالى : ((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(البقرة : 282))، و((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج: 32))، و((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)). وعندما يتدبر في مظاهر الكون ويسعى لتسخيرها

[1] في كتابنا : نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 30 .
[3] أنظر مثلا: الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 30 وما بعدها.

واكتشاف سننها فهو في تعلم وعلم وعبادة، وبها يزداد علما وتزكية وإخلاصا وإيمانا. لكن كل وسائل الإنسان المعرفية محدودة بما فيها القلب، ولن تستطيع تجاوز قدراتها وحدودها. ولهذا فالقلب علومه نسبية ومحدودة سواء تحصل عليها بطلب العلم أو بممارسة العبادت. والدليل على ذلك أيضا أن الله تعالى وصف أحوال وخصائص قلوب المؤمنين والمنافقين والكفار، ولم يذكر من صفاتها أنها تعلم الغيب ، ولا أنها تطلع على اللوح المحفوظ، وإنما نص صراحة على أن علوم الإنسان نسبية وليس عنده إلا القليل من العلم. وهذا صحيح وثابت بدليل الشرع والواقع الذي نعيشه . لكن الغزالي وأمثاله غالوا في تعظيم القلب وأخرجوه من طبيعته البشرية ووصفوه بصفات خارقة وأسطورية نقضوا بها ختم النبوة، وهدموا به الوحي والعقل والشرع ، فكانت مواقفهم هذه أدلة دامغة على بطلان مزاعمهم كلها. إنهم فعلوا ذلك عن قصد لغايات في نفوسهم ، فتستروا بدعوى المكاشفات وعلوم القلب وتسلطوا بها على مخالفيهم، وحرفوا بها الشرع وجعلوه تابعا لها انتصارا للتصوف وردا على مخالفيه .

وبعدما ذكر الغزالي شواهد زعم أنها تؤيد قول الصوفية بأن طريقهم يُوصل إلى العلم بلا تعلم – وقد بينا عدم صحتها- واصل تضليله وتحريفه وتغليطه فقال : ((والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران: أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه. والثاني إخبار رسول الله - صلى الله عليه و سلم- عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي - صلى الله عليه و سلم- جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا . فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي فإذا أقربهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيل إليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت))[1].

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 33 .

وأقول: إن قوله غير صحيح قطعا، وفيه تضليل وتغليط وتحريف للشرع والواقع. لأنه أولا إن الرؤيا كما جاءت في الحديث النبوي ثلاثة أنواع: رحماني، ونفسي، وشيطاني[1] ،وقد تحدث الرؤيا وتكون خليطا من تلك الأنواع. وعليه فإن الرؤيا نسبية في مضامينها وليست مُطلقة، ولا هي من علم الغيب، وإنما هي وسيلة نسبية من وسائل المعرفة الطبيعية عند البشر. وهي ليست من علم الغيب ، لأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فلا يعلمه نبي، ولا ولي ، ولا صديق ولا غيرهم من البشر.

والرؤية الصادقة نسبية ومحدودة لا تجعل صاحبها نبيا ولا وليا، ولا عالما كبيرا، ولا عبقريا فذا، ولا عالما بأسرار الكون كما زعم الغزالي . والواقع يشهد على ذلك ، فلا يُوجد إنسان أصبح يعلم الغيب بالمنامات، فإن أصاب مرة فإنه أخطأ مرات. والأمور التي يُصيب فيها بالمنامات لا تجعله عالما بالغيب ،ولا رسولا ،ولا وليا ،ولا عالما كبيرا. وأحوال الصوفية شاهدة على بطلان زعم الغزالي فهم من أكثر الناس خطأ وانحرافا عن الشرع والعقل والعلم[2] ، فأين ما يدعيه الغزالي ؟؟.

وليس صحيحا أنه لا يُوجد فرق حاسم بين النوم واليقظة، بل إن النوم هو نوع من الوفاة بدليل قوله تعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(الزمر : 42)) . وبما أن الرؤيا نسبية وليست من علم الغيب ، فإن استدلال الغزالي بها على إمكانية أن تحدث في اليقظة هو استدلال لا يصح من جهة، ولا يُؤدي إلى حدوث مثل ذلك في اليقظة من جهة أخرى. لأن ما يحدث للإنسان في اليقظة في محاولته معرفة المستقبل هو اجتهادات وقراءات استشرافية لما سيحدث مستقبلا بناء على المعلومات التي عنده. وقد يتنبأ من دون قراءة استشرافية وإنما يتكلم عشوائيا ، وفي كلا الحالتين قد يُصيب ، وهذا ليس علما بالغيب، لأن العلم بالغيب صاحبه لا يُخطئ ، ويعلم علما مباشرا، لكن محاولات الإنسان لمعرفة المستقبل هي قراءات واجتهادات احتمالية تحتمل الخطأ والصواب، وهو فعل في متناول كل البشر.

[1] الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 8 ص: 15 ، رقم: 3014 .
[2] ذلك أمر قطعي أثبتناه بعشرات الأدلة في كتابنا هذا ، وفي كتاب: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

وثانيا إن الرجل لا يمل من التسوية بين الولي الصوفي والنبي، فمع بطلان قوله هذا فإنه مُصر عليه عن سبق إصرار وترصد لغاية صوفية في نفسه. وليس صحيحا أن النبي- عليه الصلاة والسلام- شخص كُوشف بحقائق الأمور وكُلّف بإصلاح الخلق، وإنما هو إنسان أختاره الله تعالى وفضّله على الناس وكلّمه بالوحي وحمّله الرسالة. فالوحي ليس كشفا ولا كسبا، وإنما هو تكليم من الله تعالى للنبي بدليل قوله تعالى: ((اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)(الأنعام : 124))، و((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)(النساء: 163))، و((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)(الكهف: 110)). وبما أن الأمر كذلك لا يُمكن أن تنتقل النبوة إلى غير النبي، سواء كان صوفيا ، أو عالما، أو عاميا. فيستحيل أن يصبح غير النبي نبيا أو يصل إلى مرتبته، ولا أن يُكلمه الله وهو ليس نبيا ، وبما أن النبوة قد خُتمت فلن يظهر نبي جديد، ولن يكون مثله ولا قريبا منه ، ولن يُكلمه الله تعالى، ومن يدعي النبوة باسم النبوة ، أو الوَلاية ، أو الصديقية فهو كذاب وأفاك.

ولذلك فزعم الغزالي باطل جملة وتفصيلا ، وليس الفرق بين النبي والولي هو التكليف بإصلاح الخلق، وإنما في النبوة ذاتها فقط ، لأن إصلاح الخلق ليس خاصا بالأنبياء بل هو فرض على كل مسلم قادر على القيام به. ولهذا قال الله لنا: ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(آل عمران : 104)) ،و((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (آل عمران : 110))).

وليس صحيحا أن الولي يُكاشف بالغيب ، فهذا زعم باطل، لأن الولي في الإسلام هو الذي ينطبق عليه قوله تعالى: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62 - 63)) . فأولياء الله تعالى أتقياء ملتزمون بالشرع، لا يعلمون الغيب، ولا يدعون النبوة، ولا يُزاحمون الأنبياء، ولا يُفضلون أنفسهم عليهم . وبما أن الغزالي اعترف أن أولياء الصوفية هم الذين يدّعون ذلك، فهذا دليل قطعي على أنهم ليسوا بأولياء دين الإسلام ، وإنما هم من أولياء الدين الصوفي المعطل للشرع والهادم للوحي والعقل والعلم. وهم من الذين يصدق عليهم قوله تعالى:

((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))، و((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)(الشعراء:221 - 223)) ،و((وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 43)).

وبذلك يتبين أن إيماننا بالأنبياء وبأنواع الرؤيا لا يلزمنا ما ألزمنا به الغزالي، لأن قوله كان مخالفا للشرع والعلم، وفيه تضليل وتلاعب وتحريف عن قصد وسبق إصرار وترصد. ونحن لا ننكر بأن الإنسان يتلقى العلم بعدة وسائل: بعقله وحواسه وقلبه، لكنها وسائل نسبية محدودة بحكم أن الإنسان كائن مخلوق ناقص في كل جوانبه، ولهذا لا يُمكن أن تكون وسائل تعلمه مُطلقة سواء كانت قلبية أو عقلية، أو بدنية، ولا يُمكن للإنسان أن يتعلم بلا تعلم . ولهذا أرسل الله تعالى الأنبياء لهداية البشر وتعليمهم وتزكيتهم بالتعلم والممارسة لا بالدعاوى والتمنيات، والكسل والنوم، قال سبحانه: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة: 2)).

ولا يصح التسوية بين الإلهام والخواطر وبين الوحي ، لأن الإلهام والخواطر من وسائل التلقي الطبيعية النسبية عند الإنسان، وهي معروفة وممارسة، وليست خاصة بالصوفية، ولن تجعل صاحبها نبيا ،ولا عالما كبيرا ،ولا وليا ،ولا عبقريا فذا . لكن الوحي يختلف تماما عن الإلهام ، لأنه تكليم مباشر من عند الله للنبي الذي اختاره ليكون نبياً . لكن الغزالي مُصر على باطله وتحريفه على التسوية بين الإلهام والوحي ليسوي بين الولي الصوفي الذي يتلقى الإلهام والنبي الذي يتلقى الوحي. وبذلك يتبين أن الغزالي وضع لنفسه مقدمات صوفية ألزم بها نفسه وغيره ، مع أنها مقدمات فاسدة أدت إلى نتائج باطلة من جهة، لكنها تشهد عليه على ممارسته للتضليل والتحريف والتلبيس من جهة أخرى.

والشاهد الأخير- الثالث عشر- مفاده أن أبا حامد الغزالي ذكر أن أرباب الصوفية في سيرهم القلبي- سماه السفر والطريق- إلى الله ينتهي بهم الأمر إلى مشاهدة عجائب وغرائب منها : العلم الإلهي، واللوح المحفوظ،

وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، ورؤية الملائكة يطوفون بالعرش، تغشاهم الأنوار المحرقة، والعلم بصفات الله ومشاهدته[1].

وأقول: قوله هذا هو تكرار لأباطيله وتلبيساته وتحريفاته السابقة، وهو باطل قطعا لأنه سبق أن بينا أن التصوف فكر فاسد وزائف وباطل وليس علما أصلا. ولأن الغيب لا يعلمه إلا الله ، ومن يدعيه من البشر فهو جاهل، أو كاذب ، أو مخطئ. ولأن الكشف الصوفي هو نقض للنبوة وهدم للوحي والعقل والعلم، ومن هذا حاله فهو باطل قطعا[2]. ولأنه قد صح الخبر أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا أبدا لا يقظة ولا مناما ولا عيانا ولا قلبا. ولن نرى الله تعالى إلا يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين فقط[3].

وبما أن الأمر كذلك فهل الغزالي وأصحابه عندما قالوا بتلك المزاعم كانوا يتعمدون اختلاق ما ذكروه ، أم حقا أنهم كانوا يُشاهدون ذلك ؟؟.

وأقول: إن حال هؤلاء يجمع أمرين: الأول إن الصوفية كانوا يتعمدون ذكر كثير من الأخبار الضعيفة والموضوعة، واختلاق الروايات المستحيلة التي رووها عن شيوخهم على أنها من كراماتهم. وهذا أمر أقمنا الأدلة الصحيحة على حدوثه، بحكم أنهم كانوا يعتقدون بالتقية وبها سمحوا لأنفسهم بفعل ما يريدون من التضليل والتحريف والتلاعب انتصارا للتصوف ، وقد بينا ذلك بما فعله الغزالي في كتاب الإحياء[4].

والأمر الثاني مفاده هو أنه يوجد جانب يتعلق بأحوال الصوفية في ممارساتهم للطريق الصوفي- الخلوة، الجوع، العطش، الصمت ، والسهر- فينتهي بهم حالهم إلى المرض واللاوعي، وفقدان التوازن العقلي والنفسي، ويغرقون في خداعات الحواس، والهلوسات والتلبيسات الشيطانة. وقد بينت دراسات وتجارب حديثة صحة ذلك على من مارس جانبا مما فعلوه، وعلى من يتناولون المخدرات عامة والمهلوسة منها خاصة[5]. فهم عندما يكونون في تلك الحالة المرضية يدخلون عالم الأوهام والخيالات ، والهلوسات

---

[1] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 16 .

[2] بينا ذلك وتوسعنا فيه في كتابين: الأول نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، والثاني كتبنا هذا لأن نقدنا للغزالي في الإحياء هو في معظمه نقد للتصوف أيضا .

[3] تناولتُ ذلك وناقشته وذكرت الأدلة الصحيحة عليه في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، ص: 504 ، والكتاب منشور إلكترونيا.

[4] وفعله الصوفية قديما وحديثا ، لأن التقية وما يترتب عنها من التحريف والتضليل والتلاعب بالأخبار وغيرها هي من أصول الدين الصوفي. وقد بينا هذا في الفصل الأول من كتابنا هذا ، وفي كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

[5] توسعتُ في ذلك ووثقته وناقشته في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

وخداع الحواس، والتلبيسات النفسية والشيطانية، فيُلبس الشيطان عليهم ذلك ويقعون فريسة له، ويُكبلهم ويُزين لهم أعمالهم ويُخدرهم حتى يصلوا إلى القول بوحدة الوجود. والأدلة على صحة قولي هذا سبق ذكرها، لكني هنا أُعيدها مركزة ملخصة كشواهد دامغة على صحة موقفي هذا:

أولها: إن العلم لا يحصل في الحالات المرضية وفقدان الإنسان لقواه العقلية والنفسية والجسمية، وإنما يحصل في حالة الصحة والوعي واليقظة. والثاني: إن مخالفة التصوف بكل مكوناته للشرع والعقل والعلم هي ادلة دامغة على بطلان تصوفه[1]. والشاهد الأخير- الثالث- مفاده إن وقوع الغزالي في أخطاء شرعية وتاريخية وعلمية كثيرة هي أدلة قاطعة على فساد وبطلان علم الصوفية المزعوم[2].

كانت تلك الشواهد- الثلاثة عشر- نماذج كافية لبيان موقف الغزالي من العلم الصوفي وغلوه فيه، ولكشف تضليلاته وتحريفاته في الانتصار له على حساب الشرع والعقل والعلم. ولإظهار أخطائه في قوله بالكشف وعلم الصوفية للغيب ومعرفتهم بأسرار المُلك والملكوت- غيوب السموات والأرض- .وفيما يأتي شواهد ومعطيات أخرى كثيرة ومتنوعة تُبين أخطاء الغزالي وأمثاله- بحكم أنه من كبار الصوفية -، وتُثبت بالأدلة الدامغة بطلان مزاعمه المتعلقة بالعلم الصوفي: طريقا ،وكشفا ،ونتيجة.

أولها مفاده أن أبا حامد الغزالي اعترف – بعد تصوفه- أنه كان ضعيفا في علم الحديث وقال عن نفسه : ((وبضاعتي في علم الحديث مزجاة))[3]. ومن المعروف أنه أكثر في كتابه إحياء علوم الدين من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومنها طائفة لا أصل لها، وأخرى لم يجدها الحافظ العراقي خارج كتاب الإحياء في تخريجاته لأحاديثه[4]. وبما أن الغزالي كان من أرباب التصوف ومارس عباداته وبلغ غاياته كما حكى هو عن نفسه في المنقذ من الضلال، وأصبح من المكاشفين الذين علموا غيوب وأسرار الكون- الملك والملكوت- فلا يصح ولا يجوز في حقه أن يكون ضعيفا في علم الحديث، ولا أن يروي الأحاديث الضعيفة والموضوعة ،والتي لا أصل

---

[1] لقد توسعتُ في إثبات ذلك في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ، هذا فضلا عما ذكرتُه في كتابنا هذا، فهو في صميمه نقد للتصوف ، لأن الغزالي عندما انتصر لأفكاره فهو في الحقيقة كان يتكلم بلسان التصوف .

[2] ليس ذلك خاصا بالغزالي فكل شيوخ الصوفية وقعوا في تلك الأخطاء كما بيناه في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، وسنذكر أخطاء أخرى من أخطاء الغزلي قريبا .

[3] الغزالي: رسائل الإمام الغزالي: قانون التأويل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص: 630 .

[4] أنظر مثلا: ج 1 ص: 46 ، ج 3 ص: 126، ج 4 ص: 219، 400 .

لها ؛ وإنما يجب أن يكون عالما بارعا في علم الحديث رواية ودراية ؛ وبما أنه لم يكن كذلك باعترافه وأفعاله دلّ هذا قطعا على بطلان حكاية المكاشفة وعلومها المزعومة . فلماذا كانت بضاعته مزجاة في علم الحديث ؟؟، وأين علم المكاشفة المزعوم ؟؟. وأليس اعترافه بضعفه هو نقض لحكاية علم المُلك والملكوت التي أكثر من التباهي بها وإخفائها والتعالم بها ؟؟.

والشاهد الثاني: عندما تكلم الغزالي عن العقل وقدره ، بين مكانته في الشرع ، وذكر أحاديث نبوية كثير تتعلق بمدح العقل وبيان فضله وشرفه، منها قوله: ((وقال صلى الله عليه و سلم: "يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا إياهم فإنهم من الخاسرين" . وقال صلى الله عليه و سلم: "أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب"))[1].

وأقول: أمر هذا الرجل مع الأحاديث النبوية غريب جدا ، إنه روى تلك الأحاديث بصيغة الإثبات والتأكيد لا بصيغة التمريض والتضعيف كأن يقول: رُوي ، أو قيل ، وإنما قال :" وقال صلى الله عليه و سلم:...". ولم يحرص على معرفة حالها تصحيحا وتضعيفا ، ثم بنى عليها موقفه من العقل . فعل ذلك مع أن أحاديث العقل ذكر نقاد الحديث أنه لم يصح منها ولا حديث واحد ، فكلها كذب[2] !!!! . فأين حكاية علم المكاشفة ومعرفة غيوب وأسرار الكون ، بل حتى زعم أنه يعرف ذات الله والملائكة والجن وذرات الكون ؟؟ فهل من يعلم ذلك يكون عاجزا عن تمييز صحيح الأحاديث من ضعيفها ؟؟. كلا ، فمن يكون كذلك لن يعجز عن ذلك، وبما أنه لم يكن قادرا على تمييز صحيح الأحاديث من سقيمها، واعترف أنه ضعيف في علم الحديث دلّ هذا قطعا على فساد وبطلان علم المكاشفة من أساسه ،وأن الرجل كان مُلبسا عليه متشبثا بالأوهام والأباطيل والخرافات.

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 83 .

[2] ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ص: 26.ومحمد الحوت: أسمى المراتب في أحاديث مختلفة المراتب ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 343 .

والشاهد الثالث ، قال الغزالي : ((ولما ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه- فى أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل - عليه السلام- وقال: "مُره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف"))[1].

وأقول: قوله هذا مخالف للشرع والتاريخ، والحديث لا يصح، لأنه أولا أن الصحابيين عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما من أغنياء الصحابة الأوائل من المهاجرين والأنصار مشهود لهم بالجنة ويدخلونها قطعا من دون تفريق بينهم بين غني ومعدوم، ولا بين ميسور وفقير، بدليل قوله تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 100)). وكل رواية تخاف ذلك فهي رواية إما أنها لم تُفهم فهما صحيحا ، أو أنها باطلة.

وثانيا إنه من الثابت تاريخيا أن كل الصحابة – من السابقين وغيرهم- الذين عاشوا في زمن الخلافة الراشدة أصبحوا أغنياء، أو ميسورين ولم يبق فيهم فقير لكثرة الغنائم بسبب الفتوحات، وكثير من كان منهم فقيرا مات وترك أموالا طائلة ، كعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، و طلحة بن عبيد، والمقداد بن الأسود وغيرهم كثير[2]. وبما أن الأمر كذلك فهل كل هؤلاء يدخلون الجنة حبوا- بشدة وصعوبة- وهم السابقون المقربون ؟؟ طبعا لا وألف لا . وهذا يستلزم أن عبد الرحمن هو أيضا لا يدخلها بشدة وإنما سيدخلها كما يدخلها باقي الصحابة من السابقين الأولين.

وثالثا إن الحديث الذي استشهد به الغزالي ضعيف جدا[3]. وبذلك يتبين جليا أن الرجل أورد أخبارا غير صحيحة، ولا حرص على التأكد من صحتها ، ولا بمدى موافقتها للشرع. وهذا التصرف مرفوض شرعا وعقلا وعلما ، فأين حكاية المكاشفة ومعرفة علم المُلك والملكوت التي قال الغزالي أنه بلغ مرتبتها ؟؟!! .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 147 .

[2] توسعت في ذلك ردا على الصوفية في موقفهم من الفقر في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف. لكن أنظر مثلا: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 1 ص: 350 و ما بعدها . و الذهبي : السير ، ج 1 ص: 622 . و عمر بن شبة : أخبار المدينة ، ج 1 ص: 136 ، 138 ، 140 و ما بعدها . و ابن تيمية : منهاج السنة ، ج 7 ص: 481 و ما بعدها .

[3] حسب تخريج محقق الكتاب . الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 147 .

لكن ما هو السبب الأساسي والعميق الذي جعل الغزالي لا يحقق الأحاديث ولا يحرص على نقدها، ولا يُبالي بذلك أصلا ، وأطلق العنان لنفسه يروي من دون أي احتياط ولا تمحيص، مع أن عمله هذا يضره ،ويكشف بطلان مزاعمه، و ليس من العلم في شيء ؟؟!!.

أقول: ربما يقال: إن السبب في ذلك هو ضعفه في علم الحديث ، وقد اعترف هو بذلك عندما قال: " أنا بضاعتي في علم الحديث مزجاة "[1]. لكن هذا لا يصح تعليلا لموقفه وممارسته ، لأنه لو كان حريصا على رواية الحديث الصحيح كان عليه إما أن يُطالع علم الحديث رواية ودراية، كما قرأ الفلسفة وعلم الكلام والتشيع والتصوف. وإما أن يحرص على رواية الأحاديث التي صححها العلماء، وإذا ذكر الأحاديث الضعيفة بينها اعتمادا عليهم أيضا. وإما أن يبحث عمن يُحقق له أحاديث كتاب الإحياء. وبما أن الغزالي لم يأخذ ولا بواحد من هذه الطرق دلّ هذا على عدم صحة ذلك التعليل .

ولذلك فإن السبب الحقيقي فيما فعله الغزالي مع الأحاديث النبوية هو التصوف لا غير، فهو لما تصوف وقال بالكشف وعلم أسرار الكون أصبح يعتقد ببطلان كل ما عدا التصوف من الأديان والمذاهب وغيرها ، وبما أن الأمر كذلك حسب اعتقاده فلا معنى ولا فائدة من تحقيق المرويات الحديثية والتاريخية، فإن كانت موافقة للتصوف فهي صحيحة، وإن كانت مخالفة له فهي باطلة.

ومن جهة أخرى فإن الرجل لما تصوّف وقال بالتقية وأصبح يُمارس التضليل والتحريف انتصارا للتصوف أصبح يرى أنه لا فائدة من تحقيق المرويات أصلا ، لأن ممارسة التضليل والتحريف يتناقض تماما مع الحرص على تحقيق الأخبار من جهة، ولا معنى من تحقيقها ما دامت التقية تسمح له بأن ينتصر للتصوف بكل الوسائل الشرعية والممنوعة، الممدوحة والمذمومة، لأن الأمر أصبح قائما على مبدأ الغاية تُبرر الوسيلة ، وليس قائما على الحق والصواب، ولا موافقة الشرع والعقل والعلم !!. وبما أن الأمر كذلك حسب اعتقاد الغزالي فإنه لا معنى ولا فائدة من تحقيق المرويات أصلا ، فإن وافقت التصوف فهي مقبولة حتى وإن لم تصح تاريخيا ، وإن خالفته فهي غير صحيحة حتى وإن صحت تاريخيا، ولا حاجة إلى تحقيقها لتمييز صحيحها من سقيمها !!.

[1] الغزالي: رسائل الإمام الغزالي: قانون التأويل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص: 630 .

ولا شك أن الغزالي كان منطقيا مع نفسه وتصوفه ، لكنه أخطأ في موقفه من التصوف أولا، وفي تصرفه مع الشرع والعقل والعلم من منظور صوفي ثانيا، وفي تعامله مع المرويات معاملة صوفية نفعية ثالثا. فأوصلته هذه الأخطاء المنهجية الخطيرة والقاتلة إلى إهمال تحقيق الأحاديث من جهة، والإكثار من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة من جهة أخرى.

والشاهد الرابع: قال الغزالي عن الأذكار الصوفية المعروفة بالمسبعات: ((وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر -عليه السلام- إلى إبراهيم التيمي - رحمه الله - ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة))[1].

وأقول: خبره هذا لا يصح لأمرين باطلين: الأول تصديق الغزالي بأن الخَضِر كان ما يزال حيا من زمن موسى- عليه السلام- إلى العصر الإسلامي واتصاله بالصوفي ابراهيم التيمي. وهذا زعم باطل شرعا وواقعا وعلما ، لأنه مخالف للشرع وسنن الطبيعة والعمران البشري ، وقد بينت ذلك وناقشته وذكرتُ الأدلة الدامغة على بطلان ذلك الزعم في كتاب سابق[2].

والأمر الثاني إن القول بتلك المسبعات هو نقض لختم النبوة وتشريع جديد بعد اكتمال دين الإسلام ،وهذا باطل قطعا ويشهد على عدم صحة الرواية من أساسها. لكن الغزالي صدقها وبنى عليها كلامه ، فأين حكاية المكاشفة ومعرفة أسرار المُلك والملكوت ؟؟.

والشاهد الخامس يتضمن خبرين تاريخيين: الأول مفاده أن أبا حامد الغزالي ذكر كلاما للحسن البصري (21-110 هـ)، قال بأنه أخذه عن الصحابي حذيفة بن اليمان(36 هـ)[3]. وهذا لا يصح ، لأن الحسن لم يلق حذيفة[4]. فكيف يأخذ عنه ذلك ؟؟. وأين حكاية المكاشفة وعلم الغيب التي كان يتمتع بها الغزالي وأمثاله من شيوخ الصوفية ؟، فلماذا لم يعلم بأن الخبر غير صحيح، بل ومستحيل بحكم ان الحسن لم يلق حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- ؟؟ .

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 335 .

[2] هو كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

[3] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 38 .

[4] العجلوني: كشف الخفا ومزيل الإلباس ، ج 1 ص: 470 . وعلي القاري الهروي المكي: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ، ص: 123 .

والخبر الثاني ، قال الغزالي : ((وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب، كان الإمام الشافعي -رضي الله عنه- يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي، فيقول: إن هذا وفق لما أغفلناه))[1].
وأقول: خبره هذا باطل ، بل ومستحيل ، لأن الشافعي لم يدرك شيبان الراعين ولا التقى به[2] ، وذكر ابن تغري بردي أن شيبانا توفى سنة 158 هـ[3]. والشافعي ولد سنة 150هـ، فعندما مات شيبان كان الشافعي ما يزال صغيرا. فأين حكاية أن الشافعي بعدما أصبح إماما في الفقه كان يسأل شيبان الراعي ويأخذ عنه فقه القلوب ؟؟. أليس هذا الخبر مستحيل الحدوث، فلماذا لم ينتبه إليه أبو حامد الغزالي الذي هو من أرباب القلوب الذين عرفوا بالكشف الصوفي غيوب الكون وأسراره حسب ما قاله هو بنفسه ؟؟!! . أليس رواية الغزالي لذلك الخبر وتصديقه والاعتماد عليه في تعظيم شيوخ الصوفية وتقزيم غيرهم هو دليل قطعي على بطلان حكاية الكشف وعلومه من أساسها ؟؟!! . فأين النور الصوفي الذي تكلم عنه الغزالي ليكشف له خطأ ما رواه واعتمد عليه ولم ينتبه له ؟؟!!.

والشاهد السادس يتضمن عبارات للغزالي تشهد ضده وتنقض قوله بالكشف ومعرفة غيوب وأسرار المُلك والملكوت. فقال: ((وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك))[4] ، و((قيل أن هذا عن ابن عباس)) [5] ، و((وقيل أن هذا من قوله)) [6]، و((وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم))[7].
وقال أيضا: ((وبضاعتي في علم الحديث مزجاة، فموضع الحوض لا يُعرف إلا بمجرد النقل فليُرجع فيه إلى الأحاديث. والبرزخ يُمكن أن يكون المراد به مرتبة بين الجنة والنار ...))[8].

ومنها قوله: ((فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظنا ومستندة ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر))[1].

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 22 .
[2] إسماعيل العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، ج 2 ص: 245.
[3] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، حوادث سنة 158 ،ج 1 ص: 148 .
[4] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 277 .
[5] الغزالي: إحياء ،ج 2 ص: 96 .
[6] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 214 .
[7] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 233 .
[8] الغزالي: رسائل الإمام الغزالي: قانون التأويل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص: 630 .

ومنها((وقال موسى - عليه السلام -: يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟ فقال: كل فقير فقير، فيمكن أن يكون الثانى للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر))[2]. فالرجل لا يدري ويفترض ويحتمل .

ومنها ((وأظن أن أبا حنيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها))[3]. و((وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك))[4]. ومنها ((وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة))[5].

ومنها قوله: ((والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء))[6]. و((والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا))[7]. و((وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل، والظاهر جواز الحسبة))[8].

وأقول: أولا إن الرجل هدم مزاعمه المتعلقة بالكشف وعلم اسرار الكون ، لأن استخدامه لعبارة " وقيل أن ..." ثلاث مرات يعني أنه لم يكن يعلم الحقيقة فيما رواه، وإنما روى الخبر كما وصله بصيغة التمريض والتضعيف. وهذا يتنافى مع قوله بالكشف ومعرفة أسرار المُلك والملكوت لأن من يعلم ذلك يكون كلامه يقينيا لا ضنيا .

كما أن أقواله : "وأظن"، و" وأظن ظنا "، و" يُمكن أن يكون " و"الظاهر"، و" وهذا محتمل" ، هي شواهد دامغة على أن الغزالي كان كغيره من أهل العلم يعتمد على الاحتمال، والظن والترجيح، ولم يكن صاحب كشف ولا علم باطن كما زعم مرارا وتكرارا . فاستخدامه لتلك الألفاظ هو نقض لحكاية علم المكاشفة المزعوم، لأن من كان صاحب كشف وعلم بالغيب لا يستخدم تلك الألفاظ ، فإذا استخدمها يكون قد نقض قوله بعلم الكشف ومعرفة أسرار الكون .

وثانيا إن الرجل اعترف أنه ضعيف في علم الحديث، ولا يعرف موضع الحوض، وغير متأكد من المُراد من البرزخ . وهذا الكلام لا يصح

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 27 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 196 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 116 .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 87 .
[5] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 21 .
[6] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 224 .
[7] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 260 .
[8] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 325 .

أن يقوله الغزالي وغير مقبول منه ومن أمثاله لأنـه نَقْضٌ لمزاعِمـه الطويلـة والعريضـة التـي قـال فيهـا صـراحة بأنـه هـو أصـحابه انكشـفت لهـم غيـوب وأسرار الكـون كلـه، بـل عرفـوا ذات الله وصـفاته وأفعالـه، وذوات الملائكـة والشياطين، وذرات الكون[1]. فالغزالي أبطل مزاعمه وشهد علـى نفسـه بعـدم صحتها ، لأن من لا يعرف ما ذكره لا يُمكن أن يكون عالما بغيوب وأسرار السموات والأرض حسب زعمه، وحقا إن الجنون فنون !!.

والشاهد السابع : يقول الغزالي: ((وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها فـي الرتبـة مـع الاستغناء عنهـا))[2]. و((فكمـال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلـك نقصـا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية))[3].

وأقول: هذا خطأ واضح ، ودليل قاطع على بطلان حكاية المكاشفة وعلم الملك والملكوت، التـي هـدم بهـا الغزالـي الشـرع والعقل والعلم ،وتعـالم بهـا على غير الصوفية، وتسلط بها عليهم بـدعوى أنـه مـن أربـاب القلـوب وعلم الباطن وهم من أهل الظاهر!!. فمن الثابت علميا أن الشمس هي نجم ومن أقرب النجوم إلينا لذا تظهر ككرة والباقي بعيد جدا عنا ، لدرجـة أنهـا تظهـر في حجم رأس دبـوس مـن الضـوء بواسطة أقوى المنـاظير. والنجـوم كثيـرة جدا يزيد عددها عن 200 بليون بليون ، فهي كلهـا شـموس[4]. فـأين المكاشـفة المزعومة التي عَلِم بها الغزالي أن الكون فيه شمس واحدة ؟؟!! .

والشاهد الثامن : قال الغزالي: ((ولهذا عبر بعض العارفين عنـه فقـال: إن كـل حـرف مـن كـلام الله عـز و جـل فـي اللـوح المحفـوظ أعظـم مـن جبـل قـاف))[5]. وهـذا الجبـل عنـد الصـوفية مُحـيط بـالأرض ، وقـد وصـل إليـه الصوفي أبو يزيد البسطامي وصعد إلى قمته حسب زعمهم[6].

وأقول: أخطأ الصوفية في قولهم بوجـود جبـل يعـرف بجبـل قـاف، فهـذا جبل خرافي لا وجود له أصلا على وجه الأرض ، ولا هو مُحيط بهـا ، ولا صعد إليه بعضهم. لكن هؤلاء العـارفين ومنهم الغزالي لم ينقذهم كشـفهم مـن

---

[1] سبق توثيق ذلك .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 281 .
[3] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 281 .
[4] الموسوعة العالمية العربية، مادة: النجمة، الشمس.
[5] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 280 .
[6] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ص: 473 .

الوقوع في هذا الخطأ الجغرافي الفادح والكاشف والفاضح لهم ، فآمنوا بوجود جبل خرافي، وزعموا أن بعضهم صعد إلى قمته !!!!. فأين المكاشفة وعلم غيوب الكون وأسراره التي زعم الغزالي أنه هو وأمثاله قد حصّلوها وشاهدوها بقلوبهم حتى علموا أسرار المُلك والملكوت ؟؟ !! . أليس هذا دليل قطعي على بطلان علمه المزعوم ؟؟.

والشاهد التاسع: يقول الغزالي: ((لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إما من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض. قال بعض أهل التشريح: إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض ،وإن الدم منها كاللبن من الرائب ،وإن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده كالأنفحة للبن إذ بها ينعقد الرائب وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد))[1].

وأقول: قوله هذا فيه صواب وأخطاء، فلاشك أن الجنين يتكون من مني الرجل وبويضة المرأة كما نص الغزالي، وهذا أمر ثابت شرعا وعلما، لكن المعروف عند أرسطو والأطباء المتأثرين به لم يقولوا ذلك، وإنما ذكروا صراحة أن الجنين يتكون من المني ودم الطمث- الحيض-[2]. وهنا جمع الغزالي بين الرأيين عندما قال: ((لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إما من مائه ومائها ،أو من مائه ودم الحيض))، فأخطأ في الثاني، لأن الثابت هو أن دم الحيض لا دخل له أصلا في تكوّن الجنين، ففضلا على أنه دم فاسد والإخصاب لا يتم به ، فإن أثناء وجود الحيض في الرحم لا يحدث الإخصاب لأن بويضة المرأة لا تنزل من المبيض إلى قناة فالوب أثناء الحيض، وإنما تنزل بعد طهر المرأة منه[3].

وكلامه الذي نقله عن بعض أهل التشريح بأن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض، فهو غير صحيح قطعا، لأن المضغة تتكون من العقلة، والعلقة تتكون من حدوث التلقيح بين مني الرجل وبويضة المرأة[4]. فالغزالي فالغزالي أخطأ فيما قاله عن دور دم الحيض في تكوّن الجنين. فأين المكاشفة ومعرفة أسرار الكون ؟؟ !! . وأخطأ عندما نقل كلام بعض أهل التشريح في تكوّن المُضغة ، لأنه نقل معلومة غير صحيحة ، وهذا لا يصح وغير مقبول منه لأنه قال صراحة بأنه يعلم غيوب الكون وأسراره!! .

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 74 .
[2] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم، دار كنوز الحكمة، الجزائر ، ص: 63 وما بعدها.
[3] الموسوعة العالمية العربية، مادة: الجنين، الحيض .
[4] الموسوعة العالمية العربية، مادة: الجنين، الحيض .

وأخطأ أيضا عندما نقل تلك المعلومة عن بعض أهل التشريح، وهذا نقض لمزاعمه، ولا يصح ولا يحق له فعله، لأن من انكشفت له غيوب وأسرار السموات والأرض ، وعرف ذات الله وصفاته وأفعاله ، وذوات الملائكة والشياطين، وذرات الكون كما هو حال الغزالي وأمثاله، ليس في حاجة أصلا لأن ينقل أقوال الأطباء وغيرهم من علماء الطبيعة ، بل ولا يحق له ذلك، ولا يصح في حقه لأنه أصبح فوق مرتبة الأنبياء والعلماء ، بل هو في درجة الإله ، بل هو الإله حسب عقيدة وحدة الوجود التي يُخفيها الصوفية عن المسلمين!!. وبما أنه فعل ذلك ، ونقل معلومة خاطئة دلّ هذا قطعا على بطلان المكاشفة وعلومها المزعومة التي تظاهر بها الغزالي، وتعالم بها على غير الصوفية، وسماهم علماء الظاهر، وجعل نفسه من أرباب القلوب والأنوار، والمُلك والملكوت!!!! .

والشاهد العاشر مفاده أن أبا حامد الغزالي عاد مرة أخرى وتكلم عن تكوّن الجنين ، فذكر أنه يتكون من المني ودم الحيض[1]. فلم يُشر إلى ما ذكره سابقا بأن ماء المرأة هو طرف في تكوّن الجنين، ولهذا فهو هنا قد أخطأ خطأين : الأول أنه أغفل دور ماء المرأة في حدوث الإخصاب وتكوّن الجنين، مع أنها طرف أساسي في ذلك . والثاني أنه أخذ برأي أرسطو وأصحابه في قولهم بأن الجنين يتكون من مني الرجل ودم الحيض ، وهذا غير صحيح كما بيناه أعلاه . فأين حكاية المكاشفة ومعرفة أسرار الكون ؟؟.

والشاهد الحادي عشر: يقول الغزالي: ((وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع ؟، وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الرحم ؟.ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه؟))[2].

وأقول: أخطأ الرجل هنا خطأين واضحين: الأول هو أن دم الحيض لا يُستجلب من أعماق العروق ويُجمع في الرحم كما قال الرجل، وإنما هو يتكون في الرحم من الدم والمواد المبطنة للرحم التي كانت تنتظر حدوث التلقيح لاستقبال الجنين، فإذا لم يحدث الحمل فسد الدم وبالمكونات المُبطنة للرحم التي كانت معه ، فيخرج كل ذلك أثناء الدورة الشهرية ليتطهر الرحم وينتظر الاخصاب مرة أخرى .

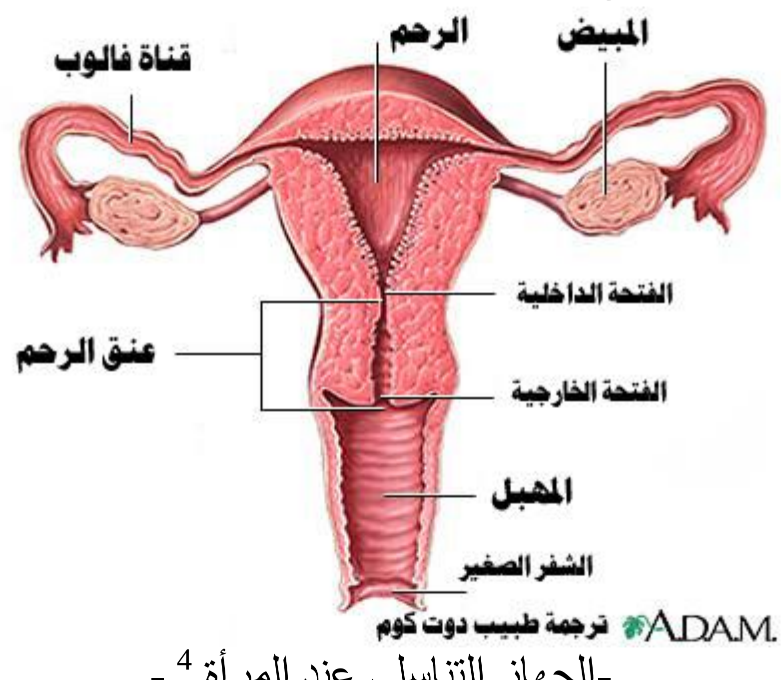
---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 152 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 102 .

والخطأ الثاني هو أنه ليس صحيحا أن الجنين يتغذى بماء الحيض ، فهذا باطل قطعا . لأن الحمل لا يحدث أثناء الحيض ، وعندما يحدث الحمل لا تحيض المرأة ، وإنما يتغذى الجنين من أمه بواسطة الحبل السري[1]. فأين حكاية المكاشفة ومعرفة أسرار الكون ؟؟.

والشاهد الثاني عشر: يقول الغزالي: ((وانقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور، وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الإناث))[2].

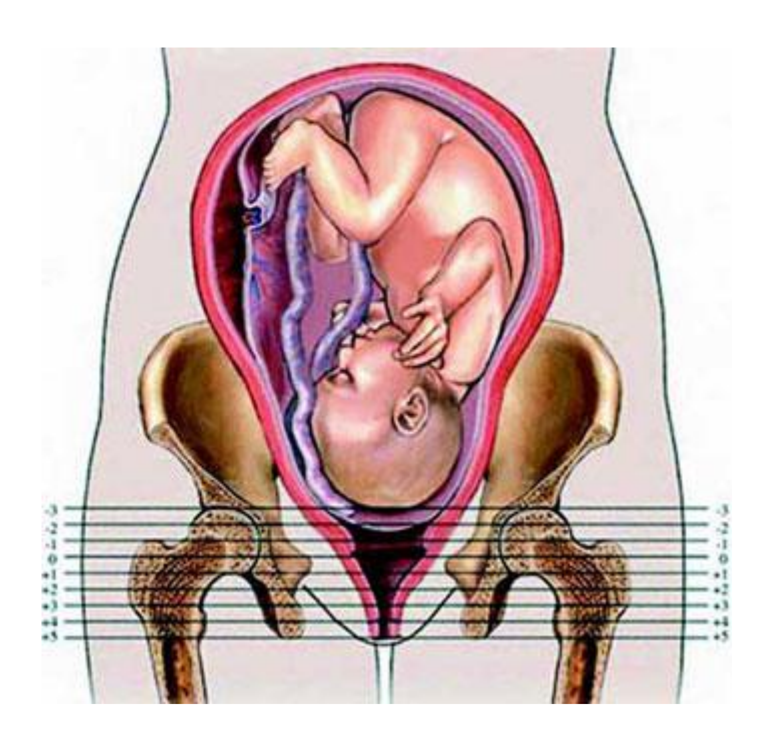
قوله هذا غير صحيح جملة وتفصيلا، لأن رحم المرأة هو تجويف واحد يصلح للذكر والأنثى معا ، وليس فيه قالب ،ولا قالبان ،ولا قوالب . والنطفة لا تتخصب في الرحم وإنما في قناة فالوب خارج الرحم عندما تلتقي ببويضة المرأة ، ثم تنزل إلى الرحم مُخصبة وتنغرز فيه[3]، كما هو مُبين في الصورتين الآتيتين . فأين حكاية علم المُلك والملكوت التي تغنى بها الغزالي كثيرا، وافتخر بها على غير الصوفية ؟؟ !! .



-الجهاز التناسلي عند المرأة [4] -

---

[1] الموسوعة العالمية العربية، مادة: الجنين، الرضيع ، الحمل ، الحبل السري.
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 152 - 153 .
[3] أنظر: الموسوعة العالمية العربية ، مادة: التكاثر البشري، التكاثر، المبيض.
[4] الصورة مأخوذة من موقع طبيب دوت كوم ، على الشبكة المعلوماتية .



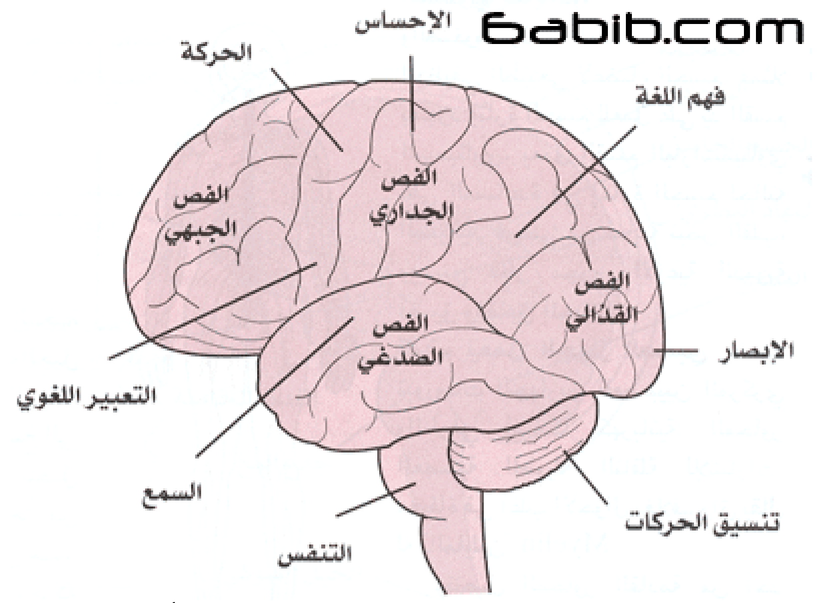
الجنين داخل الرحم[1]

والشاهد الثالث عشر مفادها **أن** الغزالي عندما تكلم عن الحواس الخمس والحكمة في خلقها، قال : ((ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق فى مقدمة دماغك إدراكا آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه))[2]. وذكر أيضا أن الحواس الخمس تسلم محسوساتها – منقولاتها- إلى((الحس المشترك ، والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ))[3].

وأقول: ليس صحيحا أن الحواس الخمس عند الإنسان لها حس مشترك يجمعها يقع في مقدمة الدماغ كما ذكر الغزالي، وإنما الصحيح هو أن لتلك الحواس مواضع متفرقة من الدماغ وليست مجتمعة في موضع واحد[4]. منها مثلا : السمع، والبصر، والإحساس ، فهي متفرقة كما توضحها الصورة الآتية . فأين حكاية المكاشفة ورفع الحجاب ؟؟.

---

[1] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 151 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 151 .
[4] الموسوعة العالمية العربية ، مادة: الدماغ .



من وظائف الدماغ حسب موضعها منه[1] .

والشاهد الرابع عشر: يقول الغزالي: ((فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتغلق عليه الأبواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التى تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ فى تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير فى تشابه أجزائه ووقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى يصب الطعام فيها فينتهى إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة فى أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر فى أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافى الصالح لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هى التى تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد فى جميع ما يطبخ إحداهما شبيهة بالدردى والعكر وهو الخلط السوداوى والأخرى شبيهة بالرغوة وهى الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخلا فى تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال

[1] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية . وأنظر أيضا: روبرت أغروس : العلم في منظوره الجديد ، ص: 35 و ما بعدها .

العكر السوداوى فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر فى تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا إلا الأعضاء))[1].

وأقول: في كلامه هذا أخطاء علمية نقلها عن الأطباء بأخطائها، ، فهو ليس طبيبا ولا يعلم أسرار الكون، منها أولا إن الحقيقة هي أن المعدة ليست كالقدر الذي يُطبخ فيه الطعام بالنار، لأن المعدة لا تتم فيها عملية الهضم والطحن بالحرارة كما قال الغزالي وإنما تتم بعوامل أخرى منها العصارات ، وهي ((عصارات هضمية متنوعة وتحتوي أغلب هذه العصارات على الإنزيمات الهضمية، وهي مركبات كيميائية تسرِّع التفاعلات المؤثرة في تحليل الطعام. وتفرز كل من المعدة والأمعاء الدقيقة، وهما جزءان من القناة الهضمية، عصارة هضمية. وتصب العصارات الهضمية الأخرى في القناة الهضمية من الغدد اللعابية والمرارة والبنكرياس، وتشكل هذه الأعضاء جزءًا من الجهاز الهضمي))[2].

وثانيا ليس صحيحا أن المادة الصفرواية فضلة من الدم، وإنما هي من افرازات الكبد الهضمية[3] ، و((تتكون الصفراء من أملاح الصفراء والمواد الأخرى. وتؤثر أملاح الصفراء على الدهون في الأمعاء الدقيقة؛ فهي تساعد على تكسير كُرات الدهن حتى تستطيع الأنزيمات في الأمعاء أن تحول جزيئات الدهن إلى حموض دهنية وجليسيرول))[4]. علما بأن الغزالي قال ذلك تقليدا لما قاله بعض الأطباء، وقد كان أرسطو يقول بأن الصفراء فضلة من الفضلات ، فقال: ((و لكن يشبه أن تكون المرة-أي المرارة- مثل سائر الجسد ،و ليس لحال شيء آخر مثل الثفل[5] الذي يجتمع في البطن و المعي)) . و قال أيضا : ((فهو بيّن من الحجج التي احتججنا أن خلقة المرة ليست لحال شيء ، بل هي فضلة)) ، و كرر أنها فضلة في أكثر من موضع[6] . فالغزالي ناقل ومخطئ فيما نقله وكتبه، وغير معذور فيما أخطأ فيه ، لأنه كان قد زعم مرارا أنه من أرباب القلوب والكشف ومعرفة أسرار الكون ، وهذا يستلزم أنه لا يُخطئ، ولا ينقل عن غيره ،

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 155.

[2] الموسوعة العربية العالمية، مادة: الجهاز الهضمي .

[3] نعم إن الصفراء تساعد على نقل بعض فضلات الجسم ، لكنها في الأساس ليست فضلة ، وإنما هي من إفرازات الكبد ودورها المساعدة على الهضم . الموسوعة العالمية العربية، مادة: الصفراء .

[4] الموسوعة العربية العالمية، مادة: الكبد .

[5] هو ما سَفُل و استقر تحت الشيء من كدرة . الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، ص: 1256 .

[6] أرسطو : كتاب طبائع الحيوان البري و البحري ، المقالة الرابعة عشر ، حققته عزة محمد سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985،مقدمة المحقق ، ص: 31، 32 ، 33 .

وإلا نقض زعمه ، وبما أنه أخطأ ونقل عن غيره دلّ هذا على بطلان حكاية المكاشفة وعلومها من أساسها .

والشاهد الخامس عشر: ذكر الغزالي أن القلب يصدر منه بخار لطيف ومنه يسري في جميع البدن بواسطة العروق... ثم قال: ((فكذلك الدم الذى تشبث به هذا البخار فى القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ...))[1].

وأقول: كرر الغزالي هنا أخطاء بعض الأطباء والفلاسفة، منهم أرسطو الذي كان يزعم أن القلب مرتفع الحرارة جدا وأن الدماغ يتولى تبريده، فهو الذي يُبرد حرارة وغليان القلب و يجعله جيد المزاج، فهو بارد وُمبرد حسب زعم أرسطو[2] . والحقيقة هي أنه ليس صحيحا أن القلب مفرط الحرارة إلى درجة أنه يصدر بخارا من شدة حرارته حتى تؤدي إلى أحتراق الدم. فهذا كلام غير صحيح تماما لأن درجة حرارة جسم الإنسان 37 درجة مئوية في الحالات العادية[3]، وهذا الدرجة لا تؤدي إلى التبخر ولا إلى إحراق الدم كما زعم الغزالي. فالرجل أخطأ فيما قاله نقلا عن أرسطو وغيره من المتابعين له، فأين حكاية علم المُلك والملكوت التي تغنى بها الغزالي كثيرا، وتعالم بها على مخالفيه ؟؟ !! .

والشاهد السادس عشر: قال الغزالي: ((فإذن المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التى هى مركوزة فيها ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها))[4].

وأقول: الرجل تكلم هنا بلسان الفلك الأرسطي البطلمي لا بلسان الوحي، ولا بالعلم الصحيح، وفيه أخطاء، وتضليل وتحريف. لأنه أولا يجب أن نعلم أن الفلك الأرسطي البطلمي يزعم أنه توجد في الكواكب عقول أزلية إلهية هي التي تتولى تحريكها وعمليات الخلق أيضا. فأرسطو يقول بوجود عقول في العالم العلوي، وهي جواهر ومحركات ، و عقول أزلية مفارقة للمادة ،و ليست هيولانية . و قد وصف العقول العشرة بأنها آلهة ،وهي خارجة عن الزمان ،ولا يُؤثر فيها . و جعل عددها يُساوي عدد

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 156، 157 .
[2] أرسطو : في أعضاء الحيوان ، ص: 37 ، 38 ،، 42 ، 46 .
[3] الموسوعة العربية العالمية، مادة: درجة حرارة الجسم ، هبوط الحرارة .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 161 .

الحركات والكواكب، آخرها العقل الفعال ، الذي يُحرك فلك القمر [1] . وهي محركات الأجرام السماوية والطبيعية ، تحركها حركة أزلية دائمة[2]. والغزالي أشار إلى دورها وسماها ملائكة سماوية، وهذا فعل فيه تضليل وتحريف.

وثانيا إن القول بأن الكواكب والشمس والقمر توجد بداخلها أفلاك مركوزة تُحرك تلك الأجرام ، وهي تتحرك بفعل العقول الإلهية- سماها الغزالي ملائكة- هو قول غير صحيح علما ولا شرعا. لأن الأجرام السماوية محكومة بالجاذبية ، وهي مسخرة في مواضعها وفق قانون إلهي مُحكم لأجل مُسمى ولا تحتاج إلى من يُحركها من داخلها. ومن جهة أخرى فإن كل منها يتحرك في فضاء محدد له هو فلكها الذي تدور فيه، فهي تتحرك في أفلاك- مدارات- لا بأفلاك مركوزة فيها، مع الفارق الكبير من جهة المعنى. والشاهد على ذلك من الشرع قوله تعالى: ((لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)(يس: 40))، و((وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(النحل: 12))، و((اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)(الرعد: 2)). فالنجوم والكواكب مُسخرة ، وتسبح في أفلاكها من ذاتها فهي مخلوقة كذلك إلى أجل مسمى ، ولا تحتاج إلى آلهة ولا إلى ملائكة تسكنها لكي تحركها. فهي كالإنسان والحيوانات تتحرك بقوة ذاتية مخلوقة فيها .

والشاهد على ذلك أيضا هو أنه تبين من علم الفلك الحديث والمعاصر أن الأجرام السماوية فيها قوة ذاتية تتحرك بها وفق قانون فيزيائي مُحكم إلى أجل مسمى، وعندما ينتهي الوقت المحدد لحياة كل جرم يفقد دورانه في فلكه ويهوي ويموت . ولا تحتاج الأجرام السماوية إلى آلهة ولا إلى ملائكة لتحركها في مساراتها ومداراتها. والشاهد على ذلك الأقمار الصناعية، فهي

---

[1] أرسطو : مقالة اللام ، ص : 3 ، 4 . و ديوجين لا يرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ص: 124 . و ابن رشد : تفسير ما وراء الطبيعة ، ج 3 ص: 352، 353 ، و تلخيص ما بعد الطبيعة ، حققه عثمان أمين ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ،1958 ، ص: 154 . . و ماجد فخري: أرسطو المعلم الأول ، ص: 56، 57 ، 98، 99 ، 84 . و تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: 114 . و علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، ج 2 ص: 205 .

[2] ديوجين لا يرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ص: 124 . و ماجد فخري : أرسطو ، ص: 56 ، 57 ، 98 ، 99 . و تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: 119 ، 120 . و يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص: 175 .

تدور في الفضاء في مدارها لسنوات ثم تسقط من دون وقود ولا عقول ولا ملائكة تحركها. نعم توجد بداخلها طاقة كهربائية يجمعها القمر الصناعي بواسطة ألواح من الشمس، لكن هذه الطاقة لتشغيل أجهزة القمر الموجودة بداخله، وليست لجعل القمر يدور في مداره. وأما حركته وثباته في مداره فهما مرتبطان((بعاملين: 1- سرعة القمر الصناعي -السرعة التي ينتقل بها في خط مستقيم-، 2- قوة الجذب بين القمر الصناعي والأرض. فما لم تكن قوة الجذب متوفرة، فإن سرعة القمر الصناعي كانت ستجعله يطير مبتعدًا عن الأرض في خط مستقيم. كما أنه أيضًا ما لم تكن السرعة متوفرة، فإن الجاذبية كانت ستسحب القمر الصناعي وتعيده للأرض)). فعندما تنخفض سرعته بسبب احتكاكه بجسيمات الغلاف الجوي العلوي تسحبه قوة الجاذبية فتهوي به ، ثم يحترق ويتبعثر في الجو[1].

وبذلك يتبين أن الغزالي أخطأ فيما قاله متابعا للفلك البطلمي ، ومارس فيه التضليل والتحريف عندما جعل الملائكة مكان الآلهة محاولة منه لأسلمة موقفه تضليلا وتلاعبا لغاية في نفسه . أليس ذلك شاهد دامغ على بطلان حكاية علم المكاشفة من أساسها ؟؟.

والشاهد السابع عشر: يقول الغزالي: ((وكما عرفت أن فى كل طرفة عين نِعما كثيرة فاعلم أن فى كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب))[2].

وأقول: قوله هذا تضمن اخطاء علمية، منها إن الغاز- الدخان- الخارج من الإنسان عند الزفير ليس محترقا، وإنما هو غاز ثاني أكسيد الكربون، وهذا الغاز كما هو معروف لا يحترق، خلاف الأكسجين الذي يُساعد على الاحتراق[3]. ولا يخرج من القلب وإنما من الرئتين يصل إليها بواسطة الدم من مختلف جهات الجسم ثم يمر بالقلب ثم يصل إلى الرئتين. علما بأنه لا يتم في القلب أي احتراق ودرجة حرارته لا تسمح له باحتراق أي شيء بداخله . وعند الشهيق فإن الأكسجين الداخل يُمر أولا بالرئتين ولا يدخل إلى القلب مباشرة كما قال الرجل. وإنما ينتقل إليه بواسطة الدم من الرئتين

---

[1] أنظر مثلا: الموسوعة العالمية العربية ، مادة: القمر الصناعي .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 168 .
[3] أنظر مثلا: الموسوعة العالمية العربية، مادة: الرئة، الشهيق، ثاني أكسيد الكربون ، الأكسجين.

إليه، ثم ينتشر في باقي جهات الجسم. فأين حكاية المكاشفة ومعرفة أسرار الكون ؟؟ !! .

والشاهد الثامن عشر: يقول الغزالي: ((فأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها أعني بالإضافة الي الملائكة وملكوت السموات ،فانك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة... وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها إلى السموات السبع ...))[1].

قوله هذا تضمن خطأين واضحين: الأول ليس صحيحا أن الأرض أقل المخلوقات ضمن الأجرام السماوية، فهذا كلام غير علمي تماما، فالقمر مثلا أقل منها حجما، وكذلك الكويكبات الموجودة في المجموعة الشمسية فهي أقل من الأرض بكثير. والأرض أكبر من كوكب عطارد بفارق كبير. وهناك نجوم عديدة بعيدة عن الأرض وهي أصغر منها بكثير بل بعضها كالأقزام[2].

والخطأ الثاني يتعلق بحجم الشمس بالمقارنة إلى الأرض، فليس صحيحا أن الشمس أكبر من الأرض ب" مائة ونيفا وستين مرة" ، وإنما أكبر منها ب: 1,300,000 مرة[3] . فأين حكاية المكاشفة ومعرفة أسرار السموات والأرض – المُلك والملكوت- التي كررها الغزالي كثيرا وتفاخر وتعالم بها على غير الصوفية وتسلط بها عليهم ؟؟ !! .

والشاهد التاسع عشر قال الغزالي: ((وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " الأرض في البحر كالإسطبل في الأرض" . ومصداق هذا عُرف بالمشاهدة والتجربة وعُلِم أن المكشوف من الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة))[4].
وأقول: قوله هذا لا يصح وغير علمي أصلا، لأن الأرض أكبر من كثير من الأجرام السماوية كما بينا في الشاهد السابق، وصحيح أن نسبة الماء- البحار- أكبر من اليابس على الأرض، لكن ليس الماء أكبر من الأرض.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 429 .
[2] أنظر: الموسوعة العالمية العربية ، مادة: النظام الشمسي، عطارد، القمر . و آن تري هوايت: النجوم، ترجمة إسماعيل حقي، ط 7 ، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص: 86 .
[3] أنظر: عبد الحميد سماحة: في أعماق الفضاء، دار الشروق، القاهرة، 1980 ، ص: 51 .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 429 .

فهذا مستحيل ، لأن الماء موجود على الأرض فهو بداخلها، وليس محيطا بها، فليست هي جرما بداخله، وإنما هو الذي بداخلها ، فكيف يكون أكبر منها ؟؟ ، فهي التي تحتويه وليس هو، فلا يكون أكبر منها حجما ولا مساحة. فالأرض ليست كالإسطبل في الأرض ، ولا يصح تشبيهها بذلك ، لأنها ليست جسما في وسط البحار كالإسطبل في الأرض، وإنما البحار هي الموجودة بداخل الأرض . وبمعنى آخر إن البحار تحيط بالأرض إحاطة تضمن لا إحاطة احتواء، أي أن البحار متضمنة بداخل الأرض وليس العكس.

وأما الحديث الذي استشهد به على قوله، فهو حديث مكذوب على النبي- عليه الصلاة والسلام- ولم يجد له الحافظ العراقي أصلا[1]. فأين حكاية علم المكاشفة ومعرفة أسرار الكون ؟؟، فلا أنقذت الغزالي من الوقوع في الأخطاء العلمية، ولا أعطته معلومات صحيحة، ولا مكنته من التمييز بين الأحاديث الصحيحة والمكذوبة!! .

والشاهد العشرون: ((فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على قدر صغر قدر))[2].

قوله هذا شاهد قطعي على بطلان حكاية علم المكاشفة الذي زعم الغزالي أنه من أربابه. فلو كان كما زعم ما قال ذلك الكلام، فهو شاهد ضده على أنه لم يكن يختلف عن علماء عصره في معارفهم العلمية منها أصغر المخلوقات المعروفة لديهم كالبعوض والنحل . فلاشك أن البعوض ليس هو أصغر المخلوقات ، فهناك كائنات كثيرة جدا أصغر من البعوض والنحل، وبعضها لا يُرى إلا بالمجاهر الدقيقة، كالفيروسات والجراثيم ، والبكتريا . فلو كان الغزالي يتمتع بعلم المكاشفة ومعرفة أسرار الكون لعلم بوجود كائنات كثيرة أصغر من البعوض والنحل، بل ولا تُرى بالعين المجردة أصلا. علما بأن الغزالي كان قد زعم أنه وأصحابه يعلمون ما يجري في ذرات الكون ،ويعرفون ذات الله وصفاته وأفعاله، وذوات الملائكة والشياطين . فهل من هذا حاله يقول: " فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل" ، فهذا مبلغه من العلم كغيره من معاصريه، وأما حكاية المكاشفة ومعرفة أسرار الكون فهي من خرافاته وأباطيله !!.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 429 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 429 .

والشاهد الواحد والعشرون: ذكر أبو حامد الغزالي أن عدد عضلات جسم الإنسان يساوي 529 عضلة[1]. وقوله هذا لا يصح، لأن جسم الإنسان فيه أكثر من 600 عضلة كبيرة[2]. فأين حكاية معرفة أسرار الملك والملكوت؟؟.

والشاهد الثاني والعشرون:يقول أبو حامد الغزالي : ((فسخر المعدة لنضج الغذاء ،والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم ...))[3].

قوله هذا خطأ وغير علمي، لأن الغذاء ليس هو الدم، ولا الدم هو الغذاء، لأن الدم منفصل عن الغذاء ، والقلب هو المتحكم في الدورة الدموية. والدم هو الذي يمتص الغذاء في الأمعاء الدقيقة ، ومنها إلى الكبد ، فتقوم ((خلايا الكبد بترشيح المواد الضارَّة من الدم .وتشمل هذه المواد المبيدات الحشرية والعقاقير والمضافات الغذائية والمواد الكيميائية الصناعية. وتقوم الإنزيمات في خلايا الكبد بتحويل بعض هذه المواد إلى مركبات تذوب في الماء. ثم يحمل الدم هذه المواد إلى الكِلىَ التي تطردها في البول... كما ترشح من الدم أيضًا كثيرًا من البكتيريا والفيروسات والكائنات الدقيقة الأخرى. وتحيط خلايا خاصة في الكبد بهذه الكائنات الدقيقة وتهضمها بطريقة كيميائية)[4]. ثم بعد ذلك يتولى الدم توصيل الغذاء إلى كل أجزاء الجسم، ويسحب منه ثاني أكسيد الكربون وغيره من المواد السامة. فالكبد لا يُحول الغذاء إلى دم ، ولا الدم هو الغذاء، ولا الكبد هو الذي يتحكم في دوران الدم في جسم الإنسان. فأين المكاشفة التي رفعت الحجاب عن الغزالي وأمثاله حتى علموا غيوب السموات والأرض وأسرارها ؟؟ !! .

والشاهد الثالث والعشرون: قال الغزالي: ((خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا... وجعلها قارة لا تتحرك...ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم))[5].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 103 .
[2] الموسوعة العالمية العربية، مادة: العضلة .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 103 .
[4] الموسوعة العالمية العربية، مادة: الكبد .
[5] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 107 .

قوله بثبات الأرض وعدم حركتها غير صحيح، تابع فيه قول أرسطو والفلاسفة المسلمين كيعقوب الكندي، والكندي، وابن سينا[1]. لكن الحقيقة هي أن الأرض متحركة وليس ثابتة، وقد قام الدليل العلمي الصحيح على حركتها ، عندما تمكن الإنسان من ارتياد الفضاء و تصوير الأرض وهي سابحة في الفضاء. ولو تدبر الغزالي في القرآن جيدا لتبين له خطأ موقفه في قوله بثبات الأرض ولأستنتج أنها متحركة. لأن في القرآن الكريم إشارات تدل على أن الأرض تتحرك حركة مستديرة ، أشارت إليها بطريقة خفية حكيمة مُتضمنة في الآيات يستنتجها كل من تدبر فيها بطريقة صحيحة ، علما بأنه لا توجد في القرآن الكريم آية نصت على ثبات الأرض.

من تلك الآيات الدالة على حركة الأرض قوله سبحانه : {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }يس40 -، و {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ }النمل88 -، و {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ }الزمر5- .

واضح من الآية الأولى أنها أشارت إلى حركة الأرض و كرويتها عندما ألحقت الليل و النهار بصيغة الجمع بأنهما في فلك يسبحان كالشمس والقمر، فالجميع يسبح وليس الشمس والقمر فقط ،و هذا لا يتحقق إلا بكونهما يسبحان مع الأرض في فلكها المتحرك المستدير .

و كذلك الآية الثانية فهي تتضمن حركة الأرض ، لأن الجبال لا يُمكنها أن تتحرك لوحدها حركة مستقلة عن الأرض من جهة ، و هي جزء من الأرض من جهة أخرى ، فتحركها يستلزم تحرك الأرض بالضرورة . كما أن الآية لم تجعل حركة الجبال حركة ذاتية صادرة منها ،و إنما شبهت حركتها بحركة السحاب الذي لا يتحرك من ذاته ،و إنما الرياح هي التي تحركها ، فكذلك حركة الجبال ليس من ذاتها و إنما أصلها الأرض ككل ، التي عندما تتحرك فستتحرك معها الجبال.

---

[1] ابن رشد : تلخيص السماء و العالم ، حققه جمال الدين العلوي ، ص: 268 ، 269 و ما بعدها . و زينب عفيفي : العالم في فلسفة ابن رشد الطبيعية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1993 ، ص: 70 . و ابن سينا : علم الهيئة ، المقالة الأولى ، ص: 4 . و ابن سينا : الطبيعيات ، ص: 194 ، 195 .و علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 ، ص: 227 . و محمد عبد الرحمن مرحبا : الكندي - فلسفته مُنتخبات – عويدات ، بيروت ، باريس ، 1985 ص: 71 .و زينب عفيفي: الفلسفة الطبيعية و الإلهية عند الفارابي ، ص: 233 .

وكذلك الآية الثالثة، فهي نصت صراحة على تكوّر الليل والنهار، وهذا يتضمن حركة الأرض ، لأنهما لا يتعاقبان إلا بحركتها. فأين حكاية المكاشفة ومعرفة غيوب السموات والأرض التي تغنى بها الغزالي ؟؟.

وأما قوله : ((ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم))[1]. فهو شاهد آخر على بطلان حكاية معرفة أسرار الكون. لأن الإنسان استطاع أن يصل إلى كل جهاتها، وطاف حولها بحرا وجوا بالبواخر والطائرات والأقمار الصناعية.

والشاهد الرابع والعشرون مفاده أن أبا حامد الغزالي ذكر أن سعة البحر أضعاف سعة الأرض[2].
وقوله هذا غير صحيح قطعا يدل على خطأ نظرته وتصوره للأرض والبحار، إذ من المؤكد أن البحار كلها هي من مكونات سطح الأرض مقابل اليابس، والكل مُتضمن فيها . فكيف تكون سعة البحار أكبر من الأرض أضعافا وهي موجودة بداخلها . فهدا مستحيل ، لكن قوله هذا هو نموذج لخرافة علم المكاشفة الذي به علم الغزالي وأمثاله غيوب الكون وأسراره، وبه عرفوا ذات الله وصفاته وأفعاله، وذوات الملائكة والشياطين، وذرات الكون، وبه اصبح الغزالي من أرباب القلوب والأنوار الذين رُفع لهم الحجاب فانكشفت لهم أسرار السموات والأرض حسب زعمه!!!! . لكن هيهات، إن الرجل كان مخدوعا بالتصوف ومُلبسا عليه بخرافة علم المكاشفة ، فلم تنكشف له العلوم وأسرار الكون وإنما انكشفت له عوالم الأوهام والهلوسات والخرافات والتلبيسات الشيطانية بسبب ممارسته لعبادات الطريق الصوفي وبلوغه غاياته !!!! .

وأما إذا قيل إن الرجل يقصد نسبة اليابس إلى البحار. فأقول: لاشك أن الماء أكبر من اليابس ، لكن كلام الرجل بالإضافة إلى قوله السابق بأن الأرض بالنسبة للبحار كالأسطبل في الأرض يشهد على أنه لا يقصد بالأرض الجزء اليابس منها ، وإنما يقصد الأرض ككرة هي أقل من البحار أضعافا لأنه موجودة بداخلها كالإسطبل في الأرض، فهي التي تحيط بها وليس هو. وعلى أية حال فكلام الرجل غير علمي وغامض وليس هو كلام من يعلم أسرار الملك والملكوت !!!! .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 107 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 110 .

والشـاهد الخـامس والعشـرون : يقـول الغزالـي: ((ثـم انظـر إلـى مسـير الشمس فى فلكها فى مدة سنة ثم هى تطلـع فـى كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار... وانظر إلـى إمالتـه مسير الشـمس عـن وسـط السـماء حتـى اختلـف بسـببه الصـيف والشـتاء والربيـع والخريـف فـإذا انخفضـت الشـمس مـن وسـط السـماء فـى مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء... فأنت تعرف من كبر الأرض واتسـاع أطرافها أنه لا يقدر آدمى على أن يدركها ويدور بجوانبها))[1].

وأقول: تعليله لتعاقب الليل والنهار غير صحيح علميا ،لأن السبب في ذلك ليس هو حركة الشمس الظاهرية وإنما هو حركة الأرض حول نفسـها، فلـو توقفت الشـمس مثلا عـن الحركـة لظـل تعاقب الليـل والنهـار قائمـا .وكـذلك تعليلـه لتعاقب الفصـول الأربعـة غيـر صـحيح أيضـا لأن سـببه لـيس حركـة الشمس وإنما هو ميل الأرض وتغير وضعها تجاه الشـمس و دورانهـا حـول الشمس[2]. فأين علم الغيب وأسرار الكون الذي زعم الغزالـي أنـه مـن أربابـه المُكاشفين بـه ؟؟!! .

وأما ما قاله عن كبر حجم الأرض واتساع أطرافها وعدم قدرة الإنسان على إدراكها والـدوران علـى جوانبهـا، فهـو قـول يُعبـر عـن قـدرات الإنسـان والعلم في عصر الغزالي، لكن من الثابت فـي زماننـا أن هـذا أصـبح سـهلا، ويُمكن الدوران حول الأرض بحرا وجوا. فمـاذا يعنـي هـذا؟؟. إنـه يعنـي أن الغزالي لو كان علم المكاشفة المزعوم أكسبه معرفـة الغيـب وأسـرار الكـون لعلم أن الذي نفاه في زمانه فإنه سيتحقق بعد قرون من الزمن ، وبمـا أنـه لـم يعلم ذلك وأخطأ فيمـا قالـه دلّ هـذا علـى بطـلان خرافـة علم المكاشـفة الـذي يرفع عن الصـوفي الحجـاب ويكشـف لـه ملكوت السموات والأرض حسب زعمه!! . إنه علم المخارفة لا المكاشفة ،وعلم الهلوسات لا المشاهدات !!.

والشاهد السـادس والعشـرون: يقول الغزالـي: ((ثـم الكواكـب التـى تراهـا أصـغرها مثـل الأرض ثمـانى مـرات وأكبرهـا ينتهـى إلـى قريـب مـن مائـة وعشرين مرة مثل الأرض))[3].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 114 .
[2] الموسوعة العالمية العربية، مادة: الفصل، الربيع، الصيف، الخريف ، الشتاء.
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 114 .

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ، لأن كوكب بلوتو هو أصغر كواكب المجموعة الشمسية وليس الأرض ، فهي أكبر منه. وأكبر كواكب هذه المجموعة هو المشتري وهو أكبر ب: 45 مرة من بلوتو . فكيف يكون أكبرها يزيد حجمها عن الأرض 120 مرة كما ذكر الغزالي ؟؟ . وحجم الأرض متقارب مع حجم الكواكب الثلاثة القريبة إلى الشمس، وهي: عطارد، الزهرة، المريخ . وأما الكويكبات في كثيرة ضمن المجموعة الشمسية وهي أقل حجما من الأرض بفارق كبير جدا[1]. فأين المكاشفة ورفع الحجاب ومعرفة أسرار المُلك والملكوت ؟؟.

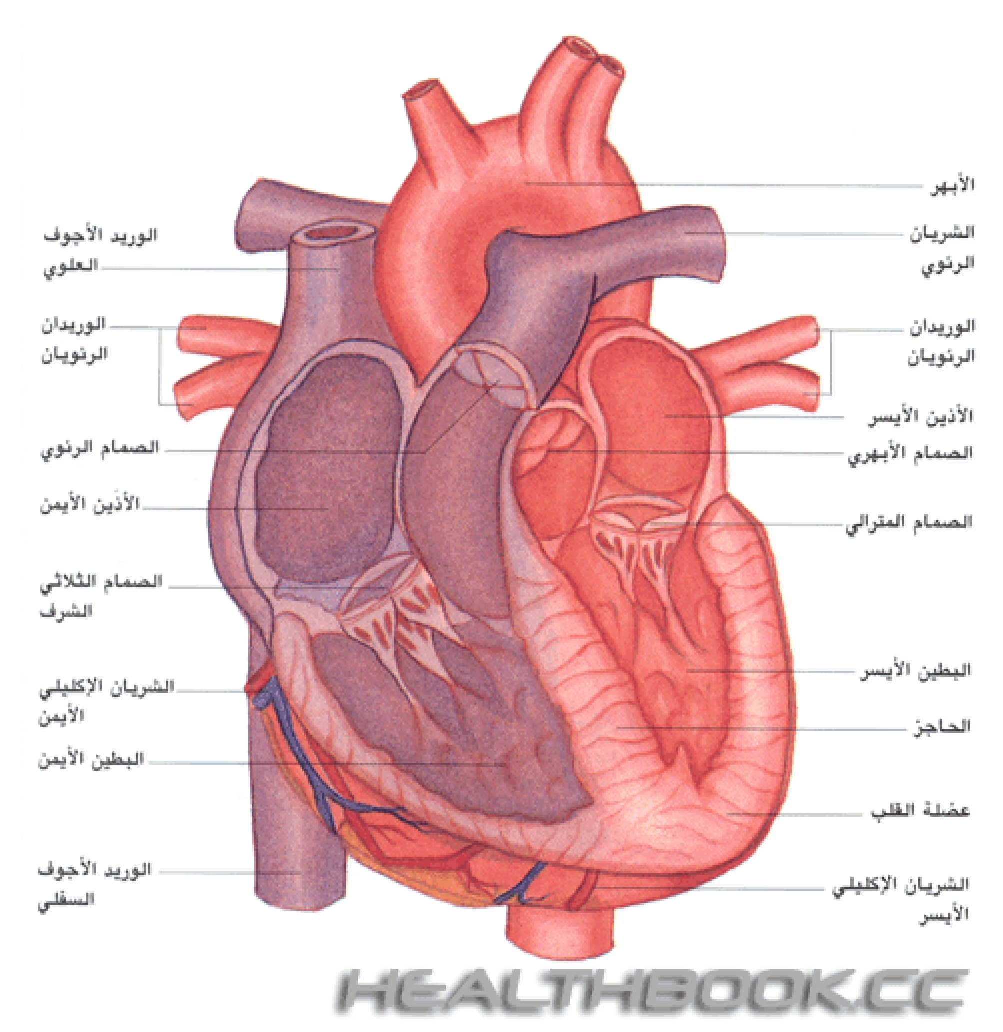
والشاهد السابع والعشرون : وصف الغزالي القلب بأنه : ((اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه))[2].

وأقول: ليس صحيحا أن القلب فيه تجويف واحد، وإنما فيه أربعة تجاويف : تجويفان علويان، هما: الأذينان الأيمن والأيسر. وتجويفان سفليان، هما: البطينان الأيمن والأيسر، كما هو مُبين في الصورة التوضيحية الآتية .

وأما الدم الذي في القلب فليس هو أسود اللون كما قال الغزالي، وإنما هو على نوعين: فالدم الذي يحمل الأكسجين من الرئتين إلى القلب ثم يضخه القلب إلى كل أجزاء الجسم يكون أحمر ناصعا . وأما الدم الذي يرجع إلى القلب محملا بثاني أكسيد الكربون فيكون أحمر قاتما[3].

---

[1] الموسوعة العالمية العربية ، مادة: الكوكب ، النظام الشمسي .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 4 .
[3] الموسوعة العالمية العربية ، مادة: الدم .



مقطع تشريحي لقلب الإنسان تظهر عليه تجاويفه[1]

والشاهد الثامن والعشرون مفاده أن الغزالي كما أنه اثبت علم المكاشفة ومعرفة أسرار الكون لنفسه ولأمثاله من شيوخ الصوفية ، وكان هو قد نقض زعمه وأبطله بكثرة أخطائه العلمية والشرعية والتاريخية؛ فإن كبار شيوخ الصوفية هم أيضا نقضوا زعم الغزالي وما نسبه إليهم من علم بالغيب ومعرفة أسرار الكون؛ نقضوه بأخطائهم الشرعية والتاريخية والعلمية[2]، أذكر منها هنا نماذج من أخطائهم العلمية:

أولها قيل لأبي يزيد البسطامي: ((بلغتَ جبل قاف؟ فقال: جبل قاف أمره قريب الشأن في جبل كاف وجبل عين وجبل صاد، قيل: وما هذا؟ قال: هذه جبال محيطة بالأرضين السفلى، حول كل أرض جبل بمنزلة جبل قاف محيط بهده الدنيا، وهو أصغرها، وهذه أصغر الأرضين . وكان يُخبر أنه

[1] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[2] توسعت في ذكر نماذج من أخطائهم في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

صعد جبل قاف، ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه، وكان يصفه ويصفها...))[1].

وأقول : كلامه هذا زعم باطل، ولا حقيقة له ، لأن الثابت علميا أن الأرض لا يُحيط بها أي جبل من تلك الجبال المزعومة ولا جبل آخر، ولا لتلك الجبال من وجود ، وإنما هي محاطة بمياه المحيطات والبحار تمثل فيها نحو 70 **%** والباقي يابسة[2] على السطح، وإلا فالكل موجود بداخل الأرض. فالرجل يتكلم بلا علم ، ويهذي بهذيانه بدعوى الكشف وعلم الباطن، وما هي إلا أوهام وهلوسات وأكاذيب.

وتلك الرواية الصوفية تعمدت مخالفة القرآن الكريم ،لأن الله تعالى أخبرنا أن سفينة نوح استوت على جبل الجودي- بتركيا- ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(هود: 44))، لكن هذا الرجل خالفه وزعم أنه رآها راسية على جبل قاف الخرافي!!.

والنموذج الثاني: قال شيخهم ابن عربي: ((أخبرنا صاحبنا موسى السدراني وكان صاحب خطوة محمولاً قال: لما وصلتُ إلى جبل قاف وهو جبل عظيم طوّق الله به الأرض وطوق هذا الجبل بحية عظيمة قد جمع الله رأسها إلى ذنبها بعد استدارتها بهذا الجبل قال موسى: فاستعظمت خلقها قال: فقال لي صاحبي الذي كان يحملني سلّم عليها فإنها ترد عليك قال ففعلت فردت السلام وقالت: ...))[3].
وقال أيضا: ((أخبرني يوسف بن يخلف الكومي من أكبر من لقيناه في هذا الطريق سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله قال: أخبرني موسى السرداني وكان من الأبدال المحمولين قال: لما مشيت أنا ورفيقي إلى الجبل المسمى قاف وهو جبل محيط بالبحر المحيط بالأرض وقد خلق الله حية على شاطئ ذلك البحر والحبل دارت بجسمها بالبحر المحيط إلى أن اجتمع رأسها بذنبها فوقفنا ...))[4].

---

[1] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ص: 473 .
[2] أنظر مثلا: الموسوعة العربية العالمية، مادة: المحيط .
[3] ابن عربي: الفتوحات المكية : الباب الثلاثون والثلاثمائة في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر من الحضرة المحمدية.
[4] ابن عربي: الفتوحات المكية : الباب السادس والتسون ومائتان: في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة من الحضرة الموسوية.

نفس الخطأ وقع فيه الشيخان الصوفيان ابن عربي وصاحبه السدراني، فتابعا أبا يزيد البسطامي في القول بجبل قاف الخرافي . فقد سبق أن بينا بطلاق حكاية جبل قاف أصلا، وهما هنا أضافا الحية الخرافية التي تطوق الجبل الخرافي، فلاشك أنه لا وجود للجبل ولا للحية المحيطة به ، وقد زعم أنه رأى الجبل والحية معا، وسلّم عليها !!. وليس صحيحا أن البحر محيط بالأرض، فهذا كلام باطل، لأن البحر موجود بداخلها ، فهي أكبر منه بالضرورة. نعم الماء أكبر من اليابس لكن ليس أكبر من كوكب الأرض. ونفس هذا الخطأ وقع فيه أبو حامد الغزالي. فالقوم ينقلون عن بعضهم ويقعون في نفس الأخطاء. فأين حكاية المكاشفة، واليقين وعلم الباطن ؟؟. وأين حكاية أن السدراني الطيار الذي كان من المحمولين في السماء ورأى ما زعمه ؟؟!!.

والنموذج الثالث:: يقول عبد الكريم القشيري ((وإمَّا إن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق - إنْ حَقٌّ ما قالوا : إن الجنينَ يتَغَذَّى بدم الطمث . وإذا أخرجك من بطن أمك رَزَقَكَ))[1]. ويقول المفسر الصوفي ابن عجيبة : ((ونعمة الإمداد : ما يتغذّى به الجنين في بطن أمه من دم الحيض))[2].

وأقول: كلامهما هذا فيه خطأ علمي واضح يدل قطعا على بطلان حكاية علم الباطن والمكاشفة الذي يدعيه الصوفية ويتغنون به، ويشهد على بطلان حكاية عصمة الشيوخ وحفظ الله لهم في أحوالهم[3].

فالقشيري غير متأكد وإنما حكى القول بأن الجنين يتغذى بدم الطمث- الحيض- . وهذا غير مقبول منه، لأنه بحكم أنه ادعى بأن الصوفي له علم لدني، وباطني وكشفي وأن الشيخ معصوم يجب عليه أن يكون متيقنا ولا يشك ، فهذا يعني أنه لا يعرف الحقيقة.

وابن عجيبة نص على أن الجنين يتغذى من دم الحيض من دون أن يشك. وكلامهما غير صحيح، وباطل شرعا وعلما[4]. قالا به متابعة لفلسفة أرسطو[5]، لأن الثابت واقعا وعلما أن المرأة الحامل لا تحيض ،فمن أين يأتيها الطمث ؟؟!!. وحتى إذا فرضنا جدلا أنها تحيض فإن الجنين يتغذى

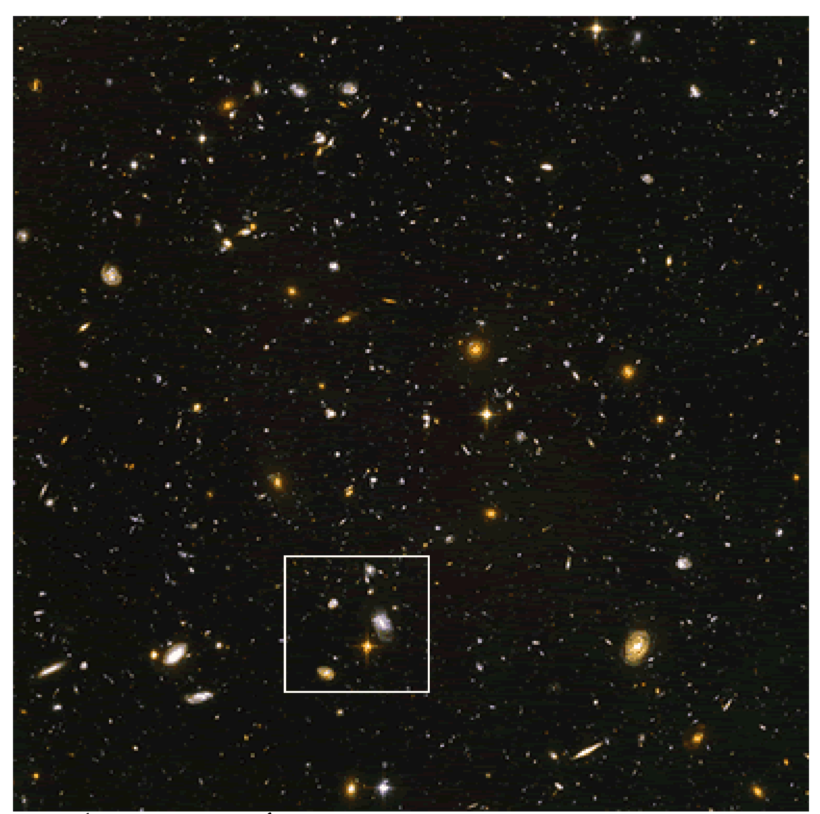
[1] القشيري: تفسير القشيري ، ج 6 ص: 186 .
[2] ابن عجيبة : البحر المديد، ج 6 ص: 240 .
[3] سبق أن ذكرنا أقوال الصوفية المتعلقة بالعصمة والفراسة في المبحث السابق من هذا الفصل.
[4] سنبين ذلك بعد عرض موقف الصوفي أبي حامد الغزالي.
[5] للوقوف على ذلك أنظر كتابنا: جنايات أرسطو في حق العقل والعلم ، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

من الحبل السري، ولا علاقة له بدم الحيض الفاسد الموجود في الرحم. وهل يُعقل أن يكون الدم الفاسد غذاءً للجنين ؟؟!!. ألم يتدبروا قوله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)(البقرة: 222)). فالحيض أذى ، ولا يكون الجماع إلا بعد تطهر النساء من هذا الأذى . والآية ذكرت الدم الذي هو أذى ، وطُهرين: طهر توقف الدم، وطهر الغُسل. وكل هذا شاهد على أن دم الحيض دم فاسد ومؤذٍ ولا يصلح أن يكون غذاء للجنين . فأين علم المكاشفة المزعوم الذي أعطى لشيوخ الصوفية معلومات غير صحيحة من جهة، ولم ينقذهم من الأخطاء التي أوقعهم فيها من جهة أخرى !! .

والنموذج الأخير- الرابع- مفاده أن ابن عربي قال: ((فأما السموات فنور ليس فيها ليل ولا نهار ومخرج الليل من كرة الأرض التي غرب عنها الشمس))[1].

قوله هذا غير صحيح قطعا، لأن الكون كله في ظلام ، والنجوم هي التي تظهر فيه سُرجا متوهجة في ظلام واسع جدا، وكذلك الكواكب التي تنعكس عليها أضواء النجوم تظهر منيرة. فالكون كله مُظلم وليس كما زعم الرجل. وعندما يرى الفلكيون في الفضاء بالمناظير يظهر ذلك لهم جليا كما هو مُبين في الصورة الآتية. والليل الذي نراه ليس مخرجه من الأرض كما قال ابن عربي، وإنما هو بسبب حركة الأرض حول نفسها ، فالقسم المقابل منها للشمس يكون نهارا، والقسم الآخر يكون ليلا . فأين حكاية المكاشفة، وعلم الباطن ومعرفة غيوب الكون وأسراره ؟؟.

[1] ابن عربي: الفتوحات المكية : الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سرّين من قبل الجمع والوجود.



صورة تمثل مشهدا من السماء بأجرامها ليلا[1]

وقال أيضا: ((والليل والنهار اللذين أحدثتهما حركة القلب أعني الشمس))[2]. وتعليله لتعاقب الليل والنهار غير صحيح، لأن السبب في ذلك ليس حركة الشمس الظاهرية ، وإنما هو حركة الأرض حول نفسها، وهذا أصبح من حقائق العلم الحديث . وأتوقف هنا عن نقل أخطاء ابن عربي العلمية فهي كثيرة جدا في كتابه الفتوحات المكية نقلها كما هي من كتب الأطباء والفلاسفة وعلماء الطبيعة، وأصبحت عنده من علم الكشف والباطن. وهي أدلة قطعية تُبطل مزاعم الغزالي وأمثاله من شيوخ الصوفية في قولهم بعلم المكاشفة وعلم اليقين والأسرار.

والشاهد الأخير- التاسع والعشرون- : مفاده أن الغزالي لما أثبت لشيوخ الصوفية - وهو منهم- علم المكاشفة ومعرفة غيوب الكون وأسراره قال أيضا: ((الاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير. وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى ، فلذلك لا تجد اختلافا وتضادا أصلا))[3]. وقوله هذا لا يصح لأنه سبق أن أوردنا أخطاء كثيرة وقع فيها الغزالي تشهد على مخالفة

---

[1] الصورة مأخوذة من الشبكة المعلوماتية .
[2] ابن عربي: الفتوحات المكية : الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة: في معرفة منزل سرّين من قبل الجمع والوجود.
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 345 .

علمه المزعوم للشرع والعقل والعلم. ولأنه أتضح أيضا أن الغزالي وشيوخ الصوفية وقعوا في أخطاء متشابهة ونقلوها عن بعضهم ولم ينتبهوا لها وهذا يتنافى مع علمهم المزعوم.

ومن جهة أخرى هم أنفسهم اختلفوا فيما بينهم وخطّؤوا بعضهم ولم ينقذهم علمهم المزعوم- المكاشفة -. من ذلك مثلا مخالفة محي الدين بن عربي لأبي أبي حامد الغزالي وتخطئته وتجهيله صراحة، فقال : ((وليس لأبي حامد الغزالي عند نازلة بحمد الله أكبر من هذه فإنه تكلم في ذات الله من حيث النظر الفكري في المضنون به على غير أهله وفي غيره ولذلك أخطأ في كل ما قاله وما أصاب ،وجاء أبو حامد وأمثاله في ذلك بأقصى غايات الجهل وبأبلغ مناقضة لما أعلمنا الله به من ذلك واحتاجوا لما أعطاهم الفكر خلاف ما وقع به الإعلام الإلهيّ إلى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على جانب إعلام الله عن نفسه ما ينبغي أن ينسب إليه تعالى فما رأيت أحداً وقف موقف أدب في ذلك إلا خاض فيه على عماية إلا القليل من أهل الله ...))[1]. فهذا شاهد قطعي على فساد ما زعمه الغزالي، وعلى بطلان حكاية علم المكاشفة الذي يتمتع به شيوخ الصوفية حسب ما زعم الرجل !!.

وأما إذا اعترض علينا بعض أهل العلم - فيما ذكرناه من أخطاء عليمة وقع فيها الغزالي- بأنه لا يصح انتقاده في ذلك لأنه لم يكن طبيبا ولا عالما من علماء الطبيعة ، وإنما كان ناقلا لما كتبه الأطباء وغيرهم ، فهم الذين يتحملونها وليس هو الذي يتحملها.

فأقول: هذا صحيح لون أن عالما غير صوفي وقع في تلك الأخطاء، لأنه كان مجرد ناقل وليس من أهل الاختصاص . لكن هذا لا يصح مع الغزالي والصوفية لأنه سبق أن ذكرنا أنه وصف نفسه وأصحابه بأهل العلم واليقين والمكاشفة ، وأن الكشف رفع عنهم الحجاب وعلموا غيوب الكون وأسراره، وعرفوا ذات الله وصفاته وأفعاله، وذوات الملائكة والشياطين، وذرات الكون. وبما أنه قال ذلك فلا يصح له أن ينقل عن غيره ، ولا أن يُخطئ فيما قاله ولا فيما نقله عنهم، لأن فعله ذلك هو نقض لعلمه المزعوم.وبما أنه نقل عنهم وأخطأ في قوله ونقله دلّ هذا قطعا على بطلان علمه المزعوم، وعلى أنه مسؤول فيما قاله ونقله ، ولا يصح الاعتذار له أبدا ، لأنه هو الذي جنى على نفسه ، وتعالم وتكبر بعلمه الزائف على غيره من أهل العلم، ولهذا يجب محاسبته حسابا عسيرا وعدم التسامح معه.

---

[1] ابن عربي : الفتوحات المكية، الباب الرابع والسبعون وثلثمائة: في معرفة منزل الرؤية وسوابق الأشياء .

وأما لماذا انتقدناه بعلوم عصرنا ، فهذا أمر بديهي ومشروع، ولا بد منه، ولا يتناقض مع الشرع ولا مع العقل ، ولا مع العلم لأنه أولا إنه من الثابت تاريخيا وحاضرا أن علماء كل زمان نقدوا العلماء الذين سبقوهم بعلومهم التي كانت بين أيديهم.

وثانيا إن النقد يتم بالحقائق العلمية بغض النظر أكانت معروفة عند المتقدمين أم لا ، فمن حق الناقد أن يرد على مخالفيه بكل ما يستطيع من الحقائق والعلوم ولا يصح تقييده أو منعه من استخدام حقائق معينة.

وثالثا يجب أن نفرق بين تبيان الخطأ العلمي بحقائق العصر وبيّن تحميل القدماء مسؤولية أخطائهم. فإظهار الأخطاء واجب ومشروع ولا يصح الاعتراض عليه، لكن تحميل أصحابها مسؤولية أخطائهم تتوقف على نوع الخطأ، فإذا كان خطأ يُمكنه تجنبه، أو يستطيع أن يسأل عنه فهنا يتحمل مسؤولية ذلك ، وأما إن لم يكن في مقدوره تجنبه ولا السؤال عنه فهنا يُبرر موقفه وخطؤه . لكن هذا لا يرفع الخطأ ، ولا يمنع من نقده وإظهاره، بل هو مطلوب ولا يصح السكوت عنه .

وإنهاءً لهذا المبحث يتبين أن أبا حامد الغزالي ادعى علم غيوب الكون وأسراره بدعوى علم المكاشفة ورَفْع الحِجاب كغاية كبرى من غايات الدين الصوفي . لكنه لم يستطع إثباته شرعا ولا عقلا ولا علما ،رغم ممارسته لمختلف أنواع التضليل والتحريف انتصارا للتصوف وكشفه المزعوم. وقد أقمنا الأدلة الدامغة والقطعية من الوحي والعقل والعلم على بطلان قوله بخرافة الكشف وعلومه التي رفعته إلى مرتبة الإله، وبها مارس التضليل والتحريف والتغليط والتلبيس وتسلط بها على مخالفيه .

<u>ثانيا: التضليل والتحريف في موقف الغزالي من الأنبياء والأولياء:</u>

بعدما تكلم ابو حامد الغزالي عن المكاشفة ومعرفة أسرار الكون، وقرر ذلك في حق نفسه وأمثاله من شيوخ الصوفية مستخدما مختلف وسائل التضليل والتحريف أصر على أن ذلك تحقق للولي الصوفي بواسطة الإلهام الذي يُقابل الوحي عند الأنبياء. فهما عنده مصدران متساويان وطريقان إلى العلم الكشفي اليقيني، وبمعنى آخر فلكل من الولي والنبي نبوته، ولكل منهما مكانته. ولتقرير زعمه والدفاع عنه مارس التقية والتضليل والتحريف بكل

ما يستطيع. فما تفاصيل ذلك ؟، ولماذا سوى بين أولياء الصوفية والأنبياء ؟؟ ، وهل فضل الولي على النبي كما فعل بعض الصوفية ؟؟ ، وهل وُفق في ممارساته التضليلية والتحريفية ؟؟ . والشواهد الآتية تُجيب عن ذلك وتفصله :

أولها، يقول الغزالي: على الصوفي أن يستعد بالتصفية المجردة وإحضار((الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له ...))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح ، وفيه تضليل وتحريف مُتعمد للشرع، لأنه لا تصح التسوية بين الأنبياء وغيرهم من البشر في المكانة ولا في العلم.لأن النبي مُصطفى اختاره الله تعالى ليكون نبيا ،وعِلمه وحي إلهي مباشر، وهذا لا يصدق على الصوفية ولا على غيرهم من بني آدم . فعلم كل البشر من الصوفية وغيرهم مُكتسب بالتعلم، ولهذا قيل: إنما العلم بالتعلم . والاهتمام بالجانب الروحي رافد من روافد اكتساب العلم لكنه لا يكفي وحده أبدا ، وهناك علوم لا تكتسب به أصلا . والتعبد وحده لا يجعل صاحبه عالما مهما بالغ في التعبد، فإنه لن يصبح كذلك ولو أمضى حياته كلها في الخلوة والزهد والمجاهدات. وإلا لماذا علّم النبي-عليه الصلاة والسلام- أصحابه علوم الشرع وكانوا قمة في الزهد والعبادة بشهادة القرآن لهم بالإيمان والعمل الصالح. وإلا لماذا أمرهم بقراءة القرآن الكريم. وإلا لماذا حدد الله تعالى مهمة رسوله في التعليم والتزكية ولم يجعلها واحدة ، كما في قوله سبحانه: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2)). فلا التزكية تحل محل العلم ولا العكس ، وإن تداخلا فيما بينهما. كما أنه من الثابت أنه لا يوجد في علماء الصحابة من أصبح عالما بممارسته للعبادات فقط من دون أن يطلب العلم. فهذا لم يحدث، نعم وُجد فيهم من مال إلى الزهد أكثر من ميله إلى العلم، ومنهم من حدث له العكس، ومنهم من توسط في الأمرين . لكن ليس في الإسلام ولا في الواقع علم بلا تعلم .

[1] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 19 .

وليس صحيحا أن الأنبياء انكشف لهم الأمر "بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له". فهذا كلام باطل قطعا،وافتراء على التاريخ الصحيح، ومخالف للقرآن مخالفة صريحة. لأن الأنبياء لم ينالوا النبوة بالتعلم ولا بالمجاهدة ، وإنما الله تعالى هو الذي أصطفاهم بفضله ورحمته وحكمته، فالنبوة لا تُكتسب أبدا. قال سبحانه: ((وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ ،اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ)(الأنعام: 124))، و((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى: 52))، و ((وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: 113)).

فكلام الغزالي باطل قطعا وفيه تضليل وتحريف مُتعمد للشرع عندما سوى بين الأنبياء والأولياء وجعل النبوة اكتسابا لا اصطفاء ولا تكليفا من الله تعالى.وزعمه بأن أولياء الصوفية انكشفت لهم الأمور بالأنوار كالأنبياء، كلام باطل قطعا، وقد أقمنا الأدلة القطعية على فساد وبطلان زعمه هذا، وتبين أن هؤلاء الأولياء انتهى بهم تصوفهم إلى هدم الدين والعقل والعلم، ووقعوا في عشرات الأخطاء الشرعية والعلمية، فلو أكسبتهم مجاهداتهم العلم والنور كما زعم الغزالي ما كان حالهم كذلك ،وإنما الصحيح هي أنهم أغرقتهم في الأوهام والخرافات ،والهلوسات والتلبيسات الشيطانية !!.

ومن جهة أخرى لا يصح أبدا التسوية بين الأنبياء والأولياء في المرتبة كما فعل الغزالي، ولا بين الأولياء في دين الإسلام وبين الأولياء في الدين الصوفي، فأولياء الإسلام هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62 - 63)) ، فهم مؤمنون أتقياء لا أنبياء. وأما أولياء الصوفية فهم الذين خالفوا الشرع وعطلوه وعملوا على هدم الوحي والعقل والعلم، بما كانوا عليه من عقائد باطلة، وسلوكيات منحرفة حتى بلغ بهم الأمر إلى الاعتقاد بوحدة الوجود وغيرها من الضلالات كما بيناه في كتابنا هذا[1]. فهم ليسوا من

[1] توسعنا في انحرافات الصوفية عن الشرع ومخالفته له ، وهدمهم له وللعقل والعلم في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.

أولياء الإسلام، وإنما هم من أولياء الدين الصوفي،والغزالي أغفل هذا الفرق بين الفريقين لغاية في نفسه عن سبق إصرار وترصد.

والشاهد الثاني مفاده أن ابا حامد الغزالي عندما تكلم عن الروح ذكر أن العقل لا يدركها، لكنها تُدرك بنور أخر وأشرف من العقل هو نور يشرق في ((عالم النبوة والولاية ، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال))[1].

واضح من كلام الرجل أنه سوى بين نور النبوة و"نور الوَلاية الصوفية" في معرفة أسرار الكون منها سر الروح . فجعل كلا منهما له نور يُدرك به ذلك . ونور النبوة هو الوحي، و" نور الولاية الصوفية" المزعوم هو علم المكاشفة. فنحن هنا أمام نورين ، كل منهما ينتهي إلى نبوة خاصة به وتابعة إليه . وبما أن الله تعالى نفى أن يكون رسوله يعلم حقيقة الروح وأن أمرها عند الله وحده وقد ناقشنا هذا الأمر وبيناه في المبحث السابق، وبما أن الغزالي خالف ما قررته الآية وأصر على أن كلا من النبي والولي الصوفي يدركان سر الروح وغيرها ، فإن هذا يعني أن الغزالي سوى بينهما من جهة، لكن الحقيقة أنه جعل الولي الصوفي أفضل من النبي من جهة أخرى ، لأن الآية نفت عن النبي علمه للغيب ومعرفته بسر الروح، لكن الغزالي سبق أن ذكرنا أنه زعم أن الولي الصوفي يعلم غيوب الكون وأسراره ومنها سر الروح مادام الصوفي كان يعرف حتى ذات الله وذوات الملائكة الشياطين وذرات الكون حسب زعمه الذي أوردناه سابقا.

ومن جهة أخرى فإن حقيقة كلامه يتضمن تفضيل الولي الصوفي على النبي حتى من جهة التلقي، لأن نور النبوة يتم واسطة الملاك جبريل ، لكن " نور الوَلاية الصوفية" المزعومة يتم مباشرة من دون واسطة، فهو رفع للحجاب وانكشاف مباشر حسب زعم الغزالي. وهذا أفضل من دون شك، وبما أن كلامه يتضمن هذا الباطل فهو دليل دامغ على بطلان الوَلاية الصوفية" لا على صحتها .

ولاشك أن قول الغزالي بنور الوَلاية الصوفية باطل قطعا بدليل المعطيات الآتية: أولها إن الولاية الصوفية المزعومة هي نقض للختم النبوة بغض النظر عن أسمها ، لأن حقيقتها هي نبوة بل نبوات حسب عدد شيوخ

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 156، 157 .

الصوفية. وبما أن الله تعالى ختم النبوة، فالنبوة الصوفية المزعومة باطلة قطعا سواء سميناها وَلاية أو نبوة ، فالنتيجة واحدة .

والثاني إنه لا نور مع نور النبوة و لا فوقها ، لقوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(الحديد: 9)) ، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153)) ، فالظلمات وسُبل الشيطان كثيرة جدا، لكن نور الله وصراطه المستقيم واحد. ثم بعدما اكتمل الدين وخُتمت النبوة بقي نور الله وصراطه المستقيم واحدا مُتمثلا في كتابه وسنة نبيه الصحيحة . فلا نور ولا هداية خارج الكتاب والسنة. وكل ما خالفهما فهو من سبل الشيطان لا من صراط الله المستقيم. وهذا يعني أن " نور الولاية الصوفية " المزعوم ليس نورا وإنما هو ظلام ومن سبل الشيطان بدليل أنه أقمنا الأدلة القطعية على مخالفة التصوف لدين الإسلام أصولا وفروعا وغاية[1]، وممارسة الغزالي لمختلف أنواع التضليل والتحريف هي أدلة دامغة على صحة ما قلناه، وإلا ما حمّل نفسه كل ذلك .

والثالث: إن الشرع حدد معنى الولاية الصحيحة الشرعية بقوله تعالى: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62 - 63)). فهي ولاية عبودية لله تعالى بالتزام شرعه سبحانه قلبا وقالبا، وليست كنور النبوة، ولا فوقها ولا مزاحمة لها، ولا مساوية لها. ولهذا فإن ولاية الغزالي المزعومة ولاية باطلة ، وهي من الظلمات لا النور ((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(الحديد: 9)) .

والمعطى الرابع مفاده: بما أن كلام الغزالي في الوَلاية الصوفية يتضمن أنها أعظم من النبوة كما بيناه أعلاه، فإن هذا دليل دامغ على بطلان قوله، لأن الولاية الشرعية ليست نبوة، ولا هي أعظم منها، ولا تساويها.

والمعطى الأخير- الخامس- إن ما قاله الغزالي مجرد زعم من مزاعمه الكثيرة، ولا دليل صحيح يُثبته، وإنما هو مزاعم ودعاوى عريضة وطويلة لم يُقدم دليلا صحيحا على إثباته ومن ثم فلا قيمة له. بل ومما يثبت

[1] بينا ذلك في كتابنا هذا ، وفي : نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

بطلانه أنه قبل أن يتكلم عن الروح ويصرّح بزعمه السابق تكلم عن المعدة، والكبد، والطحال والمرارة، والقلب فوقع في أخطاء علمية كثيرة، سبق ذكر نماذج منها. فماذا يعني هذا ؟؟. إنه يعني أن الرجل كان يعد نفسه من أولياء الصوفية العارفين لهذا كان يتعزز ويتظاهر بالعلم الباطني، ثم يعود ويقول بأن علمه لا يصح أن يُفصح عنه لأنه من العلم المضنون به على غير أهله. لكنه مع ذلك وقع في تلك الأخطاء، فلو كان كما زعم ما أخطأ في ذلك . فإذا كان قد خاض في علم تجريبي موضوعي- علم الطب، والفلك والجغرافيا- ووقع في تلك الأخطاء العلمية، ولم يُجنبه علم المكاشفة الوقوع فيها، فلاشك أنه لن يكون قادرا على معرفة أسرار الروح ولا عالم الملكوت ، ولن يكون في درجة الأنبياء ولا أكثر ولا قريبا منهم.

والشاهد الثالث: يقول الغزالي: ((كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ يطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها))[1].

واضح من كلام الرجل أنه سوى بين الأنبياء والأولياء، وهذا لا يصح من دون شك ، وكلام مردود على صاحبه ، لأنه لا يصح التسوية بين مصدري النبوة والولاية الصوفية، الأول هو تكليم مباشر من الله تعالى للنبي فيتلقى منه الوحي، والثاني يتمثل في أحوال وأوهام وهلوسات وتلبيسات الصوفي التي تنتهي به إلى ضلالة وحدة الوجود كما سنبينه لاحقا- الفناء في الله -. فشتان بين المصدرين والمنهجين وغايات كل منهما . إنه لا مجال للمقارنة بين النبوة والولاية الصوفية ، ولهذا فمن الجريمة في حق الشرع والعقل والعلم التسوية بينهما في المصدر ولا في الغايات !!!!.

ومن مغالطات الرجل وتحريفاته وتضليلاته أنه هنا سوى بين الأنبياء وأولياء الصوفية في معرفة جانب من الأسرار الإلهية، لكنه قال هذا لغاية في نفسه ، لأنه سبق ان أوردنا موقفه من الصفات الإلهية وذكر صراحة أنها لا تُؤخذ من الشرع – كتابا وسنة- وإنما تُؤخذ من الكشف الصوفي، بمعنى أن الولي الصوفي يأخذ ذلك مباشرة من كشفه المزعوم لا من الوحي. وهذا نقض لكلامه السابق، وشاهد ضده على نقضه لختم النبوة، وعلى جعله للشرع وراء ظهره، وعلى تفضيله للولي الصوفي على النبي.

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 30 .

ومما يشهد على بطلان زعمه أيضا أن نظرة فاحصة للتصوف الذي شيده أولياء الصوفية، ومنهم الغزالي تُثبت قطعا أنه مخالف لدين الإسلام أصولا وفروعا وغاية ، بل وأنه هادم للدين والعقل والعلم[1]، مما يعني قطعا أن أولياء الصوفية لا يُمكن أن يكونوا من أولياء الله ، ولا أنهم في درجة الأنبياء، ولا أقل ولا أفضل منهم ، وأن كشوفهم وعلومهم المزعومة ليست علوما ولا أفكارا صحيحة، وإنما الغالب عليها أنها أوهام وظنون وهلوسات، وتلبيسات نفسية وشيطانية.

والشاهد الرابع: ذكر الغزالي أن أرباب القلوب- أولياء الصوفية- يُكاشفون بأسرار الملكوت- غيوب الكون وأسراره - ،ثم قال:((ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية))[2].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف للشرع، ومعنى كلامه أن الأولياء- شيوخ الصوفية- يعلمون غيب السموات والأرض- أسرار الملكوت – وهذا زعم باطل شرعا وواقعا بدليل أحوال وأقول الصوفية أنفسهم ومنهم الغزالي. لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وحتى الأنبياء لا يعلمونه، وغير الأنبياء لا يعلمون الغيب قطعا ومنهم أولياء الصوفية، فهم بشر كغيرهم وعلمهم الباطني المزعوم سبق أن بينا زيفه، وأقمنا الأدلة الدامغة على بطلانه بما أوردناه من كثرة أخطائهم وانحرافاتهم الشرعية والعلمية.

ولا تصح التسوية أبدا بين الأنبياء وأولياء الصوفية، فالنبي يتلقى الوحي مباشرة من عند الله تعالى ، وهو معصوم ، والولي الصوفي كغيره من البشر يتلقى العلوم بالحواس والعقل والقلب والتجارب ، وهي كلها وسائل نسبية مهما كان صاحبها عالما ، أو تقيا ، أو عابدا ، أو صوفيا، فإنه لن يصبح معصوما، ولا عالما للغيب، ولا مساويا للأنبياء ولا أفضل منهم، ولا قريبا منهم .

وليس صحيحا أن الولي يعلم الغيب ، فإن الولي الشرعي لا يعلم الغيب أبدا لقوله سبحانه: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ

[1] ذلك أمر ثابت قطعا بما ذكرته في كتابنا هذا، وفي كتاب: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 82 .

آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62 - 63))، و((وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)(الأنفال : 34)). ولهذا فإن الولي الصوفي ليس من أولياء الله تعالى، لأنه لم يتصف بصفات الوَلاية الشرعية، وقال بما يُخالف الشرع في ادعائه لعلم الغيب والعصمة. فالولي الصوفي ليس وليا لله تعالى، وإنما هو ولي زائف لبّست عليه هلوساته وتلبيساته أحواله وأفكاره ووقع ضحية لها . وبذلك يتبين أن حكم الغزالي باطل ولا يصح قوله ، لأنه تضمن نقض ختم النبوة، وجعل شيوخ الصوفية كلهم أنبياء. ولهذا فإن الصحيح ليس قول الغزالي: ((ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية))[1]، وإنما الصحيح هو أن من قال بقوله لزمه نقض ختم النبوة، ولزمه الإيمان بأن أولياء الصوفية كلهم أنبياء، ولزمه تعطيل دين الإسلام ، ولزمه هدم الوحي والعقل والعلم، ولزمه الاعتقاد بدين قائم بذاته هو الدين الصوفي !!.

والشاهد الخامس: يقول الغزالي :((ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا))[2].

وأقول: أولا إن الصحيح هو أن الوحي أنواع وليس درجات، فمن ناحية المعنى العام الوحي لا يخص الأنبياء فقط، فقد يُطلق على غيرهم من المخلوقات. كقوله تعالى: ((وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)(النحل: 68)). وهذا وحي إلهام وجبلة وسليقة وتسخير. وقوله تعالى: ((فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)(فصلت: 12)). وهذا وحي أمر . وقوله تعالى: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)(القصص: 7)). وهذا وحي إلهام خاص بأم موسى، وليس بوحي نبوة ، ولا يحق لأحد غيرها أن يدعيه ، إلا بدليل من الله تعالى ، وبما أن الوحي توقف بختم النبوة فلا يحق لأحد ان يدعيه، ولا يصح تصديق من يدعيه .

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 82 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 88 .

وأما معناه الخاص، فهو متعلق بالنبوة فقط، وهو أيضا أنواع وليس درجات ، بدليل قوله تعالى:((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى: 51)). وهذا الوحي لا يُكتسب ، ولا يُورث، ولا يُتعلم ، وإنما هو اصطفاء وتكليف من الله تعالى لمن يختاره نبيا. وهذا قد توقف وخُتم بخاتم الأنبياء محمد –عليه الصلاة والسلام- ، قال تعالى: ((مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)(الأحزاب: 40)). ولهذا فكل من يدعى النبوة باسم الإمامة ، أو الوَلاية، أو المعرفة، أو علم المكاشفة ، أو علم الباطن، أو أنه قريب من النبوة ، أو أرقى منها ، فهو كذاب، و ضال مُضل، ومُحرف للشرع من حيث يدري أو لا يدري.

وصحيح أن معرفة أنواع النبوة نظريا لا يعني معرفتها ذوقيا ، ولا بلوغها فعلياً . ولا يعني أن معرفتها تجعل صاحبها نبيا . فهذا لن يحدث، لأن النبوة اصطفاء من الله، وهو الذي عرفنا بصفاتها ، لكن هذا لا يعني أن المسلمين أصبحوا أنبياء بمعرفتهم لها نظريا، وبمطالعتهم لسيرة نبيهم.

لكن المثالين اللذين ذكرهما الغزالي هما صحيحان فيما يتعلق بغير الأنبياء، لكنهما لا يصحان ضربهما مثالين للنبوة. لأن الطبيب المريض الذي يعرف أنواع الصحة وصفاتها ، يُمكن أن يُشفى ويصبح يحس بالصحة ويتذوقها بعدما كما يعرفها نظريا. ونفس الأمر ينطبق على العالم الفاسق فيمكن أن يتوب ويصبح عدلا ويتصف بالعدالة حقا وممارسة. وكذلك لمن يعرف صفات أولياء الله وهو ليس منهم، فيُمكن لأي مسلم أن يصبح وليا لله حقا وفعلا ويسبق كثيرا من الأولياء الذين كانوا قبله. يتحقق له ذلك بتوبته وإخلاصه والتزامه بالشرع . لكن هذا لا ينطبق على النبوة أبدا ، فلا يُمكن لمن يعرف أنواع الوحي وخصائص النبوة أن يصبح نبيا أبدا .ولن يصبح نبيا إلا من أختاره الله وأكرمه بالنبوة. ولهذا لا يصح ما فعله الغزالي عندما جمع بين النبوة والولاية بقوله: ((فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا))[1]. كلامه هذا مشبوه، وفيه تضليل وتحريف، وتضمن التسوية بين النبوة والولاية، وهو

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 88 .

مدخل يتسرب منه الصوفية لتحقيق غايات في نفوسهم من جهة، وهو تطبيق عملي للتقية وازدواجية الخطاب من جهة أخرى.

والشاهد: السادس: يقول الغزالي : ((وإخفاء سر الروح وكف رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ عن بيانه من هذا القسم . فإن حقيقته بما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه .ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله ـ صلى الله عليه و سلم- فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه. فكيف يعرف ربه سبحانه؟ . ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه))[1]. و لم ((يأذن له الله تعالى لرسوله-صلى الله عليه وسلم- أن يتحدث عنه، بل أمره أن يُخاطب الناس على قدر عقولهم ،ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ...))[2].

وأقول: قوله هذا غير صحيح، وفيه تضليل وتحريف وتلاعب، لأنه أولا إن القول بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- كان يعرف سر الروح، وأن آية الروح لم تنف عنه معرفته ، هو قول غير صحيح، وقد سبق أن ناقشناه وبيناه في المبحث السابق فلا نعيده هنا .

وأما قوله: ((وإخفاء سر الروح وكف رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ عن بيانه من هذا القسم . فإن حقيقته بما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه)) . فهو لا يصح، لأنه تعليل لا يصلح ، وترده آية الروح، فالله تعالى قال: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)(الإسراء: 85)). ولم يقل ما ذكره الغزالي تعليلا لموقفه. فأمر الروح استأثر الله تعالى به بمشيئته وحكمته ، لكن هذا لا يعني أن الإنسان يكل فهمه عن درك الروح، وتقصر أوهامه عن تصوّر كنهه. فتعليل الرجل ضعيف جدا، ولم يذكر دليلا يُثبته .

بل إن الغزالي نقض تعليله، فبعدما لف ودار عاد وقال: ((ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه))[3]. فإذا كان أمر الروح يكل

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 101 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 101 .
[3] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 101 .

فهم الإنسان عن دركه ، وتقصر أوهامه عن تصوّر كنهه ، فإن هذا ينطبق على كل البشر، ولا يصح استثناء ولا واحد منهم. وبما أنه استثنى بعضهم دلّ هذا على أن التعليل الذي ذكره لا يصلح تعليلا لموقفه السابق.

وثانيا إن الرجل تعمد الخلط بين الروح والنفس وجعلهما أمرا واحدا لغاية في نفسه، عندما قال: "فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه. فكيف يعرف ربه سبحانه؟ " . مع أن السؤال واضح بأنه يتعلق بالروح ، وليس بالنفس- تتكون عندما يتم نفخ الروح ويُخلق الإنسان بصفاته المادية والمعنوية- لأن كل الناس يعرفون أمورا كثيرة عن نفوسهم ، لكنهم لا يعرفون حقيقة الروح ، وهذه هي التي أستأثر الله تعالى بها. ولو كان السؤال يتعلق بنفوسنا ما سأله اليهود عنها ،لأنها معروفة لدى الناس. ولهذا لا يصح قول الغزالي: " فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه" . فكل إنسان يعرف جوانب كثيرة من نفسه مع اختلاف النسبة، لكن ولا واحد منهم يعرف حقيقة روحه، وهذا بدليل الواقع والآية السابقة التي نصت على أن الروح من أمر الله تعالى ، فالغزالي قرر ما يُخالف الآية صراحة .فمعرفة الروح ليست شرطا لمعرفة النفس، ولا لمعرفة الله. فلو كانت كذلك لبينها الله لنا لنعرفه ونفقه شريعته. ولا شك أن الصحابة عرفوا الله وعبدوه حق العبادة لكنهم مع ذلك فإن الآية نفت عنهم معرفتهم لسر الروح .

وأما لماذا تعمد الغزالي فعل ذلك ؟ فالجواب واضح من كلامه الأخير عندما قال: ((ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه))[1].فهو لما كان يريد الوصول إلى غايته التي كانت في نفسه مارس ذلك التأويل الفاسد ليصل إلى القول بأن من أولياء الصوفية من يعرف أيضا حقيقة الروح بفضل علم المكاشفة المزعوم !!. وزعمه هذا باطل، فالغزالي وأمثاله كانوا غارقين في الأخطاء الشرعية والعلمية إلى الأذقان كما بيناه في كتابنا هذا، فهل من هذا حاله يعرف سر الروح الذي استأثر الله به ؟؟!!.

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 101 .

والشاهد السابع: زعم الغزالي أن من أنكر طور –مرحلة- الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة، وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا" فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته "[1].

وقوله هذا فيه حق وباطل، وتضليل وتحريف، والذي يتعلق بالولاية ليس صحيحا وهو يقصد الولاية الصوفية لا والولاية الشرعية . والحقيقة هي أن النبوة اصطفاء وفضل من الله تعالى لمن يختاره نبيا من عباده، والولاية الشرعية هي إيمان بالنبوة والتزام بالشرع وليست هذه الولاية طورا تأتي بعد النبوة ولا قبلها، وإنما هي من آثار الإيمان بالنبوة وتقوى الله تعالى. ووجود النبوة لا يستلزم وجود الولاية الشرعية، لكن تحقق الولاية الشرعية يستلزم وجود النبوة قبل وجود الولاية الصحيحة.

وأما ولاية الغزالي- الولاية الصوفية- فهي ليست من الشرع أصلا، وإنما هي من غايات الدين الصوفي، يصل إليها الصوفي بعد اعتقاده بأصول التصوف وممارسته لعبادات الطريق الصوفي يصل في النهاية إلى مقام الولاية، والمعرفة، وبمعنى آخر يصل إلى مقام الفناء في الله- المكاشفة- حسب زعم الغزالي وأصحابه وفيها يصبح الصوفي ربا يعلم غيوب السموات والأرض وأسرارها، وهذا قد صرّح به الغزالي في بداية كتابه إحياء علوم الدين. ولهذا فإن الولاية الصوفية هي نقض للنبوة وهدم للشرع والعقل والعلم. ولهذا فإن من يؤمن بالولاية الصوفية هو الذي يلزمه إنكار النبوة، وليس من ينكرها. ومن يُؤمن بالنبوة يلزمه إنكار الولاية الصوفية خلاف ما أراد أن يُوهمنا به الغزالي ضمن ممارسته للتضليل والتحريف تطبيقا للتقية الصوفية.

والشاهد الثامن: مفاده أن الغزالي عندما تكلم عن العزلة الصوفية ورجالها ربطها بالولاية والنبوة، فقال :((ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة... ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد أن

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 170 .

تنتهي درجة بعض الأولياء إليه. فقد نقل عن الجنيد أنه قال: أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم.))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ، وفيه تضليل وتحريف، لأنه أولا إن كلام الغزالي تضمن الإشارة إلى أن العزلة التي مارسها النبي-عليه الصلاة والسلام- في غار حراء أكسبته وقوت فيه نور النبوة،وهذا زعم باطل قطعا لأنه من الثابت شرعا وتاريخا أن النبي- عليه الصلاة والسلام- ما طلب النبوة، ولا كان ينتظرها ، ولا اكتسبها بعزلته، وإنما الله تعالى هو الذي اصطفاه واجتباه واختاره خاتما للأنبياء من دون أي دخل من محمد- عليه الصلاة والسلام- ، قال سبحانه: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى: 52))، و((وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ)(القصص : 86))، و((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)(النساء: 163)). لكن الرجل مهد بكلامه ليصل إلى أن بعض أولياء الصوفية الذين يُمارسون الخلوة قد يصلون إلى ما يُشبه قوة النبوة ،وهنا يُرفع عنهم الحجاب الذي يُوصلهم إلى نبوتهم التي تفتح عليهم ملكوت السموات والأرض بدعوى علم المكاشفة حسب زعم الغزالي. وبما أن النبوة قد خُتمت وقول الغزالي ينقض ختمها، وأنه سبق أن بينا بطلان حكاية الولاية الصوفية والمكاشفة فإن هذا يعني بطلان قول الغزالي من أساسه.

علما بأن قول الجنيد الذي ذكره الغزالي: ((أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم.))[2]. هو قول كان عليه أن لا يورده أصلا لأنه كلام باطل، وإلا كان عليه أن يرد عليه ويُبين فساده. لكن الرجل أورده تأييدا لقوله بأن بعض أولياء الصوفية قد يكتسبون ما يُشبه قوة النبوة بالخلوة. وقول الجنيد باطل قطعا، فإن صح أنه قاله فهو مرفوض ومردود عليه ، ولا يصح أن يقوله مسلم. لأن الله تعالى لا يُكلم إلا أنبياءه ، لقوله سبحانه وأما غير الأنبياء فلن يستطيع منهم إنسان أن يُكلم الله مباشرة ولا

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .

دعاءً ولو بقي ألاف السنيين في خلوته. ولن يُكلم أحد الله تعالى إلا نبي أذن له الله أن يُكلمه ، كما حدث لإبراهيم وموسى- عليهما السلام- .

فَزْعم الجنيد بأنه كلم الله أربعين سنة كلام باطل شرعا، ولا يصح أن يقوله مسلم قصدا ولا مجازا، لكنه كلام يصدر عن الصوفي، لأن من غايات التصوف أن الصوفي أثناء ممارسته للطريق الصوفي، وعند بلوغه الفناء عن الخلق قد يحدث له اتصال بالله – فناء الأفعال، والصفات- قبل أن يصل إلى الفناء في الله، وهنا يصبح هذا الولي الصوفي هو الله، والله هو الصوفي، والكون كله عين الله، والله عين الكون، وهنا يتكلم الصوفي بالله ومن الله حسب زعم الصوفية في قولهم بخرافة وحدة الوجود[1].

والشاهد التاسع: يقول الغزالي: ((وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بكشف إلهي في أسرع وقت))[2].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ومخالف للشرع مخالفة صريحة، قاله الرجل لغاية في نفسه ليجعل الوَلاية الصوفية كالنبوة أو قريبة منها بدعوى الكشف. فليس صحيحا أن النبي ينكشف له ذلك، وإنما النبي يُوحى إليه، فالوحي ليس انكشافا وإنما هو تكليم من الله لنبيه، قال سبحانه : ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ-(الشورى: 51)) . والوحي لا يكشف للنبي كل شيء ، وإنما يكشف له ما يريد الله تعالى أن يُعلمه ويُخبره به. بدليل أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان ينتظر الوحي ويتوقف في أمور كثيرة طيلة نبوته. فلو أن الأمر كان كما زعم الغزالي ما حدث له ذلك. ولا شك أن الغزالي لا يخفى عنه ما قلناه ، لكن تصوفه وتعصبه له أبعده عن الحقيقة. والقرآن الكريم شاهد على أن النبي- عليه الصلاة والسلام- لم يكن يعلم الغيب لا كله ولا أكثره. وقوله سبحانه :((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (الإسراء : 85)) ، و((قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ-(الأحقاف: 9))، ولا ((وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ-(المدّثر: 31))، فهذه الآيات هي أدلة دامغة على أن النبي- عليه الصلاة والسلام- لم ينكشف له كل شيء،

[1] للتوسع في ذلك راجع كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 11 .

ولا أكثره. لكن الرجل مُصر على وصف الوحي- تكليم الله لنبيه- بأنه كشف لغاية في نفسه، وهذا يندرج ضمن ممارسته للتضليل والتحريف انتصارا للتصوف مع التستر بالإسلام .

والشاهد العاشر: يقول الغزالي : ((الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء، هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يتأتى من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وغير صحيح فيما يتعلق بالوَلاية الصوفية، لأنه يقوم على جعل مصدر تلقي العلم عند الأنبياء وأولياء الصوفية واحدا هو قلوبهم وهذا لا يصح، لأن الأنبياء مصدر علمهم هو الوحي وليس عالم الملك ولا الملكوت ولا من قلوبهم كما زعم الغزالي. فهم يتلقون الوحي من الله تعالى مباشرة:((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ)(النساء : 163))، و((وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ)(الرعد: 37))، فعلم الأنبياء من عند الله ، وليس من قلوبهم ولا من الملائكة ، ولا من الملكوت.

وأما أولياء الصوفية فهم بشر كغيرهم من بني آدم يأخذون العلم بحواسهم وعقولهم وقلوبهم ضمن حدود وقدرات بشريتهم ولن يتجاوزها، وعلومهم كلها نسبية وليست يقنية ، وإنما هي خليط من الحقائق والأباطيل والأوهام والهلوسات والتلبيسات. ولن تستطيع قلوبهم تجاوز حدود القدرات البشرية، فهي محكومة بها وعلومها تتلقاها بالتعلم والحواس التي هي عند كل الناس. والدليل القطعي على صحة ذلك هو كثرة أخطاء شيوخ الصوفية، إنهم كانوا غارقين في الأخطاء والانحرافات الشرعية والعقلية والتاريخية والعلمية إلى درجة كبيرة جدا حتى أن تصوفهم الذي شيدوه بعلومهم المزعومة تبين بالأدلة الدامغة أنه باطل بأصوله وفروعه وغاياته، وأنه هادم للوحي والعقل والعلم[2] !!!! . فلو كان علمهم صحيحا ،ومن مشكاة النبوة، ومن من غيوب الكون وأسراره ما كان ذلك حال تصوفهم!!، وبما أن حاله كما بيناه دلّ هذا قطعا على بطلان ما زعمه الغزالي ، وهذه النتيجة

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 28 .

[2] أثبتُ ذلك بعشرات الأدلة في كتابنا هذا، وفي : نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

هي نفسها التي بيناها في بداية المبحث السابق عندما أقمنا الدليل على فساد العلم الصوفي المزعوم ، وأنه ليس من العلوم الصحيحة.

والشاهد الحادي عشر: يقول الغزالي : ((وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء ولا تظنن أن معرفة النبي صلى الله عليه و سلم لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل - عليه السلام- بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي - صلى الله عليه و سلم- حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيهات فإن التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف ، وغير صحيح في معظمه، وتضمن تعريفين للولاية والنبوة غير صحيحين شرعا ولا علما . لأنه أولا لا يصح التسوية بين الأنبياء والأولياء أبدا ، ولا المقارنة بينهما. لأن الوحي خاص بالأنبياء، والأولياء في الشرع هم المؤمنون الأتقياء ،وهم غير مختصين بالإلهام، لأن الإلهام -كما سبق أن بيناه- يشمل كل الناس وجائز في حقهم وليس خاصا بالصوفية، وهو من وسائل المعرفة العادية والنسبية أيضا، ومن الخطأ مقارنته بالوحي أو تسويته به.

وثانيا إن الرجل جعل النبوة معرفة كالمعرفة الصوفية إشارة إلى أنها نوع من الكسب كما يكتسب الصوفي معرفته المزعومة بممارسته لعبادات الطريق الصوفي. وهذا مخالف للشرع لأن النبي- عليه الصلاة والسلام- لم يكتسب النبوة، ولا هو مقلد لجبريل- عليه السلام- وإنما هو يتلقى الوحي من ربه بواسطة جبريل ، فالله تعالى هو الذي علمه . فالوحي ليس كشفا، ولا تقليدا وإنما هو علم مباشر من الله تعالى. ولا يصح وصف الأنبياء بأنهم عارفون، لأن المعرفة تعني أن صاحبها كان جاهلا ثم بذل جهدا حتى أصبح عارفا بعد طلبه للمعرفة، لكن هذا لا يحدث للنبي ، لأنه يتلقى مباشرة من الله تعالى. ولهذا لم يسم الله تعالى الأنبياء بالعارفين ،ولا سمى النبوة معرفة .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 498 .

وليس صحيحا أن الأنبياء انكشفت لهم الأشياء كما هي فرأوها بالبصيرة الباطنة، فهذا قول الغزالي وأصحابه فيما يتعلق بحكاية المكاشفة المزعومة، وأما في الشرع فليس كذلك، لأن النبي لم ينكشف له ذلك، ولا علمه من الكشف، وإنما هو وحي من الله نزل عليه منجما، وقد ظل عليه الصلاة والسلام يتلقى الوحي طيلة مدة نبوته، وكثيرا ما كان ينتظر نزوله عليه في مواقف توقف فيها. فالوحي ليس كسبا ولا كشفا .

وواضح من كلام الغزالي أنه أراد أن يزيل الفارق الحاسم بين النبوة والوَلاية الصوفية بدعوى أن النبي لم تكن معرفته للآخرة وأمور الدين تقليدا لجبريل، مما يعني أن ذلك انكشف له كما يحدث للولي الصوفي حسب زعمه. وهذا باطل قطعا ، لأن جبريل وسيط وناقل أمين بين الله والنبي، فالنبي لا يقلد جبريل ولا يصح تسمية دوره تقليدا، وإنما يتلقى الوحي من الله بواسطته، قال سبحانه ((فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(القيامة: 18))، و((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)(طه: 114)). فلا مجال هنا للتقليد ولا للكشف الصوفي المزعوم.

وثالثا أنه لا تصح المقارنة بين دور جبريل كوسيط بين الله والنبي، وبين تلقي المؤمنين الدين من النبي-عليه الصلاة والسلام- . فهذه العلاقة لا يصح تسميتها تقليدا، لأن الصحابة والمؤمنين آمنوا به عن فهم ووعي ودليل ، وإلا أية فائدة من إنزال القرآن المعجز عليه ليكون برهانا على صدقه وصحة نبوته ؟؟، وأية فائدة من أمر الله لنا بالتدبر في كتابه ومخلوقاته ؟؟.

ومن جهة أخرى فإن الله تعالى لم يصف علاقتنا به وبنبيه بأنها تقليد، وإنما وصفها بالإتباع والاقتداء والتأسي . بدليل قوله تعالى: ((اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)(الأعراف: 3))، و((أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)(الأنعام: 90))، و((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(الأحزاب: 21)).

ثم أن الرجل زعم أيضا أن معرفة سر الروح هو من ((سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة ووَلاية ،ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء))[1].

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 498 .

وقوله هذا هو موقف صوفي وذاتي لا دليل عليه من الشرع ولا من العلم، ولم يذكر عليه دليلا يُثبته. وقد بناه على امر غير صحيح، هو زعمه بأن الولي الصوفي بفضل كشفه يعلم سر الروح وهذا كلام مخالف للشرع والواقع، لأن أمر الروح من أمر الله تعالى كما سبق أن بيناه. ولا يصح جعل الولي أفضل من النبي ولا مساويا له، ولا مزاحما له، ولا قريبا منه ، بل ولا تصح المقارنة بينهما أصلا. لأن الولي في دين الإسلام هو مؤمن صالح تقي، والولي الذي يتكلم عنه الغزالي فهو صوفي مخالف للشرع ومُعطل له، وهادم للوحي والعقل والعلم، ولهذا لا يُمكن أن تكون الوَلاية الصوفية صحيحة، ولا شرعية، ولا علمية. ونحن هنا لا نطيل للرد عليه وإبطال زعمه، لأن كثرة أخطاء شيوخ الصوفية- والغزالي منهم- الشرعية والعلمية والتاريخية هي أدلة قطعية على بطلان مزاعمه المتعلقة بالكشف وعلومه. لكن الرجل لا يمل من المقارنة بين الوَلاية الصوفية والنبوة والجمع بينهما لغاية في نفسه ، فهو يفعل ذلك عن سبق إصرار وترصد تطبيقا للتقية الصوفية وممارسة للتضليل والتحريف انتصارا للتصوف وردا على خصومه مع التستر بالإسلام!!!!، إنها الغاية تُبرر الوسيلة، إنها ازدواجية الخطاب وتعدده ، إنه الهدم والبناء: هدم الوحي والعقل والعلم ، وبناء التصوف وتشييده مع الحرص على تعطيل الشرع والتستر به !!!! .

ويجب أن لا يغيب عنا أن أولياء الله تعالى الحقيقيين هم كغيرهم من البشر يتلقون معارفهم من الشرع وبوسائلهم البشرية المحدودة ، ومهما كانوا اتقياء فوسائلهم تبقى نسبية و يتلقون العلوم بحواسهم ومن الشرع ، وما يتذوقونه بقلوبهم من أنوار إيمانية تساعدهم في حياتهم العادية لكنها تبقى نسبية ومحكومة بالشرع والعقل والعلم ولا يُمكنها أن تحل محل الوسائل المعرفية الأخرى . بدليل أن الصحابة –رضي الله عنهم- شهد لهم الشرع بالإيمان والعمل الصالح والوَلاية ودخول الجنة بالنسبة للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ،لكنهم مع ذلك ظلوا يتلقون العلم من الشرع وبحواسهم ، وكانوا يسألون بعضهم عن السنة النبوية ، ويتشاورون في أمورهم ، ويرد بعضهم على بعض في قضايا الفقه وغيره. ولهذا فإن حكاية الإلهام والكشف عند الصوفية ليست كما يزعمون ، فهي أمر نفسي نسبي كثيرا ما كان من أهواء النفس وتلبيسات الشياطين والدليل الدامغ على ذلك ما بيناه في كتابنا هذا من كثرة أخطاء الغزالي الشرعية والعلمية ، وممارسته للتضليل والتحريف بكل ما يستطيع. فلو كان كما وصف نفسه

وأصحابه بدعوى المكاشفة وعلومها ما كان ذلك حاله قطعا !! .فالرجل وأصحابه كانوا غارقين إلى الأذقان في الأخطاء والانحرافات ثم يزعمون أنهم أرباب القلوب والمكاشفة والعلم اليقيني !!!!، فأين حكاية الإلهام المزعوم الذي اختص به الصوفية ؟؟ !!!! .

ومن جهة أخرى لا تصح أبدا التسوية بين الأنبياء والأولياء في المرتبة كما فعل الغزالي، ولا بين الأولياء في دين الإسلام وبين الأولياء في الدين الصوفي، فأولياء الإسلام هم الذين وصفهم الشرع بأنهم من الذين آمنوا وكانوا يتقون. وأما أولياء الصوفية فهم الذين خالفوا الشرع ومارسوا عبادات الطريق الصوفي حتى بلغوا مقام الفناء في الله – ضلالة وحدة الوجود- فهم ليسوا من أولياء الإسلام، وإنما هم من الذين عطلوا الشرع، وهدموا الوحي والعقل والعلم .

والشاهد الثاني عشر: يقول الغزالي : ((والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذى يشرق فى عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدى بها إلى ما لا يهتدى إليه بالعقل الذى يحصل به التكليف))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وغير صحيح في معظمه ، لأنه أولا جعل كلا من النبوة والوَلاية تحصلان بالمجاهدة – يقصد الصوفية طبعا- فعندما تكتمل يحصل نور النبوة والوَلاية حسب زعم الغزالي. وهذا باطل قطعا ، لأن النبوة لا تُكتسب وإنما هي فضل واختيار من الله تعالى لمن يختاره نبيا ، وتتحقق بالوحي، وقد خَتم سبحانه النبوة بمحمد –عليه الصلاة والسلام- .لكن الوَلاية الشرعية- لا الصوفية- لا تحصل بالوحي، وإنما هي مُكتسبة يكتسبها المؤمن بإيمانه وإخلاصه وصدقه والتزامه بشريعة الله تعالى . فهي تحصل بذلك ولا تحصل بالمجاهدة الصوفية أبدا . وأما ما يحدث للصوفي بالمجاهدة الصوفية فهي وَلاية صوفية لا شرعية، لأنها قامت أساسا على مخالفة الشرع وتعطيله وهدمه في النهاية، لكن الغزالي يلف ويُغالط وألحق الولاية الصوفية بالشرعية لغاية في نفسه[2].

وثانيا إن النور الذي يشرق على النبي هو نور الوحي الإلهي، قال سبحانه: ((قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)(المائدة : 15))، و((وَكَذَلِكَ

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 148 .
[2] أثبتنا ذلك بالأدلة الدامغة والقطعية في كتابنا نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف . وأثبتنا جانبا من ذلك أيضا في كتابنا هذا.

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى: 52)). وهذا النور لن يناله أحد إلا النبي. وأما نور الوَلاية الشرعية، فهو نور المسلم المؤمن التقي ، قال سبحانه: ((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) و((وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40))، و((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122))، . وأما نور الوِلاية الصوفية المزعوم فهو ليس نورا صحيحا، وإنما هو نور زائف وأوهام وهلوسات نفسية وتلبيسات شيطانية تنعكس على الصوفي عند ممارسته لعبادات الطريق الصوفي المُجهدة والمُضنية من خلوة، وجوع ، وعطش، وصمت، وسهر.

والشاهد الأخير- الثالث عشر -: يقول الغزالي: ((نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة، وذلك هو الكبريت الأحمر، وأنى يتيسر))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح ، وفيه تضليل وتحريف، وهذا الرجل لا يمل من تكرار حكاية المكاشفة وعلومها، والتسوية بين الأنبياء والأولياء بدعوى المكاشفة ايضا . فعل ذلك عن قصد وسبق إصرار وترصد لغايات في نفسه يريد تحقيقها. أهمها هو أن كلام الرجل من البداية تضمن الحديث عن دينين، هما: التصوف والإسلام ، وتضمن أيضا الحديث عن نبوتين: نبوة الإسلام ، ونبوة التصوف ، الأولى مثّلها الأنبياء، وخاتمهم محمد-عليه الصلاة والسلام- ، والثانية مثّلها أولياء الصوفية ولا خاتم لهم ، والجميع يصبحون أربابا عندما يصلون إلى مقام وحدة الوجود كما سنبينه في الفصل الرابع .

وتضمن كلامه أيضا التسوية بين الأنبياء وأولياء التصوف في مصدر التلقي ووسيلته، إن الجميع يتلقون بالمكاشفة ومن الله النبي بواسطة المَلَك ، والولي الصوفي بواسطة الإلهام. والنتيجة واحدة هي أن كلا منهما تشرق عليه أنوار المكاشفة، وبها يعلم الأنبياء وأولياء الصوفية غيوب الكون وأسراره حسب زعم الغزالي. وكلامنا هذا مُتضمن في قوله السابق

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 240 .

والأقوال الأخرى، لكنه هنا سبق الوَلاية الصوفية على النبوة بقوله: ((عالم الولاية والنبوة، وذلك هو الكبريت الأحمر، وأنى يتيسر))[1]. وهذا ليس خطأ، بل هو من ضروريات غايات التصوف ، لكن بعض الصوفية صرّحوا بذلك، وبعضهم أخفاه ولمح إليه بالإشارات لا بالعبارات الواضحة، وأما الغزالي فقد جمع بين الأمرين كما بيناه في هذا المبحث تطبيقا للتقية وممارسة للتضليل والتحريف[2].

وأما قوله السابق فباطل قطعا، لأن النبوة ليست من المكاشفة المزعومة وإنما هي وحي من الله تعالى لمن اصطفاه نبيا. وأما الولاية الشرعية فليست من نور المكاشفة ولا من نور النبوة، وإنما هي من نور الإيمان والتقوى التزاما بشريعة الله تعالى: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62 - 63)) . وأما الولاية الصوفية فكشفها المزعوم ليس نورا ولا شرعيا ، وإنما هو ثمرة مرة وزائفة ، مغشوشة وفاسدة من آثار التصوف نتيجة ممارسة الصوفي لعبادات الطريق الصوفي التي انتهت به إلى الفناء في الله- وحدة الوجود- الذي هو هدم للوحي والعقل والعلم.

وإتماما لموقف أبي حامد الغزالي من الأنبياء وأولياء الصوفية أورد هنا رأي الصوفي محي الدين بن عربي من الموضوع وموقفه مما قاله الغزالي، فقال: ((وأما من قال من أصحابنا وذهب إليه كالإمام أبي حامد الغزالي وغيره بأن الفرق بين الولي والنبي نزول الملك فإن الولي ملهم والنبي ينزل عليه الملك مع كونه في أمور يكون ملهماً فإنه جامع بين الولاية والنبوة فهذا غلط عندنا من القائلين به ودليل على عدم ذوق القائلين به وإنما الفرقان إنما هو فيما ينزل به الملك لا في نزول الملك فالذي ينزل به الملك على الرسول والنبي خلاف الذي ينزل به الملك على الولي التابع فإن الملك قد ينزل عل الولي التابع بالإتباع بإفهام ما جاء به النبي مما لم يتحقق هذا الولي بالعلم به وإن كان متأخراً عنه بالزمان أعني متأخراً عن زمان وجوده فقد ينزل عليه بتعريف صحة ما جاء به النبي وسقمه مما قد وضع عليه أو توهم أنه صحيح عنه أو ترك لضعف الراوي وهو صحيح في نفس الأمر وقد ينزل عليه الملك بالبشرى من الله بأنه من أهل السعادة والفوز والأمان كل ذلك في الحياة الدنيا فإن الله عز وجل يقول لهم البشرى

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 240 .
[2] عن تفضيل الصوفية الولي على النبي أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

فـي الحيـاة الـدنيا وقـال فـي أهـل الاسـتقامة القـائلين بربوبيـة الله أن الملائكـة تنـزل علـيهم قـال الله تعـالى: " إِنَّ الَّـذِينَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَـةُ أَلَّا تَخَـافُوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّـةِ الَّتِـي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ "- فصلت: 30- 31- "))[1].

وأقول: قولـه هذا فيـه تضليل وتحريـف، وغيـر صـحيح، ولا يختلـف فـي حقيقته عن قول الغزالي ،فكل منهما أثبت النبوة الصوفية للولـي الصـوفي، عند الغزالـي تتم بالإلهام وعند ابـن عربـي بواسطة نـزول الملَك، والنتيجـة واحدة هي أن للدين الصوفي أنبياء لا خاتم لهم هم أولياء الصوفية . وقولهما هذا باطل من دون شك ، لأنـه أولا إن موقف الغزالـي سبق أن بينـا فسـاده، وأمـا ابـن عربـي فإنـه تكلـم بـلا علـم ولـم يـذكر دلـيلا صـحيحا علـى زعمـه . وتفصيل ذلك هو أن المَلك الذي هو واسطة بين الله وعبده ينقل الـوحي من الله إلى نبيه، وبما أن النبوة قد خُتمت بمحمد- عليه الصلاة والسلام- فلا نبوة بعده، ولا مَلَك ينقل الوحي من الله إلـى نبـي ولا إلـى إنسـان آخـر. فقـول ابـن عربي بذلك هو دليل ضده على بطلان زعمه .

ولا يصح التسوية بين مَلَك الـوحي-جبريـل- الـذي هـو الواسطة بـين الله ونبيـه، وبـين الملائكـة القـائمين علـى كـل إنسـان لقولـه تعـالى: ((إِذْ يَتَلَقَّـى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْـهِ رَقِيـبٌ عَتِيدٌ (قــ :17- 18))، و((وَإِنَّ عَلَـيْكُمْ لَحَـافِظِينَ كِرَامـاً كَـاتِبِينَ يَعْلَمُـونَ مَـا تَفْعَلُـونَ)(الانفطـار:10 – 12))، ومـنهم تكـون الخـواطر والمنامـات الرحمانية مقابل خواطر ومنامات النفس والشيطان. فالملائكة المرافقون لنـا لا ينقلون إلينا وحي الله ، ولا اوامره ولا شريعته، ولا هذه مهمتهم ، ولهذا فمن يقول بذلك فقوله باطل قطعـا، وهو إمـا أنـه جاهل أو كـاذب ، أو أنـه لا يعي ما يقول، وهذا الذي قاله ابن عربي وتمسك به . فلا مجال للمقارنة بين مَلك الوحي والملائكة المرافقين لنا. وبما أن النبوة قد خُتمت فلا وجود لمَلك ينقل الوحي بين الله وعبد آخر بعد محمد-عليـه الصـلاة والسـلام- . فالرجـل قـال ذلـك مـن بـاب التضـليل والتحريـف والتلاعـب تطبيقـا للتقيـة وانتصـارا

---

[1] ابن عربي: الفتوحات المكية: الباب الرابع والستون ثلثمائة: في معرفة منزل سرّين من عرفهما نال الراحة في الدنيا والآخرة والغيرة الإلهية" .

للتصوف وتسترا بالإسلام ، فالرجل سائر على نفس منهج الغزالي الذي هو أيضا اتبع فيه سلفه الأول من الصوفية.

وثانيا ليس صحيحا أن الولي في الإسلام ينزل عليه المَلِك ، وإنما الولي هو المؤمن التقي لقوله تعالى: ((((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62 - 63))) . وأما ما ينزل على الولي الصوفي فليس مَلَكا وإنما هو أوهام وأباطيل ،وهلوسات وتلبيسات شيطانية بدليل أنها مخالفة للشرع ومعطلة له ، بل وهادمة للوحي والعقل والعلم. ولو كانت من المَلَك ما كانت كذلك قطعا. قال تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))، و((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (الشعراء:221- 223)).

وأما زعمه بأن المَلَك ينزل على الولي الصوفي ليُفهمه ويُعلمه فهذا زعم باطل أيضا ، لأن طريقة تعلم غير الأنبياء كالعلماء والأولياء وعامة أهل العلم لا يكون بنزول المَلَك عليهم ، وإنما يكون بالطرق المعروفة عند كل الناس قديما وحديثا، وبها علّم النبي- عليه الصلاة والسلام- صحابته الكرام ، وبها علموا هم أيضا التابعين. والتعلم يكون بالعقل والقلب والحواس ، والخواطر، والإلهام وكل هذه الوسائل نسبية محدودة لا تتجاوز قدرات الإنسان وليست خاصة بطائفة دون غيرها ، وكلها تجمع بين الخطأ والصواب، والصدق والكذب، كما سبق أن بيناه في ردنا على الغزالي عندما تكلمنا عن الخواطر والإلهامات. وكل ذلك لا يتم بنزول المَلَك ، وليس في الأمر نزول أصلا، والدليل القاطع على بطلان زعم ابن عربي هو كثرة أخطاء الصوفية الشرعية والتاريخية والعلمية ، منها أخطاء الغزالي وابن عربي الذي ملأ كتابه الفتوحات المكية بالأباطيل والخرافات والأخطاء الشرعية والعلمية[1]. فلو كان المَلَك ينزل عليه ما وقع هو وأصحابه في تلك الأخطاء التي كانوا غارقين فيها إلى الأذقان.

والحقيقة هي أن نبي الوحي لا ينزل إلا على النبي، والنبوة قد ختمت فلا نزول له بعد ذلك أبدا. وأما دور الملائكة في المنام واللمات فهذا أمر ثابت

[1] سبق أن ذكرنا نماذج من أخطاء ابن عربي العلمية، وتخطئته للغزالي هو دليل آخر على بطلان زعمه أيضا، لأن الغزالي هو نفسه ادعى علم المكاشفة، فلماذا اختلفا ؟؟.

يندرج ضمن الإلهام والخواطر. وهذا ليس نبوة ولا عصمة ولا علما بالغيب، ولا خاصا بالصوفية دون غيرهم فهو أمر عادي وطبيعي عند كل الناس ، ولن يجعل صاحبه نبيا ولا عالما ولا عبقريا، ولا عالما بالغيب.

وأما الآية التي احتج بها فلا علاقة لها بالنبوة ولا بنزول مَلَك الوحي، واحتجاجه بها لا يصح، لأن النبوة قد خُتمت ، ولأن الشريعة اكتملت وواجب علينا اتباعها، ولا وحي بعدها. ولهذا فقوله تعالى :((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)(فصلت: 30- 31)) لا يتعلق بنزول المَلَك بالوحي ولا بالعلم كما زعم ابن عربي، والآية ذكرت صراحة خلاف ما زعمه الرجل. بدليل الشواهد الآتية: أولها فهي واضحة بأن نزول الملائكة على المؤمنين لم يكن في الدنيا وإنما عند الموت ولهذا بشرتهم الملائكة بالجنة. وثانيا إن الملائكة بشروا المؤمنين بالجنة فقط ولم ينزلوا عليهم بوحي، ولا بعلم ، ولا بتشريع وهذا خلاف ما زعمه الرجل. وثالثا إن الآية ذكرت صراحة أن علاقة الملائكة بالمؤمنين في الدنيا كانت علاقة وَلاية ، بمعنى تأييد وحفظ بخواطرهم ولماتهم وإلهاماتهم إلى جانب لمات وإلهامات النفس والشيطان، فلم تكن علاقة نزول من الله إليهم ،ولا إنزال لهم بالوحي، أو التشريع، أو العلوم .

علما بأن الآيتين لا يتعلقان بالوَلاية الصوفية والولي الصوفي، وإنما يتعلقان بالوَلاية الشرعية وأهلها، ولهذا لا يصح استشهاد ابن عربي بها. لأن آية الأولى وصفت المؤمنين بأنهم :((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا))، وهذا لا ينطبق على الصوفية، فهم من أكثر الناس انحرافا عن الشرع وتعطيلا له، وتعالما عليه، بل وصل بهم الأمر إلى هدمه[1]. والآية الثانية ((نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)) وصفت العلاقة بين المؤمنين والملائكة بأنها علاقة وَلاية، بمعنى أنها الولاية الشرعية لا الصوفية. وصفات الولي الشرعي محددة في قوله تعالى: ((((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس: 62 - 63)). وهذا لا ينطبق على الولي الصوفي، لأن الولاية الصوفية مأخوذة من التصوف ومنضبطة به وليست مأخوذة من الشرع ولا هي مُلتزمة به.

[1] بينا ذلك في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف. وفي كتابنا هذا أيضا.

وبذلك يتبين أن كلا من الغزالي وابن عربي حرص على القول بنبوة الولي الصوفي وتسويته بالنبي باستخدام مختلف وسائل التضليل والتحريف والتأويل الفاسد انتصارا للتصوف مع التستر بالإسلام. قالا بذلك تمهيدا للقفز على النبوة فيما بعد بدعوى بلوغ الولي الصوفي الفناء في الله – وحدة الوجود- ، وفيها تنكشف له غيوب الكون وأسراره ويستشعر الربوبية والألوهية حسب زعم الصوفية. وزعمهما هذا باطل قطعا كما بيناه فيما يتعلق بالمكاشفة ونبوة الولي الصوفي، وبما سنذكره فيما يأتي من كتابنا هذا.

وأخيرا أقول: لماذا أصر الغزالي وأمثاله على التسوية بين أولياء الصوفية والأنبياء مع ان موقفهم هذه هو نقض لختم النبوة وقول بوجود نبوة صوفية وهدم لدين الإسلام ؟؟ !!.

إن السبب الحقيقي في قولهم بذلك هو أنهم لم يكونوا في صدد الكلام عن النبوة في الإسلام وختمها بنبيه محمد- عليه الصلاة والسلام- وإنما كانوا يتكلمون عن الولي في الدين الصوفي، فجعلوا أولياء الصوفية هم أنبياء التصوف ، ولهذا أصر الغزالي على موقفه وألح عليه مرارا في التسوية بين الولي الصوفي والنبي ، مع علمه بختم النبوة في الإسلام، وان الولي في الشرع يختلف تماما عن الولي في التصوف. لكنه مع هذا ظل متسترا بالإسلام ومُصرا على موقفه الذي هو نقض لختم النبوة ، وهدم للوحي وللعقل والعلم. وفعله هذا هو تطبيق عملي للتقية وازدواجية الخطاب. فالوَلاية الصوفية هي نبوة الدين الصوفي، وغايتها الكشف الموصل إلى ضلالة وحدة الوجود التي يتحقق بها المعاد الصوفي كما سنبينه في الفصل الرابع .

ثالثا: التضليل والتحريف في إبعاد الغزالي للفقهاء من علم التزكية:

شن أبو حامد الغزالي هجوما عنيفا على الفقهاء عامة وفقهاء عصره خاصة بدعوى أنهم من أهل الظاهر ولا معرفة لهم بالجوانب القلبية من الدين، وأنهم يُفسدون أكثر مما يُصلحون، لذا هاجمهم وقلل من شأنهم وعِلمهم ودعا إلى إبعادهم من الخوض في التزكية الروحية عامة والصوفية خاصة.

من ذلك أنه قال: ((فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة: الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام ،فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر. أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان ،وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال: "هلا شققت عن قلبه" للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا بأنه قال ذلك من خوف السيف، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة، ولكنه مثير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال ،وذلك في الدنيا .ولذلك قال صلى الله عليه و سلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم" جعل أثر ذلك في الدم والمال . وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه. وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه. وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته))[1].

وأقول: كلامه هذا فيه تضليل وتحريف ،وغير صحيح في أساسه قاله صاحبه لغاية في نفسه لتحجيم وتقزيم علم الفقه وأهله ، والتمهيد لجعل التصوف يتولى موضوع القلوب والتزكية الروحية بالطريقة الصوفية فيحتكرها الصوفية ويُسخرونها لخدمة تصوفهم وهدم ما يُخالفه. وكلامه هذا لا يصح لأنه أولا كان عليه أن يتكلم عن الفقه في دين الإسلام ، وأنه جزء من العبادة التي تجمع بين أعمال الجوارح والقلوب، والتي تقوم كلها على

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 18 .

الصدق وإخلاص النية لله تعالى.ويبين أن الفقه في الشرع هو فقه في الدين كله كما جاء عن النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))[1]، ولا يصح التفرقة بين القلب والنية وأعمال الجوارح فكلها مطلوب أن تكون بنية وإخلاص، ولا يُعزل عنها الفقيه ، فهو فقه في الدين كله . ثم بعد ذلك كان على الغزالي أن يُشير إلى أنه حدث انحراف عند أكثر الفقهاء في تركيزهم على أعمال الجوارح وإهمالهم ارتباط تلك الأعمال بالنية والإخلاص والأحوال القلبية. لكن الرجل هنا[2] أغفل هذا وهاجم الفقه وأهله وحدد لهم مجال عمل فقههم وحصرهم فيه ، ومنعهم من الخروج من الدائرة التي كانوا فيها وأحكمها هو عليهم . فالرجل فعل هذا عن قصد وسبق إصرار لغاية في نفسه، وهذا لا يصح شرعا ولا عقلا .

وثانيا ليس صحيحا أنه على الفقيه أن ينظر فيما يتعلق بالإسلام إلى اللسان فقط. فهذا باطل ، لأن الفقيه في الإسلام يجب أن يعلم أن الإيمان والإسلام يقومان على القلب أولا ، ولهذا فعليه أن يُبين ذلك للناس. لأن الفقيه مطالب شرعا بأن يفهم ويأخذ بقوله تعالى: ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الحجرات: 14))، و((يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)(آل عمران: 167))،((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)(الحج: 46))، وعن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ((إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم و أموالكم و لكن إنما ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم))[3] . فيجب على الفقيه أن يقوم بذلك، ويُبينه للمسلمين، ولا يحق لأحد أن يحصر مجال الفقيه فيما قاله الغزالي.

وثالثا لا يصح القول بأن القلب خارج عن ولاية الفقيه بدعوى أن النبي- عليه الصلاة والسلام- عزله عنه لقوله : ((هلا شققت عن قلبه))[4]. لا

---

[1] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 1 ص: 43 ، رقم: 180 .

[2] لاحظ قلتُ هنا ، لأن الرجل سيذكر ذلك في موضع آخر من الإحياء، ذكره في سياق آخر. وهو هنا أغفله لغاية في نفسه. ولهذا فنقدنا له هنا يتعلق بما نحن فيه .

[3] الألباني: صحيح الجامع الصفير ، ج 1 ص: 173 ، رقم: 1862 .

[4] الحديث عند مسلم وغيره ، وتمامه ((عن أسامة بن زيد ...قال بعثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله. فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى -صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :« أقال لا إله إلا الله وقتلته ». قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح. قال « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ». فمازال يكررها على حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ ...)) . صحيح مسلم ، ج 1 ص: 167 ، رقم: 287 .

يصح لأن هذه الحادثة مرتبطة بظروفها ، وليست عامة ولا تشمل كل أعمال القلوب. وهي مطلوب الأخذ بها على الفقيه وغيره، لأنه حكم شرعي في مكانه الصحيح، بل إنها بذاتها تفتح مجالا للفقيه أن يتكلم فيها من الناحية القلبية، فيتساءل مثلا: لماذا أمرنا بالأخذ بها ؟، ولماذا فعلها صاحبها ؟؟ ، وهل هي من النفاق أو من الخوف ؟؟. كما أن التعامل مع الناس على ظاهرهم لا يعني أنه على الفقيه أن يهمل الإخلاص والنية، بل عليه أن يبين لهم ويعلمهم أن الصدق وإخلاص النية هما اساس التعامل مع الله تعالى والالتزام بشريعته في الواقع، قال تعالى: ((طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ)(محمد : 21))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)(التوبة : 119)) . لأن من أهداف رسالة الإسلام تعليم الناس وتزكيتهم في الدنيا قبل الآخرة، لقوله تعالى:((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة: 2)).

واهتمام الفقيه بالأحكام الظاهرة لا تمنعه من أن يتكلم في جوانبها القلبية والإيمانية، بل هو مُطالب بذلك ، فعندما يعلم الناس الحج عليه أن يركز على النية والتعظيم للشرع وشعائره لقوله تعالى: ((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج : 32)).وعندما يحثهم على تطبيق الشرع عليه أن ينبههم إلى أن الأصل هو النية والإخلاص وليست الأعمال الظاهرة وحدها،لقوله تعالى: ((إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً (الإنسان : 9)) ، ولقول النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه))[1] .

وأما الأحاديث التي ذكرها الغزالي فهي قررت أحكاما في مكانها الصحيح، وليست نفيا ولا منعا للفقيه من أن يتناول الإخلاص والنية والأحوال القلبية المرتبطة بتطبيق الشرع في كل جوانبه . بل هو مطالب بتبيانها وشرحها والحث عليها ، ولا يصح إخراج الفقيه من ذلك، لأن الأصل في الدين هو أنه على الفقيه أن يجمع بين فقه الجوارح والقلوب معا ، لأنه هذا واجب على كل مسلم، وهو أساس سعادته في الدنيا والآخرة.

---

[1] الألباني: صحيح أبي داود ، ج2 ص: 415 ، رقم: 1927 .

ورابعا ليس صحيحا قوله : ((وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال ، بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها ، وليس ذلك من الفقيه ...)). فهذا كلام فيه تلبيس وتضليل وإغفال مقصود لما هو معروف من الدين بالضرورة ، وهو أن الأحوال الإيمانية ، وسعادة الدنيا والآخرة لا تُنال إلا بطاعة الله تعالى قلبا وقالبا ، وان أعمال الجوارح توصل إلى تزكية القلوب كغيرها من أعمال الباطن التي تزكي القلوب أيضا . وهذا أمر يجب على الفقيه أن يهتم به ويبينه للناس بدليل قوله تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة : 103))، و ((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)(الحج: 32))، و((الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)(المؤمنون: 2))، و((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)(المؤمنون: 60)) . فهذه أعمال جوارح لكنها تزكي صاحبها وترزقه الأحوال الإيمانية وتسعده في الدنيا والآخرة. والذي لا يلتزم بالشرع قلبا وقالبا لن ينال السعادة القلبية الحقيقية في الدنيا ولا في الآخرة . فالذي يجمع الأموال الحلال ويُجاهد بها ويتصدق بها، وينفقها في سبيل الله ،ويخرج زكاتها فإنه ينال الدرجات العلى، وتزكيه وتطهره أمواله في الدنيا والآخرة، وليس الأمر كما زعم الغزالي الذي قزم دور الأموال وتغنى بأنوار القلوب وإخلاصها، فتلك الأحوال الربانية لا ينالها إلا الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وأما الأحوال التي يتغنى بها الصوفية في كسلهم وجوعهم وعزلتهم وعطشهم وسهرهم وطربهم ورقصهم ، ومخالفتهم للشرع فهي ليست أحوالا شرعية، ولا ربانية، ولا أنوارا حقيقية وإنما هي في الغالب ضلالات وخرافات وأباطيل، وأحوال نفسية وهلوسية وشيطانية[1].

وأخيرا –خامسا- إن منع الغزالي للفقيه من أن يتكلم عن الخشوع في الصلاة وإحضار القلوب فلا يصح ، لأن الفقيه في الإسلام هو فقيه الشريعة بكل جوانبها القلبية والعملية، ولا يحق لأحد أن يمنعه من أن يتكلم في كل ذلك ما دام عالما به، بل وعليه أن يعلم ذلك ويُبينه للناس. بدليل أن الله تعالى عندما ذكر صفات المؤمنين الظاهرة والخفية أوردها كلها في مكان واحد من دون تمييز لها بين ما يتعلق منها بأعمال الجوارح وما يتعلق منها بأعمال القلوب، منها قوله تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

[1] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ، والكتاب منشور إلكترونيا . .

مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (المؤمنون: 1 -11)).وهنا يحق للفقيه بل ويجب عليه أن يبين هذه الصفات وعلاقاتها بالإيمان والقلوب، وتأثيرها المتبادل. وعندما يُعلّم الناس عليه ومن حقه أن يبين لهم مكانة الخشوع وأهميته وأنه مطلوب في الصلاة، وبه تتحقق ثمرتها الكبرى. وعندما يتكلم عن الصلاة عليه أيضا أن يبين للمسلمين معنى قوله تعالى: ((اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)(العنكبوت: 45)). وهنا يجمع بين اعمال القلوب والجوارح ، ويُبين التأثير المتبادل بينها وأهميتها كلها ، وما تُحققه من عبودية لله تعالى لقوله سبحانه: ((ولذكر الله أكبر)). ولهذا فكلام الغزالي غير صحيح وهو إقصاء ومصادرة عن قصد لغاية في نفسه خطط لها سلفا يريد الوصول إليها ، تمكينا وانتصارا للتصوف وأهله . حتى أن الغزالي زعم أن تدخل الفقيه في أعمال القلوب هو من باب التطفل[1]. وهذا كلام باطل قطعا ، ويصدق على التصوف وأهله من دون شك، لأن التصوف هو المتطفل على الشرع والمُتستر به مع حرصه على تعطيله وهدمه، وأما الفقه فهو علم شرعي قلبا وقالبا. علما بأن التصوف هو دين قائم بذاته عُرف قديما باسم العرفان ، والإشراق ، والرهبانية، والتصوف عند المسلمين ، فأدخله الصوفية في دين الإسلام زورا وبهتانا[2].

وأما لماذا أصر الغزالي على إبعاد الفقهاء من الخوض في موضوع التزكية القلبية عامة والصوفية خاصة ؟؟. فأقول: لاشك أنه وُجد من الفقهاء من اهتم بظاهر العبادات وأهمل جانبها القلبي، وهذا سينعكس على فقههم أيضا فيغلب عليه الجفاف الروحي والمبالغة في الاهتمام بالظاهر من العبادات ، خاصة في عصر التقليد والتعصب المذهبيين زمن الغزالي وبعده. ومع أن الرجل قد أشار إلى جانب من ذلك ، إلا السبب الحقيقي في إبعاد الغزالي للفقهاء من الخوض في الجانب الروحي والقلبي وإصراره على إبعاده عنه ، هو أنه لما كان الصوفية بعيدين جدا عن الإسلام، وأقاموا تصوفهم على مخالفته وتعطيله بل وهدمه أصولا وفروعا وغاية[3]، فإن الغزالي وأمثاله أدركوا أن الفقهاء عامة والراسخين منهم خاصة هم من أقدر أهل العلم على الرد عليهم ونقض أصولهم، وكشف أباطيلهم

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 18 .
[2] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ، والكتاب منشور إلكترونيا .
[3] عن ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ،

وضلالاتهم . ولهذا شن عليهم الغزالي هجومه العنيف ، فقزّم مكانتهم ، وقلل من شأنهم وفائدة علمهم ، ووصفهم بأنهم من أهل الظاهر لا من أهل الحقائق.وبذلك يخلو الجو للصوفية وينفتح الطريق أمامهم للعبث بالشرع والعقل والعلم يفعلون ذلك بأحوالهم وأهوائهم وهلوساتهم وتلبيساتهم النفسية والشيطانية !!!!.

وختاما لهذا الفصل- الثاني- فقد تبين منه أولا إن الغزالي مارس التقية الصوفية بامتياز، وطبقها باستخدام مختلف وسائل التضليل والتحريف انتصارا للتصوف مع التستر بالإسلام. وقد توسع في ممارستها عندما تكلم عن المكاشفة وعلومها فرفع بها أولياء الصوفية إلى مرتبة الأنبياء، بل جاوزها وألحقهم بدرجة الألوهية والربوبية عندما زعم أنهم – وهو منهم- بالمكاشفة علموا غيوب الكون وأسراره، وعرفوا ذات الله وصفاته وأفعاله، وذوات الملائكة والشياطين وذرات الكون !!. فبينا بطلان كلامه هذا بالشواهد الشرعية والعقلية والعلمية ، وأنه من الجنون والغرور ، وليس من العلم في شيء، ولا يصح أن يقوله مسلم، ولا عاقل، ولا عالم .

وثانيا فقد اتضح أن العلم الصوفي المزعوم- المكاشفة وعلومها- هو علم زائف وفاسد وليس له أساس علمي موضوعي يقوم عليه ، وإنما هو علم مزعوم أقامه الغزالي وأصحابه على مخالفة الشرع والعلم ، وعلى عصيان بدائه العقول وحقائق الوحي والواقع، بدعوى علم المكاشفة والأنوار القلبية، لكن الحقيقة خلاف ذلك تماما. ،إنما هو علم مزعوم أقامه الصوفية على أحوالهم وهواجسهم ، وأوهامهم وخيالاتهم، وهلوساتهم وتلبيساتهم من جهة ، وأسسوه في غياب ميزان الشرع والعقل والعلم من جهة أخرى، لأنهم كانوا في حالة لا وعي، ولا شرع، ولا علم عندما انتهى بهم الطريق الصوفي إلى مقام الفناء في الله على حد قولهم .

وثالثا تبين أيضا أن حقيقة عمل الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين أنه قرر العلم الصوفي المزعوم- المكاشفة وعلومها- وانتصر له بكل ما يستطيع من طرق التضليل والتحريف، والتلاعب و التأويلات الفاسدة، فكانت نتيجة عمله هي هدم الوحي والعقل والعلم من جهة، ومحاولة اغتيال الإسلام من داخله من جهة أخرى، بعدما جعله رهينة للتصوف بدعوى علم المكاشفة الذي اختص به الغزالي وأصحابه حسب زعمه. وبذلك أصبح الإسلام عند الصوفية تحت كفالتهم ومنعوه من أن يكون قيما على نفسه من

ناحية، وأبعدوا علماءه الحقيقيين – علماء الشريعة- من أن يكونوا لسانه وحماته من ناحية أخرى.

وأخيرا - رابعا – فقد اتضح جليا أن الغزالي من بداية كتابه الإحياء إلى نهايته كان يتكلم بلسانين عن دينين: الأول الدين الصوفي وأنبياؤه أولياء الصوفية، والثاني دين الإسلام وأنبياؤه الذين أرسلهم الله تعالى. لكن أنبياء التصوف لا خاتم لهم وفي مقدور أي صوفي أن يصبح كذلك إن هو مارس عبادات الطريق الصوفي وبلغ نهاياته .وقد سوى الغزالي بين الأنبياء وأولياء التصوف ، بل وفضلهم عليهم أيضا، وقرن بينهم في الدعوة إلى الاقتداء بهم والتسليم عليهم بقوله: ((اقتداءً بالأنبياء والأولياء عليهم السلام))[1]. وبما أن الغزالي تكلم عن دينين بلسانين مختلفين، وأثبت لكل دين أنبياءه، وأنتصر للدين الصوفي بهدم الوحي والعقل والعلم مع التستر بالإسلام ، وبما أن الدين عند الله الإسلام ، فإن الدين الصوفي باطل قطعا، ولا مكانة له في دين الإسلام !!!!.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 294.

الفصل الثالث

التضليل والتحريف في تقرير أبي حامد الغزالي لأصول التصوف وعباداته

أولا: التضليل والتحريف في تقرير أصول التصوف:
ثانيا: التضليل والتحريف في تقرير عبادات الطريق الصوفي:

التضليل والتحريف في تقرير أبي حامد الغزالي
لأصول التصوف وعباداته

واصل أبو حامد الغزالي منهجه في تطبيق التقية الصوفية عندما تناول أصول التصوف وعبادات طريقه ، مارسها بتوسع باستخدام مختلف وسائل التضليل والتحريف عندما قرر مباحث وقضايا ومفاهيم أُسس التصوف وعباداته، فقررها وانتصر لها ودافع عنها مع مخالفتها للشرع والعقل والعلم . فعل ذلك انتصارا للتصوف ورداً على خصومه مع التستر بالإسلام والتظاهر به كما فعل من قبل عندما قرر علم المكاشفة المزعوم. فما تفاصيل ذلك ؟ ، ولماذا سمح لنفسه بممارسة التقية الصوفية بكل أشكالها انتصارا للتصوف على حساب الشرع والعقل والعلم ؟؟. وما تأثير قوله بالعلم الصوفي في تقريره لأصول التصوف وعباداته ؟ .

أولا: التضليل والتحريف في تقرير أصول التصوف:

يقوم التصوف على أربعة أصول أساسية هي : الحب الصوفي لله تعالى، وذم الدنيا ، والتوكل الصوفي على الله ، وعدم رغبة الصوفية في الجنة ولا خوفهم من النار. وعندما تكلم فيها أبو حامد الغزالي في إحيائه خاض فيها بنظرة صوفية تضليلية تحريفية انتصارا للتصوف على حساب الشرع والعقل مع التظاهر بهما .

فبالنسبة للأصل الأول: حب الله عند الغزالي والصوفية، فقد عبّر عنه بقوله: ((وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه ،وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته، وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو أدق ضرب المحبة و أعلاها))[1].

وقال أيضا : ((قال الثورى لرابعة –العدوية- ما حقيقة إيمانك ؟ قالت: ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا إليه وقالت في معنى المحبة نظما :

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 229 .

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وتفضيل للحب الصوفي على الحب الشرعي ، لأنه أولا كان عليه أن يُبين مفهوم حب الله في الشرع ويجعله ميزانا له يزن به أقوال الصوفية وغيرهم في موقفهم من حب الله تعالى، لكن الرجل أغفل ذلك وأشار إلى جانب من الحب الشرعي لكنه فضل عليه أعلى درجات الحب عند الصوفية هو محبة الله لذاته على أنواع المحبة الأخرى ، وهذا موقف غير صحيح ومخالف للشرع، وهو انتصار للتصوف من دون دليل صحيح. لأنه لا يُمكن أن يكون الحب الصوفي أعلى أنواع محبة الله تعالى. لأن أعلى أنواع المحبة هي المحبة الشرعية القائمة على حب الله طاعة له وإلتزاما بشريعته ، لأنه في هذه الحالة نكون قد أحببنا الله كما أراد هو منا، لا كما نريد نحن منه. والحالة التي فضلها الغزالي هي حالة فيها هوى ورعونة نفس ، لأن الذي يعبد الله لذاته معناه أنه عبده كما يريد العبد من الله لا طاعة لله، ولا كما أراد الله من عباده ، وهنا يكون الصوفي يحب هواه ، فَعَبد الله طلبا لجماله ولجلاله فهو يطلب الجمال والجلال لنفسه، وليس حبا وطاعة لِما أمرنا الله به. وهنا يكون الصوفي يعبد ويحب هواه بدلا من أن يعبد الله ويحبه كما أمرنا هو سبحانه. فالغزالي نسي أو تناسى أن حبه ليس حبا شرعيا ولا صحيحا ولا يتفق مع العقل، وإنما هو حب هوى وكسل ، وطمع وأنانية . فالصوفي لا يُحب الله طاعة لما أراده الله منا وإنما يحبه لما يريده هو من الله، فشتان بين الأمرين !! فمن يعبد الله لذاته فهو عابد لهواه وعاصٍ لمولاه، لأن الله تعالى أمرنا أن نحبه طاعة له والتزاما بشريعته لا أن نحبه طلبا لجماله ولما نريده نحن منه.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 310 – 311 .

علما بأن الشرع حدد الحب الذي أمرنا به الله تعالى ، وهو ينفي ولا يعترف بالحب الصوفي الذي فضله الغزالي. قال تعالى: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31))، و((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(المائدة: 54))، و((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ)(البقرة : 165)). فلا مكان للحب الإلهي الصوفي في دين الإسلام لأنه حب معطل للشرع ومتعالم عليه، بل وينتهي بأصحابه إلى الضلال والانحراف عن الشرع والعقل ، وهذا جانب من الجوانب التي حرص الصوفية على إخفائها وجعلها الغزالي من الأسرار التي لا يجوز إظهارها لغير أهلها.

وثانيا إن الغزالي وافق ما قالته رابعة العدوية ولم يُبين مخالفة قولها للشرع، بل وافقها على قولها ووجهه توجيها صوفيا انتهي إلى التأكيد على أن أعلى مراتب حب الله هو حبها لجماله وجلاله ولذاته. وهذا غير صحيح كما بيناه أعلاه. لأن المحب الصادق لله تعالى والمتشوق إليه سبحانه هو الذي يحرص على معرفة شريعة الله تعالى ليعرف منه سبحانه لماذا خلقنا ؟، وماذا فرض علينا ؟، وهل أمرنا بحبه ؟، وكيف نطيعه ونحبه ؟ . لكن الغزالي جعل كل ذلك وراء ظهره وقرر الحب الصوفي وفضّله على الحب الشرعي ، فضله بلا دليل شرعي ولا برهان صحيح من العقل ولا من الواقع. وعمله هذا يندرج ضمن ممارسته للتضليل والتحريف ، لأنه لو طلب الحقيقة من الشرع لعرفها ووصل إليها، لكنه طلبها من التصوف فانحرف عن الشرع وضلّ وأضل !! .

وأما قول رابعة العدوية : ((ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا إليه)) فلا يصح أيضا لأن الذي يعبد الله تعالى خوفا من ناره ورجاء وحبا في جنته ، وحبا له ولشريعته هو العبد المؤمن الحقيقي الطائع لخالقه، لأنه عبد الله كما أمره سبحانه وتعالى. فهو الذي أمرنا أن نخاف عذابه ، ونرجو جنته ، ونحبه هو ونبيه وشريعته

والمؤمنين أيضا. فمن هذا حاله ليس كالأجير السوء أبدا، ولا يجوز وصفه بذلك، فلا يصح شرعا ولا عقلا أن نصف من يطع الله تعالى طاعة وحبا وخوفا ورجاء بأنه كالأجير السوء. وإنما الحقيقة هي العكس فالذي يعبد الله على طريقة رابعة العدوية والغزالي وأمثالهما هو الذي كالأجير السوء لأنه عبد الله حسب هواه وطلبا لمصلحته من الله . فقال له: أنا لا أعبدكَ ولا أُحبك كما تريد أنت مني ، وإنما أنا أعبدك وأحبك كما أريد أنا منك !!!! . فشتان بين من يعبد خالقه طاعة له ، وبين من يعبده تحصيلا لهواه منه !!. فمن هو المحب الحقيقي لله ، أهو الطائع لله أم الطائع لهواه ؟؟ !! .

وأما بالنسبة للأصل الثاني: ذم الدنيا وتركها ، فمن كلام الغزالي فيها أنه قال: ((وربما يقول القائل: إن التنعم بالمباح مباح، فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز و جل ؟. وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة. والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا ،وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا ... وقال السري: أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزه في دبس فما أطعتها . فإذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تغليط وتلاعب، وتضليل وتحريف ، وغير صحيح في معظمه، لم يقرر فيه الموقف الشرعي من الدنيا وإنما قرر فيه موقف التصوف منها. لأنه أولا إن حب الدنيا ليس رأس كل خطيئة والحديث المروى ذلك : ((وحب الدنيا رأس كل خطيئة)) ، ضعيف ، وقيل موضوع[2]. وحبها ليس سبب إحباط كل حسنة، وإنما تكون كذلك إذا أحببنا الدنيا من أجل الدنيا، وأما إذا أحببناها الحب الشرعي فهو أمر مأمور به، وضروري، وسبب سعادتنا في الدنيا والآخرة. فنحبها لأننا نعبد الله فيها، ونطبق فيها شريعته، ونجاهد فيها في سبيله . ونحبها لأن الله تعالى هو الذي أمرنا أن نتدبر فيها، ونكتشف سننه فيها، وآياته في الآفاق والأنفس. ونحبها لأنه سبحانه هو الذي أحل لنا الطيبات وحثنا على التمتع بها، وحرم علينا الخبائث ونهانا عن الاقتراب منها. ونحبها لأن الله تعالى جعل لنا فيها أزواجنا وأولادنا وأمرنا بحبهم والسهر عليهم. ونحب تناول خيراتها وشهواتها الحلال لأن الله تعالى أمرنا بذلك.. لذلك فإن فحب الدنيا ليس

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 90 .

[2] الألباني: ضعيف الترغيب والترهيب ، ج 2 ص: 58 ، رقم: 1414 . و وسلسلة الأحاديث الضعيفة، ج 3 ص: 370، رقم: 1226.

حراما،بل هو مطلوب شرعا، وتناول شهواتها ومباحاتها وفق الشريعة هو من طريق الآخرة لا الدنيا ، وفيها أجر كبير لصاحبها، وهذا يهدم ما زعمه الرجل من أساسه !!.

فالغزالي ترك الشرع وراء ظهره وقرر ما يخالفه صراحة انتصارا للتصوف. واحتج برأيه وبقول للصوفي السري السقطي من دون أي حرج ولا قلق ، وكأن رأيه صحيح موافق للشريعة، مع أنه مخالف لها صراحة !! . وموقفه هذا هو نفس طريق الصوفية قديما وحديثا فعندما يجدون الشرع يُخالف الدين الصوفي، يجتهدون لتأويله بحثا عن وجه مُحتمل يندرج تحته موقفهم حتى وإن كان تأويلا تحريفيا مكشوفا، وأما إن عجزوا عن ممارسة تأويلهم تجاوزوا الشرع وجعلوه وراء ظهورهم وقرروا ما يقول التصوف وانتصروا له بكل ما يستطيعون .

وثانيا يجب أن نعلم أن الغزالي الذي خالف الموقف الشرعي من الدنيا انتصارا للتصوف بدعوى إصلاح النفس وإيثار طريق الآخرة، فإنه سيؤيد الصوفية الذين قالوا بأنهم لا يعبدون الله طمعا في جنته، ولا خوفا من ناره، وأنهم لا يرجون دنيا ولا آخرة !!. فأين الآخرة التي تظاهر بطلبها وذم الدنيا من أجلها ؟؟. فهل الغزالي وأصحابه يرجون معادا صوفيا لا شرعيا ؟؟ وهل القوم معادهم دنيوي لا أخروي ؟؟ هذا وغيره سيتبين لاحقا في الفصل الرابع بحول الله تعالى .

وثالثا إن قول الغزالي: ((فإذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات))[1]. فهو غير صحيح شرعا ، وإنما هو طريق الدين الصوفي لا الشرعي، لأن الثابت شرعا وتاريخا أن الشرع أحل لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث، وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته يتمتعون بالخيرات الحلال ويتنعمون بها، فإن لم يجدوا صبروا. وعندما فتح الله تعالى عليهم الدنيا وسعوا على أنفسهم وكثير منهم مات وترك من بعده أموالا طائلة كما سبق أن ذكرناه. ومع ذلك فقد كانوا مؤمنين أتقياء زكاهم الله تعالى وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 90 .

والشاهد الدامغ على عدم صحة قول الغزالي هو حال نبينا عليه الصلاة والسلام- مع الخيرات والطيبات ، فقد لخص ابن قيم الجوزية ما كان يأكله النبي-عليه الصلاة والسلام- فقال: ((وكذلك كان هديُه صلى الله عليه وسلم، وسيرتُه في الطعام، لا يردُّ موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، فما قُرِّبَ إليه شيءٌ من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافَه نفسُه، فيتركَه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قطُّ، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، كما ترك أكل الضَّبِّ لمَّا لَمْ يَعْتَدْهُ ولم يحرمه على الأمة، بل أُكِلَ على مائدته وهو ينظر. وأكل الحلوى والعسل، وكان يُحبهما، وأكل لحم الجزور، والضأن، والدجاج، ولحم الحُبارى، ولحم حِمار الوحش، والأرنب، وطعام البحر، وأكل الشواء، وأكل الرُّطبَ والتمرَ، وشرب اللبنَ خالصاً ومشوباً، والسويق، والعسل بالماء، وشرب نقيع التمر، وأكل الخَزيرَة، وهي حَسَاء يتخذ من اللبن والدقيق، وأكل القِثَّاء بالرُّطَبِ، وأكل الأَقِطَ، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد، وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة، وهى الودك، وهو الشحم المذاب، وأكل من الكَبِدِ المَشوِيَّةِ، وأكل القَدِيد، وأكلَ الدُّبَّاء المطبوخةَ، وكان يُحبُّها وأكلَ المسلُوقةَ، وأكلَ الثريدَ بالسَّمْنِ، وأكلَ الجُبنَ، وأكلَ الخبز بالزيت، وأكل البطيخ بالرُّطَبِ، وأكل التمر بِالزُّبْدِ، وكان يُحبه، ولم يكن يردُّ طَيِّباً، ولا يتكلفه. بل كان هديه أكلَ ما تيسر، فإن أعوزه، صَبَرَ حتى إنه ليربِطُ على بطنه الحجر من الجوع، ويُرى الهلالُ والهلالُ والهلالُ، ولا يُوقد في بيته نارٌ. وكان معظمُ مطعمه يوضع على الأرض في السُّفرة، وهي كانت مائدَته، وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعَقُها إذا فرغ، وهو أشرفُ ما يكون من الأكلة، فإن المتكبِّرَ يأكل بأصبع واحدة، والجَشِعُ الحريصُ يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة. وكان لا يأكل مُتكِئاً))[1].

وبذلك يتبين أن قول الغزالي غير صحيح ،وأن صلاح القلوب وطريق الآخرة لا يقوم على حرمان النفس من التمتع بالحلال والمباح كما زعم الرجل ، وإنما يقوم على الإيمان والإخلاص والعمل الصالح وطاعة الله سبحانه وتعالى والالتزام بشريعته قلبا وقالبا. لكن الغزالي لا ينسى تغليطه وتحريفه ، فبدعوى إصلاح القلب وطلب الآخرة قرر ما يُخالف الشرع انتصارا للتصوف مع التظاهر بالإسلام والتستر به. وهذا هو منهجه في كتابه إحياء علوم الدين ، لأنه كتبه بلسانين لا بلسان واحد تطبيقا للتقية الصوفية التي آمن بها وحث أصحابه على ممارستها كما بيناه في الفصل الأول .

[1] ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1986،ج 1 ص: 148 .

وأما بالنسبة للأصل الثالث في التصوف فهو: التوكل الصوفي وترك طلب الرزق والأخذ بالأسباب، قال فيه الغزالي: ((فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالى درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل ،ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح فى الشرع .والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل. وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق ،فأبصروا وتحققوا ،ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وغير صحيح في معظمه، وأمر التوكل ليس معقدا كما صوّره وضخمه. لأنه أولا لو أخذ مفهوم التوكل من الشرع ما أخطأ فيما قاله عنه، ولا وجد صعوبة في فهمه وتوضيحه، لكنه أخذ مفهومه من التصوف فخالف الشرع وحرّف المفهوم الشرعي للتوكل ، ثم نسبه إلى دين الإسلام. والتوكل في ديننا واضح لا إشكال فيه، إنه يعني الاعتماد القلبي على الله تعالى ، ولا يعني ترك الأسباب وعدم الأخذ بها. قال سبحانه : ((وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(النحل: 42))، و((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(النحل: 99))، و ((فَإِذَا عزمت فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران: 159)).

ومنها أيضا قوله تعالى : ((فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(هود : 123)). فالآية أمرت بالقيام بالعبادة وهي تشمل كل أوامر الشرع من جهة، وأمرت بالتوكل على الله تعالى من جهة أخرى. وهذا يعني قطعا أن التوكل يعني الاعتماد القلبي على الله ولا يعني ترك العمل وعدم التكسب ولا عدم الأخذ بالأسباب كما يزعم الصوفية، لأن التوكل نفسه هو من الأسباب والأوامر المتعلقة بأعمال القلوب.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 331 .

وأما من السنة النبوية ، فمنها قول النبي-عليه الصلاة والسلام - : ((« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »))[1]،و ((لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا" قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه))[2].وبذلك يكون التوكل هو نفسه من الأسباب الروحية مقابل الأسباب المادية، وكلها من العبادات.

لكن يجب أن لا يغيب عنا أن تعريف التوكل عند الصوفية – منهم الغزالي- لا يعني الاعتماد القلبي على الله ، وإنما يعني ترك الأخذ بالأسباب، فالأخذ بها عندهم مناقض للتوكل والاعتماد عليها من الشرك كما قال الغزالي: ((إن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد)). وهذا المفهوم المخالف للشرع هو الذي جرّ الصوفية إلى التناقضات والإشكالات ولم يجدوا حلا صحيحا يوصلهم إلى الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب، ويُخرجهم مما وقعوا فيه، حتى زعم الغزالي أن فهمه أمر عويص جدا لا يفهمه إلا قلة من المتبحرين في العلم والتصوف حسب زعمه. لكن الحقيقة هي أن الأمر ليس كما صوّره الرجل ، ولا هو ولا الصوفية استطاعوا أن يخرجوا من التناقض الذي وقعوا فيه ، وهذا بسبب خطئهم في موقفهم من الأسباب والتوكل. ولن يستطيعوا الخروج منه إلا إذا تركوا المفهوم الصوفي للتوكل ، وأخذوا بالمفهوم الشرعي له.

وثانيا ليس صحيحا أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، لأن الشرك في الإسلام هو إثبات إله مع الله ، أو الاعتقاد في مخلوق بأنه متصف بصفات الألوهية أو بعضها. ولهذا فإن إثبات الأسباب وملاحظتها والاعتقاد بأنها تُؤثر ليس شركا، لأن هذا أمر نص عليه الشرع ويقوله العقل، ويُثبته الواقع والعلم، ولن يستطيع إنسان إنكاره ، وحتى وإن أنكره بلسانه فإنه لن يستطيع إنكاره بأفعاله، ولن يستطيع أن يعيش من دونها عمليا. والاعتماد عليها بمعنى التعامل معها واستخدامها وبناء مصالحنا وحياتنا عليها ليس شركا. ولو حاولنا التخلي عنها ما استطعنا، ونحن نعتمد عليها أحببنا أم كرهنا، اعترفنا بها أم أنكرناها. ومن ينكر ذلك

[1] مسلم: الصحيح، ج 8 ص: 56 ، رقم: 6945 .
[2] الترمذي: السنن ، ج 4 ص: 308، رقم: 2344 .

فإنـه ينكرهـا بلسـانه لا بأفعالـه. والسببية تحكم عـالم الغيـب والشـهادة، والله تعالى أقام شريعته والجنة والنـار علـى الأسباب.والقرآن الكريم مملوء بهـا من بدايته إلى نهايته، ونفس الأمر ينطبق على السيرة النبوية. وإنما الشرك هو أن نعتقد أن الأسباب لها القدرة على التأثير والضرر والنفع من ذاتهـا ، لا أنها هي مخلوقة على تلك الصفات، فهي حقا وفعلا مؤثرة لكن الله تعـالى خلقهـا كـذلك. ومثالـه أن الإنسـان نفسـه مـن الأسـباب، ألـيس أنـه قـادر علـى التـأثير والتغيير فـي الطبيعـة ؟، ونفس الأمـر ينطبـق علـى الريـاح والميـاه وغيرها من المخلوقات. فهذا الكائنات هي أسباب ومؤثرة في الكون لأن الله تعـالى خلقهـا كـذلك . فملاحظتهـا والاعتمـاد عليهـا لـيس شـركا فـي ميـزان الوحي الصحيح والعقل الصريح، وإنما هو شرك في الدين الصوفي .

وقـال الغزالـي أيضـا: ((فالاهتمـام بـالرزق قبـيح بـذوى الـدين ،وهـو بالعلماء أقبح، لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه، إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدى الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولـم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنـه تفرغ لله عز وجل وإعانة للمعطى على نيل الثواب...))[1].

وأقول:قوله هذا فيه تضليل وتحريف ، وتلاعب وتغليط، وغير صـحيح من دون شك ، لأنه أولا إن قول الغزالي: ((فالاهتمام بـالرزق قبيح بـذوى الـدين وهـو بالعلمـاء أقـبح لأن شـرطهم القناعـة والعـالم القـانع يأتيـه رزقـه ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه إلا إذا أراد...))[2]. فهو قول باطل في دين الإسلام، وصحيح في الدين الصوفي !! ، إنه ليس من الشرع ولا العقل ولا من العلم، وهو من تلبيسات الغزالي وتحريفاتـه. فالشـرع أوجب التكسب، وحـرّم التسـول إلا عنـد الضـرورة القصـوى، لقـول النبـي- عليـه الصـلاة والسلام- : ((يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالـة فحلت لـه المسألة حتـى يصيبها ثم يمسك ،ورجـل أصـابته جائحـة اجتاحـت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا مـن عـيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومـه لقد أصـابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قـال سدادا مـن

[1] الغزالي: الإحياء، ج 4 ص: 275 .
[2] الغزالي: الإحياء، ج 4 ص: 275 .

عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا))[1]. فلم يستثن النبي الذين استثناهم الغزالي - العالم، والمتفرغ للعبادة- وإنما استثنى آخرين بشروط محددة ومقيدة .وعليه فلا يحق للغزالي ولا لغيره أن يُدخل في الحديث ما ليس منه .

علما بأن التكسب وجمع المال بالحلال شرف وعِز وقوة ،وقد جعل الله فيه خيرا كثيرا ، لأنه يكون سببا في طهارة وتزكية صاحبه عندما يُخرج زكاته لقوله سبحانه: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103)). فيتطهر بذلك ويتزكى ولا يحتاج أن يمر بالطريق الصوفي لكي يتطهر كما يزعم الغزالي والصوفية.

علما بأنه لا يوجد في الشرع نص صحيح يأمر بترك التكسب ويدعو إلى الكسل والسلبية ، وإنما النصوص الشرعية تضافرت في الأمر بالعمل المنتج في كل مجالات الحياة، وشجعت على كسب المال الحلال، واستغلال الثروات التي خلقها الله تعالى للإنسان . منها قوله تعالى: ((وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(القصص: 73))،و((لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)(يس: 35))،و((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة : 10))،و((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الجاثية : 13)).

وثانيا إن قول الغزالي: ((فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء أقبح لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه ...))، هو قول باطل قطعا، وافتراء على الشرع والعقل والتاريخ الصحيح ، لأن الحديث السابق لم يستثن أحدا من الذين ذكرهم الغزالي، وحتى الذين استثناهم فقد استثناهم ضرورة واستثناءً حتى يتحسن حالهم . ولأن الحديث كان موجها أولا وأساسا إلى الصحابة، وهم من ذوي الدين والعلم ، والصبر والجهاد ، والتقوى والصلاح، والزهد والتنسك . فلماذا وجه إليهم النبي- عليه الصلاة والسلام- قوله ولم يستثنهم منه ؟؟. ولماذا أوجب عليهم التكسب ،ولم يقل لهم إنه قبيح في حقكم ؟؟ !! فهل يُعقل بعد ذلك أن يكون طلب الرزق قبيح في

[1] مسلم : الصحيح، ج 3 ص: 97 ، رقم:2451 .

دين الإسلام ؟؟ !! . فلو كان الأمر كما زعم الغزالي لنهى النبي-عليه الصلاة والسلام – أصحابه من التكسب وجمع المال ، ولا كان فيهم طائفة من كبار الأغنياء كعثمان وعبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنهما- وبما أنه لم يأمرهم بذلك، وأن معظم الصحابة أصبحوا أغنياء أو ميسورين زمن الخلافة الراشدة فإن قول الغزالي باطل قطعا ، ولا تنفع معه تلبيساته وتحريفاته !! .

ومع أنه يحق لنا أن نتعجب من قول أبي حامد الغزالي إلا أن تعجبنا منه يرتفع عندما نعلم أنه كان يتكلم بلسان دين التصوف لا بلسان دين الإسلام ، ولا بلسان العقل ولا بلسان العلم . فالرجل قرر معنى التوكل الصوفي لا الشرعي، لكنه مع ذلك غلّف كلامه بالتوكل في الإسلام فتستر به تقيةً انتصارا للتصوف وتلبيسا على المسلمين.

وأما حكاية الفكر الباطن الذي تذرع به أبو حامد الغزالي فهو خرافة من خرافات الرجل والصوفية، وقد سبق وأن بينا بطلان حكاية المكاشفة وعلم الباطن التي تسلط بها الغزالي على مخالفيه، وقرر بها ما يُخالف الشرع والعقل والعلم . فترك التكسب بدعوى حكاية علم الباطن باطلة قطعا ، لأن الله تعالى شهد للصحابة بالإيمان الصادق والعمل الصالح ، وقال للسابقين منهم: ((((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 100)). لكنه سبحانه لم يأمرهم بترك أشغالهم، ولا هم تركوها ، وقد ذكرنا سابقا أن الشرع أوجب عليهم طلب الرزق مع التوكل على الله سبحانه . فنحن أمام مفهومين شرعيين غير مترادفين ولا متناقضين ، وكل منهما أمرنا الله بالأخذ به لأنهما من العبادة الشرعة لا من العبادة الصوفية !! .

علما بأن القناعة لا تعني ترك التكسب ، ولا طلب الرزق بالتسول، وإنما تعني أن العمل مطلوب في حق كل الناس من الزهاد وطلاب الدنيا معا، فكل إنسان عليه أن يطلب الرزق حسب قدراته وظروفه وغاياته. وأما ترك التكسب مع سؤال الناس فهذا ليس من الشرع ، ولا من الكرامة ،ولا من الشرف، ولا من العزة ولا من الزهد، وإنما هو من الدين الصوفي فقط !!.

وذكر الغزالي أيضا أن الصوفي المنشغل بالله ((غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل ... وقال بعضهم: العبيد كلهم فى رزق الله تعالى ،ولكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار ،وبعضهم بامتهان كالصناع ،وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة))[1].

وأقول: قوله هذا ليس من الإسلام، وفيه تضليل وتحريف ،وتبرير لتسول الصوفية بطريقة فيها تغليط وتلبيس، ودعوة إلى الكسل والسلبية والتواكل. لأنه أولا إن قول الغزالي لا يصح لأنه شجع الصوفية على ترك العمل بدعوى التفرغ للعبادة، وأنهم يأكلون رزقهم بعز . وهذا لا يصح لأن الصوفي الذي تفرغ للعبادة وترك التكسب هو في الحقيقة في طاعة هواه وشيطانه، وليس في طاعة الله تعالى، لأنه سبحانه فرض علينا شريعته وكلفنا بتطبيقها والالتزام بها في الواقع ، منها الأمر بالعمل والخروج لطلب الرزق. لكن الغزالي يُغالط ويتلاعب بالكلام لغاية في نفسه. وقوله ليس من التوكل الشرعي ولا هو أفضله ، وإنما هو من المخالفات الشرعية. ومن يفعل ذلك فهو في الحقيقة ليس متوكلا على الله لأنه سبحانه لم يأمره بذلك، ولا جعل عمله توكلا ،وإنما هو متوكل على الناس ، أو على أصحابه ليأتوه بالطعام . بدليل أن الغزالي قال بأن من تفرغ للعبادة و ((أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام)) [2]. فهذا متوكل على فتح الباب وعلى الناس وليس متوكلا على الله !! . والحرام الذي ذكره ليس هو الحرام الشرعي وإنما هو الحرام الصوفي، وإلا لماذا تناسى الشرع عندما قرر ما يُخالفه في معنى التوكل وحثه على التسول ؟؟ !! . اللهم إلا أن يكون ذِكره للحرام هنا من باب التقية والتستر بالإسلام .

والغزالي متناقض مع نفسه ومغالط لغيره في مدحه للتسول وحثه عليه ، وفي قوله بالتوكل على الله . فقال بأن الصوفي المنشغل بالله ((غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل...))[3]. لكنه نقض كلامه عندما قال بأن من تفرغ للعبادة و((أغلق

[1] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .
[2] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .
[3] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .

باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام)) [1]. فلماذا يترك الباب مفتوحا ولا يغلقه توكلا على الله حسب المفهوم الصوفي؟؟، أليس تركه الباب مفتوحا هو طمع واستشراف إلى الناس، وانتظار لمن يدخل؟؟. فهو كذلك وسواء انتظر من يدخل أو لم ينتظر، فبما أنه ترك الباب مفتوحا ليأتي من يتصدق عليه ، فهو في انتظاره سواء أظهر ذلك أم لم يُظهره، لأن شبكة الصيد التي يصطاد بها قد نصبها وستعمل عملها !!.

وليس صحيحا أن طعام الصوفي التارك للتكسب هو طعام بِعز وبشرف ، لأن الشرع نهى عن السؤال إلا عن العاجز ،والصوفية ليسوا عاجزين وإنما هم متعاطلون وسلبيون ونصابون !!. ولأن اليد العليا خير من اليد السلفى فتكون يد الصوفي هي السفلى لأنها هي الآخذة. فعن عبد الله بن عمر ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة « اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة »)) [2]. ولا يصح القول بأن ذلك من رعاية الله لهم، فهذا باطل لأن الشرع أمر بالعمل ونهى عن التسول، فكيف يكون تسول الصوفية وطمعهم من رعاية الله لهم ؟؟ !!. فهذا من التحايل والتغليط، ولا يصح فيه الاحتجاج بالقدر ،وإلا من حق حتى اللصوص الذين يستولون على أموال الناس أن يجعلوا ما يستولون عليه من أشرف المكاسب ومن رعاية الله لهم لأنه مكنهم لأخذ وجمع ما أخذوه من أموال الناس بالباطل !!. وبما أن هذا باطل قطعا، فكذلك قول الغزالي لا يصح .

وأما زعمه بأن الصوفية يأخذون صدقات الناس من يد الله بلا واسطة ، فهذا كلام باطل ، وتلبيس وتضليل وتغليط، لأن الصوفية يتسولون ويسألون الناس ويطمعون فيهم . والغزالي نقض كلامه هذا عندما نص على أن من تفرغ للعبادة و ((أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام)) [3].فهم يأخذون من أيدي الناس بطمعهم وتسولهم وتحايلهم ولا يأخذون من يد الله كما زعم الرجل.ولا يصح الاجتجاج بالقدر، لأن كل الكائنات تأخذ ما كتبه الله لها ، فهذا قانون كوني تخضع له كل المخلوقات وليس خاصا بالصوفية . لكن مع ذلك يبقى الإنسان مسؤولا ومكلفا بأن يطلب رزقه وغذاءه بالعمل وأن يكون حلالا طيبا أيضا ، مما يعني أن الإنسان هو طرف فاعل وأساسي في بناء حياته ومستقبله ، وإلا

---

[1] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .
[2] مسلم: الصحيح، ج 3 ص: 94، رقم: 2432 .
[3] الغزالي: احياء علوم الدين ، ج 4 ص: 267 .

فلا معنى من حمله للأمانة وتكليف الله له بالعبودية له من جهة، وسبق العلم الإلهي لا يعني الجبر من جهة أخرى ..

لكنـي أُشير هنـا إلـى أن كـلام الرجـل مـع أنـه مخـالف للشـرع والعقـل والواقع إلا أنـه يتفق مـع منطق خرافة وحدة الوجود- الفنـاء فـي الله- لأنـه حسب زعم الغزالي وأصحابه فليس في الكون إلا الله وأفعاله، والصوفي عندما يأخذ من عند الناس فهو أخذ من يد الله من جهة، وهو أيضا يمثل الله من جهة أخرى، فالله أخذ بيده من يده حسب زعم الغزالي وأصحابه!! . وبما أن قوله هذا لا يصح فتبريره باطل أيضا، لكنه يتفق مع باطله وتضليله وتحريفه، وسنبين قول الغزالي بالفناء بالله ومعناه عنده في الفصل الرابع .

ومما يبطل زعم الغزالي في دفاعه عن كسل الصوفية وتركهم للتكسب، هو أن الصوفية لم يتركوا الأخذ بالأسباب حسب مفهومهم للتوكل،وإنما نقضوه ، فكانوا يعملون بطرقهم السلبية والطمعية والتحايلية لاستعطاف الناس تحصيلا للرزق ؛ مما يشهد عليهم أنهم طلبوه بذل وطمع وتحايل . من ذلك مثلا أن الصوفي محمد الشرنوبي كان من عادته أنه ((يأمر مريديه بالشحاتة على الأبواب دائماً في بلده))[1]. وكان الصوفي جعفر الحداد- شيخ الجنيد- ((يقتات بخروجه بين العشاءين فيسأل من باب أو بابين))[2]. وكان الصوفي يوسف العجمي الكوراني يتسول مع أصحابه الصوفية بالتناوب، فكان ((يُخرِج كل يوم فقيراً –صوفيا- من الزاوية يسأل الناس إلى آخر النهار، فمهما أتى به هو يكون قوت الفقراء – الصوفية- ذلك النهار كائناً ما كان، وكان يوم الفقراء يأتي أحدهم بالحمار محملا خبزاً، وبصلا وخياراً، وفجلا، ولحماً))[3].

وعندما يكون يوم شيخهم في التسول يأتي الشيخ ((ببعض كسيرات يابسة يأكلها فقيراً واحداً ؛ فسألوه عن ذلك فقال: أنتم بشريتكم باقية، وبينكم،وبين الناس ارتباط، فيعطونكم، وأنا بشريتي فنيت حتى لا تكاد ترى فليس بيني، وبين التجار والسوقة، وأبناء الدنيا كبير مجانسة، وكان صورة سؤاله أن يقف على الحانوت أو الباب، ويقول: الله، ويمدها حتى يغيب،

---

[1] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 477 .
[2] أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج 2 ص: 167 .
[3] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 380 .

ويكاد يسقط إلى الأرض، فيقول من لا يعرفه هذا الأعجمي راح في الزقزية))[1] !! .

وأما بالنسبة للأصل الأخير- الرابع- للتصوف فهو: عدم الرغبة في الجنة ولا الخوف من النار. من ذلك قول الغزالي: ((قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين وإنما مطالبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط .وقالوا: من يعبد الله بعوض فهو لئيم، كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره. بل العارف يعبده لذاته ،فلا يطلب إلا ذاته فقط. فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها وأما النار فقد لا يتقيها إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام ،وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد))[2].

وقال: ((حتى أن مشايخ الصوفية صرّحوا ولم يتحاشوا، وقالوا: من يعبد الله لطلب الجنة أو للحذر من النار فهو لئيم. وإنما مطلب القاصدين إلى الله أمر أشرف من هذا. ومن رأى مشايخهم وبحث عن معتقداتهم وتصفح كتب المصنّفين منهم، فَهِم هذا الاعتقاد من مجاري أحوالهم على القطع))[3].

وقال: ((فإن القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والذاهب إلى الله لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة بل يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا ليدرك درجة الفناء والاستغراق))[4].

وقال أيضا: ((اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما زمانان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال :" الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد"))[5].

---

[1] الشعراني: الطبقات الكبرى ، ص: 380 .
[2] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 25 .
[3] الغزالي: ميزان العمل، ص: 2 .
[4] نقلا: عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج 3 ص: 149 .
[5] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 155 .

وأقول: تلك الأقوال هي شاهدة على الرجل بأنه مارس التضليل والتحريف، وازدرى بالشرع وتعالم عليه ، وهي شواهد دامغة على انحرافه وبطلان موقفه. علما بأن قوله بعدم رجاء الجنة ولا الخوف من النار يتضمن القول بوحدة الوجود، وهو ليس خاصا به بل قاله الصوفية قديما وحديثا، فالرجل يسير على منهاجهم لا على منهاج الشرع الذي يتستر به. ومن الذين سبقوه إلى القول بذلك: شيخ الصوفية الحسين بن منصور الحلاج البغدادي (ت 310هـ) قال:((علامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة))[1]!!. والعارف عندهم هو الصوفي الذي بلغ غاية التصوف[2]. وانطلاقا من ذلك فإن الغزالي أولا تعمد مخالفة القرآن وتحريفه انتصارا لقوله بالحب الصوفي عندما قال: ((وأما النار فقد لا يتقيها إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام ،وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد))[3]. فالرجل نفى كون جهنم تتضمن العذاب القلبي وحصره في العذاب البدني، وهذا باطل قطعا، إنه تعمد نفي ذلك مع أن كلامه الذي قاله أصله من القرآن الذي نصّ صراحة على أن النار تطلع على الأفئدة وتعذب أصحابها بدنيا وقلبيا . قال تعالى: ((كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ)(الهُمَزَة: 2 -7)). فالنار المذكورة في هذه الآية ليست هي نار الفراق كما زعم الغزالي ، وإنما هي نار جهنم وهي التي تطلع على الأفئدة وتُعذبها كما تعذب الأجسام. وهناك آيات كثيرة نصت صراحة على أن أهل جهنم يتعذبون جسميا ومعنويا، ويصرخون ويندمون، ويتحسرون. كما في قوله سبحانه: ((وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(سبأ: 33)). فانظر وتدبر فيما قاله هذا الرجل انتصارا للتصوف !!.

وثانيا إن الغزالي أورد أقوال شيوخ الصوفية في ازدرائهم بالجنة والنار معا وهو موافق لهم لكنه حاول التستر بهم على أنه ناقل لأقوالهم ، لكنه عاد وأيد أقوالهم في بصراحة ، ولم ينكره ولا اعترض عليهم. علما بأن قول

[1] القشيري: الرسالة القشيرية، ص: 142.
[2] توسعت في ذلك في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[3] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 25 .

الغزالي وأصحابه بأنهم لا يرجون جنة ولا يخافون نارا وإنما يطلبون اللقاء ويخافون الحجاب هو قول مخالف للشرع وهادم له بدليل الشواهد الآتية:

أولها إن الله تعالى هو الذي خلق لنا الجنة وحببها إلينا ، وخلق النار وحذرنا منها وخوفنا منها بها، وهو سبحانه الذي أمرنا بأن نرجوه ونخافه ، كقوله سبحانه: ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(السجدة : 16))، و((وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)(الأعراف: 56))،و((رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)(النور : 37))،ووصف الله أهل النار بأنهم ((لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ)(المدّثر: 53)).فهل من يعبد الله تعالى يخالفه في ذلك ويقول له: لا أريد جنتك ولا أخاف نارك ؟؟. وهل من يقول ذلك يعبد الله أم يعبد هواه ؟؟، وهل يقول ذلك مسلم يعي ما يقول ؟؟، أليس من يقول ذلك عن وعي بما يقول ليس مسلما ؟؟.

والشاهد الثاني إن من يقول بكلام الغزالي وأصحابه ليس على منهج الأنبياء والصحابة والصديقين والشهداء والصالحين، وإنما هو على دين آخر،بدليل قوله تعالى:((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء : 90)) ،و((وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة : 72)) ، وفي الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام قال عن الجنة: ((حولها ندندن))[1].

والشاهد الثالث إن من يدعي محبة الله على دين الإسلام ثم هو يُخالفه ويتعالم عليه، ولا يتبع منهج الأنبياء وأتباعهم فهو محب كاذب ومُخادع ، وليس على دين الإسلام وإنما هو على دين آخر وإن تستر بالشرع. لأن المحب لمن يُحب مُطيع، والله تعالى أمرنا أن نحبه ونطيعه ، فكيف يدعي الغزالي وأصحابه حب الله وهم مخالفون له ومعطلون لدينه ؟؟ !! . قال سبحانه: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران : 31)).

[1] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 1 ص: 150، رقم: 742 .

والشاهد الأخير- الرابع- إن من لا يخاف نارا ولا يرجو جنة وإنما يطلب لقاء ورفعا للحجاب فهو متناقض مع نفسه ومخالف لدين الإسلام إن كان مسلما . لأنه من الثابت شرعا أن من لا يدخل الجنة سيخلد في النار ، ولن يرى الله تعالى ولا يكون قريبا منه ، ولا ينال رضوانه ولا رضاه ، ولن يحصل له لقاء ولن يُرفع له حجاب إن لم يدخل الجنة. فكيف يرجو هؤلاء الصوفية اللقاء ورفع الحجاب وهم لا يرجون جنة ولا يخافون نارا ؟؟ !!. إن الجواب واضح مُتضمن في كلامهم ، فالقوم لا يتكلمون عن المعاد الشرعي الأخروي وإنما يتكلمون عن المعاد الصوفي الذي يحصل لهم في الدنيا لا الآخرة، ولا معاد آخر بعده عندهم . إنهم يظفرون بجنتهم الدنيوية بتطبيقهم للدين الصوفي لا لدين الإسلام، إنها جنة يصلون إليهم ببلوغهم مقام الفناء في الله- ضلالة وحدة الوجود- حسب زعمهم .

وثالثا إن قوله :((ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنهما ...))[1]. فهو قول مخالف للشرع مخالفة صريحة، وتعالم عليه وعلى الأنبياء والمؤمنين وتقدم على الله ورسوله من جهة وهو رعونة نفس وقلة أدب من جهة أخرى. لأن الخوف من الله ورجائه هما من ضروريات العبادة في الإسلام، ومن صفات الأنبياء والصديقين ، والله تعالى هو الذي أمرنا بذلك. فكيف سمح الغزالي والصوفية لأنفسهم- بحكم إظهارهم للإسلام- أن يقولوا بذلك الباطل ويخالفون الشرع صراحة ؟؟. لكن لا نتعجب منهم ، فهم موافقون لتصوفهم لا للشرع، فهم قد تبنوا التقية منهجا أظهروا بها الإسلام وهدموه بها أيضا. لأن الرجل صرّح أن الصوفي عندما يصل إلى مقام المشاهدة للحق لم يصبح عنده خوف ولا رجاء، لأنه بلغ مرحلة الفناء في الله، وهي عقيدة وحدة الوجود. بمعنى يصبح هو الله !! ، وهل من يصبح كذلك يبقي له خوف أو رجاء ؟؟. وممن يخاف، وماذا يرجو ؟؟. فهذا هو السبب فيما قاله الغزالي وأمثاله، فلا نتعجب من مخالفتهم للشرع مع تسترهم به، إنهم اتقنوا ممارسة التقية واستخدام مختلف أنواع التضليل والتحريف ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة !!. إن الرجل قال صراحة بأنه هو وأمثاله لا يرجون جنة ولا يخافون نارا ، لأنه لم يكن يتكلم بلسان الإسلام وإنما بلسان الدين الصوفي مع تستره بالشرع، فأحدث بلبلة وخلطا لدي الطيبين والمغفلين من المسلمين الذين نظروا إليه بميزان الشرع لا بميزان التصوف. فالرجل

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 155 .

وأصحابه كانوا صريحين بأنهم يرجون معادا دنيويا لا أخرويا من جهة، لكنهم لم ينسوا التظاهر بالإسلام مع هدمهم له من جهة أخرى !! .

ومن أقوله أيضا أن الغزالي عندما تكلم عن الخوف والرجاء وبيّن أهميتهما وعظمهما وذكر النصوص الشرعية وأقوال السلف والتابعين المتعقلة بالخوف والرجاء؛ فإنه عندما بيّن مراتب الخائفين جعل مرتبة العارفين أعلاها وأفضلها وسماها رتبة خوف الفراق والحجاب –لاحظ لا خوف النار- . فقال: ((وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين . ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق وإذا ذُكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتعجب منه في نفسه وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد وإلا فباطنه لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم. فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف ، وكلامه الخاص بالعارفين باطل قطعا ، وفيه إخفاء لحقيقة الخوف والرجاء عند الصوفية. لأنه أولا إن الخوف والرجاء هما من أركان الإيمان في دين الإسلام ، والله تعالى أمرنا برجائه وخوفه، وحبب إلينا الجنة وأمرنا بطلبها، وكره إلينا النار وخوفنا بما فيها وأمرنا بتجنبها. ومدح سبحانه عباده المؤمنين من الأنبياء والصالحين والشهداء بأنهم يرجون جنته ويخافون ناره .فهؤلاء هم أعظم وأطهر البشر عند الله تعالى، وكانوا يخافون النار ويرجون الجنة.
وأما الذين سماهم الغزالي بالعارفين وجعل خوفهم أعلى مرتبة فلا وجود لهم في دين الله تعالى ولا لهم مكانة فيه ، ولا يصح إلحاقهم به، وإنما هم من أتباع الدين الصوفي، وهذا الأمر لمّح إليه الغزالي لكنه لم يصرّح به لغاية في نفسه. فمن أين له بهذا المرتبة العالية المزعومة التي لم يصلها الأنبياء ولا الصحابة، ولا لها ذِكر في دين الله تعالى ؟؟ !! .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 219 .

وثانيا إن المتدبر في قول الغزالي جيدا، وفي كلامه السابق عن الدين الصوفي يتبين له أمر خطير ظل الغزالي يُلمح ويُشير إليه ثم يتراجع ويقول أنه لا يصح الخوض فيه وحرام كشفه ، وهو أن الرجاء والخوف اللذين قصدهما الغزالي ومدحهما ليسا هما الرجاء والخوف الشرعيان، وإنما هما الصوفيان، ولهذا سمى الخوف الصوفي خوف الفراق والحجاب لا خوف النار، وازدرى بمن يرجو نعيم الجنة المادي. والرجاء والخوف الصوفيان لا يحدثان في المعاد الشرعي الأخروي ، وإنما يحدثان في المعاد الدنيوي الصوفي. ويدل على ذلك أيضا الشاهدان الآتيان:

أولها إن من لا يرجو الجنة يوم القيامة فإنه يكون قد خالف أمر الذي أمره برجائه، وطلب جنته،ولن يرى الله، ولا يكون قريبا منه، ولا ينال رضاه، لأن ذلك لا يتم إلا في الجنة، ولمن دخلها . وهذا يستلزم أن من يخاف الله ويرجوه ويريد القرب لابد أن يرجو جنته. ومن لا يخاف النار فإنه قد عصى الله تعالى ، وخالف شرعه واتبع الشيطان وهواه، ومن لا يخاف النار فإنه لا يدخل الجنة، لأنه سيعصي الله تعالى ، ومن عصاه سيدخل النار، ومن يدخلها لا يرى الله، ولا يكون قريبا منه، ولا يفوز برضاه. وبما أن الأمر كذلك فكيف يستطيع الصوفي أن يكون قريبا من الله وغير محجوب عنه وهو لا يخاف نارا ولا يرجو جنة . فبالضرورة أنه سيدخل جهنم ويكون بعيدا ومحجوبا عنه . ولاشك أن من يخاف الفراق والحجاب ولا يخاف نارا ولا يرجو جنة فهذا يعني أنه لا يعتقد اصلا بالمعاد الأخروي، وإنما يعتقد معادا آخر في الدنيا لا في الآخرة !! .

والشاهد الثاني: فبما أن الأمر كذلك، فلماذا جعل الغزالي الصوفية العارفين من الراجين والخائفين، بل جعلهم في أعلى مرات الخوف ؟؟. إن السبب في ذلك هو أن رجاءهم وخوفهم في الدنيا لا في الآخرة، فهم يرجون أن يصلوا إلى الفناء عن الخلق والفناء في الحق- الله-، بمعنى وحدة الوجود، وفيها يصبحون أربابا وآلهة- لكنهم من جهة أخرى يخافون إن لم يصلوا إليها، فيُحجبون عنها، وهنا يكون أيضا خوف الحجاب. وعندما يصلون إليها هنا يكون خوف الفراق ، فيخافون أن تُفارقهم وحدة الوجود التي أصبحوا بفضلها أربابا وآلهة، فيُطردون ويُحجبون عنها بعدما وصلوا إليها حسب زعم الصوفية. وهذه المرتبة هي التي ذكرها الغزالي بقوله: ((فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له

غيره))[1]. فلماذا لا يُدركها غيرهم ؟؟ فلو كانت لذة شرعية فإن الأنبياء والصحابة هم أولى من ينالها، وبما أن هذه اللذة المزعومة لا وجود لها في دين الإسلام دل هذا على أنها لذة شيطانية كفرية ، لا لذة شرعية، وهذا اعترف به الغزالي أيضا عندما ذكر صراحة أن لذتهم حرام شرحها لغير الصوفية. فلماذا تُخفى ؟؟. أليس هذا دليل دامغ على ممارسة الرجل للتضليل والتحريف والتستر بالإسلام من جهة ، وإخفائه لمعنى الرجاء والخوف في الدين الصوفي من جهة أخرى . وأليس من يقول بما قاله الغزالي يكون قد افترى على الله ورسوله، وعطل دين الإسلام وهدمه.

ومن مغالطاته المرتبطة بذلك أيضا أنه كرر نفس المعنى بطريقة أخرى، فقال: ((فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى: ((وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ)(آل عمران: 28)) وقوله عز وجل: ((اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)(آل عمران : 102)). وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان وإنما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم، فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير. وأما الثاني وهو الأعلى فأن يكون الله هو المخوف أعني أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه .قال ذو النون رحمه الله تعالى:"خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي". وهذه خشية العلماء))[2].

وأقول: قوله هذا غير صحيح فيما يتعلق بالخوف الثاني، وفيه تضليل وتحريف وتعالم وتعالٍ، ومخالف للشرع أيضاً . لأنه أولا إن الخوف من عذاب الله، هو بسبب الخوف من الله، والخوف منه بمعنى خوف الفراق والحجاب الذي جعله الغزالي أعلى مقاما من الأول هو نفسه خوف من عذاب الله تعالى. لأن معناه أن صاحبه يرجو القرب وعدم الحجاب، فعندما لا يتحقق له ذلك يكون الله تعالى قد عاقبه بذلك كما عاقب غيره بالنار مثلا. فكل منهما يرجو الله ويخاف من عذابه. إلا أن أحدهما يخاف العذاب

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 219 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 229 .

المادي، والآخر يخاف العذاب المعنوي. علما بأن الله تعالى يُعاقب ويُجازي بالمادي والمعنوي معا. من ذلك مثلا فإن الله تعالى كما ذكر أنواع العذاب المادي في جهنم ذكر المعنوي أيضا كقوله سبحانه: ((كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)(المطففين: 15))، و((إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آل عمران : 77)))،و((وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)(يونس: 54)).

وأما النعيم في الجنة فإن الله تعالى كما ذكر أنواع النعيم المادي في الجنة من أزواج، وفواكه ، وحدائق، فإنه سبحانه ذكر أيضا النعيم المعنوي وجعله أعلى من المادي منها قوله تعالى: ((قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)(آل عمران: 15))، و((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(القيامة: 22 - 23)). ولهذا لا يصح التفريق بين المقامين بدعوى النعيم المادي والمعنوي، أو كما قال الرجل: الخوف من عذاب الله، والخوف من فراقه –عدم القرب- لأن كلا من الجنة والنار فيهما النوعين من العذاب، ومن النعيم.

وثانيا إن تفضيل الغزالي للمقام الثاني بدعوى أنه خوف العلماء وأرباب القلوب والعارفين هو تفضيل مخالف للشرع ولا يصح طبعا . لأن معنى: الخوف من الحجاب والفراق ، يعني أن هؤلاء يرجون الله لذاته قربا ورفعا للحجاب. فهم يريدون منه ما يُحبونه منه . بمعنى أنهم يطلبون منه ما تهواه نفوسهم في الله من جمال وعظمة . فهم لا يرجون الله طاعة له والتزاما بشريعته ، وإنما يريدونه لجماله وعظمته إشباعا لرغباتهم وأهوائهم التي تبحث عن الجمال والعظمة والقرب من الله. وشتان بين من يخاف الله تعالى ويرجوه طاعة له والتزاما بشريعته ، وبين من يخاف الله ليس طاعة له والتزاما بدينه، وإنما طلبا لجماله وعظمته. فالأول مطيع عابد لله مُلتزم بدينه فأصبح هواه تابعا لدين الله ، لكن الثاني غير عابد ولا مُطيع لله ولا ملتزم بدينه، وإنما عابد لهواه حسب ما يريده هو من الله. ولاشك أن الأول هو العابد الحقيقي لله والمخلص في طاعته والملتزم بدينه؛ وأما الثاني فليس عابدا لله ولا مخلصا له في ذلك، وإنما هو مخلص لهواه وشيطانه الذي زين له حبه المزعوم، ولهذا وجدنا التصوف والصوفية قد خالفوا الشرع وعطلوه حتى انتهى بهم الأمر إلى هدمه . وبصفة عامة فإن الذي يخاف الله

ويرجوه طاعة له، فهو العابد الحقيقي، وأما الذي يخافه ويرجوه طلبا للقرب منه وليس طاعة له فهو في الحقيقة يعبد هواه ولا يعبد الله. فالله تعالى لم يفرض على بني آدم عبادته طلبا لجماله ولعظمته وللقرب منه، وإنما فرض علينا أن نعبده طاعة له والتزاما بشريعته قلبا وقالبا. قال سبحانه: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))،و ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)) .

وثالثا إن الخوف الذي فضله الغزالي ليس هو خوف الأنبياء والصحابة والعلماء الملتزمين بالشرع كما بيناه أعلاه؛ وإنما هو خوف الصوفية الذي بنوه على أهوائهم ورغباتهم فانتهى بهم إلى كفرية وحدة الوجود.فلو كان خوفا شرعيا ما خالفوا الشريعة وما عطلوها، وما هدموها وما قالوا بوحدة الوجود التي هدموا بها الوحي والعقل والعلم. علما بأن الغزالي كما مارس التضليل والتحريف فإنه أساء الأدب عندما تعالى بمرتبته في الخوف على الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان، بل إنه تعالى حتى على الله عز وجل. لأن الله تعالى هو الذي أمرنا أن نخافه ونرجوه فنتقي ناره ونطمع في جنته، لكن الغزالي خالف ذلك وازدرى بمن يرجو الجنة ويخاف النار، مع أن الله تعالى قال لنا:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(التحريم : 6)) ، و((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران : 133)).

ومن الثابت شرعا وتاريخا أن الأنبياء والصحابة والصالحين كانوا يخافون النار ويرجون الجنة، والله تعالى وعدهم بالنعيم وأثنى عليهم بسبب ذلك، كقوله سبحانه: ((وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (الفرقان : 65)))،و ((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً)(النساء: 69))و((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً (النساء : 69)))،و((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 100)).فواضح من ذلك أن صفوة البشر وهم الأنبياء والصحابة والشهداء

والتابعين لهم بإحسان كانوا يخافون النار ويرجون الجنة، لكن الغزالي – انتصارا للتصوف- جعل الشرع وراء ظهره وألحق هؤلاء الأخيار بأصحاب الخوف الأول عندما قال: ((وأما الأول فهو خوف عموم الخلق)) . فالرجل افترى على الشرع وحرفه وتعالى على الأنبياء والصحابة وأتباعهم وجعلهم من العوام وقدم عليهم شيوخ الصوفية ، وجعلهم في أعلى مقامات الخوف من الله، مع أن الحقيقة خلاف زعمه تماما.

ومن أقوله أيضا أنه ذكر أن الزهد درجات منها أن يزهد الإنسان ((رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات في جنته من الحور والقصور وغيرها ، وهذا زهد الراجين ...)) . ثم تكلم عن الدرجة التي بعدها وهي أعلى الدرجات عنده فقال: ((الدرجة الثالثة وهى العليا ، أن لا يكون له رغبة إلا فى الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ،ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذى أصبح وهمومه هم واحد ؛وهو الموحد الحقيقي الذى لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه، وطلب غير الله من الشرك الخفى .وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه .وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره. ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف، قاله بلسان التصوف لا الشرع . لأنه أولا لا يصح القول بأن درجة الزهد الثالثة أعلى من التي قبلها- الثانية- لأن هذه الدرجة هي التي مدحها الله تعالى، وأثنى بها على صفوة خلقه من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهم كانوا يعبدون الله تعالى رغبا ورهبا، خوفا من ناره ورجاء وطمعا في جنته. قال سبحانه عن أنبيائه : ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء: 90))،و((رِجَالٌ لَّا

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 308 .

تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)(النور: 37))، و((قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيراً)(الفرقان : 15))ن،و((وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً"، و((وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (البقرة : 221)).

ولذلك لا يصح قوله بأن درجة زهد الصوفية العارفين هي أعلى درجة بدعوى أنهم ليسوا من الراجين للجنة ولا من الخائفين من النار وإنما هم من الراغبين في الله ولقائه فقط. لا يصح لأن الله تعالى هو الذي أمرنا أن نزهد في الدنيا عبادة له و طمعا في جنته وخوفا من ناره كقوله سبحانه: ((وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (البقرة : 221)).ولهذا فإن الصواب فيما قاله الشرع لا فيما قاله الغزالي. وتفصيل ذلك هو أن الإنسان إذا أراد أن يزهد في الدنيا عبادة لله تعالى لا يعبده حسب هواه ، وإنما يتساءل: لماذا خلقنا الله؟ ، وكيف نعبده ؟. وماذا يريد الله منا؟؟. والشرع قد أجاب عن ذلك، فقد بيّن الله لنا أنه سبحانه خلقنا لنعبده وفق شريعته، وأنه جعل الجنة لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه. فهذا هو المطلوب من الإنسان، فمن عبد الله طاعة له والتزاما بشريعته خوفا وطمعا فهو العابد الحقيقي لأنه عبد الله كما اراد الله منه لا كما أراد هو من الله . وأما ما قاله الغزالي بأن الصوفية العارفين زهدوا في الدنيا رغبة في الله وفي لقائه، فهذا ليس من دين الإسلام وإنما هو من الدين الصوفي، لأن الله تعالى لم يقل لنا: ازهدوا في الدنيا واعبدوني طلبا ورغبة في ذاتي ، وإنما قال لنا: ازهدوا في الدنيا طاعة لي، لأني خلقتكم لعبادتي، وطاعتي وفق شريعتي. فمن هو الزاهد و العابد والطائع الحقيقي لله تعالى ؟؟. لاشك أن الذي يعبده وفق أمره ودينه هو العابد الطائع لله ، وقد جعل هواه وفق شرع الله، لكن الآخر ليس زاهدا ولا عابدا طاعة لله والتزاما بدينه، وإنما هو زاهد وعابد لهواه وما يطلبه هو من الله !! . وهذا خلاف ما أراد أن يُوهمنا به أبو حامد الغزالي !! .

وثانيا إن الله تعالى لم يقل لنا: استغرقوا همكم بالله واجعلوا همكم واحدا، وإنما قال لنا: أطيعوني والتزموا بشريعتي، واحذروا سبل الشيطان. قال سبحانه: و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153))، ولاشك أن موقف

الغزالـي هـو مـن سـبل الشـيطان التـي حـذرنا الله تعـالى منهـا، لأنـه مخـالف للشرع ومتعالٍ عليه ومُحرف له.

وأما قوله: ((الموحد الحقيقي الذى لا يطلب غير الله تعالى))،فهو قول فيه التباس وتضليل ، لأن الصواب هو أن الموحد الحقيقي هو العابد لله طاعة له والتزاما بشريعته، لأن من لا يطلب إلا الله من دون أن يطيعه ويُطبق شرعه فهو في الحقيقة ليس طالبا لله ، وإنما طالبا لهواه من الله. قال سبحانه: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)).

ومن تضليلاته أنه أوهم بقوله بأن الذي يزهد في الدنيا طلبا للجنة فقد طلب مع الله سواه ، وهذا من الشرك الخفي حسب زعمه. وقوله هذا باطل شرعا وعقلا ، لأن الله تعالى هو الذي أمرنا أن نعبده ونلتزم بدينه، فنطيعه ونخافه ونرجو جنته ونخاف ناره طاعة له ، كقوله سبحانه: ((فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (النازعات:37 - 41))، فالخوف من الله والمجاهدة الصحيحة يوصلان إلى الجنة، وهذا ينسف زعم الرجل من أساسه. فالمسلم عندما يخاف الله ويرجوه ويرغب فيما عنده من نعيم يكون طائعا لله تعالى وملتزما بشريعته ولا يكون طالبا لما سوى الله ، لأنه سبحانه هو الذي أمرنا بذلك. فالذي يطلب الله بعصيانه وتعطيل شرعه هو المشرك والعابد لهواه، وليس الذي يُطيعه ويلتزم بدينه !! .

علما بأن من يطيع الله ويعبده بشريعته ليس طالبا ولا عابدا لغير الله ، وإنما هو عابد وطائع له . ومن يُخالفه ويعطل شريعته هو الطالب والعابد لغير الله كما هو حال الغزالي وأمثاله . فهم يعبدون الله حسب أهوائهم وتصوفهم ثم يتعالون بذلك على الله وأنبيائه والمؤمنين !!. فدل هذا على بطلان دينهم من أساسه، لا أن زهدهم في الدنيا هو الأفضل كما زعم الغزالي.

وثالثا ليس صحيحا قوله بأن زهد الصوفية العارفين هو زهد المحبين لله بدعوى أنه ((لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه)). فلا يصح لأن الزاهدين المحبين لله ليسوا هم الصوفية، وإنما هم الطائعون لله تعالى والملتزمون بشريعته قلبا وقالبا، قال سبحانه: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)). لأن المحب لمن يحب مطيع. لكن الصوفية يدعون حب الله وهم متعاونون على مخالفة شرع الله وتعطيله وهدمه، حتى ينتهي بهم الأمر إلى ادعاء الربوبية والألوهية- وحدة الوجود- فهل من هذا حاله مُحب لله وطائع له، أم هو عدو لله وكافر به ؟؟ . ولا شك أن من عرف الله تعالى حق المعرفة وأحبه المحبة الصحيحة فإنه سيُطيعه ويلتزم بدينه ، ولا يتقدم عليه، ولا يُعطل شرعه. وبما أن الصوفية خالفوا الإسلام وعطلوه ، فحبهم ومعرفتهم غير شرعيين ، لأنهما من الدين الصوفي لا من دين الإسلام.

ورابعا إن قوله الأخير المُتلعق بالجمع بين النظر إلى الله تعالى والتنعم بنعيم الجنة، بأنه غير مُمكن ، فهو كذلك بالنسبة للدين الصوفي، لأن جنته في الدنيا لا في الآخرة، وهي جنة يصبح فيها الصوفي ربا وإلها حسب زعم الصوفية. فماذا يفعل الصوفي بالنعيم المادي بعدما أصبح ربا ؟؟!! . وأما في دين الإسلام فالأمر مُمكن قطعا ، لأن من لم يدخل الجنة لن يرى الله تعالى، ومن دخلها يجد مختلف أنواع النعيم المادي والمعنوي وأعلاها رؤية الله سبحانه وتعالى . وهذه الرؤية لا تلغي النعيم المادي، ولا هذا النعيم يحجب المعنوي ولا رؤية الله. فكل نعيم في مرتبته ومكانه، فهو اختلاف تنوع لا اختلاف تناقض. فكل هذه النِعم تجتمع في قلب المؤمن في الجنة ، مع الاختلاف في الدرجة والأهمية طبعا، ولو كانت رؤية الله تعالى تلغي نِعَم الجنة الأخرى كما زعم الغزالي، لما جمع الله تعالى بينها وبين النِعم الأخرى في الجنة. وبما أنه جمع بينها دَلّ هذا قطعا على خطأ قول الغزالي. ولذلك فإن المحبة الشرعية لله تعالى لا تلغي أنواع المحبة المشروعة الأخرى، كحب الأنبياء والمؤمنين ، والأزواج والأولاد. بدليل قوله سبحانه: ((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24)). فهو سبحانه لم يأمرنا بإلغاء ونزع محبتنا لآبائنا وأولادنا وزوجاتنا، وإنما أمرنا أن يكون حبنا لله ورسوله أعظم من حبنا لهؤلاء، وان يكون حبنا لهم من أجلهما أيضا. لكن تعجبنا من الغزالي يرتفع ويزول عندما نتذكر ونعلم أنه كان يُقرر الحب الصوفي لا الحب الشرعي مع حرصه الشديد على التستر بالإسلام تطبيقا للتقية الصوفية .، وعمله هذا هو الذي بلبل الأفكار وأخلط الأوراق، وجعل آراء الناس تختلف في الرجل

وأفكاره !! .إنه كتب إحياءه بلسانين، فمن لم يقرأه بهما فلن يعرف حقيقة الكتاب وصاحبه !! .

وبذلك يتبين أن الزاهد الحقيقي في الدنيا هو العابد لله تعالى طاعة له والتزاما بدينه، وأما الزاهد فيها طلبا لله من أجل ذاته لا طاعة له وأخذاً بشريعته ، فهو في الحقيقة يعبد هواه ولا يعبد الله تعالى. وبمعنى آخر إن الصوفية زهدوا في الدنيا وعبدوا الله كما يريدون هم منه، ولم يزهدوا في الدنيا ولا عبدوا الله كما أراد هو منهم. فهذا الفارق الأساسي والحاسم هو الذي أوجد دينين متناقضين: دين الإسلام ، والدين الصوفي، الأول تستر به الصوفية، والثاني دانوا به !! .

وآخرها أنه قال: ((فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله. وأما عبادة ذوي الألباب فإنها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه لجماله ... وجلاله وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات إلى المنكوح والمطعوم في الجنة فإنهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط))[1].

وأقول: قوله هذا باطل جملة وتفصيلا ،وفيه تضليل وتحريف وتلاعب وازدراء بالشرع وتعالم عليه. لأنه أولا ليس صحيحا أن العامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء، لأن الجنة أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين ووعدهم بها على أنها من فضله عليهم ، وحثهم على طلبها .وهي ليست فقط للمنكح والبطن كما زعم الرجل بل فيها كل أنواع الملذات المادية والمعنوية، وأعلاها رضوان الله تعالى ورؤيته. ومن لا يطلب الجنة لا ينال النِعم المادية ولا المعنوية، ومن لا يطلبها لا يرى الله تعالى . فأين يراه ؟؟.ولا يصح ولا يُعقل أن الله تعالى يخلق لعباده الجنة ويعدهم بها ويحثهم ويشجعهم على طلبها ثم يأتي الغزالي وأمثاله ويقولون له: اترك جنتك عندك ، لا نريدها، وإنما نريدك أنت !!. ومن يقول هذا الكلام فهو إما جاهل، وإما مريض، وإما صاحب هوى لا يُؤمن بالمعاد الأخروي أصلا، وإنما يطلب معادا دنيويا ويختفي بالمعاد الأخروي مع طعنه فيه والتعالم عليه بدعوى أنه يريد الله لا يريد جنته. والمسلم الصادق في إيمانه بدين الإسلام لا يُمكن أن يقول ما قاله الغزالي وأصحابه. لأن من يِؤمن بالله حقا

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 21 .

ويحبه حبا شرعيا لا يُمكن أن يقول لله تعالى : لا أريد جنتك وإنما أريدك أنت!! . والمحب لله حبا شرعيا لابد أن يحب الجنة ، لأن المحب لمن يُحب مطيع. والمثل الشعبي يقول: "الطوبة من يد الحبيب تُفاحة ".

ومن جهة أخرى إن الغزالي والصوفية في قولهم أنهم يريدون الله لا جنته ولا يخافون ناره يوم القيامة هم صادقون مع أنفسهم من جهة، وممارسون للتقية والتضليل والتحريف في تظاهرهم بحب الله وطاعته وطلب رضوانه من جهة أخرى. فهم يريدون الله في الدنيا لا في الآخرة، ولهذا ازدروا بالجنة والنار معا. إنهم يطلبون وحدة الوجود- الفناء في الله- وفيها يصبحون أربابا وآلهة، وهي جنتهم ومن لم يبلغها فهو في جنهم الدنيا لا الآخرة حسب اعتقادهم!!.

وثانيا إن قوله : ((وأما عبادة ذوي الألباب فإنها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه لجماله لماله وجلاله وسائر...)) ، فلا يصح ،لأن تلك العبادة ليست عبادة ذوي الألباب وإنما هي عبادة الصوفية الطالبين لوحدة الوجود. لأن عبادة ذوي الألباب هي عبادة دين الإسلام التي ترجمها في الواقع النبي- عليه الصلاة والسلام- وأصحابه الكرام- . فلم تكن عبادتهم لا تتجاوز ذكر الله والتفكر فيه، فهذه ليست من العبادة الشرعية وإنما هي من العبادة الصوفية؛ وأما العبادة الشرعية فهي عبادة شاملة جامعة للدين والدنيا التزاما بالإسلام قلبا وقالبا، وتقوم على قوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162))، و((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18))، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ)(الأنفال : 45)). فالله تعالى أمرنا بذكره أثناء القتال ، وهذا خلاف الذكر الصوفي الذي قال به الغزالي ونوّه به. والنبي وأصحابه هم الذين نزل فيهم قوله تعالى: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)(الكهف: 28))، فالآية تصدق على النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته والتابعين لهم بإحسان، ولا تصدق على الصوفية كما زعم الغزالي. لأن من يريد وجه الله لا يعطل الشرع ويتعالم عليه ، ثم ويتفرغ لذكر الله والتفكر فيه كما قال الرجل. فلم يكن رسول الله ولا

صحابته كذلك، وإنما كانوا فرسانا بالنهار ورهبانا في الليل التزاما بدين الإسلام لا بالدين الصوفي الذي انتصر له الغزالي مع تستره بالإسلام.

ومن غراب الغزالي وتحريفاته أنه بعدما ذكر كلامه السابق وازدرى به على الشرع وتعالم عليه انتصارا للتصوف ذكر أقوالا لبعض شيوخ الصوفية تؤيد موقفه وتزدري الجنة والشرع كله. منها أنه قال: ((حُكي أن أحمد بن خضرويه رأى ربه عز و جل في المنام فقال له: كل الناس يطلبون مني الجنة إلا أبا يزيد فإنه يطلبني . ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال: يا رب كيف الطريق اليك؟ فقال: " اترك نفسك وتعال إلي" . ورُؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان إلا على قول واحد قلت يوما: أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال: أي خسارة أعظم من خسران لقائي))[1].

وقوله هذا شاهد قوي على ما قلناه ، فسواء صح الخبران عن البسطامي والشبلي أم لم يُصحا، فهما يُعبران عن موقف الصوفية من الجنة وازدرائهم بها طلبا لجنتهم الدنيوية. ومما يُثبت بطلانهما ، أنه لا يُمكن أن يقول الله تعالى لهما ذلك الكلام لأنه مخالف لما أمرنا به الله ورسوله من طلب الجنة والحرص عليها ، كقوله تعالى: ((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران: 133))، وعن النبي-عليه الصلاة والسلام- أنه قال عن الجنة: ((حولها ندندن))[2].

وخلاصة موقف الغزالي وأصحابه أنهم لا يرجون جنة ولا يخافون نارا ، وهذا هو الأساس الرابع المكوّن لأصول الدين الصوفي.ومع أنه قال ذلك صراحة إلا أنه لم ينس ممارسة التقية وباستخدام التضليل والتحريف عندما لم يُصرّح بالمعاد الحقيقي الذي يُؤمن به هو أصحابه مع أن كلامهم تضمن الإشارة إليه. إنهم لا يرجون معاداً أخرويا أصلا وإنما معادهم دنيوي يتحقق لهم عندما يصلون إلى مقام الفناء في الله ، وفيه يصبحون أربابا وآلهة بوحدة الوجود وهي جنتهم التي يدندنون حولها .قال الغزالي: ((فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين))[3]. فهذا هو منتهى نعيم شيوخ الصوفية ، وغاية التصوف ،وهذا ليس من الإسلام قطعا

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 21 .
[2] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 1 ص: 150، رقم: 742 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 431 .

، فنحن أمام دينين: الدين الصوفي ومعاده دنيوي، ودين الإسلام ومعاده أخروي ، وكل منهما ناقض للآخر!!.

وإنهاءً لهذا المبحث يتبين منه أن الغزالي مارس مختلف أنواع التضليل والتحريف عندما تكلم عن أصول التصوف وقررها وانتصر لها. وعمله هذا يدل على أمرين أساسيين خطيرين: الأول هو أن أصول التصوف الأساسية : الحب الصوفي، التوكل الصوفي، ذم الدنيا، عدم الرغبة في الجنة ولا الخوف من النار، هي أصول مخالفة لدين الإسلام ولا تعبر عنه وإنما تُعبر عن الدين الصوفي.
والأصل الثاني هو أن الغزالي لما كان على علم بمخالفة أصول التصوف للشرع لم يُراجع موقفه ليعلم أن ذلك هو دليل قطعي على فساد التصوف وانحرافه عن الشرع والعقل، وإنما فهم العكس ، فأصر على موقفه وانتصر للتصوف بممارسة التقية واستخدام مختلف طرق التضليل والتحريف دفاعا عن التصوف، وتطويعا للشرع وتحريفا له لتقرير أصول التصوف والانتصار لها.

ثانيا: التضليل والتحريف في تقرير عبادات الطريق الصوفي:
تُمثل عبادات الصوفية فروع التصوف المعروفة بالطريق الصوفي،أهمها: الخلوة، الجوع ، السهر، تفضيل العزوبية على الزواج، السماع- الغناء- . وهي التطبيق العملي للتصوف التي توصل الصوفي إلى غايات التصوف. خاض فيها أبو حامد الغزالي بنظرة صوفية، فقررها وانتصر لها مستخدما مختلف وسائل التضليل والتحريف على حساب الشرع والعقل والحقيقة .

فبالنسبة لأهمية الطريق الصوفي وأساسياته فإن أبا حامد الغزالي يرى أنه ((لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات . ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قمم الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة. وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه

فقال: ((ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)(المائدة : 82))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وغير صحيح في معظمه ، وفيه تعمد في مخالفة الشرع. لأنه أولا إن دين الإسلام له منهجه في التربية الإيمانية والتزكية الروحية مخالف لرهبانية النصارى والصوفية في كل مجاهداته كما بيناه في كتابنا هذا .ومن حقائق دين الإسلام أنه دين جاء ليُطبق في الأرض، وليُعمر الأرض لتكون مزرعة للآخرة ، ولم يأمر بالرهبانية، ولا دعا إلى رهبانية النصارى ولا رهبانية الصوفية التي مدحها الغزالي وحث عليها. وليس صحيحا أن الشرع مدح النصارى على رهبانيتهم في الجوع والعزلة وتعذيب الجسم بل ذمهم في قوله : ((وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)(الحديد : 27))، ولا يُمكن أن يمدحهم عليها وهي مخالفة لدين الإسلام القائم على الوسطية والاعتدال في الأكل والشرب، والتمتع بالشهوات الحلال، التي هي من فضل الله علينا. وأما الآية التي استشهد بها ((ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (المائدة : 83) (المائدة : 82 -83) " فهي لم تمدحهم على رهبانيتهم وإنما مدحت طائفة من النصارى آمنت بالنبي محمد-عليه الصلاة والسلام- ، كما هو واضح في الآية ،وإلا فإن الإسلام قد ذم عامة النصارى وكفرهم لأنهم انحرفوا عن دين الله تعالى، كقوله تعالى : ((لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(المائدة: 73))، و ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)(النساء: 171))، و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(المائدة: 51)) ،و((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)(البينة: 1))، و((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران:

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 1 ص: 266 .

85)). فالغزالي مارس التضليل والتحريف انتصارا للتصوف ،وتحريفا لدين الإسلام ،وتلبيسا على المسلمين دفاعا عن الرهبانية .

وليس صحيحا أن الوصول إلى الله تعالى لا يتم إلا " بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها" . لأن قوله هذا يخالف القرآن الكريم وسنة النبي- عليه الصلاة والسلام- في تربيته للصحابة، فمن الثابت أن الله تعالى لم يأمرنا بما قاله الغزالي، وإنما أمرنا بالإيمان والعمل الصالح، وأكل الحلال وعدم الإسراف وبهذا يصل المسلم إلى الله تعالى ويفوز بالدنيا والآخرة. قال سبحانه: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))، و ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32))، و ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223))، و((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) ،و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)). وقد كان كثير من الصحابة من الأغنياء وهم من السابقين الأولين، ثم أصبحوا كلهم من الأغنياء أو من الميسورين عندما تحسنت ظروفهم المادية زمن الخلافة الراشدة، وماتوا وتركوا أموالا كثيرة لورثتهم. ومع هذا فقد شهد الله لهم بالإيمان والعمل الصالح ، ووعدهم بالنصر في الدنيا فتحقق لهم لأنهم كانوا مؤمنين صالحين ، بدليل قوله تعالى : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور: 55)) . ولهذا فإن الوصول على الله تعالى في دين الله تعالى لا يتم بطريق التصوف ولا الرهبانية ، وما يصل إليه هؤلاء ليس من دين الإسلام ووصولهم هو وصول إلى إله الرهبانية والتصوف وليس وصولا إلى الله تعالى خالق الأكوان ومنزل القرآن . لأنه سبحانه لم يجعل لعباده المؤمنين الصالحين إلا سبيلا واحدا يوصلهم إليه ، وغيره من السُبل هي من سُبل الشيطان. قال سبحانه: ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153)).

ويرى أيضا أن تهذيب الأخلاق ومعالجة القلوب لا تتم إلا بترك الشهوات، لأن طريق ((المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير))[1].

وقوله هذا هو من الدين الصوفي لا من دين الإسلام، لأن عبادات الطريق الصوفي قائمة على ذلك كطريق وحيد للوصول غايات التصوف حسب ما ذكره الغزالي. وأما في الإسلام فإن معالجة القلوب لا تكون بترك الشهوات أبدا، وإنما تكون بالإيمان والإخلاص وصدق الالتزام بالشرع قلبا وقالبا . وأما الشهوات فالشرع لم يحرمها وإنما حرم الخبائث وأحل الطيبات، و أمرنا بأن نتناولها بالحلال واعتدال لأنها ضرورية لنا في الدنيا، وبها قوام نفوسنا وحياتنا وعمارة الأرض وبها نتمكن من تطبيق الشرع ، وقد سبق ذكر النصوص الشرعية الدالة على ذلك. وهذا الأمر هو فارق أساسي وكبير بين التربية الشرعية والتربية الصوفية، وسيكون لكل منهما نتائج مختلفة بل ومتناقضة .

علما بأن التربية الشرعية بما أنها تقوم على الالتزام بالشرع وتربية النفس بالاعتدال والاقتصاد لا بقمع النفس وتعطيل قدراتها وحرمانها من حاجياتها الطبيعية فإنها تنتهي بصاحبها إلى التزكية الروحية الصحيحة. لكن التربية الصوفية بما أنها تقوم على أصول التصوف وعباداته فهي قاتلة للنفس ومدمرة لها وللعقل والجسم فتخرج صاحبها من الصحة إلى المرض ومن الشرع إلى الجاهلية، ومن الوعي إلى اللاوعي. ولهذا كانت نتائجها مفسدة للدين والدنيا ، وللفكر والسلوك والمشاعر.

وقال أيضا : ((وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضاد لكل ما تهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كملة واحدة فقال تعالى: " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى" - النازعات:37 – 41-))[2].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف ومخالف للمنهج التربوي في الإسلام . لأنه أولا إن الغزالي قرر منهج عبادات الطريق الصوفي ،واحتج له بآية قرآنية لا تنطبق على ما أراد قوله، بل وتخالف المنهج الصوفي من

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 45، 66 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 83- 84 .

أساسه أيضا. فالرجل اعترف بأن التصوف يقوم على قمع شهوات النفس ومضادة كل ما تهواه . وهذا مُطبق في المنهج الصوفي المُكوّن أساسا من العزلة والخلوة، والجوع والعطش الشديدين، والصمت وقلة النوم. وبهذا الطريق قمع الصوفية شهوات أنفسهم فأفسدوها وأضعفوها وأهلكوها، ونقلوها من الصحة إلى المرض، ومن الوعى إلى اللاوعي، ورموا بها في الأوهام وخداع الحواس، والهلوسات والتلبيسات الشيطانية.

لكن المنهج الشرعي في تربية النفس وتزكية الروح لا يقوم على ذلك أصلا، ولا يحرم النفس شهوتها الحلال، ولا يلقي بها إلى التهلكة، وإنما يأمر بالطيبات وينهى عن الخبائث، وبالتوسط والاعتدال في الطعام والشرب وباقي شهوات النفس. والآية التي استشهد بها الغزالي (("وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى" - النازعات:37 – 41-)) ليس فيها ما قرره وأراد الوصول إليه. فهي لم تأمر بمضادة النفس في كل ما تهواه، وإنما أمرتنا بخوف الله تعالى ونهي أنفسنا من إتباع هواها من دون ضابط من الشرع من جهة، وهي لم تنه عن إعطاء النفس شهواتها الطبيعية من جهة أخرى. وهذه الآية تفسرها أيضا آيات أخرى أمرتنا بإعطاء أنفسنا حقوقها وشهواتها المشروعة، كقوله تعالى: ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 223))، و((كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)) ،و((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)(الأعراف: 32)). فالغزالي لم يكن يطلب الحكم الشرعي في التعامل مع غرائز الإنسان وشهواته، وإنما كان يبحث عما يُؤيد به التصوف في موقفه من غرائز الإنسان ودعوته إلى قمعها وقتلها إن أمكن .

وبناءً على ما ذكرناه فإن قول الرجل: ((بأن مخافة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل)) [1]. هو غير صحيح شرعا وعقلا وعلما، وإنما هو طريق عبادات الدين الصوفي . لأن الحقيقة هي أن الطريق إلى الله تعالى ليس هو في مخالفة الشهوات، وإنما هو في الإيمان والإخلاص والصدق والالتزام بالشرع قلبا وقالبا، وليس هو في قمع الشهوات ، ولا في محوها، ولا في المبالغة في إشباعها. وهذا أمر من يقينيات دين الإسلام

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 87 .

وقطعياتـه ولا يحتـاج إلـى شـواهد تُثبتـه. لأن مـا قلنـاه ثابـت بـالقرآن والسـنة والتـاريخ ، وقـد تجلـى ذلـك فـي مـنهج تربيـة النبـي- عليـه الصـلاة والسـلام- لصحابته فقد رباهم تربية ربانية شمولية جمعت بين الدين والدنيا، و شـهد لهم القرآن الكريم بالإيمـان والعمل الصـالح عامـة، والسـابقين الأولـين مـنهم خاصة. وبذلك يتبين أن ما قاله الغزالي لا مكان له في الإسلام بل وليس منه أصلا، وهو قول من مفاهيم منهج الطريق الصوفي المُعبر عن العبادات فـي الدين الصوفي لا في دين الإسلام .

وتجدر الإشارة هنا إلـى أن دعوة الغزالـي وأصـحابه إلـى قمـع الشـهوات ومحوهـا بـاءت فـي النهايـة بالفشـل الـذريع وانقلبـت وبـالا علـى أصـحابها . وتفصـيل ذلـك هـو أنهـم عنـدما مارسـوا عبـادات التصـوف- الخلـوة، الجـوع ،الصمت، السهر- منهم من لم يقدر على المواصلة، فاكتفى بارتداء المرقعـة والتفرغ لمجالس الطرب والرقص وتمزيق الثياب. ومنهم من قطـع الطريـق لكن بعدما أكملها وبلـغ مقـام كفريـة وحدة الوجـود، أصـبح يعتقد أنـه أصـبح كاملا ولا يحتاج إلى ممارسة الطريق مرة أخرى وأقبل علـى طلـب مختلـف الشهوات. فتبين من ذلك أنهم لم يقدروا على قتل شهواتهم ، ولا تحكمـوا فـي إراداتهم . فكـانوا مـن أكثـر النـاس مـوالاه للظلمـة، وطلبـا للغنـاء والـرقص، وممارسة للتسول، وطلبا للأعراس والولائم طمعا في الأكل والطـرب ، بـل وحتى مصاحبة المردان والنسوان وممارسة الفاحشة[1] !!.

وقـال أيضـا: ((وطريـق المجاهدة والرياضـة لكـل إنسـان تختلـف بحسـب اختلاف أحواله.والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحة من أسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال ،أو بالجاه ،أو بـالقبول فـي الـوعظ ،أو بـالعز فـي القضـاء والولاية ،أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة، فينبغي أن يترك أولا ما بـه فرحه، فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل لـه ثوابك فـي الآخـرة لم ينقص بالمنع فَكِره ذلك وتـألم بـه فهـو ممـن فـرح بـالحياة الـدنيا واطمـأن بهـا ،وذلـك مهلـك فـي حقـه. ثـم إذا تـرك أسـباب الفـرح فليعتـزل النـاس ولينفـرد بنفسـه وليراقب قلبـه حتـى لا يشـتغل إلا بـذكر الله تعـالى والفكـر فيـه وليترصـد لمـا يبـدو فـي نفسـه مـن شـهوة ووسـواس حتـى يقمـع مادتـه مهمـا ظهـر فـإن لكـل وسوسـة سـببا ولا تـزول إلا بقطـع ذلـك السـبب والعلاقـة ،وليلازم ذلـك بقيـة العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت))[2].

---

[1] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 92 .

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وليس من المجاهدة الشرعية، وإنما هو تقرير للمجاهدة الصوفية وانتصار لها . وهو دعوة لتعطيل الشرع والانسحاب من المجتمع بدعوى التفرغ للعبادة، وليس دعوة للمجاهدة الشرعية لتطبيق منهج الإسلام في التربية. وهو مخالف للشرع جملة وتفصيلا وإن تستر به، لأنه أولا إن الرجل لم يذكر دليلا شرعيا على صحة موقفه، وإنما قرر مبدأ المجاهدة في التصوف، كعادته لأن كتابه إحياء علوم الدين هو في الحقيقة كتاب في الدعوة للتصوف والانتصار له وليس كتابا لإحياء علوم الإسلام. ولذلك ليس صحيحا أن المجاهدة الشرعية تتطلب ما ذكره من ترك ما يفرح به الإنسان واعتزال الناس، وإنما تتطلب الإيمان والإخلاص والصدق والالتزام بالشرع قلبا وقالبا. فهنا تكمن المجاهدة الصحيحة فمن يحمل نفسه على ذلك فقد جاهدها أحسن جهاد وفاز بالدنيا والآخرة. وليس في كتاب الله وسنة رسوله ما اشترطه الغزالي في المجاهدة، وإنما الحقيقة هي أن شرطه هو من المجاهدة الصوفية لا من المجاهدة الشرعية. ولم يكن النبي-عليه الصلاة والسلام- يشترط على الصحابة أن يتركوا ما يُحبون ويفرحون به من أموال وأولاد وجاه، ثم يعتزلون الناس كشرط للدخول في الإسلام والفوز بالدنيا والآخرة، وإنما كان يحثهم على الإخلاص والصدق في الإيمان والالتزام والجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم. قال سبحانه: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (الحجرات : 15))) .

وثانيا ليس صحيحا أن الفرح بالدنيا وأسبابها يمنع من سلوك طريق الإيمان والإخلاص والصدق والمجاهدة، لأن ذلك لا علاقة له بالفرح بالدنيا من عدمه. لأن الفرح بها ليس حراما ولا عائقا إن كان فرحا شرعيا، فالمسلم يفرح بما عنده من جاه ونفوذ وأولاد، وأموال ومناصب ليستخدمها في الدعوة والدفاع عن الإسلام والمسلمين، ويشكر الله تعالى على تلك النِعم التي حباه بها. ومن هذا حاله لا يُمكن أن يكون فرحه بذلك مهلكا له ، وإنما مُنجيا له. وهذا الذي حدث مع المؤمنين الصادقين من العهدين النبوي والراشدي إلى يومنا هذا .

ولذلك فقول الغزالي بأن من تجرد ((عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث))[1].هو قول ليس من الشرع ولا من العقل ولا من العلم، وإنما هو قول صوفي عن سبق إصرار وترصد لتحقيق غاية صوفية. فهو ليس من دين الإسلام ، وإنما هو من الدين الصوفي، ولا يقوله مسلم صادق يعي ما يقول، فهو إما قول جاهل ، أو صاحب هوى قاله لغاية في نفسه. لأنه من الثابت قطعا أن الإسلام لم يحرم جمع الأموال الحلال، بل أمر بجمعها لإنفاقها في سبيل الله . ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام- يشترط على أصحابه التخلي عن أموالهم. ومن الثابت أيضا أن كل الصحابه زمن الخلافة الراشدة كانوا من الأغنياء، أو من الميسورين، وكثير منهم تركوا أموالا طائلة عند وفاتهم[2]. ومع ذلك فقد شهد لهم الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح.

وبذلك يتبين أن المجاهدة التي قررها الغزالي وانتصر لها ليست مجاهدة شرعية وإنما هي مجاهدة صوفية مُتسترة بالإسلام تضليلا وتحريفا حقيقتها أنها حرب عليه ومُعطلة له. فهي مجاهدة لمخالفة الشرع وتعطيله لا من أجل تطبيقه ونشره والدعوة إليه !!.

ومن أقواله أيضا أنه ذكر أن فِرَق الضلال كثيرة، وأن الناجية منها هي السالكة لما كان عليه النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام، فيأخذ من الحياة الضروري منها ، ثم يتفرغ للعبادة، فيُقبل على الله تعالى بكنه همته ، ويشتغل بالذكر والفكر طول عمره[3].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، قرر فيه الطريق الصوفي لا الشرعي ، فعل ذلك باسم الاسلام وإتباع طريق الفِرقة الناجية ، مع ممارسة التضليل والتحريف. لأنه أولا أن الإسلام لم يأمرنا بأخذ الضروري من الدنيا بل أباح لنا الطيبات بلا إسراف، وحرم علينا الخبائث وأمرنا باجتنابها. وطريق النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الذي قال أنه يتبعه هو مخالف لما قاله. فقد كان كثير من الصحابة من الأغنياء ولم ينكر عليهم الإسلام ذلك، وإنما حث الأغنياء على الجهاد بأموالهم في سبيل الله ، وإخراج زكواتهم . وفي زمن الخلافة الراشدة أصبح كل الصحابة من

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 101 .
[2] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 304 .

الأغنياء أو من الميسورين ، وكثير منهم مات وترك من بعده أموالا طائلة[1]. فأين ما زعمه الغزالي بأنه يتبع منهج السنة والصحابة والسلف الصالح ؟؟

وثانيا إن الرجل مع تظاهره بإتباع الشرع والصحابة فإن حقيقة كلامه أنه مخالف للإسلام ومُعطل له انتصارا للطريق الصوفي . لأنه من المعروف من الإسلام بالضرورة أن الله تعالى أنزل كتابه لتطبيقه وعمارة الأرض ونشر الإسلام والجهاد في سبيل الله، وهذا لا يُمكن أن يتحقق بما قاله الغزالي. حتى أنه دعا إلى التفرغ للعبادة للاشتغال بالذكر والفكر طول عمر الإنسان. وهذا كلام ليس من الإسلام، بل هو افتراء متعمد عليه، والغزالي عطّل الإسلام انتصار للتصوف. لأن الله تعالى أمرنا بالجد والعمل واكتشاف سنن الكون واستخراج خيراته وثرواته ، والتفكر في الآفاق والأنفس، مع ذكر الله قياما وقعودا في المساجد والطرقات وفي الجهاد، وأثناء التدبر في مظاهر الطبيعة .فليس في القرآن ولا في السنة ، ولا في سيرة الصحابة ما دعا إليه الغزالي، مع أنه زعم أنه متبع للقرآن والسنة والصحابة. فلو أمر الإسلام بما قاله، ولو كان الصحابة كما زعم ، ما انتصر الإسلام والمسلمون في المدينة، ولما ظهرت الخلافة الراشدة، ولما فتح المسلمون الأقاليم، ولما انتشر الإسلام في مختلف بقاع الأرض، لأن ما دعا إليه الغزالي هو تعطيل للإسلام ودعوة إلى الانسحاب من الحياة وتركها للضالين والظالمين، ثم بعدها ينقضون على الإسلام والمسلمين. ولهذا فقوله ليس من الإسلام قطعا. لكن الغزالي قرر الطريق الصوفي باسم الإسلام ومضمونه هو تعطيل له !!. فلماذا هذا التضليل والتحريف انتصارا للتصوف ؟؟.

وأما بالنسبة لعبادات الطريق الصوفي إجمالا وتفصيلا، فإن أبا حامد الغزالي أجملها بقوله: ((يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه))[2].

وأقول: إن الرجل أجمل هنا التصوف بكل مقوماته ، وتلك الممارسات لا تحمل من الشرع إلا الاسم وتخالفه مضمونا وغاية. ففي الإسلام يوجد

[1] سبق توثيق ذلك .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 101 .

الصوم الشرعي لا الجوع الصوفي، وفيه المخالطة هي الأصل لا الخلوة الصوفية، وديننا جمع بين الكلام والصمت طاعة لله لا الصمت مطلقا ، وجمع بين قيام الليل والنوم طاعة لله، وليس طلبا للسهر الصوفي. والغاية من ذلك في الإسلام طاعة الله والفوز برضاه والتحقق بتقواه؛ وليس الغاية منها مشاهدة الله بالقلب كما زعم الرجل ، هذا ليس من دين الإسلام، لأن مشاهدته سبحانه في الدنيا - يقظة ومناما، قلبا وعيانا- لن تكون إلا يوم القيامة لعباده المؤمنين . فقد تبين لي من التدبر في النصوص الشرعية أن الصحيح هو أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا على الحقيقة مُطلقا لا في اليقظة ولا في المنام، ولا بالقلب ولا بالعين لأن النصوص الشرعية نصت على أن الله تعالى ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار وأن المؤمنين لا يرون الله تعالى عيانا وحقيقة إلا يوم القيامة . وعليه فلا يصح تخصيصها باليقظة دون المنام، ولا بالقلب دون العين فهي عامة ، والمنام من الحياة الدنيوية وليس من الحياة الأخروية . منها قوله تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى : 11))،و((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(القيامة: 22-23))، و((كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)(المطففين: 15)) .

وفي الحديث عن النبي- عليه الصلاة والسلام – أنه قال: ((إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته"[1] ، و ((ولا ترون ربكم حتى تموتوا))[2] . فهذا نفي عام في الدنيا يشمل الرؤية بالعين والقلب ،و في المنام واليقظة لأن المنام من الدنيا لا من الآخرة . ومنها قول النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))[3]. فالحديث شبّه ولم يثبت حدوث الرؤية ، فقال: " كأنك تراه"، ثم نفاها تأكيدا بقوله: " فإن لم تكن تراه فإنه يراك ". فالحديث نفى الرؤية في الدنيا مطلقا ، ومن ثم فهي تشمل رؤية العين والقلب واليقظة والمنام معا ولا يصح تقييدها دون دليل آخر يُقيدها[4].

وأما قوله بأن تلك العبادات الصوفية توصل الصوفي إلى مشاهدة الله ، فهو زعم باطل لأنها تقوم على أصول العقيدة الصوفية لا الشرعية، وهي: الحب والتوكل الصوفيين، وذم الدنيا وتركها . ولأنها تقوم على الغلو

---

[1] الألباني: صحيح ابن ماجة ، ج 1 ص: 35 ، رقم: 147 .
[2] ابن ماجة : السنن ، حققه فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ، ج 2 ص: 1359 ، رقم : 4077 .
[3] مسلم : الصحيح، ج 1 ص: 28 ، رقم: 102 .
[4] للتوسع في موضوع الرؤية أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.

وتجاوز الاعتدال في الخلوة والجوع والصمت والسهر، وهذا باطل شرعا وواقعا وعلما. لأن من يُمارس تلك العبادات تموت فيه قواه العقلية والنفسية والبدنية، وينتقل من الصحة إلى المرض، ومن الوعي إلى اللاوعي. وهنا يصبح فريسة للأوهام والهلوسات والتلبيسات الشيطانية، فيصبح كالذي يتناول المخدرات المهلوسة يعيش في عالم خيالي لا وجود له في الواقع. وبما أن رؤية الله تعالى غير مُمكنة في الدنيا قلبا ولا عيانا ، يقظة ولا مناما فإن تلك الحالة التي يمر بها الصوفي هي حالة مرضية ولا يُمكن أن توصله إلى مشاهد الله كما زعم الغزالي.

وأما بالنسبة لتفصيل عبادات الطريق الصوفي، **فأولها العزلة عن الناس-** عدم مخالطتهم- أورد الغزالي أقوالا لبعض الصوفية والزهاد نصت على أن العزلة جلبت لهم الأنس بالله، ودوام الفكر والذكر، والأحوال الإيمانية، ثم ختم موضوعه بقوله: ((فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ، ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، وغير صحيح في معظمه،لأنه أولا واضح من كلامه أنه يُؤيد العزلة عامة والصوفية خاصة، واستشهاده بأقوال هؤلاء بدعوى أن العزلة تجلب لهم الأنس ودوام الفكر والأحوال الإيمانية، لا يصح الاستشهاد بها كدليل على صحة قولهم بالعزلة. لان ما يجده هؤلاء في خلواتهم ليس مقياسا صحيحا، ولا دليلا شرعيا. لأن ما يجده هؤلاء من أذواق ومواجيد هي من آثار عزلتهم وممارساتهم لتعبداتهم ، وهي ليست خاصة بهم، فهي تظهر على الزهاد والنساك والصوفية من كل الأديان والمذاهب، بل لو مارسها الملحد لوجد ذلك في قلبه، حتى أن الغزالي استشهد بكلام لنصراني مفاده : ((وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت))[2]. فالذي يجده هؤلاء من أحوال ومواجيد ليس دليلا على صحة خلوتهم ولا على صواب منهجهم. وإنما المقياس في ذلك هو الإيمان والإخلاص والالتزام بشريعة الإسلام، وهذا الذي يورث اصحابه الأحوال الإيمانية الشرعية المذكورة في القرآن الكريم

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 322 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 321 .

والسنة النبوية الصحيحة الموافقة له، ولن ينالها إلا المخلصون الملتزمون بالشرع قلبا وقالبا . ومن ينالها لا يكون عاجزا ولا معتزلا ولا سلبيا ، ولا معطلا لشريعة الله تعالى. والأحوال الإيمانية الصحيحة هي أنوار ويقين لا تدانيها ولا تماثلها ما يجده المعتزلون في خلواتهم، قال تعالى: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7))، و((وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(التغابن: 11))،و((أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 122)) .

وثانيا ليس صحيحا أن غاية العبادات و ((ثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ، ولا معرفة إلا بدوام الفكر. وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة))[1]. كلامه هذا ليس من دين الإسلام وإنما هو من دين التصوف، لأن الصحيح هو أن غاية دين الإسلام هي أن يموت المسلم طائعا عابدا لله ملتزما بدينه قلبا وقالبا، بدليل قوله تعالى: : ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية: 18))، و ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)).))، و ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56))، و((قل ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162)) . وهذه العبادة تتضمن ظفر المسلم بمحبة الله ويكون من الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)(المائدة: 54))، و((وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ)(البقرة: 165)). وأما قول الغزالي فهو قول غير منضبط بالشرع ويجعل المحبين لله من كل الأديان والمذاهب يدخلون فيه، وهذا باطل ولا يصح شرعا.

وليس صحيحا قوله: ((ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ، ولا معرفة إلا بدوام الفكر))، لأن الصواب هو أنه لا محبة صحيحة لله تعالى إلا بالإيمان به والإخلاص له، والالتزام بشريعته. وهذه المحبة الصحيحة لله تعالى لن ينالها إلا المسلم التقي، ولن ينالها الصوفية ولا غيرهم من نساك

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .

وصوفيي المذاهب والأديان الأخرى وإن تظاهروا بها. والعلم الصحيح بالله وشريعته لن يتم كما زعم الرجل بحكاية الأنس ودوام الذكر والفكر، هذه كلها أوهام وتلبيسات وهلوسات يتسلط بها الشيطان على الصوفية وأمثالهم المخالفين للشرع المتعبدين بأهوائهم وتلبيساتهم وظنونهم. بل لا محبة ولا علم صحيح بالله تعالى ودينه إلا الإيمان والإخلاص والالتزام بشريعته قلبا وقالبا.

وأما قوله: ((وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة))[1]. فلا يصح أيضا، لأن حصول المحبة بالله والعلم به لا يحصلان بفراغ القلب ولا بدوام الفكر والذكر ، وإنما يحصلان بالإيمان والإخلاص والالتزام بشريعة الإسلام كما بيناه أعلاه، وما يحصل لهؤلاء من أحوال ومواجيد ليست أحوالا إيمانية صحيحة، وإنما هي من آثار ممارستهم للعزلة، وهي خليط من الأهواء والظنون والهلوسات، والتلبيسات النفسية والشيطانية . ولا يُمكن أن يوصل الفراغ والخلوة إلى المحبة الشرعية والعلم الصحيح بالله في غياب الالتزام بشريعته سبحانه وتعالى، والخلوة الصوفية ليست من دين الإسلام. ومن ثم لا يُمكن أن تُؤدي إلى المحبة الشرعية. والدليل على ذلك هو أن الله تعالى فرض علينا شريعته ووعدنا إن طبقناه فسننال سعادة الدنيا والآخرة ، وهذا الذي تحقق للمسلمين في العهدين النبوي والراشدي، وما يزال يتحقق إلى يومنا هذا .

علما بأن المخالطة لا تمنع من الأحوال الإيمانية والوجدانية، بل إن كثيرا ما تتحقق فينا عندما يُخالط المسلم الناس بإخلاص والتزام بدين الله تعالى. كما أنه يستطيع أن يخالط الناس وقلبه ومشاعره مملوءة إيماناُ وأحوالا ومواجيد عالية يُكافئه الله بها على إخلاصه والتزامه بدينه. كما أن الخلطة لا تمنعه من العزلة الجزئية فيمارسها في بيته نهارا أو ليلا طلبا للعلم ،أو تفرغا للصلاة والذكر. فتكون هذه العزلة من الشرع أيضا يتزود بها المسلم ليخرج للعمل والمخالطة والدعوة إلى الله تعالى، والتعاون على البر والتقوى. وبذلك يتبين أن الغزالي كان مصرا على موقفه ليصل إلى تأييد العزلة الصوفية والانتصار لها حتى وإن لم يذكرها باسم التصوف. لأنه يعلم أنه لا تصوف دون عزلة صوفية، وهي الخطوة الأولى في ممارسة الطريق الصوفي.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .

ثم أن أبا حامد الغزالي توسع في موضوع الخلطة والعزلة ،فذكر بعض أقوال المفضلين للخلطة على العزلة وبيّن ضعف أدلتهم، ثم أورد بعض أقوال المفضلين للعزلة على الخلطة وضَعّف أدلتهم التي أوردها. ثم أنه أفرد مبحثا لذكر ايجابيات وسلبيات كل من العزلة والخلطة[1]. لكنه انتصر للعزلة عندما تكلم عن فضائلها وعن فوائد الخلطة. فقد ظل متمسكا بموقفه بدعوى أنها تضر بالعوام وطلاب الدنيا ولا تضر بالعلماء وطلاب الآخرة[2]. وبما أن الرجل صوفي فلا شك أنه سينتصر للعزلة بالتضليل والتحريف، لأن العزلة هي أول خطوة في ممارسة الطريق الصوفي، ولا تصوف دونها. ولهذا من البداية أورد قولا لأحد الحكماء مدح فيه العزلة ، مع أنه غير صحيح، فلم ينقده وأيد موقفه ودافع عنه. فقال: ((ولهذا قال بعض الحكماء: لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله . ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة أولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه و سلم في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة . فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله . فأخبر النبي -صلى الله عليه و سلم- عن استغراق همه بالله فقال: " لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله" . ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك))[3].

وأقول: كلامه هذا مخالف للشرع، وفيه تضليل وتحريف ، لأنه أولا إن قول الحكيم الذي ذكره غير صحيح شرعا وكان على الغزالي أن ينتقده لا أن يوافقه.لأن الذي يتمسك بكتاب الله لا يُمكن أن يعتزل الناس كلية أو تكون عزلته شبه كلية، لأن كتاب الله تعالى فرضه الله علينا لنطبقه في الواقع، ونتعاون على البر والتقوى، ونحضر الصلوات الخمس في المساجد، وأمرنا بالجهاد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا. وقد طبق كل ذلك النبي- عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام ، لكنهم من جهة أخرى كانوا يُقيمون الليل سجدا لله تعالى ، قال سبحانه: ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 317 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 333 وما بعدها.
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .

تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المزّمّل: 20)).فمن يتمسك بالقرآن والسنة النبوية الصحيحة لن يعتزل الناس على الطريقة الصوفية التي يدعو إليها الغزالي ، ولا يكون مطيعا لله ولا ملتزما بشريعته.علما بأن ذكر الله لا يعني الخلوة من أجل التفرغ للذكر، وإنما من معانيه تطبيق الشرع فهذا ذكر، وذكر الله في الطرقات وفي الحروب والنوم هو أيضا من الذكر،قال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(الجمعة : 9- 10))، و((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آل عمران : 191)). ولهذا فمن يعتزل العزلة الصوفية فهو مخالف لكتاب الله ومعطل له وليس متمسكا به كما زعم الحكيم ووافقه الغزالي.

وثانيا ليس صحيحا أن المخالطة تمنع المسلم من الفكر والذكر، لأن المخالطة أنواع كثيرة، وليست نوعا واحدا، فقد يكون الإنسان مخالطا للناس فيسير بينهم ويصلي معهم الصلوات ولكنه معتزل عنهم فكرا وذكرا وشعورا لأنه يكون مستغرقا وجدانيا في عباداته . علما بأن من المخالطة ما يقوي المسلم بتدبره في آيات الآفاق والأنفس والمجتمع ، فيزداد إيمانه ويقينه وشجاعته.

وثالثا إن قول الغزالي: ((ولذلك كان صلى الله عليه و سلم في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة)) فهو غير صحيح ، وفيه تحريف واضح ، لأن عزلة النبي- عليه الصلاة والسلام- كانت قبل النبوة ، ومن ثم لا يصح الاحتجاج بها لأننا مكلفون بإتباعه بعدما أصبح نبيا. ولم يكن محمد –قبل نبوته- معتزلا لمجتمعه كالعزلة الصوفية، وإنما كان مخالطا له من جهة ، ومعتزلا له من جهة أخرى ، فجمع بين الخلطة والخلوة . بدليل أنه عندما نزل الوحي عليه وعاد إلى زوجته خديجة- رضي الله عنها- وأخبرها بأمره قالت له : ((كلا والله ما يخزيك الله

أبدا إنك لتصل الرحم ،وتحمل الكل وتكسب المعدوم ،وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق))[1]. فنبينا لم يكن معتزلا لمجتمعه ، وإنما كان في خدمته بمختلف شرائحه .

ومن جهة أخرى فإن ذلك القول يتضمن القول بأن اعتزال النبي-عليه الصلاة والسلام- في غراء حراء أكسبه قوة النبوة، وهذا باطل قطعا ومردود على صاحبه، لأن النبوة لا تُكتسب بالعزلة ولا بالخلطة، وإنما هي فضل واصطفاء من الله تعالى لمن يختاره نبيا وليس من شرط النبوة الدخول في الخلوة، وقد اختار الله تعالى موسى نبيا- عليه السلام- ولم يدخل في خلوة ولا اعتزل مجتمعه، فقد كان يرعى الغنم حسب اتفاقه مع شعيب- عليه السلام- ، ثم لما أنهى اتفاقه معه أخذ زوجته وغادره عائدا إلى مصر، وفي الطريق خاطبه الله تعالى وأخبره بأنه اختاره نبيا، كقوله تعالى: ((فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(القصص: 30)).

فنبينا محمد – عليه الصلاة والسلام- لم يعتزل من أجل النبوة ، ولا كان ينتظرها، ولا كان يعلم أنه سيكون نبيا، ولا اكتسبها بالعزلة، ولن تُكسِب العزلة صاحبها النبوة ولو اعتزل ألف سنة. فالله تعالى وحده هو الذي يختار نبيه ، قال سبحانه: ((وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ)(القصص: 86)) ، و((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)(النساء: 163)).

ونبينا –عليه الصلاة والسلام- لم يكتسب نور النبوة من الخلوة، فهذا باطل، وإنما أحس بها واستشعرها بعدما أختاره الله تعالى للنبوة وأنزل عليه وحيه ، بدليل قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى : 52)) . فنور النبوة لم يكتسبه نبينا بالعزلة، وإنما هو من نور الوحي بعد الاصطفاء والتكليف بتبليغ الرسالة. لكن الغزالي تعمد قول ذلك لغاية في نفسه.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .

ورابعا إن قول الغزالي بأن الجمع بين المخالطة والعزلة صعب جدا، ولا يقدر عليه إلا الأقوياء من الأنبياء وقليل من الأولياء، و ((لن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك))[1]. فهو قول باطل، ومخالف للشرع قطعا، قاله الرجل تمهيدا لتقرير العزلة الصوفية وتفضيلها على المخالطة. إنه باطل لأن الغزالي أغفل حقائق الشرع والسيرة وتاريخ الخلافة الراشدة، وقرر أمرا خطط له مسبقا. لأن دين الإسلام لا عزلة فيه أصلا لا صوفية، ولا رهبانية. فهو دين من عند الله جاء ليُطبق في الأرض بكل جوانبه، وقد طبق ذلك النبي-عليه الصلاة والسلام- وسار على نهجه صحابته الكرام، ففتحوا الفتوح ، وكونوا دولة العدل والشورى والحق والأخوة، وكانوا في النهار فرسانا وفي الليل قياما. وقد زكاهم الله تعالى وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح . فأين العزلة المزعومة ؟؟. وأليس من يقول بالعزلة الصوفية هو يعمل على تعطيل الإسلام تمهيدا لهدمه ؟؟. ولماذا تمكن الصحابة من الجمع بين الخلطة والروح الإيمانية مع أنهم ليسوا بأنبياء ؟؟. ولو كان الأمر كما زعم الغزالي ما أمرنا الله تعالى بطاعته والإخلاص له وذكره كثيرا مع تطبيق شريعته في حياتنا كلها قلبا وقالبا .

علما بأن العزلة التي أباحها الإسلام هي استثناء قائم على الخلطة من أجل التربية والتكوين للعودة إلى الخلطة تطبيقا لدين الله تعالى. فالشرع عندما شرّع الاعتكاف في العشر الأواخر في رمضان ، حدده بمدة معينة، وفي شهر رمضان ، مع عدم ترك الصلوات الخمس. فهي عزلة جزئية ضمن الخلطة ومن أجلها أيضا. لأن المسلم عندما يتزود روحيا يخرج للعمل، والتعاون على البر والتقوى. والعزلة الجزئية لا تتنافى مع الخلطة، فقد يعتزل المسلم في بيته للعلم أو للذكر، ثم عندما تحين الصلاة يخرج إلى المسجد، ويذهب إلى السوق لقضاء ما يحتاجه لنفسه ولعياله، ويخرج إلى أعمال البر والخير. لأن هذا العزلة تختلف تماما عن العزلة الصوفية التي يُدافع عنها الغزالي، فهي عزلة مطلقة ينسحب فيها الصوفية عن مجتمعهم للممارسة عبادات الطريق الصوفي للوصول إلى الفناء في الله حسب زعمهم- علم المكاشفة، وحدة الوجود- .

وبذلك يتبين أنه ليس صحيحا قول الغزالي بأنه لا يُمكن الجمع بين الخلطة والروح الإيمانية وبينهما وبين العزلة. فهذا قول باطل، لأن الأصل

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .

في حياة البشر، وفي ديننا الخلطة لا العزلة، كما أنه يُمكن الجمع بينهما بسهولة، ولا توجد أية صعوبة في ذلك لمن أخلص واجتهد في عبادة الله تعالى وإتباع شريعته. ولا يصح وضع تناقض بينهما ، لأن ديننا أمرنا بالخلطة لتطبيق الشرع وبالعزلة عن الشر لتجنبه، فهي عزلة عن الشر لا عن الخير ولا عن المجتمع. لكن الغزالي قال ذلك ليصل إلى إيهامنا بأن من يريد الصفاء والطاعة والنور عليه أن يعتزل الناس، وهذا زعم باطل كما بيناه، والرجل في الحقيقة كان يُمهد لتقرير العزلة الصوفية ليس إلا، حتى وإن تظاهر وتستر بالإسلام، فهو في الوقت الذي تستر به خالفه وتضمن كلامه تعطيله وهدمه في النهاية.

ومن أقواله أيضا أنه دعا إلى العزلة الصوفية للتخلص من أوامر الشرع المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ((وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع. ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر، إذ ربما يجره طلب الخلاص عنها إلى معاصٍ هي أكبر مما نهى عنه ابتداء . وفي العزلة خلاص من هذا، فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق... وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور... ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلا. نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك))[1].

وأقول: واضح من كلامه أنه انتصر للعزلة الصوفية بتشجيع تعطيل الشرع، وتخويف من يقوم به بدعوى أن الأمر بالمعروف صعب والعزلة سهلة. وهذا لا يصح ان يقوله مسلم، فهو قول من ينتصر للدين الصوفي لا لدين الإسلام. لأنه من الواجب عليه شرعا أن يقرر الحكم الشرعي ويحرض الناس على القيام به حسب قدراتهم، ويذكرهم بفضله والنصوص الشرعية التي أمرت به. لكن الرجل خوف الناس من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحثهم على النأي بأنفسهم والهروب إلى العزلة. فالرجل داعية للتصوف وليس داعية للإسلام، فهو يعمل جاهدا لإحياء التصوف والتشجيع عليه لا لإحياء الأمر بالمعروف والنهي عن

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 322 .

المنكر لإحياء المجتمع الإسلامي ودولته. والعزلة الصوفية ليست من أجل الإسلام وإنما هي من أجل الدين الصوفي من جهة مع التستر بالإسلام والعمل على مخالفته وتعطيله لهدمه في النهاية من جهة أخرى.

ومن ناحية أخرى نسي الرجل أو تناسى أن دعوته إلى العزلة الصوفية للتخلص من الأمر بالمعروف لا يعفي صاحبها من المسؤولية إن كان قادرا على تغيير المنكر . ومن جهة أخرى أن الشرع يفرض عليه أن يحتسب على نفسه فينكر عليها سلبيتها وهروبها من تطبيق شريعة الله وطلبها للراحة والسلبية. لأن الصوفي الذي انسحب من المجتمع لم يسقط عليه التكليف بما أنه مسلم ويتظاهر بالإسلام ويستطيع أن يُغير المنكر حسب قدرته. لأن عمله هذا مخالف للشريعة ومشاركة في تعطيلها، وسينال جزاء ما فعله. علما بأن الغزالي حرص كل ذلك الحرص على الانتصار للعزلة، ليس من أجل الإسلام ولا المسلمين وإنما من أجل الدعوة للدين الصوفي والانتصار له ، لأن من ينتصر للإسلام وأهله فإنه حتى وإن كان هو ضعيفا فلا يُشجع على مخالفة الدين وتعطيله ،ولا الحث على العزلة وترك المجتمع غارقا في انحرافاته بدعوى طلب السلامة، وإنما مع اعترافه بضعفه وسلبيته فإنه يجب عليه أن يحث القادرين على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يُحسن لهم السلبية والانسحاب من المجتمع . ففعله هذا يندرج ضمن ممارسة الغزالي للتقية والتضليل مع الحرص على التظاهر بالإسلام والتستر به .

وقال أيضا: ((وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه . وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا . وأقل ما يلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا وإن جاملتهما كنت من شرار الناس. وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك: كيف أنت وكيف أهلك ؟وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض))[1].

وأقول: كلامه هذه فيه تضليل وتحريف وتضمن ما يُخالف الشرع ،قاله انتصارا للعزلة التي هي أول ممارسات الطريق الصوفي. لأنه أولا إن

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 324 .

الرجل بالغ في أمر الرياء ليجد مبررا قويا وكافيا لتأييد القائلين بالعزلة، لأن الرياء لو كان كما وصفه الرجل ما أمرنا الله تعالى بتطبيق شريعته، لأنه لا طاعة لله دون إخلاص، وعدم تطبيقها إلا بالرياء هو هلاك للإنسان. وبما أن الأمر كذلك فلا معنى من إرسال الأنبياء وإنزال الكتب. وبما أن الله تعالى أنزل شريعته وكلفنا بتطبيقها قلبا وقالبا ، فهذا يعني أنه يُمكن التخلص من الرياء وتطبيق الشريعة بجهد قليل إذا صدقت النية، ثم بالإخلاص والاستعانة بالله ،وبالمجاهدة والمراقبة يستطيع المسلم أن يُخلص لله عبادته. فالأمر ليس كما صوّره الغزالي، لأنه هنا لم يكن في صدد تقرير الحكم الشرعي من العزلة ولا من الرياء، وإنما كان في صدد تقرير العزلة والدفاع عنها والانتصار لها حتى ولو على حساب الشرع.

وثانيا ليس بالضرورة أن المخالطة توقع في الرياء وأن العزلة توصل إلى الإخلاص. بل قد يحدث العكس، فكثير من الصوفية والنساك والرهبان اعتزلوا الناس طلبا للشهرة والذكر، فأصبح الناس يأتون لزيارتهم والتبرك بهم والتصدق عليهم. ومن جهة أخرى كثير من الصالحين خالطوا الناس وكانوا مؤمنين صادقين ، منهم الصحابة –رضي الله عنهم- فقد كانوا فرسانا ودعاة في النهار، ورهبانا في الليل ومع ذلك كانوا مخلصين وشهد لهم الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح. ولهذا فلا يصح القول بأن الخلطة تؤدي إلى الرياء، ولا أن الخلوة تكسب صاحبها الإخلاص. وإنما كلا منهما قد يكون طريقا إلى الرياء، أو إلى الإخلاص حسب النية .

وثالثا إن المداراة إذا تمت بطريقة شرعية فهي ليست حراما، ومن ثم لا توصل إلى النفاق، لأن النفاق كفر، لكن المداراة ليست كفرا ، وقد مارسها النبي-عليه الصلاة والسلام- ، فعن ((عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أنه استأذن على النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل فقال: ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له الكلام فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له في القول فقال: أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه))[1]. ولهذا لا يحق للغزالي أن يصدر ذلك الحكم من دون استثناء. علما بأن حتى الصوفية في خلواتهم قد يُدارون بعضهم بعضا، فلا يوجد أي مانع من ذلك، فهم إذن منافقون حسب الرجل ؟؟.

[1] البخاري: الصحيح، ج 8 ص: 31 ، رقم: 6131 .

ورابعا إن التعامل مع الناس لا يستلزم الرياء ولا النفاق ولا الكذب، لأنه يُمكن للمؤمن أن يتعامل معهم بصدق وإخلاص، ويقول كلمة الحق بحكمة، ويُقنع مخالفيه بصحة موقفه. كما أنه يستطيع أن يستخدم المداراة والمعاريض عند الضرورة، وهما ليسا حراما ولا كذبا ، لأن في المعاريض مندوحة عن الكذب . ولهذا لا يحق للغزالي تلك المبالغة في التخويف من الرياء انتصارا للخلوة، مع أنها هي نفسها قد تكون مدخلا كبيرا للرياء والنفاق أيضا. بل قد تكون من أكبر أبواب الدنيا ، وهذا قد حدث للصوفية قديما وحديثا، فغرقوا فيها وتعاونوا مع الظلمة من المسلمين والكفار معا[1].فالقوم صيادون لهم شباكهم الخاصة بهم التي يصطادون بها كغيرهم من طلاب الدنيا.

والحقيقة أن الغزالي - في موقفه من العزلة- لم يكن يقرر الحكم الشرعي فيها، ولا كان يبحث عنه، لأن حكمها واضح في دين الإسلام، فلا عزلة فيه، لا للعلماء ولا للعوام، لأنه جاء ليُطبق في الواقع وينشر في العالم، والعزلة الجزئية التي أباحها هي جزء من الأصل وهو الخلطة، يتزود فيها المسلم بالقوة الإيمانية ليرجع إلى الميدان أكثر نشاطا وإبداعا. فالغزالي لم يكن يبحث عن الحكم الشرعي وإنما كان يبحث عن المبررات للدفاع عن العزلة وتقريرها انتصارا للتصوف ودفاعا عنه. علما بأن العزلة الشرعية الجزئية التي أباحها الإسلام لا علاقة لها بالعزلة الصوفية أصلا ولا ممارسة ولا غاية، وإنما يجمعهما الاسم فقط بمضمونين مختلفّين .

وأشير هنا إلى أنه كما أن المخالطة هي الأصل في الإسلام والعزلة فيه استثناء كوسيلة من وسائل التربية والتكوين من أجل المخالطة لا العزلة؛ فكذلك العزلة في التصوف فهي أصل في التصوف، والمخالطة استثناء فيه يستخدمها الصوفية كطريقة من طرق تربية مريدهم للتخلص من بعض الأخلاق التي لا تتفق مع ممارسة الطريق الصوفي، فيُمارسون ذلك ليعودوا إلى العزلة وقد تهيئوا لها ولِما يأتي بعدها من عبادات الطريق الصوفي. فهي مخالطة من أجل العزلة وما بعدها[2]. فنحن هنا أمام موقفين مختلفين تماما: فلا عزلة في الإسلام، ولا مخالطة في التصوف.

[1] للتوسع في ذلك وتوثيقه أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ، والكتاب منشور إلكترونيا .
[2] أشار إلى لك الغزالي في إحياء علوم الدين، ط1 ، القاهرة ، ج 2 ص: 336.

وقال أيضا : ((وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، والتجرد بها لذكر الله. أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن أوهام وخيالات فاسدة))[1].

وأقول: واضح من كلام الغزالي أنه تكلم عن العزلة الصوفية وانتصر لها. علما بأنه لا عزلة في الإسلام ، ولا مكان للعزلة الصوفية فيه، فهي عبادة من عبادات الطريق الصوفي التي يجب على الصوفي ممارستها ولهذا أصر الغزالي على الانتصار لها بكل قواها بحق وبغير حق . وقوله يتفق تماما مع التصوف ، لكنه ليس من دين الإسلام، وفيه أيضا تناقض وتضليل وتحريف للشرع. لأنه أولا إن العلم الصحيح بالله وتحصيل علوم الإسلام لا يتطلبان العزلة الصوفية أبدا. لأنه من الثابت شرعا وتاريخا أن النبي- عليه الصلاة والسلام- ربى الصحابة، وعلّمهم العمل والإيمان وعلوم الشرع في الميدان بتطبيق شريعة الله تعالى قلبا وقالبا ، ولم يعلمهم ذلك في العزلة الصوفية، ولا أمرهم بها. وهذا يعني قطعا أن العلم الصحيح بالله وبدينه لا يتم بالعزلة الصوفية، وإنما يتم بإتباع الشرع تطبيقا في الواقع لا في العزلة الصوفية.

وثانيا يجب أن لا يغيب عنا أن التحقق بمعرفة الله في التصوف لا مكان لها في دين الإسلام، لأن الغزالي قصد بها أن الصوفي يعتزل ويدخل في ممارسة الطريق الصوفي- الخلوة، الجوع ، العطش، الصمت، السهر- حتى يصل إلى مقام المعرفة ، وهو الفناء في الله،-وحدة الوجود- وفيها يصبح الصوفي مكاشفا ورباً وإلها. لكن الغزالي أشار إلى ذلك تلميحا بذكر الكشف والبصيرة .

وأما ذِكره لعلوم الشريعة فهو من باب التقية والتستر بالإسلام ، لأن الطريق الصوفي لا وجود فيه للاشتغال بعلوم الشريعة، لأن الصوفية متفقون على أن أركان الطريق الصوفي أربعة: الخلوة، والجوع، والصمت ، والسهر[2]، وليس من بينها الاشتغال بعلوم الوحي. ومن جهة أخرى فإن كلامه فيه تناقض واضح، لأنه لا يُمكن الجمع بين التصوف- أصولا وفروعا وغاية- وبين علوم الشرع، فمن أخذ بالتصوف عن فهم ونية فلن يطلب علوم الشرع عن صدق، والعكس صحيح. فلا يُمكن الجمع بينهما بأي

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 324 .
[2] للتوسع في ذلك وتوثيقه أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، والكتاب منشور إلكترونيا .

حال من الأحوال ، ومن يجمع بينهما فهو إما أنه جاهل ولا يعي ما يقول ، وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه، وإنما أنه أخذ بالجانب الشرعي الموجود في هامش التصوف فظن أن ذلك هو التصوف، مع أن الحقيقة ليست كذلك. وهذا الأمر سبق لنا أن ناقشناه وبينا أنه لا يُمكن الجمع بين الإسلام والتصوف ، لأن كلا منهما يُمثل بنفسه دينا قائما بذاته[1].

وأما حكاية الأنس بالله ، فهي تضليل وتحريف للشرع، لأن ما يجده الصوفي من أنس ليس هو أنسا شرعيا، وإنما هو أنس صوفي من ضمن الأحوال التي تنعكس على الصوفي من ممارسته لعبادات الطريق الصوفي. لأن الأنس الصحيح لا يُمكن أن يوصل صاحبه إلى العزلة الصوفية، وإنما يوصله على العبودية التامة لله بتطبيق شريعته قلبا وقالبا، ويكون من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162))، و((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء: 65)) .

وبعدما انتصر الغزالي للعزلة الصوفية وأراد أن يتكلم فيها بتوسع ويذكر شروطها وآدابها طرح تساءلا على لسان شخص آخر، فقال: ((فإن قلت: فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه في العزلة ؟. فنقول: إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة ،وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولا. ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا. ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا. ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا. فهذه آداب نيته ،ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة ،وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته))[2] .

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف وتحايل ، وانسحاب من دين الإسلام باسم الإسلام للدخول في الدين الصوفي بدعوى التفرغ لعبادة الله. لأنه أولا إن الغزالي لما انتصر للعزلة الصوفية وأراد أن يتكلم فيها انتصارا ونشرا لها تساءل ذلك التساؤل وشرع في تدوين ما خطط له سلفا.

---

[1] بينا ذلك في كتابنا : نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 342 .

فسمى متطلبات العزلة الصوفية آدابا مع أنها ليست آدابا أصلا، وإنما هي شبهات وحيل ومبررات فاسدة للتملص من أحكام الشرع عامة والمخالطة الشرعية خاصة باسم الإسلام وبدعوى عبادة الله. مع أن الحقيقة ليست كذلك، وإنما الرجل لما أراد التكلم في العزلة الصوفية اختلق تلك المبررات تسترا بالإسلام، مع أن الحقيقة أن العزلة هي من عبادات الطريق الصوفي المنبثقة من أصول التصوف. فهي أول خطوة عملية في تطبيق الطريق الصوفي لتأتي بعدها عباداته الأخرى[1]. لكن الرجل أخفى هذا وذكر أربعة مبررات مخالفة للإسلام سماها آداب العزلة . أولها لا يصح فعله شرعا ، لأن الله تعالى أمرنا أن نلتزم بشريعته قلبا وقالبا في نفوسنا وبيوتنا ومجتمعاتنا، وامرنا بأن نتعاون على البر والتقوى ، وندعو إلى الإسلام ، ونقول للناس حسنا. ولهذا لا يحق لأي مسلم أن يطلب الإذن من الله لينسحب من مجتمعه ويتخلى عن التكاليف الشرعية، بدعوى أنه ضعيف ، ولا يستطيع القيام بها !! . بل عليه أن يعمل ويجتهد حسب قدراته. والثاني لا يصح أيضا لأن طلب السلامة لا تكون بتعطيل أحكام الشرع المتعلقة بالفرد المسلم وعلاقته بأسرته ومجتمعه. فهو مكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستواها و حسب طاقته والتغيير بالقلب أضعف الإيمان. وهذا الانسحاب بدعوى السلامة ليس سلامة ، بل هو شر له ، لأنه عندما ينسحب ويعتزل الناس يكون قد ضيع حقوق أولاده وأقربائه وأصحابه عليه من جهة ، وارتكب آثاما بتركه صلوات الجماعة في المساجد وتضييع الحقوق من جهة ثانية، و بتركه للتكسب مما يجعله عالة على غيره ، والشرع قد حرم التسول إلا لمضطر من جهة ثالثة.

والأدب الثالث لا يصح أيضا لأن أداء حقوق أسرته والمسلمين واجب عليه، وتهربه منها مخالف للشرع. لأنه مكلف بأن يجتهد ويعمل ويكد لا أن ينسحب وينسلخ من الأحكام الشرعية بدعوى العجز والقصور. فهذا مبرر مرفوض، وغير مقبول.

والأدب الأخير- الرابع- باطل ومتناقض مع الشرع أيضا ، لأن من يقوم بتلك الأفعال بدعوى التفرغ لعبادة الله ليس هو في عبادته ، بل في عصيانه وتعطيل شريعته عن سبق إصرار وترصد. ومن يطبق تلك الآداب المزعومة فهو معطل لدين الإسلام ومنسلخ منه وسينتهي به الأمر إلى هدمه في النهاية. وهذه النتيجة هي ثمرة العزلة التي أشار إليها الغزالي

[1] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

ونـوّه بهـا. ولهـذا لا يصـح ولا يحـق لأي مسـلم أن يطبـق تلـك الآداب، لأن الأمر ليس بيده، فهو عبد الله تعالى ومؤمن بدينـه ومُطالب بتطبيق شريعته أحب أم كره، فحرام عليه ان يفعل ذلك، والأمر ليس بيده. فهل يصـح وهل يُعقل أن مسلما يستأذن الله تعالى بأن يسمح له بأن يتملص وينسلخ من دينـه عمليا ليتفرغ للعزلة الصوفية التي تزيده ضلالا وبعدا عن دين الإسلام ؟؟.

وأي عمل يبقـي للمسـلم بعدما ينسحب من مجتمعه ويعطل الشـرع ؟؟، فقول الغزالي : ((ثم ليكن فـي خلوتـه مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر)). هو تضليل وتحريف للشرع. لأن من عطل الشرع وخالفه باسم العزلـة لـم يبـق لـه علـم صـحيح يطلبـه، ولا عمـل شرعي يقوم بـه. وإنمـا هـو يقـوم بعبادات الطريق الصوفي، ويطلب علم المكاشفة المزعوم الذي يصبح بـه الصوفي ربا وإلها !! . فهذه هي الحقيقة التي أخفاها الرجل، لكنـه يتلاعب ويُسفسط لتحقيق ما خطط له سلفا.

وأخيرا فـإن الغزالـي بعدما ذكرنـا بعض أقوالـه فـي العزلـة والمخالطـة وتبين أنه كما انتصر للقائلين بالعزلـة أكثر مما انتقدهم ، وأرجع المخالطـة إليهـا بأنهـا مـن وسـائل التربيـة الصـوفية لتهيئـة المريد للعزلـة، فإنـه لخص موقفـه مـن العزلـة بقولـه: ((إذا عرفت فوائد العزلـة وغوائلهـا تحققت أن الحكـم عليهـا مطلقـا بالتفضـيل نفيـا وإثباتـا خطـأ ،بـل ينبغـي أن ينظـر إلـى الشخص وحاله وإلى الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة، ويقاس الفائت بالحاصـل ، فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل. وكلام الشـافعي -رحمـه الله - هـو فصـل الخطـاب إذ قـال: يـا يـونس الانقبـاض عن النـاس مكسبة للعداوة والانبسـاط إلـيهم مجلبـة لقرنـاء السـوء فكـن بـين المنقـبض والمنبسـط . فلـذلك يجـب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بـالأحوال . وبملاحظـة الفوائد والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر .وإنما هو إخبار كل واحد عن حالـة خاصـة هو فيهـا ولا يجوز أن يحكم بها على غيره والمخالف له في الحال))[1].

وأقـول: أولا إن الغزالـي بـيّن موقفـه جليـا مـن العزلـة الصـوفية ،فهـو مـن القائلين بها ، وقد انتصر لها أثناء عرضه لآراء القائلين بالعزلـة والمخالطـة كما سبق أن ذكرنـاه. ثم بعد ذلك أوجز موقفـه والآراء الأخـرى بكلامـه هذا.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 341 .

خَطّأ فيه من يحكم مطلقا بتفضيل العزلة أو المخالطة، وإنما هي حسب الأحوال والظروف وحاجات المعتزل أو المخالط . وبهذا يكون الغزالي قد أعطى شرعية للعزلة الصوفية وجعلها على قدم المساواة مع المخالطة . فهو هنا لم يُغير موقفه، وإنما دافع عنه وشرّعنه وبرره مع تفضيله للعزلة الصوفية، وتوظيف المخالطة لتكون في خدمة العزلة.

وثانيا إن الغزالي نسي أو تناسى أن موضوع العزلة والخلطة ليس أمرا متروكا للصوفية ولا لغيرهم من الناس، ولا لهم الاختيار في التفضيل بينهما، وإنما هو أمر شرعي من دون شك. فالله تعالى وحده هو الذي يحدد لنا ذلك ، لأنه سبحانه هو خالقنا وفرض علينا عبادته وأمرنا بتطبيق شريعته ونشر دينه. وهذا لا يتحقق إلا بالمخالطة ، ولا تحققه العزلة أبدا، بل هي تعطيل لدين الإسلام وهدم له في النهاية. ولنا في رسول الله-عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام أسوة حسنة، فقد كانوا فرسانا ودعاة في النهار، ورهبانا في الليل بشهادة القرآن الكريم.وهذا يعني قطعا أن المخالطة هي الأصل وأن العزلة ليست أصلا ولا حتى نصف أصل، وإنما هي أمر مباح وليست كالعزلة الصوفية، وإنما هي عزلة جزئية محدودة لا تخلو من مخالطة من جهة، وهي من أجل التربية الإيمانية لتُرجع المسلم إلى المخالطة من جهة أخرى. ولهذا لا يصح لمسلم أن يسوي بين المخالطة والعزلة، ولا أن يُفاضل بينهما وإنما يجب عليه أن يلتزم بالحكم الشرعي ويحث عليه، ويرد على القائلين بالعزلة الصوفية، ولا يعترف بها أصلا.

علما بأن المسلم أثناء ممارسته للمخالطة يُمارس أيضا عزلة شرعية لا صوفية، فهو يستطيع أن يخلو بنفسه في بيته أو في المسجد لطلب العلم أو للذكر، أو لصلاة النافلة، لكن ما إن يدخل وقت الصلاة حتى يخرج إلى المسجد ويختلط بإخوانه. بل وحتى عندما يكون يسير بينهم يستطيع أن يُمارس نوعا من العزلة على مستوى الفكر والمشاعر يكون خلالها في عبادة يتذوق أحوالها ومواجيدها. فهذه عزلة مشروعة وجزء من المخالطة، وليست كالعزلة الصوفية التي تقلب الأمر رأسا على عقب، فتجعل العزلة أصلا في الدين والدنيا، والمخالطة استثناء فيهما من أجل العزلة الصوفية من جهة، وتُعطل الشرع وتهدمه من جهة ثانية.

وبذلك يتبين أن قول الغزالي بأنه لا يصح التفضيل بين العزلة والمخالطة بحكم مطلق، هو قول غير صحيح. لأن المخالطة هي الأصل في الدين

والدنيا وليست العزلة وإنما هي استثناء لتحصيل فوائد تتم بها لنعود إلى المخالطة لا العكس. ولهذا لا يصح التسوية بين المخالطة والعزلة، وإنما يجب تفضيل المخالطة لأنها أصل في حياة البشر والعزلة استثناء. لكن الغزالي أراد بموقفه أن يُشرّعِن للعزلة الصوفية ، ويفتك من أهل العلم اعترافا بها على أنها مساوية للمخالطة ولا يصح الاعتراض على القائلين بها. وهذا إن تحقق له فهو انتصار كبير جدا له و للعزلة الصوفية.علماً بأن العزلة الصوفية ليست من الإسلام ولا شرعية لها فيه، ومن يبحث لها عن ذلك، فهو يُمارس التضليل والتحريف من حيث يدري أو لا يدري انتصارا للتصوف لا للإسلام .

وأما العبادة الثانية ـ من ممارسات الطريق الصوفي- فهي: الجوع الصوفي ، تكلم فيه الغزالي ومدحه وحث عليه ونوّه به ، وألبسه ثوب الشرع بدعوى أنه من الصيام . فمن ذلك أنه قال : ((ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف وانتصار للتصوف بالباطل. لأنه أولا إن سبب الظلم والانحراف عن الشرع ليس سببه الجوع ولا الشبع ،ومن الخطأ الفادح والمُضحك تفسير ذلك الانحراف بكثرة تناول الطعام أو بقلته !!. فكم من جائع مُجرم قتّال لِص حقود، وكم من شبعان مُتخم لكنه تقي صالح عادل مِفعال للخير كثير الصدقات، والعكس صحيح. فما سبب ذلك ؟، إنه من الواضح أن السبب ليس هو الجوع ولا الشبع وإنما الإنسان نفسه، فإذا كان مؤمنا تقيا صالحا فهو لا يظلم ولا يرتكب المنكرات سواء كان كثير الطعام أو قليله ؛وإذا كان ضالا فاسقا مجرما فهو يرتكب مختلف المنكرات سواء كان كثير الأكل أو قليله.

وثانيا إن قوله بأن الجوع يُضيق مجاري الشيطان فيه حق وباطل، وخطؤه أكثر من صوابه، لأن مجاري الشيطان ليس الجوع هو الذي يُضيقها ولا الشبع الذي يُوسعها. وإنما هي مرتبطة بإيمان الإنسان

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، بيروت ، دار المعرفة، ج 3 ص: 80 .

وإخلاصه وصدقه ومدى التزامه بالشرع . ولهذا كم من جائع فاق الشيطان في منكراته حتى أصبح إبليس من جنوده، وكم من شبعان تغلب على الشيطان فلم يستطع صرفه عن فعل الخيرات والجهاد في سبيل الله بأمواله ونفسه، حتى أصبح الشيطان يفر منه !! .

ومن جهة أخرى نحن لا ننكر بأن الجوع الشرعي- الصيام يُساهم في تقوية إرادة المسلم الصادق ويزيد من قوة إيمانه وتقواه ، لكن هذا مرتبط أولا بإيمانه وإخلاصه وليس بالجوع، لأنه في المقابل كم من مسلم صائم يزيده صومه جشعا وشراهة . ولهذا وجدنا الجوع الصوفي مع أنه مخالف للشرع، فإنه من جهة أخرى لا يُضيق مجاري الشيطان بل إنه يوسعها ويجعل الصوفي فريسة له ولوساوسه وتلبيساته حتى يخرجه عن حدود الشرع والعقل والعلم وينتهي به إلى الاعتقاد بكفرية وحدة الوجود. فأين حكاية الجوع وتضييق مجاري الشيطان ؟؟ !! .

ثم أنه قال : ((فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم -عليه السلام- وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما))[1]. وقوله هذا لا يصح ، وفيه تضليل وتحريف واضحان ، لأن آدم وحواء لم يكونا جائعين، ولا أرادا أن يأكلا كثيراً ، ولا نصحهما الشيطان بكثرة الأكل، وإنما الذي حدث هو((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى)((طه: 120)) . فليست شهوة البطن هي التي أوقعت أبوينا في الذنب، وإنما هي شهوة الخلد والملك .

وبذلك يتبن أن الغزالي قال ذلك انتصارا للتصوف لا طلبا للحقيقة ، ولا اتباعا للشرع ، لأن أمر الأكل والشرب واضح في الإسلام ، ومخالف لما قاله الغزالي، بدليل قوله تعالى: ((وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)). لكنه من أجل التصوف مارس ذلك التضليل والتلبيس والتلاعب، والغلو والمبالغة في إظهار خطر الشبع وأهمية الجوع، لأن الجوع من أساسيات عبادات الطريق الصوفي .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، بيروت ، دار المعرفة، ج 3 ص: 80 .

وقال أيضا: ((فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات...))[1]. وأقول: أولا يجب أن نعلم أن قوله هذا يصدق على عبادات الدين الصوفي لا عن العبادة في الإسلام. وهو مخالف للشرع مخالفة صريحة، لأن الإسلام أمر بالاعتدال في العبادات ونهى عن الغلو والتطرف.

وثانيا إن الحقيقة التي لا يصح أن تغيب عنا هي أنه يستحيل على الإنسان أن يقتل ويمحي غرائزه ودوافعه وشهواته مهما اجتهد في ذلك، لأنها من مكوناته الطبيعية والأساسية كإنسان، وأية محاولة لقمعها وقتلها ستنقلب على الإنسان وتدمره. ولهذا لا يصح القول بأن قلة الطعام تميت الشهوات.فهذا زعم باطل قطعا .

ومن جهة أخرى فإن قلة الطعام والمداومة عليه لا يُمكن أن تميت الشهوات وإنما تصيب الإنسان بعدة أمراض كفقر الدم مثلا، وتضعف قواه العقلية والجسدية حتى يعجز عن الحركة وتدخله في غيبوبة ويصبح كماً مهملا. وهذه الحالة لا تميتُ فيه الشهوات كما زعم الرجل ، وإنما تجعله أشد طلبا لها لأن جسمه يصبح في حاجة ماسة إليها وإلا ستكثر أمراضه ويموت تدريجيا هو كله لا شهواته فقط. وكلامنا هذا لا يحتاج إلى توثيق، فبالإضافة إلى أنه معروف بالضرورة من أنفسنا ، فنحن نراه بشكل واسع في المناطق التي تنتشر فيها المجاعات . ومن كذب وركب رأسه فليجرب ذلك على نفسه، ليرى ما سيحدث له !!.

وعندما تكلم الغزالي عن الجوع الذي يُمارسه الصوفي في تطبيقه لعبادات الطريق حدد كمية الأكل الذي يأكله حسب مدة الجوع، فجعله على ثلاثة درجات ، فقال: ((الدرجة العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما)) ومدح الغزالي الذين مارسوا ذلك ، وأثنى على بعضهم طوى خمسين يوما بقوله: ((وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته))[2]. و((الدرجة الثانية أن يطوي يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة))[3].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 88 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 121 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 122 .

و((الدرجة الثالثة وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل، وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة. فقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه و سلم-: "كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد" .وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة. وقال النبي صلى الله عليه و سلم لعائشة: " إياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتار وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك" .وهو المحمود في كتاب الله عز و جل))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف ، لأنه أولا إن من الثابت علميا وواقعيا أن كلا من قلة الأكل وكثرته تسببان للإنسان أمراضا ومشاكل صحية كثيرة قد تهلكه في النهاية إن واصل على ذلك الحال. والزعم بأن الجوع الشديد والطويل يُورث العلم والأنوار كلام باطل، لأنه ليس من الصيام الشرعي، وينتهي بصاحبه إلى الموت البطيء، ونحن نرى ونسمع يوميا ماذا يفعل الجوع بالناس في البلدان التي فيها المجاعات.

وثانيا إن الغزالي مدح الذين امتنعوا عن الأكل ثلاثة أيام فما فوقه إلى خمسين يوما، وجعلهم في الدرجة العليا. والحقيقة إني أشك في حدوث ذلك ، لأنه يصعب التصديق بأن إنسانا لا يأكل أربعين أو خمسين يوما- إلا شرب الماء- ويبقى في حالة طبيعية أو قريبة منها. فلاشك أنه يكون في حالة بين الموت والحياة إن وصل إليها. وحالته هذه لا يُمكن أن تُثمر علما ولا نورا، ولا يصح أن يُمدح عليها، ونحن نرى في العالم ماذا تفعل المجاعات بالناس في أماكن انتشارها فهي لم تروثهم علوما ولا أنوارا وإنما حصدتهم حصدا . ولأنه من المعروف أن الصوفية كانوا من الذين عرفوا باختلاق الروايات ، وهم ضعفاء في نقل الأخبار بحكم أحوالهم الغريبة وممارستهم للتقية التي تسمح لهم باختلاق الروايات انتصارا للتصوف[2].

والرجل مدح ذلك الجوع ليس لأنه من الشرع أو من العلم ، وإنما لأنه من ممارسات الطريق الصوفي، وفيها يصل إلى حالة الجذبة الصوفية، يفقد

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 122 .
[2] عن ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

فيها الصوفي حالته الصحية السوية، ويصبح فيها مريضا ضعيفا فاقدا لقدراته العقلية والبدنية والنفسية، وفيها تحصل له خداعات الحواس والهلوسات، والتلبيسات الشيطانية .

وثالثا إن الرجل تكلم عن الدرجة الثالثة وفيها وجبة واحدة في اليوم والليلة- 24 ساعة- وما زاد فوق ذلك فهو إسراف حسب زعمه. وقال بأن وجبة واحدة في اليوم هي الموافقة للسنة وللقرآن الكريم. وقوله هذا لا يصح بدليل الشواهد الآتية: أولها إن الحديث الأول الذي احتج به ضعيف، والثاني موضوع[1].

والشاهد الثاني إن من الثابت علميا وواقعيا أن وجبة واحدة في اليوم والليلة لا تكفي الإنسان ، والمداومة عليها تورثه أمراضا كثيرة بدنيا ونفسيا وعقليا. لأن جسمنا يحتاج يوميا إلى السكريات والبروتينات ، والأملاح والمعادن[2].

والشاهد الأخير- الثالث- ليس صحيحا أن وجبة واحدة في اليوم والليلة موافقة لكتاب الله فهذا غير صحيح، لأن الله تعالى قال لنا: ((وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31)). فلم يقل لنا جوعوا يوما وليلة ، ولا كلوا مرة واحدة في اليوم والليلة ، وإنما اشترط علينا عدم الإسراف في الأكل والشرب. ولا شك أن الآية لا تعني وجبة واحدة في اليوم والليلة ، وإنما أكثر من وجبة، بدليل أن الله تعالى عندما فرض علينا صيام رمضان جعله بين أُكلتي السحور والفطور من الفجر إلى المغرب- ما بين:9 – 16 ساعة حسب الفصول. وخارج رمضان تُضاف أُكلة عادة إلى فطور الصباح والعَشاء.

إن هذا الرجل أمره غريب جدا، إنه نسب ذلك إلى السنة والقرآن وهو ليس منهما. والأخطر من ذلك أنه جعل الدرجة الثالثة هي الموافقة للشرع، لكنه قدم عليها الدرجة الأولى وسماها العليا ومدح أهلها وأثنى عليهم. وهذا لا يصح شرعا ولا عقلا، ولا يقوله مسلم صادق يعي ما يقول. لأن فعله هذه هو تعالم وتعالٍ على الشرع وتقدم عليه. فهل يُعقل أن مسلما يُقدم اختيارات البشر على ما قررته شريعة الله ؟؟. وهل يصح في الشرع أو في العقل أن تكون اختيارات الإنسان أحسن وأولى من أحكام الله ورسوله !!؟؟. أليس من الواجب شرعا على كل مسلم أن يلتزم بالشرع ويقف عنده ولا يتجاوزه، ثم يرد على الذين يُخالفونه ؟؟. فلماذا أخر الغزالي حكم الله ورسوله وقدم عليه

---

[1] حسب تخريجات الحافظ العراقي وتوثيقات المحقق .

[2] أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة: التغذية، الغذاء، مخزون الغذاء.

اختيارات الصوفية ؟؟. إن ما فعله الرجل هو دليل دامغ على أنه لم يكن يبحث عن حكم الله ورسوله، وإنما كان يُقرر الجوع الصوفي وينتصر له، لكنه دائما يتظاهر بالشرع ويتستر به بمختلف وسائل التضليل والتحريف.

وأخيرا إن الغزالي عندما تكلم عن صيام الصوفية ومدحه وحث عليه ونوّه به ، وألبسه ثوب الشرع بدعوى أنه من دين الإسلام أشار إلى بعض صفات الصوفية الصائمين فقال : ((حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة . فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل ،وقلة اليقين برزقه الموعود، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا. فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز و جل: ((قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)(الأنعام: 91))[1].

وأقول: أولا إن الغزالي أسند القول إلى أرباب القلوب دون أن يُميزهم، لكن المعنى واضح بأنه يقصد شيوخ الصوفية وهو منهم . وذلك القول غير صحيح، وفيه مخالفات شرعية واضحة. لأنه لا يحق لأحد ان يحكم على أمر ما بأنه حلال أو حرام، أو خطيئة أو حسنة، إلا بدليل من الشرع، والرجل وأصحابه لم يذكروا نصا شرعيا ينص على أن من تحرك لكسب الرزق وتدبير فطوره في رمضان ارتكب خطئية . ولا توجد آية قرآنية ، ولا حديث صحيح يقول ذلك. فهم قد تكلموا بلا علم، ونسبوا إلى الشرع ما ليس منه.

وثانيا من الثابت في ديننا أن الله تعالى أمرنا بالعمل لطلب الرزق، ونهى عن التواكل والتسول لتحصيل للرزق كما سبق أن بيناه. وهذا عام يشمل رمضان وغيره من الشهور . والتوكل لا يعني ترك الأسباب وعدم السعي لطلب الرزق كما يزعم الصوفية، وإنما يعني التوكل القلبي على الله تعالى مع السعي لتحصيل الرزق كما بيناه في المبحث السابق . ولهذا فمن يخرج لطلب الرزق وهو صائم في أيام رمضان وغيره فهو الطائع لله والمجتهد في تطبيق شرعه،ومن يركن إلى العزلة والكسل في أيام صيامه يكون قد اختار الكسل والتواكل من جهة ، واتكل على غيره من الناس ليُوفر له طعام الفطور من جهة أخرى. فهو إما أنه متوكل على أولاده، أو على مال وفره لصومه، أو على جيرانه، أو على مطاعم السبيل، أو على

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 234 .

التسول واستعطاف الناس. وهذا كله ليس من الشرع ولا من التوكل على الله وإنما هو توكل على العباد الذين يُوفرون له فطوره.

وثالثا ليس صحيحا أن عدم طلب الرزق في أيام الصوم وعدم الاهتمام بتوفير الطعام هو رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين، فهذا افتراء عليهم. لأن الغزالي وأمثاله لم يذكروا دليلا واحدا من الشرع يثُبت زعمهم من جهة ، ومن الثابت من سنة النبي-عليه الصلاة والسلام- وسيرة صحابته- وهم من الصديقين والمقربين- أنهم كانوا يمارسون أعمالهم في رمضان كما كانوا يُمارسونها خارجه، واستمروا في طلب الرزق والجهاد كعادتهم في كل شهور السنة. ولا شك أن أنهم كانوا يهتمون بتوفير فطورهم وسحورهم ، وقد حثهم رسول الله –عليه الصلاة والسلام- على تعجيل الفطور وتأخير السحور[1]. ولذلك فإن الصوم الذي فضله الغزالي ليس هو صوم الأنبياء والصحابة ولا الصديقين وإنما هو صوم الصوفية الذين أقاموه على السلبية والتواكل كعادتهم، وقد جعلوا ترك التكسب -بدعوى التوكل- أصلا من أصول التصوف[2].

واستشهاد الغزالي بالآية التي ذكرها لا يصح، وهو إخراج لها من سياقها وتأويل فاسد لها ، لأنها وردت في سياق مخالف لما أراده الرجل، قال تعالى: ((وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)(الأنعام: 91)). فواضح من الآية إن استدلال أبي حامد الغزالي بها هو تلاعب ، وقطع لها من سياقها وموضوعها .لأن قوله تعالى: "قل الله ثم ذرهم " جاء جوابا على قوله سبحانه : " قل من أنزل الكتاب ..." .

وبذلك يتبن أن الغزالي قال بذلك الجوع وحث عليه ليس اتباعا للشرع ولا التزاما به ولا طلبا للحقيقة، وإنما فعل ذلك تقريرا للجوع الصوفي وانتصارا له لأنه من أساسيات عبادات الطريق الصوفي التي تنتهي بصاحبها إلى الفناء في الله - وحدة الوجود- .

---

[1] البخاري: الصحيح ، ج 3 ، ص: 36 ، رقم: 1957 ، وص: 29 ، رقم: 1920، 1923، . و الألباني: صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، ج 2 ص: 267 ، رقم: 2835 .

[2] بينا ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل ، وللتوسع فيه أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف ، منشور إلكترونيا.

وأما العبادة الثالثة- من ممارسات الطريق الصوفي- فهي: السهر- قلة النوم- قرر من خلالها الغزالي موقف الصوفية في دعوتهم إلى السهر وتقليل النوم إلا عند الضرورة[1]. من ذلك أنه ذكر أن الطريق الصوفي يتكون من أربعة أمور، منها: السهر[2]، وقال: ((اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب: الأولى إحياء كل الليل ،وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الليل وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم، فلم يتعبوا بطول القيام ،وردوا المنام إلى النهار ،وفي وقت اشتغال الناس. وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء))[3].

وأقول: كلامه هذا فيه تضليل وتحريف وتعالم على الشرع، ودعوة إلى السلبية و تعطيل الشرع و وعدم عمارة الأرض، لأنه أولا إن قوله هذا يندرج ضمن منهجه في الدعوة إلى التصوف والانتصار له، ومدح أهله حتى وإن خالفوا الشريعة ، لأن ثناءه على المرتبة الأولى وأهلها هو من الطريق الصوفي الذي أقامه الصوفية على : العزلة، والجوع والعطش الشديدين، وقلة النوم بسبب القيام[4]. وكان عليه أن ينظر إليهم ويزن فعلهم بميزان الشرع لا بميزان التصوف. لأن فعلهم مخالف للقيام الشرعي، الذي حدده الله تعالى في قوله سبحانه: ((وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً)(النبأ:9-11))، فالنوم من ضروريات حياتنا، ويجب على الإنسان أن يأخذ حقه منه بلا إفراط ولا تفريط. وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- ينام ويصلي، ولا يقوم كل الليل، ولا ينامه كله ، قال سبحانه: ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ...)(المزّمّل: 20))، و((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً)(المزمل: 1- 6)) .

ولذلك فمن لم يلتزم بما أمرنا الشرع به يكون قد انحرف عنه من جهة ، وعطل نهاره وضيع من يعول، وأصبح عالة على غيره من جهة أخرى.

---

[1] أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية، ص: 63 . و حلية الأولياء، ج 7 ص: 378 .

[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 3 ص: 76 .

[3] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 359 .

[4] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

ومن لا ينام في الليل سينام في النهار ولا يخرج في طلب الرزق، ولا يُؤدي حقوق الناس عليه. وهذا مخالف للشرع وسنة الحياة ، لأن الله تعالى لم يجعل النهار للنوم وإنما جعله للعمل وعمارة الأرض. قال سبحانه: ((وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً)(النبأ:9-11))، و((فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ...)(المزّمِّل: 20)) . ولهذا فمن كان يعبد الله حق عبادته ووفق شرعه لا يأخذ بموقف الغزالي والصوفية في دعوتهم إلى السهر وقلة النوم، لأن من يفعل ذلك فهو يعبد هواه ورغباته ولا يعبد الله تعالى وفق شريعته .

وثانيا إن قوله بأن ذلك فعله جماعة من السلف، فهم ليسوا حجة على دين الإسلام ، ولا علينا ولا حتى على أنفسهم ، والجميع مأمور بإتباع الشرع، قال سبحانه: ((وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً)(الأحزاب: 36))، و((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء: 59)). والذي رُوي عنهم يجب التأكد منه فقد يكون غير صحيح، وإن صح عنهم فهو مخالف للقيام الشرعي وكان عليهم عدم مخالفته، ولا يصح لغيرهم متابعتهم في ذلك.

ولذلك لا يصح مدح الغزالي لهؤلاء بقوله: ((الأولى إحياء كل الليل ،وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الليل))، لأن القوي في الإيمان والطاعة ليس هو الذي يخالف الشرع، وإنما هو الذي يلتزم به . فلا شك أن أقوى المسلمين هو النبي-عليه الصلاة والسلام- وصحابته ، ولم يكونوا يفعلون ذلك، وإنما كانوا كما وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً)(المزمل: 1- 6)) .

ومن أقوال الغزالي المتعلقة بفوائد السهر حسب رأيه ، أنه قال : ((فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفو الإرادات ...))[1].

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 88 .

وأقول: يجب أن نعلم أن قلة النوم عنده لا تعني الاعتدال وإنما تعني عدم النوم إلا عند الضرورة ، وقد سبق أن ذكرنا أنه فضل عدم النوم طول الليل. ولا شك أن النوم من الحاجات الفطرية والطبيعة فينا ومن ضروريات الحياة، وأن المداومة على قلة النوم مُدمرة للإنسان ، تنتهي بصاحبها إلى الانهيار وفقدان القدرة على النهوض، ويُدخل صاحبها في الأوهام وخداع الحواس، والهلوسات ، وتُصيبه بكثير من الأمراض[1]. فأية إرادة تصفو لمن أكثر من السهر ولم ينم إلا قليلا ؟؟. وهل من ذلك حاله تبقى عنده إرادة يتحكم بها في نفسه ؟؟.

وأما العبادة الرابعة- من ممارسات الطريق الصوفي- فهي: الصمت، بمعنى قلة الكلام ، ذكر الغزالي أن من فوائد ((قلة الكلام السلامة من الآفات ...))[2].

قوله هذا فيه حق وباطل، وتضليل وتحريف ، لأن قلة الكلام ليست فضيلة في ذاتها لمجرد أنها كذلك ، فقد يكون الصمت إثما وعارا وعيبا وسببا في هلاك صاحبه، وقد يتطلب أمر ما كثرة الكلام ، والعكس صحيح. ولهذا لا يصح مدح قلة الكلام لمجرد الصمت. لأن الله تعالى أمرنا أن ندعو إلى سبيله ،بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نقول للناس خيرا، وأمرنا بالجدال الحسن، وكل هذا لا يتم إلا بالتوسع في الكلام وليس بالصمت. قال سبحانه: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ9(النحل: 125))، و((لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(العنكبوت: 46))،و((وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً)(الإسراء: 53)) . وقد سجل القرآن أن نبي الله نوح-عليه السلام- أكثر من مخاطبة قومه وجدالهم ، قال سبحانه: (((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً)(سورة نوح:(5 – 9)، و((قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)(هود: 32)) . فقول الغزالي مخالف للشرع، ودعوة إلى السلبية

[1] سبق أن تناولنا هذا الموضوع ووثقناه في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 88 .

والهروب من المجتمع من جهة ، ودعوة إلى السكوت عن المنكرات ، وتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى الصمت للتفرغ للعبادة.

والعبادة الخامسة- من ممارسات الطريق الصوفي- هي : الدعوة إلى العزوبية والتنفير من الزواج بدعوى التفرغ للعبادة، قال الغزالي بذلك وشجع المريد – الصوفي المبتدئ- على ترك الزواج أثناء ممارسته للطريق الصوفي لكي لا ينشغل ولا يأنس بغيره ، فقال : ((ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى))[1].

وأقول: قوله هذا ليس من دين الإسلام وإنما هو من دين التصوف ، وفيه تضليل وتحريف انتصارا للتصوف وطعنا في الدين . لأن النبي- عليه الصلاة والسلام- هو التطبيق العملي للشرع، وقدوتنا في تطبيقه ، ونحن مطالبون بإتباعه . وبما أن القرآن الكريم حث على الزواج وحببه إلينا، وجعله من نِعم الله علينا، وأباح التزوج بأربعة نساء، ولم يُحدد التسري بعدد معين، فإن هذا يعني أن كثرة التزوج ليست خاصة بالنبي-عليه الصلاة والسلام -، ولا هو الوحيد الذي يستطيع تحمل تبعاته فلا يشغله عن الله ؛ وإنما يستطيع غيره من كبار وصغار الصحابة وتابعيهم أن يُكثروا من التزوج ولا يُبعدهم عن الأنس بالله ،ولا يشغلهم عنه أيضا. بل إن هذا قد تحقق فعلا وواقعا لأنه من الأوامر الشرعية، فمن الثابت أن كثيرا من الصحابة أكثروا التزوج والتسري، ومع هذا زكاهم الشرع وشهد لهم بالإيمان والعمل الصالح . منهم مثلا الصحابي الجليل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عندما أُستشهد ترك من بعده : أربع زوجات ، واحدى عشرة سرية أم ولد ، و31 ولدا[2]. فحسب كلام الغزالي وأمثاله فإن عليا قد أنس بنسائه، وأولاده وخدمه وعبيده، وانشغل عن الله تعالى !!. ومع أن هذا باطل، ولا يصدق عليه، فإن كلام الغزالي يستلزم ذلك ، مما يدل على أن كلام غير صحيح في ميزان الإسلام، ولا يصدق على المؤمنين به، لكنه يصدق على الصوفية وأمثالهم من رهبان البوذيين والنصارى الذين يشغلهم التزوج عن عباداتهم[3]. ولاشك أن الغزالي يعرف ما قلناه، لكن تعصبه للتصوف حمله على قول ذلك ممارسة للتقية وتحريفا

---

[1] الغزالي: الإحياء، ج 3 ص: 101 .

[2] أنظر : الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ص: 163 . و ابن كثير : البداية ، ج 7 ص: 353 ، 356 . و ابن تيمية : منهاج السنة ، ج 7 ص: 483 . و الذهبي: الخلفاء الراشدون ، ص: 398 .

[3] أنظر مثلا: عبد الله مصطفى نومسك : البوذية ، تاريخها وعقائدها ، وعلاقة الصوفية بها ، ص: 446 .

للشرع وتضليلا للمسلمين لتقرير دعوة التصوف إلى العزوبية والتنفير من الزواج .

والعبادة الأخيرة - السادسة من ممارسات الطريق الصوفي- هي : السماع الصوفي- الغناء والرقص- ، قسمه الغزالي إلى أنواع منها المحرم ،ومنها المباح، ومنها غناء الصوفية ورقصهم وتمزيقهم لثيابهم بدعوى الحب الإلهي والعشق والوجد والطرب والفرح . فقال عن الغناء الصوفي: ((السابع: سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها .وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذ من الوجود والمصادفة أي صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع .ثم تكون تلك الأحوال اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها))[1].

وأقول: ذلك السماع- الغناء- لا وجود له في دين ألإسلام، وإنما هو في الدين الصوفي، والرجل كعادته يتكلم عن التصوف على أنه من الشرع، أو موافق له ، مع أن الحقيقة هي أنه مخالف له. وقوله هذا تضمن أباطيل وتضليلات وتلبيسات كثيرة. منها أولا إن ذلك السماع الذي أباحه وأثنى عليه وبالغ في تعظيمه حتى جعله من أفضل العبادات حسب زعمه، هو سماع الصوفية وليس من دين الإسلام، فلم يكن النبي- عليه الصلاة والسلام- يجمع الصحابة على الغناء والرقص، ولا جعله من العبادات التي يُتقرب بها إلى الله تعالى، بل إنه نهى عن استخدام المعازف كلها إلا الدف،وسماع الشعر والحداء، وإباحته للفرح في الأعراس لا علاقة له مطلقا بغناء الصوفية ورقصهم[2].

وليس في دين الإسلام غناء يُسمى بغناء من أحب الله وعشقه، فهذا من الدين الصوفي لا من دين الإسلام، وقد كان النبي-عليه الصلاة والسلام- في

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 391- 392.
[2] للتوسع في موضع الغناء عند الصوفية وردنا الموجز عليهم انظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.

قمة الحب لله والاشتياق إليه ومن بعده صحابته الكرام وليس عندهم سماع يسمى بسماع من أحب الله وعشقه.

وثانيا إن قوله بأن غناء الصوفية هو أيضا سماع من عشق الله ، فهو ينطبق على الحب الصوفي الذي يوصل أصحابه إلى العشق، ولا ينطبق على الحب الشرعي . فليس في دين الإسلام عشق بين الله وعباده، ولا بينه وبين أنبيائه، وإنما يوجد حب بينه وبينهم مع تباين قوته، لقوله سبحانه: ((يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...)(المائدة: 54))، و((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)). وتوجد مرتبة أخرى فقط هي الخُلة، جعلها الله سبحانه بينه وبين أنبيائه ، كإبراهيم ، ومحمد- عليهما الصلاة والسلام- . قال سبحانه: ((وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)(النساء: 125))، وفي الحدث أن النبي- عليه الصلاة والسلام قال:((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا و لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ...))[1]. فلا وجود لمرتبة تسمى العشق بين الله وعباده، فالقول به هو انحراف عن الشرع وتعالم عليه. علما بأن لفظ العشق يُستخدم للتعبير عن نوع من أنواع الحب بين الرجل والمرأة، لا بين الخالق والمخلوق، فهو لفظ مُستهجن وتنفر منه الطباع السليمة إذا استخدم بين الله وعباده . ولو كان العشق مرتبة من مراتب الحب الإلهي بين العبد وخالقه لذكره الله سبحانه وتعالى في شرعه .

وأما استدلال الغزالي على قوله بالعشق بين الله وعباده بقوله : ((ولذلك قال العرب: إن محمدا قد عشق ربه. لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء))[2]. فهو قول لا يصح ولا يثبت ، لأنه مخالف لما ثبت في الشرع بأن العلاقة بين الله وعباده هي علاقة حب لا عشق. ولأن الغزالي لم يذكر لخبره إسنادا ولا مصدرا لنتأكد من صحته. ولأنه قد بحثتُ عن تلك المقولة في آلاف المصنفات من كتب التفسير والحديث ،والتاريخ والآداب واللغة، والفقه وأصول الدين فلم أعثر لها على أثر إلا عنده . فمن أين له بها ؟؟، ولماذا لم يذكر لها مصدرا ؟؟، ولماذا لم يحرص على تحقيقها لمعرفة درجتها من الضعف والصحة ؟؟ . فهل هي من مختلقات وأباطيل الصوفية؟؟.

[1] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 1 ص: 232 - رقم : 2445 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 391- 392.

وثالثا لا يصح الاحتجاج بأحوال الصوفية على صحة سماعهم بدعوى أنه يحرك مواجيدهم وعواطفهم ويُهيج أشواقهم ، ويفتح عليهم مكاشفاتهم ومشاهداتهم . فهي ليست أدلة شرعية ولا عقلية ولا علمية، وإنما هي مزاعم وأحوال لا تحمل بداخلها أدلة صحيحة تثبتها. لأنه من الثابت شرعا وواقعا أن كل عمل يقوم به الإنسان ويُحبه ويُكثر منه إلا وينعكس على وجدانه وعواطفه ويُكسبه سرورا و لذات ومواجيد يتلذذ بها. قال تعالى: ((زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 43))، و((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(الزمر: 45))، ويحدث العكس للمؤمنين ، كما في قوله سبحانه: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال : 2)) . ولولا ما يجده الناس من لذات في أفعالهم التي يحبونها ويعملونها عن طواعية ما قاموا بها، فيجدون لذاتهم وأذواقهم في غذائهم وطعامهم وشرابهم ولهوهم . ونفس الأمر ينطبق على الصوفية في طربهم ورقصهم وصياحهم وهياجانهم. والشاهد على ذلك أيضا ما يظهر على مرتادي الحفلات الغنائية والمقابلات الرياضية، فيظهرون في غاية الفرح والسرور مع الصراخ والرقص، ولهم فيها حالات من السكون والوجد تظهر عليهم حسب سير فعاليات حفلاتهم ومقابلاتهم.

ومن جهة أخرى فإن مما يثبت فساد أحوال ومواجيد الصوفية التي احتج بها الرجل والمتعلقة بغنائهم، هي أنها أحوال ليست شرعية، وإنما هي من أهوائهم وظنونهم وتلبيسات الشياطين عليهم ؛ بدليل أن الغزلي ذكر أنها تجعل الصوفي لا ((ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه)). وهذا دليل دامغ على بطلان سماعهم المزعوم. لأنه يجعل الصوفي يعتقد بوحدة الوجود، فلا يرى في الكون إلا الله ، ولا يسمع إلى منه أو فيه. وبما أن هذا حاله ، والواقع الشرعي والعلمي والعقلي خلاف زعمه، فهو يُثبت أن ما نراه من موجودات هي مخلوقات حقيقية لله وليست هي الله، وهو سبحانه قد أمرنا بالتدبر والبحث في مظاهر الكون على أنها من مخلوقاته الدالة عليه لا على أنها هي الله. فالذي قاله الغزالي هو دليل دامغ على بطلان ما ستشهد به لتأييد غناء الصوفية .

ثم بعدما تكلم الغزالي عن السماع الصوفي- الغناء والرقص- وأباحه وجعله طريقا إلى حب الله و" عشقه " حسب زعمه ذكر حديثا وعلّق عليه بقوله: ((فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول- الله صلى الله عليه وسلم- أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز و جل قال فمن خلق الأرض قالت الله عز و جل قال فمن خلق الجبال قالت الله عز و جل قال فمن خلق الغيم قالت الله عز و جل قال إني لأسمع لله شأنا، ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع . وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد .وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى))[1].

وأقول: كلامه هذا فيه تضليل وتحريف، وغير صحيح في معظمه، لأنه أولا إن الحديث الذي استشهد به ضعيف ومُنكر جدا[2]. وثانيا إن الرجل تكلم بلسان التصوف وبه أخضع الشرع له وحرّف كثيرا من نصوصه انتصارا للتصوف. فقوله بأن الله ما أنزل الكتب على الناس إلا ليطربوا بذكر الله كلام غير صحيح، وافتراء مُتعمد على الله تعالى، وجرأة على الشرع. لأن الله سبحانه ذكر في آيات كثيرة أنه أنزل كتبه ليُعرّف الناس لماذا خلقهم ، وليتبعوا شريعته، وليُبشرهم بالجنة وينذرهم النار، وليعبدوا الله حق عبادته،وليسعدوا في الدنيا والآخرة إن هم أطاعوه، وإلا سيكون مصيرهم العذاب المقيم، وليُقيم حجته عليهم يوم يقوم الناس لرب العالمين . فلا يوجد في دين الإسلام بأن الله تعالى ما أنزل كتبه على الناس إلا ليطربوا بذكر الله كما زعم الغزالي. وإنما قال لنا: ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد: 28))، و((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)(يونس: 57- 58))، و((رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)(النساء: 165))، و((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56)). فالله تعالى أنزل كتبه لتعبيد العباد لرب العباد في كل مجالات الحياة، ولم يُنزلها لتُطرب الناس وتُرقصهم .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 394 .

[2] الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج 14 ص: 5 ، رقم: 6501 . وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ج 5 ص: 490 . و العقيلي: الضعفاء الكبير ، ج 3 ص: 239 .

ونحن لا ننكر بأن في قراءة كتاب الله وتدبره حلاوة ولذة وفرح واطمئنان، فهذا ثابت بدليل الشرع والممارسة يظهر على المؤمنين ويجدونه في قلوبهم.. لكن من جهة أخرى ليس كل من يقرأه يجد ذلك في قلبه ، بل إن الكفار والمنافقين يجدون في قلوبهم عكس ذلك تماما، قال سبحانه : ((وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً (الإسراء : 46))) .فالهدف الأساسي من إنزال الكتب هو تعبيد العباد لله تعالى بشريعته، فمن آمن واتقى ظهرت عليه آثار الإيمان والصلاح، ومن كفر ظهرت عليه آثار الكفر والضلال. فقول الغزالي بأن الله ما أنزل كتبه إلا ليطربوا بذكره غير صحيح ، لأنه قلب للغاية الأساسية التي أنزل الله تعالى كُتبه من أجلها من جهة، ونفي للأصل وإحلال بعض آثاره محله من جهة أخرى .

ثم أن الغزالي عندما تكلم عن تهييج الغناء والرقص للصوفية ذكر أنه سماعهم أشد تهييجا لهم من القرآن وعلل ذلك بسبعة أوجه ، آخرها قول للسراج الطوسي أورده ووافقه عليه ، فقال: ((وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة . ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت . والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فإذا علقت الألحان والأصوات بما في الأبيات من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق . فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ واليه يعود. وهذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره))[1].

وأقول: كلامه هذا فيه تضليل وتحريف ـ وتضمن أيضا كلمة حق هي أن الغناء الصوفي أشد وأكثر تهيجا وتأثيرا في الصوفية من القرآن الكريم. لكن تفسيره لذلك معظمه غير صحيح، لأنه أولا إن الحقيقة هي أن الغناء الصوفي بذاته حرام ، وليس من دين الله تعالى ورغم محاولات الغزالي لإثبات أنه من الغناء المباح فإنه لم يستطع إثبات إباحته، وإنما تكلم عن

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 420 .

انشاد الشعر والحُداء والأفراح ، ثم ألحق بـه غنـاء الصـوفية الـذي هـو مـن عبادات الطريق الصوفي، وهذا لا يصح كما سبق أن بينـاه . ولـهذا فالسـبب الأول في تأثير الغناء والرقص على الصـوفية أكثـر مـن تـأثير القـرآن فيـهم بفـارق كبيـر جـدا هـو عـدم جـواز الغنـاء الصـوفي، فـالقوم فـي لـهو حـرام ، ولـهذا استحوذ عليهم الشيطان وزيـن لـهم أعمـالهم ونفخهـم وهيجهـم وأوحـى إليهم بأن مـا هـم فيـه هـو مـن العلـم والأنـوار والمكاشـفات .لـذلك حُرمـوا مـن التأثر والتفاعل مع القرآن الكريم إلا قليلا.

وثانيا إن تفاعل الصوفية مع الغناء وتعظيمهم لـه وغلوهم فيه ، هـو شـاهد دامغ على انحرافهم عن الشرع، لـهذا حَرَمَهم الله تعالى مـن أنـواره وتفـاعلهم مـع كلامـه. لأن مـن يلتـزم بالشـرع بإيمـان وإخـلاص سـيرزقه الله تعـالى الإيمان واليقين والأحوال النورانيـة، ويجعـل لـه نـورا يمشـي بـه فـي النـاس، ويتفاعـل مـع القـرآن الكـريم تفـاعلا صـادقا بثبـات وإخـلاص ويقـين، قـال سبحانه: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفـال: 2))، و((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23)). ومن جهة أخرى فإن المؤمن التقي المخلص إذا سمع مـا يخـالف الشـرع ينفـر منـه ولا يتفاعـل معـه، وتشـمئز نفسـه منـه، فيحدث لـه عكس ما يحدث للصـوفية وأمثـالهم مـن اللاهـين والمنحـرفين عـن الشرع. فالصوفية يفضلون غنـاءهم ورقصـهم علـى سـماع القـرآن، ويصـدق علـيهم قولـه تعـالى: ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِـرَ الَّـذِينَ مِـن دُونِـهِ إِذَا هُـمْ يَسْتَبْشِـرُونَ)(الزمـر: 45)). والمؤمنون يحدث لـهم كس ذلك ، بدليل قولـه تعـالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُـهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانـاً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2)) ،و((لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَـهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)).

وثالثا إن قول السراج الطوسي غير صـحيح فـي معظمـه بـدليل الشـواهد الآتية: أولـها إن القرآن الكريم ليس صفة من صفات الله، وإنما هو كـلام مـن كلامه سبحانه الذي لا نـهاية لـه ، لقولـه سبحانه: ((قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَـاتِ رَبِّـي لَنَفِـدَ الْبَحْـرُ قَبْـلَ أَن تَنفَـدَ كَلِمَـاتُ رَبِّـي وَلَـوْ جِئْنَـا بِمِثْلِـهِ مَدَداً)(الكهف: 109)). وكلام الله هو من أفعاله وليس من مفعولاته، ولا هـو

صفة الكلام ، وكلامه من صفة الكلام. قال سبحانه : ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس : 82)).

والشاهد الثاني: إن تفسيره لقلة تأثر الصوفية بالقرآن بقوله : ((وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة))، هو تفسير لا يصح لأن القول بذلك هو اتهام لله تعالى بالعبث. بمعنى أنه أنزل كتابه على بني آدم، وأمرهم بقراءته والتفاعل معه والخشوع له مع أنه يعلم أنه لا يُمكن لهم أن يفعلوا ذلك لأنه كلامه غير مخلوق ولا تُطيقه البشرية. وهذا كلام باطل بدليل الشرع والتاريخ والواقع . فأما من الشرع فقد وصف الله تعالى حالات تأثر المؤمنين بالقرآن وتفاعلهم كقوله سبحانه: ((وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)(المائدة : 83))، و(((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2)). وأما من التاريخ والواقع فمن الحقائق الثابتة أن المسلمين كانوا وما يزالون يتأثرون بالقرآن عند سماعهم له، فيخشعون له وتلين جلودهم ، ويزدادون إيمانا وتقوى وصلاحا. بل إن هذا لوحظ حتى على بعض الكفار، فبعضهم أسلم بسبب سماعه للقرآن فتأثر به ولان قلبه.

والشاهد الأخير- الثالث- لا يصح تبرير تفضيل الصوفية سماع الغناء على القرآن بدعوى أن طباع البشر تميل إلى سماع النغمات الطيبة وتتلذذ بها. لأن طباع البشر مفطورة على الخير والشر معا، فقد تتلذذ بالحرام كما قد تتلذذ بالحلال، وقد تخشع بسماع القرآن وقد تخشع بسماع غناء الشيطان. ولهذا كان المسلمون الأتقياء قديما وحديثا ينجذبون لسماع القرآن الكريم ويتفاعلون معه ، لكنهم ينفرون من سماع الكلام الحرام من غناء وكلام فاحش. وأما أهل الضلال على اختلاف طوائفهم ونِحلهم فهم يهيجون ويتفاعلون مع كل ما يُخالف الشرع قال تعالى: ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(الزمر: 45)).

وبذلك يتبين أن الصوفية وقعوا في شِباك الشيطان التي اصطادهم بها، فهم أدركوا أن غناءهم ورقصهم يُهيجهم أكثر من القرآن الكريم واعترفوا بذلك ، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن السبب في ذلك هو انحرافهم عن الشرع وأن ما هم فيه حرام . فزين لهم الشيطان سماعهم وأوحى لهم بتلك التبريرات

التي ذكرها الغزالي والسراج وغيرهما ، فأقنعوا بها أنفسهم وأصروا على انحرافهم، وغاب عنهم أن الخلل فيهم لا في القرآن الكريم . وبذلك استحوذ عليهم الشيطان وكبلهم بحباله وأبعدهم عن الصراط المستقيم ففضلوا غناءهم ورقصهم على سماع القرآن الكريم .وحالهم هذا هو من المكائد التي كاد الشيطان بها الصوفية قديما وحديثا.

وإنهاء لهذا الفصل-الثالث- يتبين جليا أن أبا حامد الغزالي عندما قرر أصول التصوف وعباداته - كالحب والتوكل ، والعزلة والجوع - مارس التقية الصوفية باستخدام مختلف طرق التضليل والتحريف انتصارا للتصوف. وأنه من جهة أخرى ضرب صفحا عن كثرة الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها بسبب تعصبه للتصوف وممارسته للتقية وطرقها غير الشرعية.

واتضح أيضا أن الصوفي لا يعبد الله طاعة له والتزاما بشرعه حتى يموت، وإنما يُمارس عبادات الطريق الصوفي طلبا للفناء في الله - وحدة الوجود- فعندما يصل إليه حسب زعمه يُمكنه أن يتوقف عن ممارستها لأنه أصبح ربا وإلها، فكيف يعبد الله نفسه ؟؟. ولهذا ارتكب كثير من شيوخ الصوفية مختلف أنواع المنكرات، وأظهروا التعالي والتعالم على الشرع وعطلوه تماما من حياتهم تقريبا، وحولوا الدين إلى لهو ومجون ورقص وتمزيق للثياب.

الفصل الرابع

التضليل والتحريف في تقرير الغزالي لغايات التصوف وانتصاره لها

أولا: التضليل والتحريف في تقرير التوحيد الصوفي:
ثانيا : التضليل والتحريف في تقرير وحدة الوجود :

التضليل والتحريف في تقرير الغزالي لغايات التصوف وانتصاره لها

عندما يلتزم المريد بعبادات الطريق الصوفي تنعكس عليه آثارها ، منها ما هو جانبي ثانوي، ومنها ما هو أساسي يُمثل غايات التصوف النهائية، وهي التي يُدندن حولها شيوخ الصوفية . وهي في الحقيقة غاية واحدة سماها الصوفية بعدة اسماء ، منها : المعرفة، والمشاهدة، والشهود ، والوَلاية، والتوحيد، والتجريد، والفناء في الله، ووحدة الوجود . تلك الغايات تطرق إليها أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ومارس التضليل والتحريف في تقريره لها ودفاعه عنها ، وحرص على ربطها بالإسلام والتظاهر به مع أنها غايات هادمة له !!. فما تفاصيل ذلك ؟، وهل كان الرجل يُؤمن بتلك الغايات ؟؟، ولماذا حرص على ربطها بالإسلام مع هدمها له ؟؟.

أولا: التضليل والتحريف في تقرير التوحيد الصوفي:

تكلم أبو حامد الغزالي في التوحيد بلسانين: لسان الشرع ، ولسان التصوف، وكعادته قرر التوحيد الصوفي وانتصر له بالتضليل والتحريف مع التستر بالتوحيد الإسلامي من جهة ومخالفته وهدمه من جهة أخرى. فمن ذلك أنه قال : ((وهو التوحيد الذى يترجمه قولك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له .والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك: له الملك. والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك: وله الحمد .فمن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل. أعنى أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه. فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة، ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم المعاملة إلا بها .فإذن لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول: للتوحيد أربع مراتب ...فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه: لا إله إلا

الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين. والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار. والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق. فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان. والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ...والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحدا إذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن تلك رتبة العوام والمتكلمين... والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد...))[1]. وحسب الغزالي أن من لم يبصر((فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا))[2].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف ، وهدم للتوحيد الشرعي وانتصار للتوحيد الصوفي . لأنه أولا إن الغزالي تظاهر بأنه يشرح التوحيد الشرعي فإذا به يقرر النظرة الصوفية للتوحيد وينتصر لها وينتهي إلى نقض التوحيد الشرعي ، ففرّغ كلمة التوحيد الإسلامية من مضمونها الشرعي وملأها بالمضمون الصوفي ليُعطلها ثم يُدمرها في النهاية مع التستر بالإسلام والتظاهر به . وقد تكلم عن أنواع التوحيد الأربعة من دون أن يذكر أي دليل شرعي يُثبت زعمه، مع أن هذا الموضوع يجب أن يُعتمد فيه أصلا على الشرع أولا ، لأن كلمة الفصل فيه له وحده . فالله تعالى هو الذي يُبين لنا معنى التوحيد الشرعي ومراتبه: إقرارا واعتقادا وممارسة، وليس الصوفية ولا غيرهم هم الذين يُبينون ذلك.

---

[1] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .

[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص:86 .

ويُلاحظ على أبي حامد الغزالي أنه جعل إيمان المنافق من التوحيد، وهذا باطل لأن الشرع ألحق النفاق بالكفر ومن سُبل الشيطان وجعل أهله في الدرك الأسفل من النار، فكيف يكون النفاق توحيدا والأول في مراتب التوحيد؟؟!!. كما أنه وصف التوحيد الثاني- حسب تقسمه للتوحيد- بأنه توحيد عموم المسلمين ، ويقصد به التوحيد الشرعي ، لكنه لم يسمه بذلك لكي لا ينكشف أمره ، لكنه عاد وأشار إلى أنه يقصد التوحيد الشرعي عندما وصفه بأنه يعصم صاحبه من السيف والسنان . وهذا من التوحيد الشرعي لأنه توحيد عموم المسلمين كما وصفه الغزالي ،ولأنه يعصم صاحبه من السيف والسنان . والشاهد على ذلك أيضا أن الغزالي عندما ذكر التوحيدين الثالث والرابع لم يذكر التوحيد الشرعي كقسم منفصل مع أن التوحيد الشرعي هو الأصل والوحيد . فالرجل نسب التوحيد الثاني لعموم المسلمين وقصد به التوحيد الشرعي، نسبه إليهم تقية وتضليلا وطعنا فيه ، وفعله هذا باطل قطعا ومردود عليه، وشاهد ضده على أنه حرّف التوحيد الشرعي وتعالم عليه انتصارا للتوحيد الصوفي .

وثانيا إن تقسيم الغزالي للتوحيد إلى أربعة مراتب ، وهي: توحيد المنافقين، وتوحيد عموم المسلمين، وتوحيد الفانين في الأفعال- توحيد الفاعل-، وتوحيد الفانين في الله- توحيد الموجود- ؛ هو تقسيم مخالف للشرع من جهتين: الأولى تتعلق بالإقرار والاعتقاد: توحيد الاقرار والاعتقاد . والثانية تتعلق بتطبيق الاعتقاد عمليا والالتزام بمقتضياته قلبا وقالبا:توحيد الإيمان الذوقي والعمل الصالح – توحيد الإيمان والعمل الصالح- .

فبالنسبة للتوحيد الشرعي من جهة الاقرار والاعتقاد المُجمل هو توحيد واحد يقوم على: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لكنه من جهة التفصيل فهو على ثلاثة أنواع: الأول توحيد الربوبية ، فلا رب ولا خالق إلا الله تعالى ، وهذا التوحيد معظم بالبشر يقرون به ، لقوله سبحانه: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)(العنكبوت: 61))، و((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 172)).

والثاني: توحيد الألوهية ، هو إفراد الله تعالى بالألوهية والعبادة حبا وطاعة وخشية وإخلاصا والتزاما بشريعته لأنه سبحانه لم يخلقنا إلا لذلك ،

لقوله سبحانه: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56)) ، و((لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)(النحل: 36))،و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(البقرة: 21))،و((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(الأعراف: 59)).

والثالث توحيد الأسماء والصفات ، فالله تعالى أثبت لنفسه أسماء وصفات يجب إثباتها له وتوحيده وإفراده بها بلا تشبيه ولا تجسيم ، ولا تكييف ولا تأويل ، وإنما هو إثبات وتنزيه، قال سبحانه: ((وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأعراف: 180))، و ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11)).

ويُلاحظ على أنواع التوحيد الشرعي إن الأول يشترك فيه المسلم والكافر، لقوله تعالى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)(العنكبوت: 61)). وهذا التوحيد لا وجود له في التوحيد الصوفي الذي عرضه الغزالي وانتصر له، لأنه لا ينفي التعدد وإنما يُثبته، بمعنى أنه يُثبت الخالق والمخلوق. والثاني ينفي وجود إله مع الله وجودا وتشريعا ، لكنه لا ينفي وجود المخلوق بل يثبته بالشهادة الثانية. والتوحيد الشرعي الثالث ينفي مماثلة الله لمخلوقاته بذاته وصفاته ولا ينفي وجودها.

وأما الجانب الثاني من التوحيد الشرعي المتعلق بالإيمان الذوقي والالتزام بمقتضياته وظهور آثاره على المسلم قلبا وقالبا، فهوا وضح من قوله تعالى : ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الحجرات : 14))، و((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7))، و((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)(فاطر: 32)). واضح من ذلك أن الله تعالى قسم مراتب الموحدين- المسلمين- إلى ثلاث : موحدون عُصاه – الظالمون لأنفسهم- ، وموحدون من أصحاب اليمين، وموحدون من السابقين المقربين. والفرق بينهم هو في درجة الإيمان والإخلاص والالتزام بالشرع . ولهذا ذكرهم الله حسب

الترتيب الآتي: الظالم لنفسه، المقتصد، السابق بالخيرات . وأما المنافقون والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم فهم كلهم كفار مع أنهم يُقرون بتوحيد الربوبية ، بأن الله تعالى هو رب هذا الكون وخالقه .

فواضح من ذلك أن التصنيف الشرعي لمراتب الموحدين مخالف لتصنيف الغزالي ، لأن التصنيف الشرعي لها قائم على قوة الإيمان والإخلاص والعمل، لكن تصنيف الغزالي لها قائم على مدى الالتزام بالطريق الصوفي وممارسته ، ولا علاقة له بالالتزام بالشرع. ولهذا جعل الغزالي صاحب المرتبة الثالثة- التوحيد الصوفي الثالث، توحيد الفاعل- هو الذي لا يرى في الكون إلا أفعال الله ، وهذا لا وجود له في الشرع، وإنما الموجود هو المقتصد في إيمانه وإخلاصه والتزامه بالشرع.

والتوحيد الرابع عند الغزالي صاحبه أعلى مرتبة ، وهو الذي لا يرى في الوجود إلا الله حسب زعمه-توحيد الموجود- . وهذا مخالف للشرع لأن أعلى مرتبة للموحدين هي مرتبة السابقين بالخيرات ، فهم السابقون والمقربون في جنة النعيم . فالتوحيد الذي قال به الغزالي وانتصر له مخالف للتوحيد الشرعي: تقسيما ومضمونا وممارسة . فالرجل قرر التوحيد الصوفي لا التوحيد الإسلامي.

وثالثا إنه واضح من تقسيم الغزالي للتوحيد ومراتب الموحدين أنه أثنى على التوحيدين الثالث والرابع ، لأنهما من صميم التوحيد الصوفي والرابع أرقى وأعظم من الثالث الذي هو مقدمة للرابع حسب ما ذكره الغزالي. وتفصيل ذلك هو أن صاحب التوحيد الثالث يصبح لا ((يشاهد إلا فاعلا واحدا إذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه)). وهذا التوحيد هو الخطوة الأولى لدخول توحيد الصوفية، ويُعرف بالفناء في الأفعال فبعدما يفنى الصوفي عن ذاته ومحيطه لا يصبح يرى إلا فاعلا واحدا هو الله. وبمعنى آخر أنه يصبح ينظر إلى أفعال الكائنات بعين الوحدة والجمع لا بعين الفرق، أي أن أفعالها ليست أفعالا حقيقية قائمة بذاتها ، وإنما هي من أفعال الله لا من أفعال تلك الكائنات، فهو: توحيد الفاعل. فهذا هو التوحيد الثالث عند الغزالي الذي يعني الفناء في أفعال الله ، ولاشك أنه توحيد مخالف للشرع ، وباطل وزائف ووهمي لا وجود حقيقي له في الواقع ، ولا اعتبار له في ميزان الشرع والعقل والعلم. لأن كلا من الشرع والعقل والعلم يُثبت بأن

للمخلوقات أفعالا حقيقية قائمة بها وهي قادرة على التأثير بها في الكون ، وهي من أفعالها وليست من أفعال الله تعالى. قال تعالى: ((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)(التوبة : 105)) ، و((كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(المرسلات: 43))، و((قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)(النمل: 40)) . ولذلك فإن أي توحيد يقوم على نفي وجود أفعال المخلوقات وتأثيرها الحقيقي في الواقع ويجعلها من أفعال الله فهو توحيد باطل وزائف مصدره الهلوسات والتلبيسات الشيطانية ، وليس من الشرع ولا من العقل ولا من العلم. وبما أن الغزالي قال بذلك ، فتوحيده المزعوم باطل قطعا .

ثم أن الغزالي توسع في شرح التوحيد الثالث- الفناء في الأفعال، توحيد الفاعل - وربطه بالتوكل دون الرابع بدعوى أنه لا يجوز التوسع فيه، فقال عن الثالث: ((وأما الثالث فهو الذي يبني عليه التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز و جل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره ، بل كان منه خوفك واليه رجاؤك ،وبه ثقتك، وعليه اتكالك، **فإنه الفاعل على الانفراد** دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة بالبصر . وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغى به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسببين: أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات ، والثاني الالتفاف إلى الجمادات. أما الالتفاف إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه، وعلى الغيم في نزول المطر ،وعلى البرد في اجتماع الغيم ،وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها .وهذا كله شرك في التوحيد ،وجهل بحقائق الأمور ... ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز و جل . فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهى التفات من أخذ لتُحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته،

فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد، والقلم الذي به يكتب التوقيع يقول: لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل .ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب))[1].

وأقول: قوله فيه حق وباطل، وتضليل وتحريف، وغير صحيح في معظمه . لأنه أولا إن التوكل في دين الإسلام لا يعني نفي السببية،ولا ترك تعاطي الأسباب، ولا نفي أفعال المخلوقات ولا إنكار قدرتها على التأثير، ولا نفي تحمل بعضها مسؤولية أعمالها، وإنما يعني الاعتماد القلبي الله تعالى أثناء ممارسة العباد لأفعالهم والتزامهم بالشرع. ولهذا لا يصح القول بأن التوكل يقوم على " التوحيد الثالث: لا فاعل إلا الله" ، وإنما التوكل الصوفي هو الذي يقوم على ما قاله الغزالي. فالتوكل الشرعي لا يقوم على: " لا فاعل إلا الله"، وإنما يقوم على الاعتماد القلبي على الله مع إثبات أفعال البشر وتحملهم مسؤولية أعمالهم الاختيارية. قال تعالى: ((فإذا عزمت فتوكل على))،و((فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(هود : 123))،و و((الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(النحل: 42))، وهذا الأمر سبق أن توسعنا فيه وبيناه في الفصل الثالث فلا نعيده هنا.

وثانيا إنه لا يصح نسبة أفعال المخلوقات إلى الله تعالى ولا وصفها بأنها أفعاله . لأن أفعاله تعالى من صفاته وهي من ذاته، ومخلوقاته من مفعولاته، وهي كائنات مخلوقة ولها وجود حقيقي ومنفصلة تماما عن الله تعالى بصفاتها وأفعالها. ولهذا فأفعال المخلوقات من أفعالها هي وليست من أفعال الله تعالى أبدا. وبما أنها كائنات مخلوقة لها كيان ووجود حقيقي فلا يُمكن أن تكون أفعالها هي أفعال لله تعالى. من ذلك مثلا أفعال المياه على الطبيعة، فلا شك أنها تحفر الوديان ، وتُمارس عمليات الحت والتعرية والتذويب، و تُحدث الفيضانات، وتُغرق الحقول والمدن. فهل هذه الأفعال هي من فعل المياه أم من فعل الله تعالى ؟؟، نعم هو الذي خلقها وسخرها، وأعطى لها القدرة على التأثير ، لكنه ليس هو الذي يقوم بتلك الأفعال وإنما هي التي تقوم بها من دون شك. ولهذا فإن تلك المخلوقات هي التي تقوم بأفعالها لكنها تختلف عن مدى مسؤوليتها عن أفعالها. فمنها من ليس لها أي مجال للاختيار فهي مسيرة ومُجبرة ومُسخرة كالأرض والشمس مثلا، فهما لا يتحملان أية مسؤولية عن أفعالهما. ومنها من لها مجال ضيق من

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 336 – 337 .

الاختيار حسب طبيعتها كالحيوانات مثلا، فلا شك أن لها نصيبا من الذكاء وحرية التصرف كما هو مشاهد في الطبيعة، بل وبعضها كان فقيها داعية كالهدد الذي المذكور في قوله سبحانه: ((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)(النمل: 20 - 26)). وقد جاء في الحديث عن النبي- عليه الصلاة والسلام قال: « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[1] .

ومنها من له مجال واسع من الاختيار مع أنه مُسير في جوانب أخرى كالجن والإنس. وهما جنسان مُكلفان بالعبادة ومسؤولان عن أعمالهما الاختيارية بأمر من الله تعالى. وبذلك يتبين أنه يجب أن نفرق بين فاعل الأفعال والمسؤولية عنها، فهما أمران مختلفان لا أحدهما يُلغي الآخر. فالإنسان مثلا مخلوق لله تعالى، لكنه هو فاعل أعماله ومسؤول عن الجانب المُخير فيها لا عن المُسير فيها.فكون الله تعالى هو خالق الإنسان لا يجعله هو فاعل أفعاله ، وإنما الإنسان هو الفاعل لها قطعا، فهو مسؤول عن المُخير فيها، وغير مسؤول عن المُجبر فيها. ولهذا وجدنا الله تعالى حمّل الإنسان مسؤولية أعماله ونسبها إليه كقوله سبحانه: ((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)(التوبة : 105)) ، و((كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(المرسلات: 43))، فلا يُعقل ولا يصح أن يكون الله تعالى هو الذي يفعل أفعال البشر مثلا ثم ينسبها إليهم ، ويُعاقبهم عليها، ويُخلد بعضهم في الجنة، وآخرين في النار. فهذا عبث ولهو، وظلم مُنزه عنه الله سبحانه وتعالى.

وثالثا إن قول الغزالي بأن الشيطان هو الذي يصد الإنسان عن التوحيد الثالث- معناه لا فاعل إلا الله، توحيد الفاعل- ويجعله يعتقد أن أفعاله هي منه لا من الله. فهو قول باطل، والصحيح هو العكس بدليل ما ذكرناه أعلاه. فالشيطان هو الذي لبّس على الغزالي وأمثاله وجعلهم يعتقدون أن أفعال

[1]مسلم: الصحيح ، ج 8 ص: 18 ، رقم: 6745 .

البشر هي من أفعال الله لا من أفعالهم !!. فمن ينسب أفعال البشر مثلا إلى الله تعالى فهو مخالف للشرع والعقل والواقع، ومُتهم لله تعالى بالعبث والظلم، وهادم للشرع كله . ولهذا حرص الشيطان أن يجر الغزالي وأصحابه إلى توحيده الثالث ليُوقعهم فيما ذكرناه. فأوقعهم في توحيد الفاعل، ليوصلهم إلى توحيد الموجود: لا موجود إلا الله حسب زعم الصوفية.

وليس صحيحا قوله بأن الالتفات إلى تأثير المخلوقات في الطبيعة هو شرك في التوحيد. فهو قول باطل قطعا، لأن الشرك لا يكون بإثبات تأثيرها في الطبيعة بحكم خِلقتها وتسخيرها وفق قانون السببية، وإنما يكون إذا قلنا أنها خقلت نفسها على تلك الصفات ولا خالق لها، ولا أحد يستطيع تغييرها. وأما إذا قلنا: إن الله تعالى خلق العالم وفق قانون السببية، وجعل في الكائنات خصائص وطبائع تعمل بها وفق قدرته وإرادته وعلمه وحكمته، فهذا ليس شركا ويجب الإيمان به، لأن كلا من الشرع والعقل والعلم دلّ على ذلك . ومن ينكر ما قلناه فهو مكابر ومعاند وجاحد إما جهلا، وإما تعمدا لغاية في نفسه. لأن تأثير المخلوقات في الكون وفيما بينها وفق قانون السببية هو قانون شرعي وكوني بدونه ينهار الدين والدنيا والطبيعة. فمن الجريمة في حق الشرع والعقل والعلم القول بما قاله الغزالي !! .

وأما قوله: ((ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز و جل)) . فهو غير صحيح ومأخوذ عن أرسطو في قوله بالمحرك الذي لا يتحرك[1]. إنه غير صحيح لأنه لا يصح تفسير العلاقة بين الله والكون بالحركة ولا على أنه امتداد له. لأن الحقيقة الشرعية والعلمية هي أن الوجود وجودان: وجود أزلي، هو الله ، ووجود مخلوق يتمثل في الكون الذي خلقه الله تعالى. فالكون يتمثل في المخلوقات. فنحن أمام خالق ومخلوق، ولسنا أمام مُحَرِّك ومُحَرَّك، ولا أمام حَرَكة ومُحرِك. فالعالم لا يحتاج إلى مُحَرِّك لأنه مخلوق، وإنما يحتاج بالضرورة إلى خالق. ولهذا لا يصح وصف الله تعالى بالمحرك الذي لا يتحرك، فهذا غير صحيح شرعا وعلما. فالله تعالى وصف نفسه بأنه خالق لا أنه مُحرِّك ، قال سبحانه: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)(الزمر : 62))،و((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ

[1] عن ذلك أنظر كتابنا: جنايات أرسطو على العقل والعلم ، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(الحشر: 24)). وهو سبحانه تعالى فعال لما يريد، ((وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ)(إبراهيم: 27))،و((إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)(هود : 107)).

وأما بالنسبة للمثالين اللذين ذكرهما الغزالي عن المحكوم عليه بالإعدام وعن الكاتب والقلم. فالرجل نظر إليهما من زاوية واحدة ووجههما لتأييد موقفه، وإلا فإن المثالين لا ينفيان فعل القلم والحبر والكاغد. فلاشك أنه كان لهذه الوسائل فعل واضح وساهمت فيما حدث، وقد كان الدور الفعال والأكثر تأثيرا للإنسان، لكن هذا لا ينفي فعل تلك الوسائل. فعندما يريد إنسان الكتابة فيأخذ قلما وورقة ويكتب ما يريد، فإن هذه العملية لم يُشارك فيها فاعل واحد، وإنما شارك فيها الإنسان والقلم والورقة. فهب أنه لم يجد قلما ولا ورقة ، أو وجد ورقة فقط. فهل يستطيع أن يكتب ؟؟. طبعا لا ، مما يعني قطعا أن العملية لا تتم بالإنسان فقط، وليس هو الفاعل وحده. وهب أن ذلك المَلِك الذي عفى عن المحكوم عليه بالإعدام أنه عندما حان وقت تنفيذ الحكم فيه وأراد الملك العفو عنه لم يكن في مقدوره العفو عنه إلا بالكتابة، لكنه لم يجد قلما ولا ورقة في ذلك الظرف ليكتب له كتابا بالعفو . فماذا كان سيحدث له ؟؟، طبعا سيُعدم . وأليس هنا ظهر دور القلم والورقة بشكل كبير وفعال ولم يكف فيه سعي الملك للعفو عنه ؟؟.

ثم أن الغزالي فسّر توحيده الثالث - لا فاعل إلا الله، توحيد الفاعل- وشرحه بنفي إثبات الأسباب والوسائط، فقال : ((التوحيد هو أن يرى- المرأ- الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها))[1].

وأقول: قوله هذا باطل، وفيه تحريف وتضليل، لأن التوحيد ليس هو نفي الأسباب ولا نفي الوسائط، ولا تعطيل عملها كما زعم الغزالي ؛ وإنما التوحيد كما جاء في الشرع ، وبيناه أعلاه يعني أنه لا إله إلا الله ، ولا رب سواه، ولا شريك له . وليس التوحيد هو نفي طبيعة الأشياء ووجودها وخصائصها وتأثيرها في الطبيعة ، فهي كائنات حقيقية فاعلة مُؤثرة خلقها الله تعالى على تلك الطبيعة ، مع قدرته على تعطيلها وإفنائها إن شاء . لكن هذا لا ينفي وجودها ولا تأثيرها في الواقع. والغزالي نفى السببية أخذا

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 74 .

بالأشعرية من جهة ، وإتباعا وتطبيقا للتصوف الذي جعل الموجودات أفعالا لله تعالى من جهة ثانية، ليُقرر في النهاية وحدة الموجود من جهة ثالثة.

وقال أيضاً **:** ((فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فإن الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله وما أخف مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم . فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وإن كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الأمير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز و جل فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا أنه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والأمير قاتلا لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه فقال الله تعالى في الموت :((قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)(السجدة: 11)) ،ثم قال عز وجل: " الله يتوفى الأنفس حين موتها" ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا)(الزمر : 42)) ،وقال تعالى: ((أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ)(الواقعة : 63)) أضاف إلينا ،ثم قال تعالى:((أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا)(عبس : 25 - 27)). وقال عز و جل: ((فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً)(مريم: 17)) ثم قال تعالى" فنفخنا فيها من

روحنا" ((فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا)(الأنبياء : 91))، وكان النافخ جبريل عليه السلام. وكما قال تعالى:((فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(القيامة: 18)) قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل. وقال تعالى :((قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ)(التوبة: 14)) فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل. بل صرح وقال تعالى: ((فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ)))(الأنفال: 17)) . وقال تعالى : ((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى)(الأنفال: 17)) وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا إذ هما معنيان مختلفان))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح ومقدمة للقول بوحدة الوجود- التوحيد الرابع حسب الغزالي- ، وفيه تضليل وتحريف. أولا يُلاحظ عليه أنه قرر أن الفاعل في الكون واحد بناء على قوله بوحدة الوجود ثم ذهب للشرع وحرفه وأظهر وجود تناقض بين فعل الله وأفعال مخلوقاته وقرر في النهاية أن الفاعل في الحقيقة هو الله. وهذا لا يصح لأن الله هو الخالق فعلا، لكنه ليس هو الفاعل وحده في الكون لأنه أعطى لمخلوقاته مجالا للفعل والتأثير منها الإنسان مثلا، فهو عندما يقوم بعمل ما فلا يُلغى الفعل الإلهي سواء نسبه الله إليه أو إلى ملائكته الذين يطيعونه ولا يعصونه . والله تعالى لم يترك الإنسان حرا طليقا يفعل ما يريد، وإنما هو محكوم بالإرادة الإلهية ، كما في قوله سبحانه: ((وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)(الإنسان: 30))، وكما قيل: يا عبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون "". فكل من الفعل الإلهي والبشري وفعل المخلوقات الأخرى هو حقيقة وليس مجازا ولا أحدهما يلغي الآخر كما زعم الغزالي، والآيات التي ذكرها ليست متناقضة ، وهي ضد ما قرره وتشهد على صحة ما قلناه ومتفق معها تماما .

وثانيا لا يصح القول أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله ، وإنما الصواب هو أنه لا خالق ولا إله إلا الله ، ومخلوقاته كلها فاعلة على الحقيقة حسب طبيعتها وحدود قدرتها ، كالإنسان مثلا، فهو فاعل على الحقيقة. فمع أن الله تعالى هو الذي خلقه فإنه أيضا أعطاه الوجود الحقيقي ومعه القدرة على الفعل حقيقة وله فعل مستقل من ذاته . فهل الحضارة الإنسانية التي شيدها الإنسان قديما وحديثا حتى بلغت إلى مرتبة عالية جدا على كل المستويات : عسكريا وعلميا واقتصاديا، هل أن الله هو الذي فعلها وانتجها وشيدها أم

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 256-257 .

الإنسان ؟؟. وهل عشرات الملايين الذين ماتوا في الحرب العالمية الثانية الله هو الذي قتلهم أم دول الحلفاء والمحور ؟؟. لاشك قطعا أنه ليس الله تعالى هو الذي فعل ذلك وإنما الإنسان هو الذي تسبب فيه وفعله . قال تعالى: ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الروم: 41)).

وثالثا لا يصح قوله: " فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد" . لا يصح لأن التوحيد المزعوم الذي قرره الغزالي ليس توحيدا شرعيا ولا علميا ولا عقليا وإنما هو توحيد باطل قرر خرافة وحدة الوجود المزعومة، فهو توحيد الفناء في الله عند الصوفية. وعليه فهذا توحيد باطل ولا يصح إضافته للشرع ولا محاولة تبريره والتوفيق بينهما ولا الاحتجاج به أصلا. لأن للشرع توحيده المعروف : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ولا خالق إلا هو ؛ وليس هو توحيد الغزالي وأصحابه: لا فاعل إلا الله، ولا موجود على الحقيقة إلا الله. وكما أن للشرع توحيده فإنه نص في آيات كثيرة جدا على أن كلا من الخالق والمخلوق له أفعاله ومستقل بها ، لأن الله تعالى هو الذي خلق كل مخلوق على طبيعته التي هو عليها. وهذا مخالف لتوحيد الغزالي الذي نفى فيه وجود المخلوقات وأفعالها على الحقيقة أصلا. لكن هذا الرجل تطبيقا للتقية وممارسة للتضليل والتحريف بدأ في التشكيك في أفعال المخلوقات ، ثم زعم دون دليل صحيح أن افعالها ليست منها وإنما هي من أفعال الله ،وبما أن الأفعال تابعة لفاعلها ولا تنفك عنه ، فهذا يعني أن المخلوقات ليست كائنات مستقلة بنفسها وإنما هي امتدادات وظلال لله لأنه هو فاعلها ، وهذا يعني أنها هي الله في النهاية، والله هو الكون أيضا . وهذا كفر بالإسلام وهدم للدين والعقل وقول بكفرية وحدة الوجود !!.

ورابعا إن الآيات التي ذكرها الغزالي وحاول تفسيرها وتوجيهها لتأييد رأيه هي في الحقيقة لا يوجد فيها آية واحدة نصت على أنه لا فاعل إلا الله ، وإنما كل النصوص الشرعية قائمة على أنه لا خالق إلا الله، وكل الموجودات الأخرى هي من مخلوقاته ولها أفعالها الحقيقية الخاصة بها. وأن كل أفعال المخلوقات ليست واحدة ولا لكائن واحد في هذا الكون، وإنما هي متعددة حسب فاعليها، منها أفعال لله تعالى تعمل عن طريق غير مباشر أو بطريق مباشر . ومنها الفعل البشري ، فهو مثلا ليس منفردا بالفعل في هذا الكون بل معه أفعال المخلوقات الأخرى كالرياح، والمياه، و النجوم ، ومنها أيضا الفعل الإلهي المباشر في الكون والمهيمن أيضا ،وقد يتدخل

ويحول دون تحقق أفعال المخلوقات أو بعضها، وقد يتركها تتحقق بمشيئة الله وحكمته وعدله ورحمته. قال سبحانه: ((وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)(الإنسان: 30)) ، و((وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)(الأنفال : 24)) . فالله تعالى قد يفعل بواسطة الملائكة فيأمرهم به ، فهم ((لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(التحريم : 6)) ،وقد يفعل مباشرة ، كقوله: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس: 82)). وقد يتدخل في توجيه أفعال بعض الناس عقابا لهم بسبب ظلمهم وانحرافه ، كقوله تعالى: ((وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الأنعام: 110)) ، و ((وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)(الأنفال : 24))، و(())، و((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)(الأنفال: 30)) .

فمثلا قوله تعالى: ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)) ، هنا تدخل الفعل الإلهي والبشري في هذا الحادثة معا، كل فعل أدى وظيفة. فالآية أثبتت رميين : للرسول، ولله . فالنبي-عليه الصلاة والسلام- حمل كمشة تراب ورمى بها جيش قريش ، لكن فعله لا يُمكن أن يوصل الرمية إليهم. وهنا تدخل الفعل الإلهي من جهة أخرى ولم ينف الفعل البشري، وإنما تجلى الفعل الإلهي من جهتين: هو الذي أمر بالرمي، وهو الذي أوصل الرمية بقدرته إلى المشركين وأدت عملها، إلى جانب فعل النبي بالرمي.

وأما الآيات المتعلقة بالقتل، فهي كلها لا تدل على أن الفاعل هو الله فقط ، وإنما أثبتت أيضا للمخلوق فعله في القتل جمعا بين الفعلين لا نفيا للفعل البشري. فلاشك أن الإنسان عندما يقتل إنسانا آخر – دون النظر إلى النية- فالإنسان هو الذي قتل بشرا مثله من دون شك ، قال تعالى: ((وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً)(الإسراء : 33))، ومن ((وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً)(النساء: 93)) .

وأما الفعل الإلهي في القتل فلاشك أن الحالات التي ذكرناه هي من فعل البشر وليست من فعل الله تعالى، لكن فعله يظهر من أربعة جوانب أساسية: الأولى في قتل الذين يستحقون القتل، كقتال المعتدين ، فهو الذي أمرنا بقتالهم ونحن ننفذ الفعل حقا. والثانية أنه سبحانه قد يقتل الكفار والظالمين ،

فيرسل عليهم الفيضانات والزلازل والصواعق.فهو الذي سخر جنوده لتدميرهم، وليس البشر هم الذين فعلوا ذلك فيهم .

والجانب الثالث هو أن الله تعالى نسب إلى نفسه القتل كما في قوله تعالى : ((فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(الأنفال : 17)). فهنا تدخل الفعل الإلهي وقتل المشركين، لأن ما حدث في معركة بدر كان فيها التدخل الإلهي واضحا عن طريق الملائكة، لقوله سبحانه: ((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)(الأنفال: 12)). وهذه الآيات لم تنف الفعل البشري بدليل قوله تعالى: ((فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ))، وإنما العامل الحاسم في المعركة كان التدخل الإلهي في وضع حد لأعمار المشركين وفي إلقاء الرعب في قلوبهم وإنزال الملائكة.

والجانب الأخير- الرابع- يتمثل اجتماع الفعلين الإلهي والبشر في حادثة تاريخية من جهتين مختلفتين. كما في قوله تعالى: ((قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ)(التوبة: 14)). فالآية جمعت بين الفعلين ولا تناقض بينهما ، لان كلا منهما حدث من جهة مغايرة للآخر.

وبذلك يتبن أن تدخل الفعل الإلهي في الكون لا ينفي أفعال مخلوقاته، وإنما هي أفعال تعمل أيضا في الكون بلا تناقض مع أفعال مخلوقاته، التي هي أيضا محكومة بالمشيئة الإلهية المطلقة وفق حكمة الله تعالى وعدله وإرادته وقدرته المطلقة.

وليس صحيحا أن التعذيب هو عين القتل، لأن الأمرين منفصلين ، فقد يحدث التعذيب دون القتل، وقد يحدث القتل دون تعذيب، وقد يحدث الأمران معا . فالقتل لا يستلزم التعذيب، ولا العكس.

وأما قوله بأن كل حادث في العالم فهو فعل لله و((خلقه واختراعه ، ولا خالق له سواه، ولا مُحدث له إلا إياه))[1]. فهو كلام ظاهره لا تثريب عليه، لكن حقيقته أنه تضمن حقا وباطلا ، تضليلا وتحريفا . لأن ما يحدث في العالم منه أفعال هي من أفعال المخلوقات وليست من أفعال الله كما بيناه

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين مج 1 ص : 110 .

أعلاه. ولا يصح القول بأن ما نراه من كائنات هي من فعل الله واختراعه ولا خالق لها سواه . لأن هذا القول مُجمل فيه حق وباطل ويجب تفصيله . والحقيقة هي أن فعل الله أوجد المفعول الذي هو المخلوق ، والفعل ليس هو المخلوق ، لأننا هنا أمام: الفاعل- الخالق- ، والفعل – عملية الخلق- ، والمفعول – المخلوق الناتج عن عملية الخلق- . ويُمكن توضيح ذلك بمثال آخر بصانع السيارة - ، عندنا: المهندس ، والفعل- عملية الصنع- ، والمصنوع- السيارة . فهنا عندنا: الفاعل، والفعل ، والمفعول . ولاشك أن الفعل تابع للفاعل ويعود إليه ولا ينفصل عنه كلية، لكن المفعول- السيارة- منفصل عنه ، وهنا لا يكون الفعل هو المفعول، ولا المفعول هو الفعل. وهذا يعني ان الله تعالى- وله المثل الأعلى- هو الفاعل، وبفعله – قوله كن فيكون – خلق الكائنات ، فبقيت أفعاله عنده وانفصلت عنه مخلوقاته.فالكائنات ليست افعاله كما زعم الغزالي وأراد ان يُوهمنا به، وإنما هي من مفعولاته – مخلوقاته- ، وهذا نحن نحس به في نفوسنا فلا أحد يحس من ذاته أنه من أفعال الله، وإنما يحس أنه كائن مخلوق له كيانه وأفعاله وهو مسؤول عنها في إطار جانبه المُخير فيه .

فواضح من ذلك أن الرجل لم يكن يبحث عن الفهم الصحيح للجمع بين أفعال الله تعالى ومخلوقاته وإنما كان يُمارس التضليل والتحريف ليُثبت قوله بنفي أفعال البشر وأنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله ليُقرر في النهاية عقيدة وحدة الوجود.

وأما التوحيد الرابع عند الغزالي فإن صاحبه ((لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد...))[1]. وهنا يكون الصوفي بلغ نهاية الفناء الصوفي فبعدما فنى عن نفسه ومحيطه ، ودخل الفناء في الأفعال ثم في الصفات يصل إلى النهاية بالفناء في الذات، وهذا معنى قول الصوفية: الفناء عن الخلق والفناء في الحق- الله-. فيصبح الصوفي يرى أن الله هو الكون ، والكون هو الله، فالكل واحد ولا يُوجد إلا واحد، وهذا معنى قول الغزالي السابق . وهذا التوحيد المزعوم الذي قرره الغزالي وانتصر له باطل قطعا بدليل الشرع والعقل والعلم، وهو كفر صريح بالله ورسوله ودينه[2].

---

[1] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 246 .
[2] فصلتُ ذلك وبينت بطلانه بالأدلة القطعية في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف، والكتاب منشور إلكترونيا .

فالغزالي أقام توحيده الرابع على عقيدة وحدة الوجود ، والتي تعني: لا موجود على الحقيقة إلا الله ؛ بعدما كان قد أقام توحيده الثالث على: لا فاعل على الحقيقة إلا الله . فانتقل الرجل من توحيد وحدة الفاعل إلى توحيد وحدة الموجود . وتوحيده هذا باطل قطعا ،ومن أوهام الصوفية وهلوساتهم وتلبيساتهم. إنه توحيد مخالف للتوحيد الشرعي وهادم له، لأن التوحيد في الإسلام يقوم على نفي وجود إله مع الله، ولا يقوم على نفي وجود التعدد: الخالق والمخلوق. فلا توحيد ولا إسلام بنفي وجود المخلوق.لأن الله سبحانه خلق المخلوقات ، وأرسل الأنبياء إلى بني آدم مبشرين ومُنذرين. وهذا يستلزم حتما وجود التعدد مع التفريق بين الخالق والمخلوق، ومن ينفي هذا التعدد فقد خالف الشرع والعقل والعلم وتعلّق بالأوهام والهلوسات والخرافات كحال الغزالي وأمثاله . فوجود المخلوق أمر يقيني مؤكد لا شك فيه، ووجوده دليل قطعي على وجود الخالق أيضا، فأي إنكار لأحدهما فهو باطل قطعا. وأعلى مراتب الإيمان في الإسلام هي مرتبة المقربين ،ثم مرتبة أصحاب اليمين. فهؤلاء هم صفوة المؤمنين من بني آدم وتوحيدهم قائم على تعدد الوجود لا على وحدته كما زعم الغزالي. فتوحيد الرجل ليس من الشرع ولا من العقل ولا من العلم وإنما هو من أوهامه وهلوساته وتلبيساته الصوفية . وهو من جهة أخرى شاهد على صاحبه- الغزالي- بأنه مارس التقية والتضليل والتحريف في تقريره للتوحيد الصوفي وانتصاره له مع أنه هادم للشرع والعقل والعلم !! .

وأما قول الغزالي بأن من لم يبصر((فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا))[1]. فهو قول صريح بأن التوحيد المعتبر عند الغزالي هو توحيد وحدة الوجود ، وتكفير مُتعمد لكل البشر من غير الصوفية !! . فكل بني آدم مشركين عند الغزالي إلا من يقول منهم بوحدة الوجود !! . فحسب توحيده أن كل من يُثبت مع الله موجودا آخر فهو مشرك تحقيقا !!!!. وقوله هذا باطل قطعا، وفيه جهل وجنون ، لأنه يعني أن كل الأنبياء وأتباعهم منذ أول نبي إلى يوم القيامة هم من المشركين، لأنهم يُفرقون بين الخالق والمخلوق ويثبِتون مع الله مخلوقاته ككائنات حقيقية مستقلة عنه وقائمة بذاتها. فحسب الغزالي أن هؤلاء مشركون ، وأما الصوفية أصحاب كفرية وحدة الوجود فهم الموحدون حسب زعمه !!!!. وهذا من دون شك ضلال كبير، وكفر صريح بقطعيات دين الإسلام وتكفير لأهله . بل إن قوله هذا قبل أن يكون تكفيرا

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص:86 .

للأنبياء وأتباعهم فهو تكذيب صريح لله تعالى لأنه سبحانه هو الذي أخبرنا أنه الخالق الذي خلق مخلوقاته، وأنه هو الإله الوحيد والخالق للكون كله. فالرجل قال بصراحة بأن من لم يبصر((فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا))[1] ؟؟ !!!! . إنها صراحة كشفت حقيقة الرجل، فترك الإشارات الصوفية الملغزة وعبّر عن وحدة الوجود بالعبارات الواضحة انتصارا للتصوف وأهله، وإنكارا لقطعيات الإسلام وطعنا فيه وفي المسلمين .

ثم أن الغزالي نص على أن الصوفية ((لم يروا في الكونين شيئا سواه))[2]. وتوسع في شرح مرتبة التوحيد الرابع بقوله: ((فإن قلت: كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة ؟، فكيف يكون الكثير واحدا ؟. فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات. وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال :العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة، نعم ذِكر ما يُكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار. وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ،وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد ،إذ نقول: إنه إنسان واحد. فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه. والفرق بينهما أنه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملتفت إلى الكثرة في تفرقه فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أُخر سواه كثير وبعضها أشد كثرة من بعض .ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا. ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتُؤمن به إيمان تصديق، فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك . وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص:86 .
[2] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 268 .

عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخوّاص يدور في الأسفار فقال: في ماذا أنت فقال أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال))[1].

وأقول: أولا واضح من كلامه أنه مارس التقية والتضليل والتحريف انتصارا للتوحيد الصوفي، فلم يُصرّح بحقيقة ما يعتقده في قوله بالفناء الصوفي بمراتبه: الفناء عن الخلق أولا، ثم يكون الفناء في الحق، ويتم ذلك تدريجيا في ثلاثة حالات: الفناء في الأفعال، ثم الفناء في الصفات، ثم الفناء في الذات. والرجل اعترف بأن الفناء الصوفي لا يصح البوح به ولا إظهاره لأنه كفر . فهو كفر من جهتين: الأولى هو كفر في الشرع وعند المسلمين لأن ذلك التوحيد المزعوم مخالف للشرع وهادم له. والجهة الثانية هو كفر عند الصوفية ليس لأنه مخالف للشرع والعقل والعلم ، وإنما هو كذلك لأن فيه إظهاراً لضلالهم وانحرافهم عن الشرع ، وفعل ذلك هو كفر عندهم.

وثانيا إن الرجل بيّن بوضوح أن التوحيد الرابع الذي شرحه ويقول به الصوفية- وهو منهم- يعني وحدة الوجود .لأن قوله بأن هؤلاء لم ((يروا في الكونين شيئا سواه))[2]، يعني أنهم يعتقدون بأنه لا موجود إلا الله، وأن الكون هو الله ، والله هو الكون، فلا موجود إلا واحد. لأن من يقول بمقولتهم بالضرورة يقول بوحدة الوجود . فهذا هو التوحيد المعتبر عند الغزالي وأصحابه. ولاشك أن قوله هذا باطل قطعا بدليل الشرع والعقل والعلم، لأن الحقيقة التي لا يُمكن ولا يصح ولا يُعقل أن تُنكر أو يُشك فيها هي أنه ليس كما قال الغزالي بأنه ليس في الكونين إلا الله ، وإنمه هي أنه ليس في الكونين إلا الله ومخلوقاته .

وأما استدلاله بالمثال الذي ضربه فهو شاهد آخر على أن التوحيد المعتبر عند الغزالي يعني القول بوحدة الوجود، لأنه نظر إلى الإنسان نظرة صوفية لا شرعية ولا علمية، وطبق عليه معنى وحدة الوجود. فالإنسان كموجود هو كائن واحد له مكونات وأطراف تابعة له ، لكنه من جهة أخرى

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 335 - 336 .
[2] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 268 .

هو كله يُمثل كائنا واحدا. فكذلك الصوفية نظروا إلى الكونين على أنهما يُمثلان شيئا واحدا هو الله. وبمعنى آخر أن الموجود عندهم واحد هو الله ،وما نراه من كائنات أخرى هي أشباح وظلال ورسوم ، وأفعال وامتدادات لله وتجليات له، لكنها في الحقيقة النهائية أنها تمثل كائنا واحدا هو الله. فالله والكون عند الصوفية هو كائن واحد، كالإنسان الذي تعددت مكوناته وأطرافه مع أنه في الحقيقة كائن واحد، لأن أطرافه منه ولا تنفصل عنه ، فهي هو ، وهو هي .

ذلك هو الاستدلال الذي استدل به الغزالي في قوله بتوحيد وحدة الوجود، إنه استدلال صوفي بمنطق وحدة الوجود !! . ولاشك أنه استدلال باطل شرعا وعلما ، لأن الإنسان الواحد بمكوناته يمثل كائنا واحدا ولا يمثل عدة كائنات مع غيره من بني آدم ولا مع باقي الكائنات. فهو واحد مهما تعددت أجزاؤه، ولا تنفصل عنه من جهة؛ وتوجد معه في الكون كائنات أخرى منفصلة عنه بذواتها وصفاتها ومكوناتها من جهة أخرى. فالكون ليس فيه ذات واحدة وإنما فيه ذوات كثيرة جدا كلها مخلوقة لله تعالى. فنحن أمام خالق ومخلوقات ، وأمام ذات إلهية وذوات مخلوقة ، وهي ليست أجزاءً منه، ولا أفعالا له كما زعم الرجل، لأن أفعاله تابعة لذاته سبحانه وتعالى ولا تنفصل عنه . ومخلوقاته سبحانه هي المنفصلة عنه خلقها بأفعاله ، فهي من مفعولاته وليست من أفعاله ، قال سبحانه سبحانه: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس: 82)) . فمهما نظرنا إلى الوجود يبقى مكونا من الخالق والمخلوق، ومن ذات إلهية وذوات مخلوقة، ولا يُمكن أن يصبح الكل واحدا كما زعم الرجل. لأن تعدد الكائنات بذواتها المستقلة يجعل وحدتها في ذات واحدة مستحيلة قطعا. نعم إن الصفات تتعدد وتكون لذات واحدة، لكن تعدد الذوات يستحيل أن يكون له ذاتا واحدة . فإذا تعددت الذوات فلا يُمكن أن تكون ذاتا واحدة، وإنما هي ذوات متعددة ومنفصلة عن بعضها. وهذا يستلزم حتما أن ذات الله تعالى منفصلة عن ذوات مخلوقاته.ولاشك أن التصوّر الصحيح لما قاله الغزالي يكفي وحده لإثبات بطلانه . لكن الغزالي يغالط ويدلس، ويُضلل ويُحرف لغاية في نفسه، أخفاها بدعوي عدم كشف سر الربوبية وهو كفرية وحدة الوجود. لكنه مع ذلك ذكر بالإشارات والعبارات على ما يدل على أن التوحيد المعتبر عنده هو توحيد وحدة الوجود وليس التوحيد الشرعي .

وثالثا إن تبرير الغزالي للمثال الذي ضربه على قوله بمصير الكثرة إلى الوحدة، بقوله: ((والفرق بينهما أنه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملتفت ...)) فهو تبرير لا يصح، وشاهد على بطلان زعمه من أساسه. لأن الحقيقة هي أن التركيز على الجزء والاستغراق فيه لا يلغي الكل ولا يجعله جزءاً، والتركيز على الكل والاستغراق فيه لا يلغي الجزء في الواقع ولا في الإحساس، ولا يجعله كُلا. وحتى إذا فرضنا جدلا أن المتدبر في الكل والمستغرق فيه أحس شعوريا بأن الأجزاء المكونة للكل قد زالت وأصبحت من الكل ولا وجود لها كجزء، فإن هذا لا يُغير من الحقيقة شيئا ، وهي أن الواقع يتكون من الموجودات الجزئية بذواتها، وليست جزءاً من الكل، ولا الكل جعلها منه.وفي هذه الحالة يكون ذلك الإحساس غير صحيح، ومخالف للواقع ولا يصح الاعتماد عليه، وإنما هو إحساس زائف ووهمي بسبب الحالة النفسية المرضية أو غير السوية التي كان عليها صاحب هذا الإحساس. ولهذا فعندما يزعم الغزالي وأمثاله بأنهم يرون الأجزاء في الوحدة، والكل في الكل فإن زعمهم هذا باطل من الناحية الواقعية، وما هو إلا أوهام وتلبيسات وهلوسات ، فهو باطل لأنه مخالف لحقائق الشرع والواقع والعلم. فهو حالة نفسية مرضية لا يصح الاعتماد عليها، وليس في مقدورها تغيير الواقع فتحوله من التعدد إلى الوحدة، ومن وجود الخالق والمخلوق إلى أن يصبح الكل هو الله والله هو الكون. فهذا مستحيل من جهة، وهو شاهد من جهة أخرى على أن قول الغزالي ما هو إلا أوهام وخيالات وهلوسات وتلبيسات ظهرت في نفسه عندما كان في حالة غيبوبة ولاوعي أثناء ممارسته لعبادات الطريق الصوفي.

ورابعا إن قول الغزالي : ((ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق، فيكون لك ... كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك))، فهو قول لا يصح، ومردود عليه ، ومن حيل الغزالي وتحريفاته وتلاعباته، لأنه عندما عجز على إقامة الدليل الذي يثبت قوله بالفناء في الله- وحدة الوجود- عاد والتف على القارئ وطالبه أن يُؤمن بذلك من دون دليل على أنه من الأحسن له أن يِؤمن به بدلا من إنكاره. وهذا التبرير باطل ، لأن مكانه ليس هنا، والعقائد والعلوم تقوم على الأدلة والبراهين الصحيحة ولا تقوم على التلاعب والترجي والتخويف ولا على لعل وعسى، ولا على التمنيات والترجيات. وبما أنه قام الدليل الشرعي والعقلي والعلمي على بطلان القول

بوحدة الوجود- الفناء في الله- فلا يصح أبدا أن نستخدم التبرير الذي ذكره الغزالي، فهو قد يُستخدم مثلا عندما تتكافأ الأدلة، أو تكون قريبة من بعضها من جهة القوة والضعف، وفيها الراجح والأرجح.

ومن جهة أخرى لا يصح مقارنة الغزالي بين دعوته إلى الإيمان بفكرته دون دليل وبين الإيمان بالنبوة مع كوننا لسنا أنبياء ليكون لنا نصيب من إيماننا بها. إنها لا تصح لأن النبوة قام الدليل الصحيح من الشرع والعقل والعلم على أنها ممكنة وليست مستحيلة، وعلى أن الله تعالى أقام الأدلة القطعية على صدق نبوة أنبيائه، لأنه أرسلهم وأيدهم بالآيات والبينات الدامغات التي أقام بها حججه على الناس . فهنا يجب الإيمان بها ليس لنكون أنبياء، وإنما لنكون مؤمنين بها وننال شرف الإيمان بها وما يترتب عليها من جزاء من عند الله تعالى. وهذا كله لا يصدق على الإيمان بالفناء في الله ومعناه وحدة الوجود التي دافع عنها الغزالي ودعانا إلى الإيمان بها بلا دليل يُثبتها ، بل إنها مستحيلة وباطلة شرعا وعقلا وعلما. فلماذا هذا التحريف والتضليل والتلاعب والافتراء على الشرع والعقل والعلم ؟؟ !! .

وأخيرا- خامسا- إن استشهاد الغزالي بكلام الضال الحسين بن منصور الحلاج على صحة قوله بالفناء في الله- وحدة الوجود- الذي ذكره في المرتبة الرابعة من التوحيد هو دليل دامغ على موافقة الغزالي لما كان يقوله الحلاج ، وعلى أن منطلقهما وغايتهما واحدة . وبما أن الحلاج أعلن صراحة قوله وإيمانه بوحدة الوجود[1].، كقوله:

أنا أنت بلا شك *** سبحانك سبحاني

توحيدك توحيدي *** وعصيانك عصياني[2].

و((« أنا الحق»[3] و « ما في الجبة إلا الله »[4]. وأرسل رسالة إلى أحد أصدقائه مطلعها : ((« من الرحمن الرحيم الى فلان ». فقالوا له: كنت تدعي النبوة فأصبحت تدعي الألوهية؟ قال: لا ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة "))[5].فهذا يعني أن الغزالي كان على طريقته ويقول بنفس عقيدة الحلاج التي أظهرها علانية للناس، لكن الغزالي استخدم التقية والتلاعب والتضليل للتعبير عنها، لكن الحقيقة واضحة، وإلا

---

[1] إنه عبّر عن وحدة الوجود بعين الجمع ، وبعين الفرق كما بينه في كلامه الأخير. فهو لم يكن يعتقد بالحلول كالنصارى، وإنما كان ينظر للحلول بعين الجمع لا الفرق- التعدد - .

[2] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .

[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1 ص: 36 .

[4] ابن خلكان: وفيات الأعيان ، دار صادر، بيروت ، ج 2 ص: 140 .

[5] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج ج ص: 127 .

ما استشهد الغزالي بالحلاج في هذا الموضع. ومع أن الحلاج معروف وقتل على قوله بوحدة الوجود، فإن الغزالي استشهد به علي صحة موقفه، فالرجلان على منهج واحد ، إلا أن الحلاج أظهر قوله بوحدة الوجود علانية، والغزالي قال بها ودافع عنها بالتقية والتضليل والتحريف .

ومما يُؤيد ذلك أيضا على أن الغزالي كان على طريقة الصوفية في قولهم بوحدة الوجود أنه بعدما ذكر التوحيد الرابع المزعوم- لا موجود إلا الله- وانتصر له ذكر أن هذا التوحيد هو الذي تسميه الصوفية الفناء في التوحيد[1].
ثم أن الغزالي توسع في شرح مقام التوحيد الرابع- لا موجود إلا الله- ودافع عنه بقوله : ((ههنا نظران : نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره . وان كل شيء هالك إلا وجهه وان ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود ألبته وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك. فإذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ ((إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(ص: 44)) فقال: واعجباه اعطى واثنى اشارة الى انه اذا اثنى على اعطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه))[2].

و((ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد المهينى حيث قرئ بين يديه " يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"-المائدة: 54- فقال: لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه اشار به الى أنه المحب وأنه المحبوب. وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفي عليك أن المصنف اذا أحب

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 334 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 86 .

تصنيفه لقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد اذا احب ولده من حيث إنه ولده فقد احب نفسه. وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق احب ما احب وهذا ما احب .وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفيه عن هذه الحالة بفناء النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم))[1].

وأقول: الرجل يغالط ويُحرف ، ويدلس ويضحك على الناس بكلامه السفسطائي، لأنه من الثابت قطعا شرعا وعقلا أن الإيمان العميق لا يوصل إلى زعمه ، لأنه لا يُمكن عقلا وواقعا أن يكون الشاكر هو المشكور، ولا المحب هو المحبوب. والله تعالى قد فرق بينهما وجعل هذا الحب من صفات المؤمنين . قال سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)(المائدة: 54))، و((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ)(البقرة: 165))، و((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24)). فهذا أدلة قطعية على بطلان كلام الغزالي المزيف والمحرف لحقائق الشرع والعقل بدعوى الإيمان العميق وهذا تغليط منه وتحايل على الناس انتصار لخرافة التوحيد الرابع الذي يعني وحدة الوجود .

لكن الرجل قال ذلك انطلاقا من قوله بوحدة الوجود، لأن كلامه لا يستقيم إلا بها، وهو شاهد دامغ على قوله بها، وقد صرح بها في آخر كلامه عندما قال بأنه ليس في الوجود غير الله. وهذا كلام باطل وكفر بالدين والعقل والعلم . ولا يُمكن أن يكون الإيمان الصحيح والعميق موصلا إلى توحيده الرابع- وحدة الوجود- وإنما التصوف هو الموصل إليها، لأنه عقيدة قامت على مخالفة الشرع والعقل والعلم.

ومن مغالطات الغزالي أنه زعم أن أزلية الخالق تفني المخلوق، وتلغيه من الوجود، وهذا زعم باطل ، فمع أن الإنسان مخلوق لخالقه فهو له وجود حقيقي وليس هو وجودا شكليا واعتباريا، مع أنه مخلوق- حادث- فهو

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 86 .

موجود حقا وقطعا ، لأنه من مخلوقات الله تعالى. ولا يُمحى وجوده ولا يُفنى إلا إذا شاء الله تعالى أن يفنيه. وبما أنه سبحانه كتب الخلود على الإنسان إما في الجنة وإما في النار فلن يزول وجوده مع كونه مخلوقا، وخلوده لن يجعله أزليا مع أنه لا يفنى . فزعم الغزالي لا يصح ، لأن كلا من الشرع والعلم يشهدان بوجود: الخالق الفاعل، والمخلوق المفعول ، وليس الأول هو الثاني ولا الثاني هو الأول.

ولا يصح قوله: " وان كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا ". لأن قوله تعالى:َ ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص: 88))، لا يعني فناء ومحو وإعدام كل مخلوق يوم القيامة بحيث لا يبقى مخلوق موجود مع الله تعالى، بدليل أن من قطعيات دين الإسلام خلود الجنة بمن فيها، وخلود النار بمن فيها، وبقاء الملائكة أيضا . وإنما المقصود بالهلاك هناك أمرين: الأول هو أن كل ما عدا الله تعالى هو في ذاته حادث مخلوق قابل للزوال وليس أزليا، ولن يصبح أزليا وإن خُلّد أبدا . والأمر الثاني هو أن الهلاك – الموت- المقصود لا يعني بالضرورة أن كل مخلوق يموت وينتهي وينعدم نهائيا ، وإنما هناك من المخلوقات من يموت ويهلك لكنه لا يفنى ولا ينمحي وإنما ينتقل إلى حياة أخرى، كما يحدث للإنسان الذي يُبعث مرة أخرى. وهناك مخلوقات لا يمسها ذلك الهلاك. فعندما تقوم القيامة لاشك أن الملائكة لا تموت، والجنة والنار لا تفنيان . وعندما يموت الإنسان ينتقل إلى حياة البرزخ، ويوم القيامة يُبعث من جديد بجسمه وروحه . وهذا الذي قلناه هو من بديهيات الإسلام وقطعياته ، لكن الغزالي أهمله وجعله وراء ظهره وقرر خلافه صراحة، مع أنه استشهد بالآية تعضيدا لموقفه، وأهمل الآيات الأخرى التي تنقض عليه زعمه تطبيقا للتقية وممارسة للتضليل والتحريف !! .

وأما الأمثلة التي ضربها لتقريب فكرته فلا تصح لتكون دليله على قوله بأن الشاكر هو المشكور، والمحب هو المحبوب، بمعني أن الخالق هو المخلوق ليصل إلى القول بوحدة الوجود . لأن الكاتب مثلا عندما يصنف كتابا ويحبه ، فإن حبه هذا يحدث بين كائنين مخلوقين بينهما علاقة حب من جهة واحدة فقط، فهي علاقة غير متبادلة في هذا المثال لأن الكتاب ليس إنسانا ولا كائنا يحب غيره . وعليه فلا يصح القول بأن الكاتب هو الكتاب بدعوى ان المحب هو المحبوب . فهذا تلبيس وزعم باطل. فعلاقة الحب لا تمحي أحدهما ولا تجعلهما كائنا واحدا. وحتى في مثال علاقة الحب بين

الوالد وولده ، فهي علاقة بين كائنين محبين منفصلين تماما عن بعضهما ، ولا تلغي أحدهما ، ولا تجعلهما كائنا واحدا، وقد تكون بينهما علاقة بغض وعدواة، وهي أيضا لا تمحي أحدهما ولا تجعلهما مخلوقا واحدا. فهل عندما يبغض الوالد ابنه يبغض نفسه أيضا ؟؟ . ليس بالضرورة، فقد يحبها أثناء بغضه لولده .

وعليه فإن الله تعالى عندما يحب المؤمنين فنحن أمام كائنين منفصلين بينهما علاقة حب . فالله تعالى يحب العبد المؤمن فهو المحب والمؤمن هو المحبوب ،و المؤمن عندما يحب الله تعالى فهو المحب، والله هو المحبوب. فنحن هنا أمام كائنين بينهما علاقة حب، كل منهما محب ومحبوب من طرفين منفصلين وليسا كائنا واحدا، فنحن أمام كائنين و لسنا أمام كائن واحد كما أراد أن يوهمنا الغزالي ليصل إلى القول بالتوحيد الرابع الذي يعني وحدة الوجود. فحسب زعمه فإذا كان الشاكر هو المشكور، والمحب هو المحبوب ، فيصح ان نقول: الخالق هو المخلوق ، ومن ثم يكون الكون هو الله والله هو الكون. وهذا زعم باطل قطعا. لكن الغزالي قرر هذا عندما زعم أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى. وهذا غير صحيح، وافتراء متعمد على الشرع والعقل والعلم. لأن الفرق بين الخالق والمخلوق ليس في الوجود من عدمه ، فوجودهما أمر مؤكد كما سبق أن بيناه، ويعرفه كل الناس ، وإنما في أن الأول وجوده أزلي، والثاني وجوده حادث، لكنه وجود حقيقي وليس شكليا ولا اعتباريا كما زعم الغزالي ، ليصل إلى تقرير عقيدة الصوفية في قولهم بوحدة الوجود والتي سماها توحيدا زورا وبهتانا.

ومن جهة أخرى فإنه بناءً على زعم الغزالي بأن الشاكر هو المشكور، والمحب هو المحبوب بدعوى أنه لا موجود إلا الله ، فإن العكس صحيح أيضا. فيكون الكافر هو المكفور به، بمعنى أن الله هو الكافر والمكفور به . والجاحد بالله هو المجحود به، فيكون-حسب زعمه- أن الله هو الجاحد والمجحود به .وبما أن هذا كلام باطل لأن الله تعالى كما فرق بينه وبين المؤمنين، فهو قد فرق بينه وبين الكفار، فإن كلام الغزالي باطل جملة وتفصيلا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التوحيد الرابع- لا موجود إلا الله- الذي قرره أبو حامد الغزالي وانتصر له ينتهي بأصحابه إلى ادعاء الربوبية والألوهية. فهو عندما ذكر أن توحيده الرابع يصل إليه من فنى عن نفسه وعن غير

الله، وأصبح لا يرى إلا الله[1]. يعني أنه فنى عن الخلق ثم فنى في الحق، فاختفى كمخلوق وأصبح هو الله حسب ما يقتضيه زعمه !!!! .

ومن تحريفاته ومغالطاته أيضا أنه أختصر معنى التوحيد والموحد وحصره في توحيده المعتبر عنده بقوله : ((وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه))[2]. وتعريفه هذا باطل قطعا بدليل الشواهد الآتية : أولها إنه مخالف للتوحيد الشرعي الذي يقوم على إثبات التعدد: الخالق والمخلوق وعلى إثبات الألوهية لله تعالى وحده ونفيها عن غيره: لا إله إلا الله ، ولا رب سواه ، ولا شريك له . فمن يُثبت ذلك لله تعالى هو الموحد ، وليس الموحد هو الذي لا يرى إلا الله، ويعتقد بأنه لا موجود إلا الله كما زعم الغزالي . والشاهد الثاني مفاده أن كلا من الشرع والواقع والعلم يُثبت التعدد لا الوحدة في الكون. فالكون مخلوق كانت له بداية وستكون له نهاية ، وهذا يستلزم أن له خالقا ، مما يعني أننا أمام موجودين حقيقيين ، هما: الخالق والمخلوق ، ومن يُنكر هذا ليس موحدا وإنما هو إما مريض مُهلوس مُلبس عليه، وإما أنه مجنون ، وإما أنه صاحب هوى يقول ذلك عنادا وتعصبا . والشاهد الأخير- الثالث- مضمونه أن الغزالي لم يقدم دليلا صحيحا على زعمه من الشرع ولا من العقل ولا من العلم ، وإنما اعتمد في زعمه على التغليط والتحريف والتلاعب والسفسطة. فهو زعم مجرد عن الدليل ولا قيمة له ولا يصح الاعتماد عليه ولا تقديمه على أدلة الشرع والعقل والعلم. لكن الغزالي أصر عليه لتقرير توحيد وحدة الوجود لا لتقرير التوحيد الشرعي، ولهذا فزعمه غير صحيح ولا قيمة له.

وزعم أيضا أن السماع- الغناء والرقص- يُوصل الصوفي الكامل إلى التوحيد الرابع- توحيد وحدة الوجود- ، فقال: ((يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين . فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه. ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 86 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 34 .

الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من أمر الله عز و جل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود. وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر. ومثاله المرآة المجلوة إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان. ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر:

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال: أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم .وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذ ظهر فيها لون الحمرة مقابلها وإذا كان هذا لا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح يُعبر عن التوحيد الصوفي لا الشرعي، وفيه تضليل وتحريف . لأنه أولا إن معنى كلامه أن الصوفي الكامل يصل بالغناء والرقص إلى وحدة الوجود بفنائه عن محيطه وذاته ، فيسمع الغناء لله ،وبالله، وفي الله ومن الله ، وإذا تدبرت كلامه وفهمته جيدا تجده يُعبر عن وحدة الوجود في حقيقته. وهذا هو التوحيد عند الغزالي وأمثاله، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ((وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد)). فالفناء عن الخلق أوصله إلى الفناء في الحق- الله- وهنا اتحد بالتوحيد الصافي حسب زعمه، لأنه أستشعر الربوبية والألوهية وأصبح هو الله ، وهو الواحد، وهو التوحيد حسب زعمه .

وثانيا إن الأمثلة التي ذكرها فيها تضليل وتلبيس لكنها كشفت صاحبها وحقيقة قوله، فهو عندما قال بأن الصوفي الكامل عندما يفنى عن محيطه وذاته فيسمع " لله وبالله وفي الله ومن الله ... واتحد بصفاء التوحيد" فإنه يأخذ صفات الذي فنى فيه، فيصبح هو الله. وحقيقة الأمثلة التي ذكرها أنها تعبر عن قول الجنيد عندما سُئل عن العارف فقال: ((لون الماء لون

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 407 .

الإناء))[1].فكما أن الماء يأخذ لون الإناء الذي فيه، فكذلك الصوفي الواصل إلى مقام المعرفة يأخذ صفات الحق-الله- الذي فنى فيه، فيصبح هو الله حسب زعم الصوفية.

وثالثا إن قوله عن الحلول والاتحاد هو إنكار لهما ، لكنه ليس إنكارا للفناء في الله - وحدة الوجود- فالرجل أنكرهما لأنهما يُخالفان ويتناقضان مع وحدة الوجود- الفناء في الله- لأن الحلول يعني التعدد يتم بين اثنيين لهما وجودان حقيقيان منفصلان حل أحدهما في الآخر، وهذا يتنافى مع وحدة الوجود. وكذلك الاتحاد يعني وجود كائنين منفصلين لهما وجودان حقيقيان منفصلان ثم امتزجا. وهذا لا يقوله الغزالي والصوفية، ويتناقض مع قولهم بوحدة الوجود، فلا موجود عندهم إلا الله، وغيره من الكائنات لا وجود حقيقي لها ، وإنما هي أشكال ورسوم وأفعال ومظاهر لله وامتدادات له حسب زعم الغزالي والصوفية، وقد سبق أن ذكرنا قوله في نفي أفعال المخلوقات ووجودها الحقيقي.

ثم أن الغزالي واصل تقريره للتوحيد الصوفي ودفاعه عنه فقال: ((وقد ذكرنا أنه ليس فى التوحيد إلا عقبتان: إحداهما النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات. والثانية النظر إلى اختيار الحيوانات وهى أعظم العقبتين وأخطرهما، وبقطعهما كمال سر التوحيد. فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعنى ثواب المشاهدة التى هذه الكلمة ترجمتها . فإذاً رجع حال التوكل إلى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق))[2].

وأقول: قوله هذا باطل جملة وتفصيلا، وفيه تضليل وتلاعب وتحريف ، قرر فيه توحيد الدين الصوفي لا توحيد دين الإسلام. لأنه أولا إن التوحيد في الإسلام لا يقوم على إنكار وجود المخلوقات- العقبة الأولى عند الغزالي- ، ولا على إنكار اختيارات الكائنات الحية- العقبة الثانية عند الرجل- . بل إثباتهما من أركان الشهادة الثانية في الإسلام: محمد رسول الله ، والأولى تنفي وجود الإله الشريك لله ولا تنفي وجود المخلوقات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لكن الرجل قرر التوحيد الصوفي- كفرية وحدة الوجود- بنفي الوجود الحقيقي للمخلوقات، فهي حسب زعمه مجرد أشباح

[1] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص: 138 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 357 .

ورسوم وظلال ولإضافات - العقبتان الأولى والثانية- مما يعني أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله . فهذا هو التوحيد الذي قرره الغزالي وانتصر له وسماه زورا وبهتانا توحيدا تسترا بالإسلام وهدما له، مع أن حقيقته ليس من الإسلام وإنما هو توحيد الدين الصوفي القائم على ضلالة وحدة الوجود.

وثانيا إن الرجل اعترف بأن أمام توحيده المزعوم عقبتان : وجود المخلوقات ، واتصافها بحرية الاختيار والتصرف، لكنه لم يرجع إلى الحق الذي يشهد له الشرع والعقل والواقع والعلم بأن تلك المخلوقات لها وجود وأفعال حقيقية ، وإنما غالط وحرّف وضلل كما سبق أن بيناه وانتهى إلى تقرير كفرية وحدة الوجود التي هي توحيد الدين الصوفي ، وقد سماها "سر التوحيد"، فلو كانت شرعية وعقلية وعلمية ما أخفاها ولا سماها بذلك، بل إنها لو كانت كذلك لسارع إلى إظهارها والتباهي بها بأنها موافقة للشرع والعقل والعلم !! .

وثالثا إن مقولة : " لا حولا ولا قوة بالله " لا يجب فهمها بالتوحيد الصوفي وإنما يجب فهمها بالشرع لأنها منه، فهي لا تنفي وجود المخلوقات ولا قوتها ولا أفعالها كما في التوحيد الصوفي، وإنما هي تعني التوكل القلبي على الله تعالى ، ولا تنفي التدبير والأخذ بالأسباب ولا تنفي قدرات وقوة المخلوقات على الفعل والتغيير. قال سبحانه: ((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)(الأنفال: 60)). فهي ليست نفيا للوجود الحقيقي للمخلقوات وأفعالها وقدرتها على التأثير، وإنما هي توكل قلبي على الله تعالى أثناء ممارستنا لأعمالنا.وغير المؤمنين لا يتوكلون عليه لكنهم يُمارسون أعمالهم كما يُمارسها المؤمنون بالاعتماد على أنفسهم وتعاونهم وقدراتهم المادية والمعنوية. كما أن قولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله كما أنه اعتماد قلبي على الله، فإنه من جهة أخرى يُذكرنا بأننا بأنفسنا وقوتنا وأفعالنا من مخلوقاته سبحانه وتعالى فهو صاحب الفضل الأول. لكن قولنا هذا لا ينفي عنا وجودنا وأفعالنا الحقيقية الموجودة في الواقع وقدرتنا على التغيير، فهذا أمر قطعي بديهي بدليل الشرع والعقل ، والواقع والعلم. وهذا الذي أردا الغزالي مغالطتنا به ليصل إلى تقرير توحيده المزعوم !!.

وإنهاءً لهذا المبحث يتبين منه أن الغزالي مارس التضليل والتحريف والتلاعب والتستر بالتوحيد الشرعي ليُقرر التوحيد الصوفي وينتصر له مع أنه مخالف للتوحيد الإسلامي وهادم له وكفر صريح به. فهو كذلك لأنه توحيد مزعوم يقوم على وحدة الوجود: لا موجود إلا الله، ولا يقوم على تعدد الموجود : الخالق والمخلوق كما في التوحيد الشرعي.

ثانيا : التضليل والتحريف في تقرير وحدة الوجود :

بينا في المبحث الأول أن أبا حامد الغزالي مارس التقية والتضليل والتحريف لتقرير توحيد الصوفية الذي يعني وحدة الوجود، فعل ذلك باسم التوحيد، وهو هنا سيُطبق نفس المنهج – التضليل والتحريف- لكنه سيُقرر وحدة الوجود وينتصر لها لا باسم التوحيد وإنما بأفكار ومبررات أخرى، كالفناء ،والجبر ،والمعرفة ، والأفعال وغيرها .

فمن ذلك أنه قال : ((وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله، إذا الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي أن يشهد في العقل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله فهو الكل على التحقيق . ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل .وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو، إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة))[1].

وأقول: كلامه غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف ، لأنه أولا عندما تكلم عن أفعال الله أرجعها مباشرة إلى الفاعل، وقرر أنه لا موجود إلا الله ، وأن الكل هو الله من دون التفريق بين الله وأفعاله من جهة ، ومخلوقاته من جهة أخرى. ولا تصح البداية من الفعل ثم القول بأنه يدل على الفاعل، فنحن لا نرى الفعل ولا الفاعل في الطبيعة ولن يستطيع أحد رؤية ذلك عيانا ولا إثباته بالدليل مهما تلاعب وتسفسط ، وحرّف وضلل كما فعل الغزالي .لأن الحقيقة الدامغة هي أننا لا نرى في الطبيعة إلا المفعولات- المخلوقات- التي هي تدل على الفاعل وصفاته- منها أفعاله- .

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 283 .

وعندما نصل إلى الله تعالى بالإيمان العقلي والوجداني فإننا مع ذلك لن نرى الله حقيقة ولا نراه في كل شيء كما قال الرجل، وإنما نرى مخلوقاته الدالة عليه. ومن يُخالف هذا فهو مُخطئ، او مريض مُهلوس ومُلبس عليه، أو أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه ليصل بها إلى القول بوحدة الوجود. وليس صحيحا أنه على العقل أن يرى الفاعل دون الفعل، وإنما الصحيح أن ينظر إلى المفعول ليصل إلى معرفة الفاعل ومظاهر صفاته في مفعولاته. وإيماننا بالله والتزامنا بشريعته لا يُنسينا مخلوقاته،وهو سبحانه الذي أمرنا بالتدبر فيها، وتسخيرها لصالح الإنسان،وعمارة الأرض وفق شريعته، وهذا كله من العبادة. وهذا هو الذي دل عليه القرآن الكريم في آيات كثيرة جدا.

ومع أن كل شيء من الله تعالى وإليه وبه وله ، فلا يصح القول بأنه هو الكل على التحقيق. فهذا خطأ فاحش وكلام باطل، وليس من التحقيق العلمي في شيء، بل هو من التلاعب والتضليل ومن الهلوسات والتلبيسات الشيطانية. لأنه مع أن الله تعالى هو الذي خلق العالم ، فإن هذا العالم له وجود حقيقي منفصل تماما عن خالقه ، فليس هو الله، ولا وجود الله يلغي وجود الكون مع أنه سبحانه قادر على إفنائه . فالكون ليس هو الله ، ولا الله هو الكون، وليس الكل هو الله كما زعم الغزالي . فكلامه هذا باطل قطعا، قرر به عقيدة وحدة الوجود- لا موجود إلا الله- . وقد عبّر عنها كثير من الصوفية بالفناء، والمعرفة، والوَلاية، لكن الغزالي هنا أدرجها ضمن مصطلح علم المكاشفة، كوسيلة من وسائل التقية والتستر والتغليط والتلاعب. وهذا التصرف ليس من اختلاق الغزالي، بل هو من أصول التصوف قرره الأوائل الذين أسسوه وسار عليه الأتباع قديما وحديثا[1].

ولا يصح الاستشهاد بحديث " أن كل شيء ما خلا الله باطل)) فهذا الحديث لا يصح إسنادا ولا متنا ، كما سنبينه لاحقا. وحتى إذا فرضنا جدلا أنه صحيح فيُمكن تفسيره خلاف ما أراده الرجل . لأن هذا جزء من حديث نبوي لا علاقة له بما أراد الغزالي تقريره هنا. فهذا حديث يجب النظر إليه من الشرع لا من توحيد الصوفية :وحدة الوجود . فالحديث لم ينف وجود المخلوقات ولا نصّ على وحدة الوجود. ولا يصح القول بأن كل شيء باطل في الحال، وأنه لا وجود حقيقي له، ولا أنه ليس فاعلا على الحقيقة وأن أفعاله هي أفعال لله ، لأن الحديث لم يقصد ذلك أبدا، والشرع والواقع يُكذبان ذلك قطعا، فكل مخلوق هو موجود على الحقيقة، وخَلق الله له لا

[1] بذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب، وتوسعنا فيه في كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

ينفي عنه وجوده الحقيقي مع كونه محدثا وفانيا ، وإفناء الله للإنسان مثلا ليس إعداما نهائيا له ، وإنما سيحييه مرة أخرى ويُخلده أبدا. وهذا يُبطل كلام الغزالي من أساسه.

وليس صحيحا أن الإنسان عندما يرى الكون فهو كأنه رأى الله ، فهذا كلام باطل وفيه تغليط وتحريف، ومخالف للشرع والواقع. لأننا عندما نرى الكون فإننا نرى المخلوقات المكونة له والدالة على وجود الله تعالى واتصافه بكل صفات الكمال . لكن قول الغزالي يتفق مع عقيدة وحدة الوجود لا مع الشرع ولا العقل ولا العلم لأن مظاهر الكون عند الغزالي والصوفية هي تجليات وامتدادات لله ، فهي منه وهو منها ، وهذا قول بوحدة الوجود ، والشاهد على ذلك أيضا قوله: "فهو الكل على التحقيق". ثم أكده عندما ذكر أن كل شيء هالك الآن على الحقيقة وليس مستقبلا فهو الآن لا وجود حقيقي له حسب زعمه. وزعمه هذا غير صحيح قطعا لأنه مخالف للشرع والعقل والعلم كما بيناه مرارا، واحتجاجه بعلم المكاشفة لا يصح ، لأنه سبق أن بينا بطلان حكاية المكاشفة في الفصل الثاني .

ومن أقواله أيضا أنه زعم أن علمه الصوفي كشف له أنه لا فاعل في الكون إلا الله، وأن ما فيه من أفعال هي من أفعال الله. وحتى أفعال الإنسان التي تظهر لنا بأنها من أفعاله الاختيارية فهي في الحقيقة مُجبر عليها، فهو مُضطر في أعماله كلها المُسير والمخير فيها معا[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح ، وفيه تضليل وتحريف، وهو شاهد آخر على بطلان حكاية الكشف وعلم الباطن . لأنه أولا من الثابت شرعا وعلما أن الكون مخلوق له بداية وستكون له نهاية، وهذا يعني أنه من مخلوقات الله تعالى وليس من أفعاله. وبما أنه كذلك فلا يُمكن أن تكون المخلوقات وأفعالها هي من أفعال الله تعالى، وإنما هي في ذاتها من مفعولات الله- مخلوقاته- وليست من أفعاله من جهة، وأفعالها هي التي فعلتها وليست أفعالا لله من جهة أخرى. والدليل على ذلك أيضا هو أن الله سبحانه أخبرنا بأنه هو الخالق للكون ((ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ-(الأنعام: 102)) ، لكنه من ناحية أخرى نسب أفعال المخلوقات إليها ولم ينسبها لنفسه مع أنه هو الخالق لها كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 336 ، 337، 345 .

عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ)(آل عمران: 42)) و((قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ-(النمل: 18))، و((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الروم : 41)).

وثانيا إن قوله بأن أفعال الإنسان هي نفسها من أفعال الله وهو مُجبر عليها، هو باطل ومُعطل للشرع ، لأنه ينفي ما أثبته لله تعالى للإنسان بأنه مُخيّر ومُكلف في حدود مقدرته، قال تعالى:((كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (المدّثر: 38)). ولأنه ينسب العبث والظلم إلى الله تعالى، وهو سبحانه قد نفى عن نفسه ذلك لقوله: ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)(المؤمنون: 115))، و((أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى)(القيامة : 36))،، و((وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)(الكهف : 49)). ومن جهة أخرى لا يصح ولا يُعقل أن يُكلف الله تعالى الإنسان بالعبودية ويعده بالجنة إن أطاعه، ويتوعده بالنار إن عصاه، ثم لا يكون الإنسان حرا في المجال المُكلف فيه. ولا يُعقل ولا يصح أيضا أن يكون الله هو الفاعل لأفعال عباده ثم يُحاسبهم ويُكافئهم ويُعاقبهم عليها. أليس هذا عبث في عبث، وظلم وظلمات جرنا إليه قول الغزالي ؟؟ !!. وبما أن هذا باطل شرعا وعقلا فإن قول الغزالي لا يصح، وما هو إلا أوهام وخيالات وهلوسات وتلبيسات الشياطين التي زينت له ولأصحابه حكاية المكاشفات وعلم الباطن.

وبما أنه ثبت شرعا وعلما أن الكون مخلوق له بداية ستكون له نهاية فلا يُمكن أن يكون الكون من أفعال الله تعالى ، وإنما هو من مخلوقاته، لأن أفعاله جزء منه، فهي تابعة لفاعلها ولا تنفصل عنه، ومن ثم يجب أن تكون أزلية كما هو أزلي، وبما أن الكون ليس أزليا دل هذا قطعا على أنه من مخلوقات الله تعالى وليس من أفعاله .

وأما قول الغزالي بأن أفعالنا التي تظهر لنا بأنها من أفعاله الاختيارية فهي في الحقيقة مُجبر عليها، فهو مُجبر في أعماله كلها المُسير والمخير فيها معا[1]. فالأمر ليس كما ذكره ، ولا يصح أن يُطرح من هذه الجهة. لأن من حقائق الشرع والواقع أن الإنسان مخلوق وليس هو الذي خلق نفسه ، ولا هو الذي جعل نفسه مُسيرا في جانب من أفعاله ومُخيرا في جانب آخر

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 336 ، 337، 345 .

منها. وإنما الله تعالى هو الذي خلقه كذلك ، لكن هذا لا ينفي أن الإنسان له وجود حقيقي وأنه قادر على الفعل والتأثير بمحض إرادته وقدرته ، وهذا لا دخل له في أن الله تعالى هو الذي خلقه مُسيرا ومُخيرا، ولا ينفي كونه فاعلا قادرا على التأثير، وأنه هو صاحب أعماله. فنحن نتكلم على هذا المستوى ، لا على المستوى الأول بكون الإنسان مخلوقا ولم ويكن له دخل في ذلك. فنحن هنا نتكلم عن الفاعل لا عن الخالق، وكل من المستويين حقيقة، ولا أحد ينفي الآخر ولا يُعطله. ولهذا لا يصح الاحتجاج بالمستوى الأول لنفي الثاني كما فعل الغزالي. فالإنسان مخلوق لله تعالى، لكنه كائن له وجود حقيقي، وفاعل مُؤثر في الطبيعة ومسؤول عن أفعاله في حدود قدراته وحريته .

ثم أن الغزالي قال: ((فإن قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الإنسان فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء، فكيف يكون مسخرا ؟. فأعلم انه لو كان مع هذا يشاء إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء ،لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط .ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء إن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه، إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية. وإذا لم تكن إليه المشيئة فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة. فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة، والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة ،فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب، فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض . وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة المقدرة فهو مضطر في الجميع . فإن قلت: فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا؟. فأقول: لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور فهو إذن مجبور على الاختيار))[1].

وأقول: قوله هذا فيه حق وباطل، وتضليل وتحريف ، وتلاعب بالألفاظ لإثبات الجبر الموصل إلى وحدة الوجود مع أنه مخالف للشرع والواقع. أولا فلاشك أن الإنسان لم يكن له اختيار في خلق نفسه، ولا في جعلها مُجبرة في جانب ومُختارة في آخر. فهو من هذه الجهة مجبر من دون شك. فهو حقا مُجبر على أن يكون مُسيرا ومُخيرا جامعا بين الأمرين ، ولن

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 345 .

يستطيع الانفلات من ذلك شاء أم أبى. والمشيئة والقدرة اللتان يحس بهما الإنسان هي مخلوقة فيه ولن يستطيع نزعهما ولا تبديلهما، لأن الله تعالى خلقه على هذه الخِلقة. قال سبحانه : ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)(الشمس: 7 -10)). وبذلك يتبين أن الإنسان مجبور على أن يكون مُختارا في جانب من ذاته ومُجبر في جانب آخر منها على أن يكون مجبورا أيضا. فهو ليس له اختيار في أن يجعل نفسه مُجبرا أو مختارا ، وقد أصاب الغزالي عندما قال: ((فهو إذن مجبور على الاختيار)). فالإنسان لم يكن له اختيار في خلق نفسه ولا في كونه مُسيرا ومُخيرا .

لكن الإنسان مع كونه مُجبرا على أن يكون مختارا في جانب من حياته فإنه ليس مُجبرا عند ممارسته للجانب المختار فيه ، فهو يستطيع أن يتحكم في مشيئته المتعلقة بحريته . وهنا تكمن وتظهر حرية الإنسان وبها يكون مسؤولا، وبها كلفه الله تعالى حمل الأمانة وجعله مسؤولا على أعماله. ومثال ذلك الإنسان فمع كونه مُجبرا على أن يكون مختارا فإنه يستطيع أن يتحكم في هذا الإجبار من جهة الممارسة. فهو قادر على أن يخرج من البيت متى شاء ، لكن يستطيع أن لا يخرج منه ، وليس مجبرا على أن يخرج منه، وحتى عندما يريد قضاء مصالح له خارج البيت فهو ليس مجبرا على ذلك إجبارا حتميا، فيستطيع أن لا يخرج ويكلف من يقوم له بذلك العمل ، أو يضحي به ويتحمل مسؤولية عدم خروجه.

ومن ذلك أيضا إن الإنسان مجبور على أن يأكل ، ومجبور على كونه مختارا، لكنه غير مُجبر على الوسيلة التي يجلب بها الطعام. فهو هنا مُختار في ممارسته لذلك، فيستطيع أن يبقى جائعا حتى يموت. وفي مقدوره أن يوفر الطعام بالتسول، أو بالسرقة، أو بممارسة أي عمل بالأجرة، أو يأكل من المزابل. فهو هنا مع كونه مُجبرا على أن يكون مختارا، فإنه غير مُجبر على طريقة ممارسته للاختيار . وبذلك تسقط اعتراضات الغزالي الذي أراد بها إثبات أن كل ما في الكون من موجودات هي من أفعال لله تعالى وليس لمخلوقاته أية أفعال حقيقية ، كأفعال الإنسان مثلا. ونسي أو تناسى أن قوله في أفعال الإنسان الاختيارية يُعطل الشرع، ويجعل الله عابثا وظالما في خلقه للإنسان وتكليفه بحمل الأمانة، وفي خلقه للجنة والنار فيُدخل أناسا النار بلا ذنب فعلوه، ويُدخل غيرهم الجنة بلا عمل قاموا به، وفرّق بين أهل

النار والجنة بلا عدل ولا حكمة، وإنما بظلم وعبثية. وبما أن هذا كله باطل في جنب الله تعالى دلّ قطعا على فساد وبطلان قول الغزالي المذكور أعلاه.

ثم أن الرجل لخص كلامه السابق وغايته منه بقوله: ((إذ ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله . ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يُجاوز معرفة الفاعل إلى غيره))[1]. وقال أيضا: ((فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره .ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته .ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء. ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش))[2].

وأقول: قوله هذا باطل قطعا، وفيه تضليل وتحريف ، لأنه أولا من الخطأ الفادح شرعا وعقلا وواقعا القول بأنه ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ، فهذا كلام باطل دون شك ، ولا يقوله إلا جاهل ، أو مريض مهلوس مُلبس عليه ، أو صاحب هوى قاله لغاية في نفسه تعصبا وعنادا. وقد سبق أن بينا فساد كلامه هذا عندما فرقنا بين الله كفاعل ، وفعله بقوله " كن " ، وما نتج عنه من مفعولات – مخلوقات- . فنحن أمام خالق فعال لما يريد، ومخلوقات ، ولسنا أمام خالق وأفعاله، فهذا زعم باطل وافتراء على الشرع والحقيقة. ونحن لسنا أغبياءً ولا مغفلين حتى نترك حقائق الشرع والواقع ونتبع الغزالي والصوفية في خرافاتهم وهلوساتهم ومغالطاتهم وتضليلاتهم !!.وهي شواهد دامغة على أنهم يعتقدون بأن ما نراه من مخلوقات ما هي إلا أشباح وإضافات وامتدادات لله فهي منه وإليه، وهو منها وإليها ايضا ، فالكل هو الله حسب زعمهم، وهذا قول بكفرية بوحدة الوجود .

وثانيا ليس صحيحا أن الله تعالى احتجب عن الظهور بشدة ظهوره ، فهذا كلام باطل وإنما الله تعالى هو الذي احتجب عنا في الدنيا ، لقوله سبحانه : ((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(الأنعام : 103))، و((قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي)(الأعراف: 143)) . فنحن لا نراه ولا نستطيع أن نراه. والذي نراه من مخلوقات ليست هي الله ،

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 393.
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 393.

ولا أنه استتر عنا باشراق نوره. فهذا كلام باطل، لأن الكون كله مخلوق لله وله وجود حقيقي وليس هو الله. فنحن نرى المخلوقات ولا نرى الله، وليس هي هو ، ولا هو هي. لكن الرجل يتلاعب بالألفاظ ، ويُغالط ويُضلل ليُقرر عقيدة وحدة الوجود التي سبق أن عبر عنها بطريقة أخرى . فهو هنا يريد أن يغالطنا ويُلبس علينا بأن هذا الكون هو الله في الحقيقة لكنه أحتجب لشدة ظهوره وأستتر لإشراق نوره. فبسبب قوة ظهوره ونوره لا نراه ، وإنما نرى رسومه وأشباحه وأفعاله . وهذه كلها أباطيل وخرافات قال بها الرجل بلا دليل من الشرع ولا من العقل ولا من العلم ، وإنما هي من أوهام وهلوسات التصوف وتلبيساته، لأن من قطعيات الشرع والعقل والعلم وجود المخلوقات بذواتها وأفعالها وليست هي الله، وهذا أمر بديهي من دون شك ، وقد سبق أن فصلناه وبينا بطلان مزاعم الغزالي في قوله بذلك .

وأخيرا- ثالثا- إن قوله : ((فأعلم انه لو كان مع هذا يشاء إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء ،لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط .ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء إن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه، إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية)) . فهو اعتراض لا يصح ، ولا يصلح لنفي قدرة الإنسان على الفعل وحرية اختياره وانه فاعل على الحقيقة لا المجاز. لأن الأمر ليس كما طرحه الرجل، فالإنسان بدليل الشرع والعقل والعلم مخلوق لله بكل قدراته وخصائصه منها المشيئة والإرادة والقدرة على الفعل. فالإنسان لا يدعي أن ذلك من عنده ولا من ذاته . فهذا أمر ثابت وقطعي ولا ينفي قدرة الإنسان على الفعل ومسؤوليته عن أفعاله. فلا يصح إنكار قدرة الإنسان على الفعل وحرية تصرفه في المجال المُخيرّ فيه بدعوى أنه مخلوق لله ولا يُملك شيئا من ذاته. وهذا أمر سبق أن فصلناه فلا نعيده هنا.

وقال أيضا: ((بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه: أعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه .وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لا تفهمه إلا بمثال وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة ... ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا إلى

كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان... وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته . والموجودات المدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس لها يشهد إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فإنها تنادى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فإنه نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف وتمهيد للقول بوحدة الوجود والانتصار لها. لأنه أولا إن كلامه فيه التباس فماذا يقصد بقوله بأن الله هو أظهر الموجودات وأجلاها ؟. فإن قصد أنه من أظهرها بمخلوقاته الدالة عليه فهذا صحيح . لأن أدلة وجود الله تعالى ظاهرة وتوصل إليه بالضرورة عند من خَلُصت نيته وتخلصت نفسه من الشكوك والشبهات، والشهوات والمصالح. وأظهر الأدلة على وجوده ثلاثة: دليل الفطرة، ودليل الخلق ، ودليل الحكمة والغائية في الكون.

وإن قصد أن الله تعالى ظاهر بذاته في الكون إلا أنه تدخلت عوامل منعت ظهوره للعيان. فهذا باطل قطعا، وهذا الذي يقصده الغزالي من دون شك، وقد سبق أن صرّح به، وسيؤكده في نهاية كلامه أيضا. وباطل بدليل الشاهدين الآتيين: أولهما إنه من الثابت شرعا وعقلا وعلما أن الكون بكل ما فيه هو من مخلوقات الله وليس هو الله . ومن المستحيل أن يكون الخالق هو المخلوق، ولا العكس.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 429 .

والثاني مفاده أنه من الثابت شرعا أن الله تعالى ليس داخل العالم وإنما هو خارجه ، فهو منفصل عنه وبائن عن مخلوقاته ، وهو مستوٍ على عرشه ، لكنه موجود في كل مكان بعلمه وإرادته وقدرته وجنوده. وبما أنه كذلك فلا يُمكن أن يكون الكون هو الله ولا أنه هو أفعاله .

وثانيا إن المثال الذي ضربه كدليل على أن الإنسان حي ، فهو دليل لا يصح أن نطبقه على الله تعالى. لأن الأمر له ثلاث حالات: الأولى عندما نكون على علم بالذي سيقوم بالكتابة وهو الإنسان مثلا، فلا يتطلب الأمر أن نرى الإنسان يكتب، أو يخيط، أو يتكلم لنعرف أنه حي مريد عاقل، لأننا نعرفه مسبقا. والحالة الثانية مفادها أننا لا نكون على علم بطبيعة وصفات الذي سيقوم بالكتابة أو الخياطة، فلما رأيناه يكتب ،ويخيط ، ويتكلم علمنا من فعله أنه حي مريد عاقل. والحالة الثالثة مؤداها أننا وجدنا أثار ومصنوعات الذي قام بالفعل، فوجدنا سيارة، وكتابات ،وملابس مُخيطة. فنحن هنا لم نر الفاعل ولا أفعاله ، لكننا بسهولة نعرف كثيرا من صفاته من مصنوعاته، فهي تشهد عليه أنه حي ، مُتحرك، عاقل، ذكي، كاتب ، وخياط . وهذه الحالة هي التي أغفلها الغزالي عمدا لأنها تُهدم فكره كله ، فأغفلها واعتمد على الحالة الثانية ووظفها بالتضليل والتحريف ليصل إلى تقرير غاية في نفسه خطط لها مُسبقا قبل أن يشرع في كتابة الإحياء، وقد أشار إليها بطريقته الخاصة في بدايات الكتاب وظل يُكررها إلى نهاياته بطرق متنوعة وفي مواضع كثيرة مُتفرقة .

وتلك الحالات الثلاث لا يصدق منها على الله تعالى إلا الثالثة. لأن الأولى لا تصدق عليه سبحانه لأننا لم نر الله بأعيننا لكي نعرفه مباشرة . والثانية لا تصدق عليه أيضا لأننا لم نر الله يفعل لكي نكتشف خصائص أفعاله وصفاته لنستدل بها على ذاته. ولأن الكون الذي نراه ليس أفعالا لله ، وإنما هو من مخلوقاته كما سبق أن بيناه. ولهذا لا يصح المثال الذي ضربه الغزالي عندما استدل بأفعال الكاتب على أن الإنسان كائن حي ، فلا يصح على أن يكون دليلا على وجود الله . وأما الثالثة فهي التي تصدق عليه سبحانه وتعالى، فنحن لم نره ولا رأينا أفعاله ،وإنما رأينا آثاره ومخلوقاته، ونحن منها ، فكانت هي الدليل على وجوده.

وأما لماذا استخدم الغزالي الحالة الثانية ؟، فالأمر واضح، فلما كان قد ذكر مرارا أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله وأفعاله حسب زعمه، فإنه

اختار ذلك المثال لأنه يُساعده على تقرير عقيدة وحدة الوجود عن طريق الأفعال. وتفسيره هو أنه كما أننا عرفنا من أفعال ذلك الكاتب أنه حي وعاقل ومريد ، فإنها من جهة أخرى تشهد بنفسها على أنها جزء منه وليست منفصلة عنه. وهذا يعني في النهاية أنها هي الإنسان ، لأنها لا يُمكن أن توجد من دونه .ونفس الأمر طبقه الغزالي على الكون والله، فبما أن الكون وما فيه هو من أفعال الله حسب زعمه، فهي تشهد له بصفات الكمال من جهة، لكنها من جهة أخرى هي جزء منه وامتداد له ولا تنفصل عنه. وهذا يعني في النهاية أن الكون بكل كائناته هو الله ، لأنها أفعاله ، وليست منفصلة عنه. وهذا هو القول بوحدة الوجود ، فالكون عين الله، والله عين الكون: لا موجود على الحقيقة إلا الله حسب زعم الغزالي وأصحابه.

ثم عقّب الغزالي على ذلك بقوله : ((فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره .فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان بأضدادها... فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاءً ، فهذا هو السبب في قصور الأفهام.))[1].

وقوله هذا مردود عليه وباطل بما سبق أن ذكرناه، ولأن الله تعالى لا تدركه الأبصار وهو خارج العالم بائن عن خلقه ، وأن هذا الكون مخلوق لله وليس هو الله .و مثاله المتعلق بشدة الوضوح والنور والخفاش باطل من أساسه، لأن الكون الذي نراه ليس هو الله ولا أفعاله، وإنما هو من مخلوقاته، ولهذا فإن الله تعالى ظاهر ليس بذاته وأفعاله وإنما بمخلوقاته، وباطن بذاته وصفاته وأفعاله. قال سبحانه: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)(الأنعام: 73))، و((هُوَ

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 433 .

الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(الحديد: 3))، و((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(الأنعام: 103)). فسبب خفائه ليس شدة وضوحه وإشراقه كما زعم الغزالي، وإنما هو ما ذكرناه ، فهو الخالق الذي لا تدركه الأبصار في الدنيا، والكون هو المخلوق الذي تدركه الأبصار. فعجبا من هذا الرجل وتلبيساته وتلاعباته وجرأته على الباطل !!.

ثم أن الرجل صرّح بما يريد وفضح نفسه عندما قال: ((وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله ،وأفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه ،وإنما الوجود للواحد الحق الذى به وجود الأفعال كلها . ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره ، كمن نظر في شِعر إنسان أو خطِه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف. وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا له ،وكان هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله ، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبدا لله ،فهذا الذى يقال فيه: إنه فنى في التوحيد ،وإنه فنى عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن .فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام ،أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم))[1].

وأقول: كلامه هذا اعتراف صريح منه بما ذكرناه عنه، فبعدما لف ودار وضرب الأمثلة المُضللة قرر وحدة الوجود بوضوح، وهو قول باطل من دون شك . لأنه أولا إن الذي عُميت بصيرته وأصبح فريسة للأوهام والهلوسات وتلبيسات الشياطين هو الذي يُقرر ما قرره الغزالي وليس العكس. لأنه من الثابت شرعا وعقلا وعلما وواقعا أن المخلوقات ليست هي

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 434 .

الله ولا أفعاله، وإنما هي من مخلوقاته ولها وجود حقيقي قائم بها؛ فالوجود مُتعدد وليس واحدا كما زعم الغزالي، إنه يتكون من : الخالق والمخلوق، وليس من الله وأفعاله على حد زعم الرجل.

وثانيا إن الأمثلة التي ذكرها الغزالي هي ضده وليست في صالحه، وفيها تضليل وتلاعب وتحريف، لأن المخلوقات التي نراها – منها الإنسان- تشهد بنفسها أنها مخلوقة وليست هي الله ولا أنها من أفعاله، وهذا أمر يُدركه كل إنسان في نفسه ومن أحوال المخلوقات الأخرى. وعندما ننظر إلى كتاب باحث من الباحثين فلا يدل هلى أنه هو المؤلف، ولا أنه من أفعاله ،وإنما يدل قطعا على أنه من إنتاجه وأثره ومنفصل عنه أيضا ، ويختلف تماما عن اليد التي كتبته، فهو ليس يدا ولا دماغا، وإنما هو منتوج فكري منفصل عن صاحبه. وكذلك الحبر والورق فهما أيضا من مصنوعات الإنسان . فنحن هنا أمام نوعين من الإنتاج: فكري ومادي، وكلاهما ليس هو الإنسان ولا فعله الذي قام بذلك، لأن فعله رجع إليه ولم ينفصل عنه . ولو كانت منتوجات الإنسان- الفكرية والمادية- هي أفعاله لتوقف إنتاجه بحكم أن فعله هو منتوجه انتقل معه. وبما أننا نرى العالم مثلا يُؤلف كتبا كثيرة دل هذا قطعا على أنها ليست أفعاله وإنما إنتاجه، فلو كانت أفعاله لما زاد عن الكتاب الأول، ونفس الأمر ينطبق على المنتوجات المادية.

وثالثا إنه لا يصح القول بأن من نظر إلى العالم وعرفه وأحبه على أنه فعل الله لم " يكن ناظرا إلا في الله ،ولا عارفا إلا بالله، ولا محبا إلا له ، وكان هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله ". إنه لا يصح لأن ذلك لن يُغير من حقيقة الكون شيئا ، وهو أنه مخلوق لله وليس هو الله ولا أفعاله. ومن يفعل ذلك فهو مخالف للشرع والعقل والعلم، وليس محبا لله ولا للحقيقة وإنما هو محب لهواه وهلوساته وشياطينه، ومُصر على التضليل والتحريف. ولن يكون هو الموحد الذي يدين بدين الإسلام ويعتقد بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وإنما هو الموحد في الدين الصوفي الذي يعتقد بكفرية وحدة الوجود ، بمعنى: لا موجود على الحقيقة إلا الله . فشتان بين التوحيد الإسلامي الذي يُثبت الوحدانية لله مع وجود المخلوقات، وبين التوحيد الصوفي الذي جعل الكون هو الله ، والله هو الكون !!!!! . إننا أمام دينيين متناقضين كل دين ينقض الآخر ويهدمه ، فاختر أيها المسلم، وأيها العاقل ، وأيها العالِم دين الله تعالى ولا تختر الدين الصوفي ، فتهدم دينك

وعقلك وعلمك من أجل أوهام الغزالي والصوفية وخرافاتهم وهلوساتهم ، وضلالاتهم وكفرياتهم !!!!!.

ورابعا إن الرجل بعدما قرر وحدة الوجود بوضوح وانتصر لها بكل ما يستطيع عاد ولف ودار ومارس التقية والتضليل والتحريف لغاية في نفسه فأشار إلى تعدد شكلي ، ثم نقضه مباشرة. فعل ذلك عندما قال: " بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبدا لله ،فهذا الذى يقال فيه: إنه فنى في التوحيد ،وإنه فنى عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن " . فقول الرجل" إنه عبدا لله " تضمن إثبات التعدد لا الوحدة: العابد والمعبود، الخالق والمخلوق. لكنه نقضه بقوله السابق: " هو الموحد الحق الذى لا يرى إلا الله "، ثم نقضه مرتين: الأولى عندما قال: " إنه فنى في التوحيد ،وإنه فنى عن نفسه"، لأن من فنى عن نفسه انمحى وزال، فلم يصبح عبدا وكائنا قائما بذاته ، ومن فنى في التوحيد يعني أنه فنى في الله وأصبح هو الله حسب عقيدة وحدة الوجود.

والمرة الثانية عندما قال: " وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن ". ومعنى كلامه : كنتُ أنا بنفسي ، ففنيت عنها ، فزالت نفسي وانمحت . وهنا ينتقل الصوفي إلى الفناء في الله ويصبح ربا وإلها حسب زعم الصوفية !!!!!.

وأخيرا- خامسا- إن قوله : " فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها و...". هو قول باطل قطعا ، ومن تضليلاته وتحريفاته، لأن القول بوحدة الوجود- بمعنى لا موجود إلا الله على الحقيقة حسب الغزالي- ظاهر البطلان شرعا وعقلا وعلما ، وليس كما زعم الرجل. ولهذا وجدناه من بداية الكتاب يلف ويدور ويُكرر كلامه ويذكر الأمثلة ليثبت قوله بوحدة الوجود فما استطاع إلى ذلك سبيلا. ومن جهة أخرى فقد وجدناه هو أمثاله يتعمدون تعقيد وأشكلة كلامهم ليس لأن وحدة الوجود صحيحة وغير مفهومة وإنما لأنها ظاهرة البطلان من جهة ، وأنها مخالفة للشرع والعقل والعلم من جهة ثانية، ولأن انكشافها يفضحهم بين المسلمين ويظهر ضلالهم من جهة ثالثة. ولهذا تواصوا قديما وحديثا على إخفاء حقيقة دينهم بالإشارات والتلغيزات والتحريفات والتلاعبات تطبيقا لعقيدة التقية التي هي

من عقائدهم وأصول دينهم، مع الحرص على التظاهر بالإسلام والتستر به تضليلا وتغليطا وتلبيسا على الناس !!!! .

ثم أن الغزالي كما استخدم حكاية الأفعال للوصول إلى نفي أفعال المخلوقات وتقرير خرافة وحدة الوجود بدعوى أنه لا يُوجد في العالم إلا الله وأفعاله ، فإنه استخدم أيضا مصطلح: الحضرة الربوبية للتعبير عن نفس الفكرة وتقرير وحدة الوجود بالتضليل والتحريف، والتلاعب والتغليط. من ذلك أنه قال: ((وجملة عالم الملك- الشهادة- والملكوت- الغيب- إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله))[1].

وأقول: كان الرجل قد جعل الكونين المشهود والغيبي من أفعال الله ومنها قرر وحدة الوجود ، وهنا قرر نفس النتيجة لكنه سمى الكونين المشهود والغيبي بالحضرة الربوبية . فالحضرة المزعومة هي من الله وامتداد له ، فهي حضور إلهي كالأفعال جزء إلهي من الفاعل. وهذا يعني أن الكون الغيبي والمشهود هو الله حسب كفرية وحدة الوجود، وهذا قد نص عليه الغزالي عندما قال: ((لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله))[2].

ومن أقواله أيضا أنه وصف شيوخ الصوفية بأنهم لم ((يروا في الكونين شيئا سواه))[3]. ((فإن قلت: كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة ؟، فكيف يكون الكثير واحدا ؟. فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات. وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال :العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة، نعم ذكر ما يُكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار. وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ،وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد ،إذ نقول: إنه إنسان واحد. فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 15 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 15 .
[3] الغزالي: أحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 268 .

شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه. والفرق بينهما أنه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملتفت إلى الكثرة في تفرقه فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أُخر سواه كثير وبعضها أشد كثرة من بعض .ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ،ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا...))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف ، وتضمن القول بوحدة الوجود بل ويكاد يكون صريحا في تقريرها . وأشير هنا إلى نموذجين من ممارسة الغزالي للتضليل والتحريف ليستدل على وحدة الوجود: الأول إن المثال الذي ضربه بالإنسان ليستدل على العلاقة بين الوحدة والكثرة والزعم بأن ذلك من علم المكاشفة ، وانه لا تناقض بين إثبات الأمرين والقول بالوحدة والكثرة، هو مثال لا يصح ليكون دليلا على القول بوحدة الوجود لأن علاقة أعضاء الإنسان وأجهزته بالإنسان ككل ، هي جزء منه ومكونة له من جهة وآثار أعماله في الواقع منفصلة عنه من جهة أخرى. وبالنسبة لله تعالى فليست مخلوقاته جزءا منه كأعضاء وأجهزة الإنسان التي هي جزء أساسي منه ولا وجود له بدونها. فالمخلوقات ليست هي صفات الله ولا أفعاله ، وإنما هي من مفعولاته . وكذلك الإنسان له مصنوعات هي من مفعولاته وليست أفعاله . فنحن هنا أمام : الله ، وأفعاله ، ومفعولاته- مخلوقاته. وكذلك: الإنسان وأفعاله ، ومصنوعاته . وهذا يعني بالضرورة أن مفعولات الله ليست هي الله ولا هي أفعاله ولا صفاته، وهي منفصلة عنه لأنها من مخلوقاته. وكذلك الإنسان، فإن مصنوعاته ليست هي أفعاله ولا صفاته ولا أجهزته ولا أطرافه، وهي من آثار أفعاله ومنفصلة عنه تماما. فالمثال الذي ذكره الرجل لا يصح ، وفيه تحريف وتضليل لغاية في نفس الغزالي. لأن الرجل اراد من مثاله أن يغالطنا ويقول لنا كما أن أطراف الإنسان وأجهزته جزء لا يتجزأ من الإنسان كذلك الكون بما فيه هو جزء لا يتجزأ من الله ، وهذا يعني أنها هي الله أيضا لأنها امتداد وتجليات له . فالكون كله الله، والله هو الكون أيضا.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 335 - 336 .

والمثال الثاني: مفاده أن الرجل بعدما قرر وحدة الوجود واستشهد لها بالمثال الذي ضربه بالإنسان وأطرافه ، فإنه غالط وضلل واستخدم عبارتين شرعيتين ينقضان زعمه من جهة، لكنه فرغهما من مضمونهما الشرعي وملأهما بمضمون وحدة الوجود من جهة أخرى ، فقال: ((فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أُخر سواه كثير وبعضها أشد كثرة من بعض .ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ،ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا...))[1].

والعبارتان الشرعيتان هما: الخالق والمخلوق ، ومعناهما الشرعي ينفي وحدة الوجود التي قررهما الغزالي، لأن الشرع أكد في عشرات النصوص أن الله هو الخالق خلق الكون بما فيه من عدم ، وله بداية وستكون له نهاية حتما يوم القيامة وفيها يكون المعاد الأخروي. وهذا يعني بالضرورة أن الكون له وجود حقيقي وليس هو امتدادا لله ، ولا جزءا منه ، وإنما هو من مخلوقاته. فنحن أمام خالق ومخلوق ولسنا كما زعم الغزالي بأننا أمام موجود واحد له مظاهر وامتدادات لذات واحدة. فهذا هو المعنى الشرعي والعقلي والعلمي لمعنى الخالق والمخلوق. لكن الغزالي استخدمهما لتمرير عقيدة وحدة الوجود بعدما فرغهما من مضمونها الصحيح . وكلام الغزالي لا يعني أبدا الخلق ، لأن القول بالخلق والانفصال ينقض وحدة الوجود من أساسها .

فالأمثلة التي ذكرها في غير محلها ولا يصح استخدامها ولا تعُبر على ما أراد أن يقوله، حتى أنه اعترف بذلك في النهاية عندما قال : ((ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ،ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا...))[2]. والحقيقة أن مثاله باطل قطعا ومردود عليه لأنه لا يصلح أصلا مثالا لتقرير كفرية وحدة الوجود التي انتصر لها الغزالي .

ومنها أيضا أن الغزالي وصف الله تعالى بقوله: ((وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 335 - 336 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 335 - 336 .

خارجـه ولا هـو متصـل بالعـالم ولا هـو منفصـل عنـه))[1] ، و ((وهـذه أمـور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان))[2].

وأقول: كلامـه هذا فيـه تضليل وتحريـف، وتلاعـب بالألفاظ ويتضـمن تقرير وحدة الوجود بطريقة كلامية أشعرية صـوفية . أولا فبالنسبة للمكان فإن قولـه: " " مقدس عن المكان "، و" ولا هو في مكان "[3].، فهو مخـالف للشـرع والعقـل ويتضـمن القـول بوحـدة الوجـود وهـو مـن نتـائج الكشـف الصوفي المزعوم. فمن الثابت شرعا أن الله تعالى أثبت لنفسه مكانا يليق به ، فهو سبحانه بائن عن خلقه وعلى العرش استوى، قال سبحانه: ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(طه: 5))، و((وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)(الفجر: 22))، و((إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ)(فاطر: 10))، و((وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)(البقرة: 255)) . وحادثة الإسراء والمعراج دليل قطعي على أن الله تعالى بائن عن خلقه وأنه على عرشه، وهي حادثـة سجلها القرآن الكريم وفصلها الحديث الشريف.

وأمـا عقـلا فمـن الثابـت بداهـة أن كـل موجـود لـه مكـان يناسـب ذاتـه وطبيعتـه، لأن مـن حقـائق العلـم الحـديث نسـبية المكـان. والموجـود الـذي لا مكان له يعني أنه معدوم وغير موجود . لأن القول بوجود موجود لا مكـان لـه هو تناقض ونفي لوجوده.

وبما أن الغزالي ذكر أن الكشف الصوفي أوصله إلى معرفة الملكوت- غيوب وأسرار الكون- بأن الله ليس في مكان ، وبما أنه اثبتنـا شـرعا وعقلا أن الله تعالى في مكان يليق به فهذا يعني أننا بين ثلاثة احتمالات: إمـا أن الله له مكان يليق به منفصل تماما عن مخلوقاته، وإما أن الله غير موجـود بحكم أن المعدوم هو الـذي لا مكان لـه، وإمـا أن الله هو الكون والكون هو الله . وبما أن الغزالي كان يؤمن بالله ، وبما أنه نفـى أن يكون الله داخـل العـالم أو خارجـه ، فلـم يبـق إلا الاحتمـال الثالـث . ويعنـى أن الغزالـي قصـد مـن نفـي المكان لله بأن الله هو الكون والكون هو الله، فـلا موجـود إلا الله. لأن القـول بوجود عرش لله ، أو مكان لـه يعني إثبات التعدد، وهذا ينقض القـول بوحـدة

[1] الغزالي: إحياء ،ج 4 ص: 434 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: ، 251، 331 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 331 .

الوجود . فقوله: " لا هو داخل العالم ولا هو خارجه" يتضمن القول بوحدة الوجود ،لأن القول بأن الله داخل العالم يعني اثبات التعدد ، والقول بأنه خارجه كما يقول الشرع يعني أيضا التعدد بمعنى وجود الخالق والمخلوق.

وثانيا بالنسبة لقوله: " " لا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه "، فهو أيضا يتضمن نفس المعنى فالقول بأن الله منفصل عن الكون يعني إثبات التعدد ، أي إثبات الخالق والمخلوق كما يقول الشرع والعقل والعلم. والقول بأن الله متصل بالعالم مع أنه مخالف للشرع إلا أنه يُثبت التعدد أيضا ، بمعنى وجود: خالق متصل بمخلوقاته. ولهذا أنكر الغزالي كون الله متصلا بالعالم أو منفصلا عنه . وبما أنه ليس متصلا به ولا منفصلا عنه حسب الغزالي فإما أن الله غير موجود ، وإما أنه هو الكون. وبما أن الغزالي يقول بوجود الله فهذا يعني أنه يقول بوحدة الوجود، لأنه إذا كان الله موجودا وليس منفصلا عن العالم ولا متصلا به، فهذا يعني بالضرورة أنه هو الكون ولا موجود إلا هو . وهذا قول بوحدة الوجود وتقرير لها ،وهي التي يُعبر عنها الصوفية بالفناء في الله **!!** .

وقال أيضا : ((فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للإنسان والكمال بالتفرد بالوجود فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة. فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية. والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته. وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا. فإذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف ، وتلاعب وسفسطة ،وتضمن القول بوحدة الوجود ، والرجل استدل بظنونه ورغباته ولم يستدل بشرع صحيح ولا بعقل صريح ولا بعلم صحيح،

[1] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 281 .

واستدلاله باطل قطعا. لأنه أولا ليس صحيحا أن التفرد بالوجود هو الكمال، فهذا باطل لأنه مخالف للشرع والعقل والعلم، فمن الثابت أن الكون بكل ما فيه مخلوق ، له بداية وستكون له نهاية، وهذا ثابت شرعا وعلما . وهذا يعني أن الله تعالى هو خالقه ، وله وجود حقيقي، ولو كان نقصا كما زعم الرجل ما أوجده الله تعالى، لأنه سبحانه متصف بكل صفات الكمال. بل إيجاده له هو الكمال ذاته يشهد له بالقوة والعلم والحكمة والعظمة ، وأنه فعال لما يريد وليس كما زعم الرجل.

فقوله ((فإذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال))[1]. غير صحيح لأن الربوبية لا تعني بالضرورة التفرد بالوجود وإنما تعني أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه . وهذا يعني أنه لا موجود أزلي إلا الله ، ولا يعني أنه لا موجود سواه . فالربوبية تعني تفرد الله بالوجود الأزلي ، وتنفي وجود كائن أزلي معه، فلو وُجد لكان هذا نقصا ، لكنها لا تنفي وجود موجودات مخلوقة خلقها الله تعالى وأعطاها وجودا حقيقيا بل وأخلد بعضها . فهذا يُثبت التعدد بوجود الخالق والمخلوق، لكن قول الغزالي ينتهي إلى نفي وجود المخلوق وتقرير كفرية وحدة الوجود .

وثانيا إن الكمال لا يتمثل في أحادية الوجود ، لأن هذا مخالف للشرع والعقل والعلم كما بيناه أعلاه، وإنما الكمال يتمثل في تفرد الله تعالى ليس بالوجود وإنما بالربوبية والألوهية ، فهو سبحانه خالق الكون لا إله إلا هو. ولهذا كانت شهادة دين الإسلام: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،ولا رب سواه . فهي شهادة توحيد تنفي وجود الإله مع الله ، ولا تنفي وجود المخلوق معه سبحانه ، فكل المخلوقات من عبيده . لكن الغزالي يُغالط ويُضلل ويُحرف ويتلاعب عندما قرر ما يُخالف التوحيد الإسلامي وزعم أن توحيده يُمثل الكمال ، وهو: لا موجود على الحقيقة إلا الله . فنفى أن تكون الموجودات التي نراها- ونحن منها- أن يكون لها وجود حقيقي ، وإنما هي أشباح ورسوم وامتدادات لأفعال الله حسب زعمه .

وليس صحيحا أنه لا موجود مع الله سواه، فهذا كلام باطل يُعبر عن عقيدة وحدة الوجود لا عن ما قرره الشرع ويقوله العقل والعلم. لأن الكون بما فيه هو من مخلوقات الله تعالى ليس من أفعال الله وإنما هو من مفعولاته، وكونه من مخلوقاته وأنه لا وجود له من ذاته لا ينفي عنه

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 3 ص: 281 .

وجوده الحقيقي، فالكون بما فيه له وجود حقيقي مخلوق أوجده الخالق وأعطى له وجودا مخلوقا يُناسبه. فكون المخلوقات مخلوقة لله لا ينفي عنها وجودها الحقيقي الذي نفاه عنها الغزالي بتلاعبه وتحريفه للشرع وللواقع تقريرا لوحدة الوجود . ولهذا فإن معنى الربوبية لا يعني التفرد بالوجود، وإنما يعني انه سبحانه مُتفرد بالربوبية فلا رب سواه ، ولا يعني أنه لا مخلوق معه.فوجود مخلوقاته معه كمال وليس نقصا، وإنما النقص في وجود كائن أزلي مثله ، وهذا الذي ينفيه التوحيد الإسلامي.

وأما مثال الشمس الذي ضربه واستدل به على وحدة الوجود، فلا يصح من أساسه من جهتين: الأولى أنه ليس صحيحا وجود شمس واحدة، لأن الشموس كثيرة جدا وهي نجم من النجوم يزيد عددها عن 200 بليون بليون نجم[1]. والثانية أن الشمس مخلوق من المخلوقات ، فهي ليست منفردة لا بنوعها ، ولا بوجودها ككائن مخلوق. ولهذا لا يصح مقارنتها بالخالق عز وجل. فهو منفرد عنها بأنه خالق ، وهي مخلوقة ، وهذا هو الفاصل الحاسم وليس وجود المشمس ككائن مخلوق. فكمال الله تعالى في تفرّده بالألوهية والربوبية ، وليس في وجود مخلوقاته معه .

وثالثا إن من مغالطاته وتحريفاته أنه استخدم عبارات خلاف معناها الأصلي وضمنها معنى صوفيا، وفيها تناقض صارخ استخدمها للتضليل والتعمية فقوله: ((إذ ليس معه موجود سواه فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته .)) . وبيان ذلك : بما أنه قرر أنه ليس مع الله موجود سواه فلا يصح أن يقول: ((فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه...)). فهذا تناقض إما أنه لا موجود سواه ، وإلا معه موجود سواه ، لا ثالث لهما. ولكن الرجل جعل الموجود أثرا لله، وهذا تعبير غير سليم. لأن هذه الموجودات هي حقا من آثار قدرة الله وإرادته، وهي مخلوقاته ، لكنها ذات وجود حقيقي منفصل عن خالقها وليست كما زعم الرجل أنها من آثاره بمعنى أنها امتداد وأجزاء من الله حسب الغزالي، وفي هذه الحالة ليس لها وجود قائم بها وتتفق مع قوله :((إذ ليس معه موجود سواه)) . وهذا الذي يريده الرجل فالموجودات حسب زعمه ليس لها وجود مستقل ومنفصل وإنما هي امتداد من الله وأجزاء منه،

[1] الموسوعة العالمية العربية، مادة: النجمة، الشمس.

فهي هو ، وهو هي. فالرجل قرر بذلك وحدة الوجود، وهي باطلة شرعا وعقلا وعلما كما سبق أن بيناه. فالرجل فعل ذلك عن قصد للتغليط والتعمية عما قرره من أنه لا موجود إلا الله ، ثم عاد وتكلم عن وجود آثار له ، لكنها امتداد له وليست كائنات حقيقية منفصلة عنه. لذا فكلامه باطل ومتناقض ، فإما أن يكون لتلك الآثار وجود حقيقي فهي موجودة معه ومخلوقة له ، وإما غير موجودة أصلا كوجود مستقل ومن ثم هي الله لأنها جزء منه ، وهنا لا يصح وصفها بأنها من آثاره ولا من مخلوقات، لكن الرجل تظاهر بإثبات ذلك لغاية في نفسه.

وليس صحيحا أن ((المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته)). فهذا كلام باطل قطعا لأن المعية لا تعني بالضرورة المساواة في الرتبة، وإنما تعني تعدد الموجود وقد تتساوى الموجودات وقد لا تتساوى في رتبها، وهذا نلاحظه في المخلوقات. والله تعالى خلق مخلوقات هي معه ، وموجودة مثله لكنها لا تتساوى معه أبدا ، فشتان بين الخالق والمخلوق ، مع أن كلا منهما موجود !!!! . قال سبحانه: ((أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)(النحل: 17))، و((وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة: 216)) ،وَ((هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)(فاطر: 3)). فليس صحيحا أن المعية توجب المساواة في الرتبة، فهذا كلام باطل قطعا، فالإنسان مثلا موجود مع الله لكنه ليس ربا وإنما هو مخلوق لله . لكن الغزالي قال ذلك تضليلا وتحريفا وتغليطا ليصل إلى نفي وجود موجود مع الله ليقرر كفرية وحدة الوجود.

ونفس الأمر ينطبق على قوله: ((فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة)). فهذا حكم باطل شرعا وعقلا وعلما أراد به الرجل تقرير وحدة الوجود ، لأن المشاركة في الوجود تكون نقصا بالنسبة لله تعالى إذا كان معه رب مثله ، وبما أن هذا باطل وتنفيه شهادة التوحيد الشرعية: لا لإله إلا الله وحده لا شريك له ؛ فإن المشاركة في الوجود بالنسبة لله تعالى ليست نقصا. لأن الموجودات التي معه سبحانه هي من مخلوقاته ، تشهد له بالعظمة والكمال والحكمة، والقوة والجبروت لا بالنقص والضعف. وهي كلها من عبيده قال سبحانه : ((وإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)(الإسراء : 44)) .

ثم أن أبا حامد الغزالي ذكر أنه يُوجد ثلاثة أصناف من الموحدين وتوحيدهم انطلاقاً من نظرتهم إلى الوجود بين الوحدة والتعدد . فقال عن الصنف الأول وتوحيدهم - وهم الصوفية – بأنه ((نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره . وان كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود ألبته وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك. فإذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب... وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفيه عن هذه الحالة بفناء النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم))[1].

والصنف الثاني من الموحدين وتوحيدهم يتعلق بالمنكرين لوجود الله وهم لم يبلغ بهم نظرهم إلى مقام الفناء عن أنفسهم كما هو حال أصحاب التوحيد الأول. فهم ((لم يثبتوا الا وجود انفسهم وأنكروا ان يكون لهم رب يعبد ،وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين المُوجَد وليس في الوجود إلا موجود واحد ومُوجَد ،فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان .وإذا كان كل من عليها فان، فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام))[2].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 118 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 119 .

والصنف الثالث وتوحيدهم يتعلق أيضا بأًناس لم يفنوا عن أنفسهم كحال أصحاب التوحيد الأول ، لكنهم يختلفون عن أصحاب التوحيد الثاني في أنهم ((ليس بهم عمى ولكن بهم عور لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذى قبله جاحد تحقيقا)) [1]. ثم أن الرجل لما ذكر تلك الأنواع وختم كلامه بقوله: ((وإذا تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ، ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة))[2].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ، وفيه تلاعب وتحريف متعمد للشرع ، وتضمن تقرير وحدة الوجود، وإلحاق المسلمين بالمشركين. وتفصيل ذلك أولا إنه واضح من كلام الرجل أن الموحدين الممثلين للصنف الأول هم الصوفية، وتوحيدهم وحدة الوجود، فلا موجود عندهم إلا الله. والموحدون الممثلون للصنف الثاني هم المنكرون لوجود الله- الملاحدة - وتوحيدهم هو إنكار وجود الله وإثبات وجود واحد هو الكون ، ومعناه: لا إله ولا وجود إلا للكون. وأما الموحدون الممثلون للصنف الثالث فهم المشركون حسب زعم الغزالي، وتوحيدهم قائم على التعدد لا الوحدة ، ويعني إثبات الله الواحد الأحد ومعه مخلوقاته. وقوله هذا يُعتبر من أخطر ما قاله الغزالي في الإحياء، إذا كشف فيه بصراحة حقيقة ما كان يُخفيه، فجعل المسلمين من المشركين، وألحق النبي-عليه الصلاة والسلام- بدعاة وحدة الوجود مستخدما التضليل والتحريف ، والتغليط والتلبيس انتصارا للتوحيد الصوفي المزعوم . وواضح من كلامه أنه ذكر تلك الأصناف وتوحيدها انطلاقا من التوحيد الصوفي- وحدة الوجود- فحكم عليها به، ولم يحتكم فيه إلى وحي صحيح، ولا إلى عقل صريح، ولا إلى علم صحيح فأخطأ خطأً فاحشاً فيما قاله عن توحيد الصوفية وتوحيد المشركين حسب تقسيمه.

وثانيا أُشير هنا إلى أمر هام جدا مفاده أن توحيد الصنف الأول الذي انتصر له الغزالي والذي يعني وحدة الوجود- الله هو الكون ، والكون هو الله- فكما أنه باطل شرعا وعقلا وعلما فإنه من جهة أخرى لا يختلف في حقيقته النهائية عن توحيد الصنف الثاني- الملاحدة وإلحادهم- ، لأنه ينتهي

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 119 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 120 .

بأصحابه إلى إنكار وجود الله كالملاحدة ؛ بل إن التوحيد الإلحادي أقوى دليلا من توحيد وحدة الوجود ، وهذا خلاف ما زعمه الغزالي.

وتفصيل ذلك هو أن كلا من التوحيدين يُثبت وجودا واحدا، وكل منهما يُؤمن بوحدة الوجود على طريقته، فالصوفي يزعم أن هذا الواحد الذي نراه - الكون - هو في الحقيقة هو الله نفسه، لأنه لا وجود على الحقيقة إلا الله حسب زعم الغزالي وأصحابه، بدعوى المكاشفة وعلم الباطن. والملحد يزعم بأن الله لا وجود له، ولا وجود إلا للكون ، فهو الموجود الوحيد ، فلا موجود إلا الكون الذي نراه ، ونحن لا نرى سواه ، ولا يُوجد دليل ملموس يُثبت وجود الإله ، ولا أن هذا الكون هو الله كما يقول الصوفية . فأي الدليلين أقوى وأصح ؟؟.

فأقول: كلٌ من الدليلين باطل كما سنبينه قريبا، لكن شبهات الملاحدة أقوي من شبهات الصوفية التي هي ضعيفة جدا بل ظاهرة البطلان، ولا يملك موقف الصوفية أي شواهد موضوعية تُثبته ، وسينتهي بأصحابه إلى ما يقوله الملاحدة. لأن قول الصوفية بوحدة الوجود يعني أن الكون هو الله، والله هو الكون ، وبما أن زعمهم هذا باطل بدليل الشرع والعقل والعلم والواقع[1]، وأن الحقيقة هي أن الكون مخلوق و ليس هو الله، فهذا يعني أن الله غير موجود بحكم أنهم زعموا أن الكون هو الله، وقد تبين بطلان زعمهم هذا. فتكون النتيجة هي أنه لا موجود إلا الكون ، وليس لا موجود إلا الله. وهذا نفس كلام الملاحدة الذين زعموا أنه لا إله ولا موجود إلا الكون !!. وهذه النتيجة من أغرب النتائج، فالصوفي يبدأ طريقه بنية عبادة الله ويُمارس الطريق الصوفي فينتهي به إلى الكفر بالله ودينه ، بل وإلى إنكار وجود الله كالملاحدة . فالصوفية أنكروه بقولهم: لا موجود إلا الله ، والملاحدة أنكروه بقولهم: لا إله ولا موجود إلا الكون. والسبب في ذلك هو انحراف الفريقين عن الشرع والعقل والعلم ، وإتباع كل منهما لسبيل من سبل الشيطان ، فأضلهما وأوردهم الموارد وأوصلهم إلى الإلحاد. قال تعالى: ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153)) .

---

[1] ليس هنا التوسع لإثبات ذلك، وقد سبق أن بيناه في مواضع متفرقة من كتابنا هذا، وتوسعتُ فيه في كتاب: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

والصواب فيما أثرناه هو أن الكون ليس هو الله، ولا هو أزلي، وإنما هو كائن مخلوق له بداية وستكون له نهاية. وهذا أمر أثبته الشرع والعلم ويقوله العقل . وبما أن الأمر كذلك، ولا شيء يَخلق نفسه، ولا أنه يُخلق من لا شيء، ولا الإنسان خلق نفسه، ولا خلق هذا الكون. فإن كل هذا يعني بالضرورة أن للكون خالقا خلقه لا محالة. قال سبحانه: ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ)(الطور:35 - 36)). فالصواب هو توحيد القائلين بوجود الخالق والمخلوق، لأنه يُوحد الخالق ولا يوحد الموجود، وأما توحيد الصوفية والملاحدة فباطل قطعا .

وثانيا فبالنسبة للصنف الثالث وتوحيدهم الذي سماه الغزالي توحيدا أعور،وجعل أصحابه مشركين تحقيقا لأنهم أثبتوا وجودين: الخالق والمخلوق، فهو كلام باطل قطعا وهو تحريف للشرع واتهام له وللمسلمين بالشرك ، وفيه قلة أدب ورعونة نفس، وجسارة على التحريف والتضليل، ولا يقوله أبدا مسلم يعي ما يقول . لأن الحقيقة الثابتة هي أن الوجود فيه الخالق الأزلي، والكون المخلوق . ومن يُثبته ليس مشركا ، لأنه يُثبت الحقيقة الشرعية والعلمية والعقلية بأن الكون متعدد مُكوّن من: الخالق والمخلوق. لأن الشرك في الإسلام يعني إثبات إله مع الله أو أكثر ، ولا يعني إثبات مخلوقات معه . والرجل يعلم ذلك قطعا، لكنه ضلل وحرّف ودلس ، واتهم المسلمين صراحة بأنهم مشركين انتصارا لكفرية وحدة الوجود !!. فهذه الضلالة هي التي أكثر الغزالي من التفاخر بها وإخفائها ، لأنه بعدما قررها وانتصر لها ختم كلامه بقوله: ((وإذا تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ، ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة))[1].إن هذا الرجل يتلاعب بدين الإسلام ويعمل على هدمه ويضحك على أهله ، فبعدما قرر كفرية وحدة الوجود قال: ((ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة))[2]. فأية فائدة من الرجوع إلى ذلك ؟؟ وهل بقي شيء يُمكن الرجوع إليه بعد هدم الدين والعقل والعلم بوحدة الوجود ؟؟ !! فلماذا هذا التلاعب والتحريف والتضليل عن سبق إصرار وترصد مع الحرص على التظاهر بدين الإسلام والتستر به ؟؟ !! .

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 120 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 120 .

وأخيرا أتساءل : فمن هو البصير ، ومن هو الأعمى ؟، إنه واضح أن القائلين بتعدد الوجود: الخالق والمخلوق هم أهل البصر والبصيرة، وأهل الشرع والعقل ، وأصحاب البرهان والعلم . وأما أصحاب وحدة الوجود من الصوفية والملاحدة فكلهم عميان ، ومن أهل الأهواء والضلال ، ومن أصحاب الشبهات والهلوسات والتلبيسات النفسية الشيطانية .

ثم واصل أبو حامد الغزالي كلامه بقوله : ((الفريق الثالث ليس بهم عمى ولكن بهم عور لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا . كما أن الذى قبله جاحد تحقيقا- هم الملحدون- فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فأثبت عبدا وربا فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى فان بقى في سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان الى المحو فينمحى عن رؤية ما سوى الله فلا يرى إلا الله ليكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فبهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي الكحل الذي به يحصل أنوار الابصار والأنبياء هم الكحالون وقد جاءوا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله إلا الله ومعناه ان لا يرى إلا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الأوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شأو العلا حركات ... ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه -صلى الله عليه و سلم- بطلب القرب فقيل له:((وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)(العلق: 19)) قال في سجوده: " أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك" .فقوله صلى الله عليه و سلم: أ"عوذ بعفوك من عقابك" كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من

فعله، ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال :" أعوذ برضاك من سخطك" وهما صفتان. ثم رأي ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال: " وأعوذ بك منك" وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأي نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال" " لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك" فقوله صلى الله عليه و سلم: " لا أحصي" خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها. وقوله :" أنت كما أثنيت على نفسك" بيان انه المثنى والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك إلا وجهه. فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق. ولقد كان صلى الله عليه و سلم لا يرقى من رتبة الى اخرى إلا ويرى الاولى بعدا بالإضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه و سلم :" انه لَيُغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة " . فكان ذلك لترقية الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض اولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالإضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك))[1].

وأقول: قوله هذا باطل جملة وتفصيلا، وفيه تضليل وتحريف، وتلاعب وتدليس ، وهو من أخطر ما قاله الغزالي في كتاب الإحياء كشف به نفسه وفضحها، واظهر حقيقة اعتقاده بوحدة الوجود، وعمله على هدم الإسلام عن سبق إصرار وترصد انتصارا للدين الصوفي. لأنه أولا إن التوحيد الإسلامي لا يقوم على نفي تعدد الوجود، وإنما يقوم على نفي تعدد الإله . فالتوحيد الشرعي قائم على: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا رب سواه وليس على : لا موجود إلا الله. فتوحيد الأنبياء يقوم على توحيد الإله مع إثبات تعدد الوجود: الخالق والمخلوق. لكن الغزالي قلب الوضع وفرض على التوحيد الشرعي التوحيد الصوفي القائم على وحدة الوجود والذي ينفي التوحيد الإسلامي وتعدد الموجود. لهذا وصف الغزالي التوحيد الشرعي بأنه شرك وأصحابه من المشركين تحقيقا حسب زعمه. وهذا زعم باطل قطعا، لأن التوحيد الإسلامي يشهد له الشرع والعقل والعلم، خلاف التوحيد

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 120- 121 .

الصوفي المزعوم الذي هو هدم للوحي والعقل والعلم كما سبق أن بيناه مرارا .
ولذلك ليس صحيحا أن من ينمحي عن نفسه- الفناء عن الخلق- فلا يرى إلا الله يكون قد بلغ كمال التوحيد. فهذا كذب وتحريف للشرع، لأن التوحيد الإسلامي لا يقوم على نفي تعدد الوجود وإنما يقوم على نفي تعدد الإله.لكن الغزالي- كعادته- يقرر كفرية وحدة الوجود وينسبها إلى الإسلام بطريق أو آخر. انتصارا للتصوف وتسترا بالإسلام وهدما له.

وثانيا إن قوله بأن التوحيد المحض- وحدة الوجود- جاءت به رسل الله وكتبه فهو كذب مفضوح، وافتراء مُتعمد على الله ورسله. لأن من ثوابت الشرع وقطعياته أن التوحيد الإسلامي مناقض تماما للتوحيد الصوفي المزعوم- كفرية وحدة الوجود- . لأن الوجود في الإسلام متعدد: الخالق والمخلوق، وكون المخلوق ليس أزليا لا ينفي عنه أنه موجود، وانه ليس هو الله. والله تعالى مع أنه هو الخالق الأزلي، فإنه سبحانه مع أنه يفني العالم يوم القيامة، إلا أنه لا يفني كل المخلوقات، بل يجعل بعضها خالدا ، كالجنة والنار ، والإنسان ، والملائكة. فليس صحيحا أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله، فهذا تحريف للشرع وافتراء عليه. نعم إنه لا إله ولا خالق إلا الله، لكن ليس صحيحا أنه: لا موجود إلا الله فهذا زعم باطل. ولهذا من الكذب المفضوح الزعم بأن رسل الله وكتبه جاءت بتوحيد الصوفية- وحدة الوجود- . ومع أن هذا زعم باطل قطعا إلا أن الغزالي -المتعصب بالباطل للتصوف- أنكر التوحيد الإسلامي ووصف أصحابه بالمشركين من جهة، ثم هجم على الشرع وحرفه وزعم أنه يقول بالتوحيد الصوفي من جهة أخرى. ولهذا فمن العيب والعبث أن نناقش الغزالي في هذه الأباطيل لأنه قوله ظاهر البطلان في ميزان الإسلام لأنه مخالف لقطعياته ولما هو معروف منه بالضرورة .

وثالثا إن ما نسبه الغزالي إلى النبي- عليه الصلاة والسلام- بأنه جاء بالتوحيد الصوفي وأنه مارسه وترقى في مقاماته حسب شرحه للآية والحديث اللذين ذكرهما؛ هو زعم باطل بدليل ما قلناه أعلاه عن التوحيد الشرعي وبما انتقدنا به التوحيد الصوفي المزعوم. وباطل أيضا لأن الآية والحديث يجب فهماهما انطلاقا من التوحيد الإسلامي لا التوحيد الصوفي، وهما ينقضان توحيده المزعوم قطعا، لأنهما قائمان على تعدد الوجود لا على وحدته، فهما يشهدان على وجود عبادة وطاعة بين المخلوق- النبي-

عليه الصلاة والسلام- وبين الخالق- الله تعالى- . فنبينا دعا الله تعالى وفق التوحيد الشرعي، وليس في دعائه أية إشارة من قريب ولا من بعيد إلى خرافة وحدة الوجود. فالدعاء تم بين المخلوق والخالق، ولم يحدث بين الله وأفعاله ، فالنبي-عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى بصفاته لقوله تعالى: ((وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأعراف: 180)). فالآية تبطل زعم الغزالي من أساسه وتذمه أيضا من جهة أنه من الذين يلحدون في أسماء الله عندما جعل النبي ودعائه من صفات الله وأغفل أن الدعاء تم بين العبد وربه- المخلوق والخالق- ولم يتم بين الله وصفاته- أفعاله- !! . لكن الرجل تسلط على الدعاء وتلاعب به ووجهه توجيها كفريا صوفيا وزعم أن النبي-عليه الصلاة والسلام- ترقى في المقامات حتى بلغ وحدة الوجود وفيها فنى عن الخلق وفنى في الخلق. وهذا زعم باطل وافتراء مُتعمد ، ومردود بقطعيات الدين الإسلامي وتوحيده، بل إن القرآن الكريم من بدايته إلى آخره يقوم على التوحيد الإسلامي: لا إله إلا الله، ولا رب ولا خالق سواه من جهة ، وعلى تعدد الوجود بأن الله تعالى هو الخالق وغيره من مخلوقاته من جهة أخرى. فهذه الحقائق تُبطل كل مزاعم الغزالي وتحريفاته وتضليلاته وتلاعباته.

ومن أقواله المتعلقة بوحدة الوجود أيضا أن الغزالي بعدما قرر التوحيد الصوفي: لا فاعل ولا موجود إلا الله ، أقام عليه مقولته المشهورة عنه ، ومفادها: ((وليس في الإمكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ، ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفضله لكان بخلا يُناقض الجود وظلما يناقض العدل ، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يُناقض الإلهية))[1]. و((ومعنى أنه ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ، ولو كان وادخره مع القدرة كان ذلك بخلا ...))[2].

وأقول: قوله هذا باطل جملة وتفصيلا ، وفيه تضليل وتحريف ، وتضمن القول بوحدة الوجود . لأنه أولا إن الله تعالى فعال لما يريد ولا احد يستطيع ولا يحق له أن يفرض عليه شيئا، هو سبحانه إن أعطي أو منع فبعدل وحكمة وفضل، وليس عجزا ولا بخلا . وليس للغزالي أو غيره أن يفرض على الله رأيه بأنه يجب أن يعمل كذا، ولا يجب أن يعمل كذا. ومن يقول

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 350 .
[2] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 35 .

بذلك فهو جاهل،أو مريض، أو صاحب هوى .والله تعالى إذا منع ليس بخلا ولا عجزا لأنه حكيم وفعال لما يريد . قال سبحانه: ((وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)(الحجر: 21))، و((وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)(الشورى: 27)).، و((يزيد في الخلق)) ، و((لو شاء لجعلكم))، و((وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(المائدة : 48))،((أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً)(الفرقان : 45)) ، و((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)(يونس: 99)).

وثانيا إن قول الغزالي بأنه ليس في الإمكان أحسن مما كان ، هو كلام باطل قطعا ، لأن الله تعالى فعال لما يريد، وعلى كل شيء قدير، ولا حدود لقدرته، والشاهد على ذلك أنه سبحانه خلق أكوانا ومخلوقات كثيرة ومتنوعة وفي أزمنة متباينة . وخلق الجنة وهي أحسن من الدنيا، وخلق النار وهي أسوأ من عذاب الدنيا ..قال تعالى: ((يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(فاطر : 1))، و((وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(الجاثية : 4)).

وثالثا مع بطلان تلك المقولة شرعا وعقلا فإن الرجل لم يكن يتكلم باسم الشرع ولا العقل ولا العلم وإنما تكلم باسم عقيدة وحدة الوجود التي قررها ودافع عنها بالتضليل والتحريف ، ومفادها ومضمونها: بما أنه لا فاعل إلا الله، ولا موجود على الحقيقة إلا الله حسب الغزالي، ، وبما أنه سبحانه أزلي لا يتغير ولا يتحول ، وبما أن الكون وما فيه من كائنات هي أشباح ورسوم وانعكاسات وامتدادات لله حسب زعم الرجل ، فلا يُمكن أن يوجد أحسن مما هو موجود في الكون، لأنه في الحقيقة هو الله ، والله أزلي لا يتغير!!. فتلك المقولة هي تعبير مُلغز عن كفرية وحدة الوجود وتقرير لها بالتعمية والتمويه لا بالكلام الواضح . وبمعى آخر إنها من إشارات الصوفية لا من عباراتهم . فهذا هو تفسير تلك المقولة التي شغلت كثيرا من أهل العلم قديما وحديثا ، إنها من ملغزات الصوفية التي عبروا بها عن اعتقادهم بوحدة الوجود !! .

ومن أقواله المُتضمنة لوحدة الوجود بدعوى لا فاعل إلا الله أنه قال: ((فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلاد فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا: إن الفاعل قد وضعته أيها اللغوى للمخترع فلا فاعل إلا الله ، فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز .أي تتجوز به عما وضعه اللغوى له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: "أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل " .أي كل ما لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فإذن لا حق بالحقيقة إلى الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل. ولذلك قال سهل" يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان"))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف، ويتضمن القول بوحدة الوجود . لأنه أولا يجب أن نعلم أن إضافة المخلوقات إلى الله على أنه خالقها والمهيمن عليها لا ينفي أفعالها ومسؤوليتها إن كانت مكلفة من جهة، وخلقه للكون لا يعني توقف فعله فيه من جهة أخرى. لأن كل موجود له فعل هو فاعله بحكم أنه موجود بغض النظر عن هل هو مُسير أم مخير في أفعاله ؟. ولذلك فإن الكون توجد فيه أفعال كل الموجودات، والله تعالى مع أنه هو الخالق فهو قد يتدخل بفعله مباشرة كتكليمه لنبيه موسى –عليه السلام- ، وقد يتخل بواسطة مخلوقاته كتكليمه للأنبياء بواسطة جبريل. ففي تكليمه الأول كان هو الفاعل المباشر الوحيد، وفي الثاني كان هو الفاعل الأول والآمر، وجبريل هو الفاعل الثاني، ولا يُمكن إلغاء دور جبريل كفاعل ثانٍ . وهذا أمر سجله القرآن الكريم ويقول به المسلمون، قال سبحانه: ((نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ)(الشعراء :193 - 194))، و((قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 349 – 350 .

لِلْمُؤْمِنِينَ)(البقرة : 97)) . وقد يتدخل سبحانه بواسطة بعض مخلوقاته كالرياح والعواصف والمياه عندما يريد معاقبة قوم من الأقوام، فيُعاقبهم بها. وفي هذه الحالة يكون هو الآمر لكنه ليس هو الفاعل لما حدث في الأرض، قال سبحانه: ((وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ)(الفيل:3 - 4)) . ومنها أيضا أفعال البشر الاختيارية، فأعمالهم الشريرة والقبيحة والمُنكرة نهاهم الله عن فعلها، لكنهم فعلوها ، فهل هو فاعلها أم هم الذين فعلوها ؟!! . طبعا هم الذين فعلوها. وكذلك أفعالهم الحسنة والخيرة ، فالله سبحانه أمرهم بفعلها وحثهم عليها، فهل هو الذي فعلها أم الذين فعلوها ؟ !! . طبعا هو أمر ولم يفعل، وهم أطاعوا وفعلوا.

وكذلك أفعال المخلوقات الأخرى من الحيوانات وغيرها، فهي كائنات لها وجود حقيقي ولها أفعال توافق طبيعتها هي التي فعلتها وليس الله هو فاعلها. وبذلك يتبين أن من الخطأ إضافة أفعال المخلوقات إلى الله تعالى على أنها أفعاله وهو فاعلها. فمن يقول ذلك فهو إما جاهل ، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه من جهة، وأنه مارس التضليل والتحريف والتلاعب لتبرير ما يقول من جهة أخرى. فهي أفعالها حقيقة لا تجوّزا كما زعم الرجل.

وثانيا إنه لا يصح الاختفاء من وراء حكاية الحقيقة والمجاز والتجوّز، لأن معنى الصحيح للمجاز هو في الشرع واللغة العربية ،وليس في الكلام والفلسفة والتصوف، ولا يعني نفي الحقيقة ، وإنما يعني التعبير عنها بلفظ آخر، أو بطريق غير مباشر. كوصفنا للشجاع بأنه أسد. فهنا لم ننف عنه صفة الشجاعة وإنما عبرنا عنها مجازا وتجوزا بلفظ الأسد. ولهذا لا يصح نسبة أفعال المخلوقات إلى أفعال الله بدعوى المجاز، ولا نسبة أفعال الله إلى مخلوقاته مجازا وتجوزا ، لأن هذا التجوّز لم يُعبر عن الحقيقة الشرعية والواقعية والعلمية. وهي أن لكل موجود أفعاله ، فالله سبحانه له أفعاله، ومخلوقاته لها أفعالها. وهذا يعني أن المجاز الذي برر به الغزالي موقفه غير صحيح، وما بناه عليه فباطل.

وثالثا إن مثال الأمير الذي أمر بالقتل وتنفيذ الجلاد له ، والزعم بأن الفاعل هنا هو الله، هو مثال باطل. لأن الله تعالى هو الذي قدّر عمر المقتول بحكم أنه ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً)(آل عمران: 145))، لكنه قدّره بناء على فعل الأمير والجلاد. فليس الله تعالى هو الذي

مارس فعل القتل ولا هو الذي قتله، وإنما الذي قتله الأمير والجلاد. فالأول أمر بالقتل والثاني نفذه ، فنحن هنا أمام فعلين ساهما في القتل: هما الأمير والجلاد، وكل منهما مسؤول عن فعله. ولا يُعذر الجلاد في ممارسة للقتل وتطبيقه للأمر، لأنه كان قادرا أن يرفض ويتحمل مسؤولية رفضه، أو يهرب لكي لا يكون مشاركا للأمير في القتل، وبما أنه طبق أمره فهو مشارك له في القتل، وسيُاحسبهما الله تعالى.

والذي يحدث من قتل بين البشر في الحروب وغيرها لاشك أنها من أفعالهم وليست من افعال الله تعالى. وهل قوله تعالى: ((وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً)(النساء: 93))، يعني أن الله تعالى هو الذي قتل المؤمن المقتول ؟؟!! . وهل يُعقل أنه هو الذي يقتل ثم يحكم على المُتهم بدخول جهنم والخلود فيها ؟؟ !! . طبعا لا وألف لا .

وإما إذا قيل: ولماذا نسب الله تعالى القتل إليه في قوله تعالى: ((فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(الأنفال : 17)). وأقول: سبق الكلام عن هذه لكني أُضيف: إن الآية تتعلق بغزوة بدر، وهي غزوة كان فيها المسلمون قلة مقابل كثرة عدد المشركين وكان التدخل الإلهي فيها واضحا وشبه مباشر عن طريق الملائكة. وهذا التدخل لم يلغ أفعال المسلمين ولا المشركين، وإنما تفاعلت وتداخلت فيه كل الأطراف، وكان فيه الفعل الإلهي بواسطة الملائكة أقوى وأظهر. قال سبحانه: ((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ)(الأنفال : 9))، و((سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)(الأنفال: 12)). لاحظ فعل المسلمين : الاستغاثة والضرب على الأعناق، وفعل الله تعالى: إلقاء الرعب والاستجابة.

ورابعا إن الحديث الذي احتج به الغزالي ((أصدق بيت قاله الشاعر :ألا كل شيء ما خلا الله باطل)) ، هو حديث غير صحيح إسنادا ومتنا ، وقد ورد من عدة طرق كلها ضعيفة ومدارها على عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة . وتفصيل ذلك فيما يأتي:

الطريق الأول: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا سفيان عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم : " أصدق بيت قاله الشاعر :ألا كل شيء ما خلا الله باطل"))[1].

وإسناده لا يصح ، لأن من رجاله: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97- 161 هـ)، قيل فيه : ثقة ، ثبت ، حجة ، مُدلس، وربما دلس عن الضعفاء ،ومُرسلاته شبه الريح ، فيه تشيع يسير ، يثلث بعلي، و قيل أنه رجع عن ذلك. وقال : ((مؤمل بن إسماعيل: عن سفيان، قال: تركتني الروافض وأنا أبغض أن أذكر فضائل علي)) . وسأله رجل عن من يشتم أبا بكر، فقال: كافر بالله العظيم))[2]. وبما أنه كان يُدلس، ومرسلاته شبه الريح، وقد هنا عنعن ، فالإسناد لا يصح من جهته .

وعبد الملك بن عمير بن سويد الكوفي اللخمي (ت 136هـ عن 103 سنوات): ثقة، ليس به بأس ، كان يرسل ، حديثه مضطرب جدا، ضعيف يغلط ، اختلف الحفاظ فيما رووه عنه، غلط في كثير من أحاديثه، ضعفه أحمد بن حنبل جدا[3]. وبما أنه كذلك وكان يرسل ، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته .

وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عوف بن عوف الزهري المدني (مولده سنة بضع وعشرين، وتوفي 94 أو 104هـ هـ): ثقة ، أرسل عن كثير من الصحابة ولم يلحق بهم[4]. وهنا لم يصرح بالسماع فالحديث يحتمل أنه لم يسمعه من أبي هريرة، لذا فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته .

والطريق الثاني: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أسود ثنا شريك عن ابن عمير يعني عبد الملك عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه و سلم- انه قال: ...))[5].

إسناده لا يصح لأن من رجاله: عبد الملك بن عمير، وأبو سلمة، وشريك ، الأول والثاني ينطبق عليهما ما ذكرناه في الطريق الأول. وشريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي أبو عبد الله الكوفي القاضي (109-177هـ)

---

[1] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 2 ص: 248 ، رقم: 7377 .
[2] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 199 ، ج 3 ص: 72 و ما بعدها . و الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 82، ج 7 ص: 241، 242 ، 254 .
[3] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 351، رقم: 1637 . و ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 5 ص: 286.
[4] ابن حجر: تهذيب التهذيب، رقم: 536 ، ج 11 ص: 73 .
[5] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 2 ص: 391 ، رقم: 9072 .

، قيل فيه: ثقة، ليس بشيء عند يحيى القطان تركه وضعف حديثه جدا، غير مُتقن ويغلط ، مُخلط ، صدوق، له مناكير، لس بالقوي، كثير الخطأ ، سيء الحفظ جدا. قال ابن المبارك : شريك ليس حديثه بشيء .قال الجوزجاني: سيء الحفظ، مُضطرب الحديث ، مائل. كان شريك لا يبالي كيف حدث، كان يُدلس . نُسب إلى التشيع المُفرط ، وقدُ حكي عنه خلاف هذا، فقيل كان يُقدم عليا على عثمان لا على الشيخين. كان مشهورا بالتدليس. عده ابن قتيبة من رجال الشيعة[1] . وقال الأزدي : ((كان صدوقا إلا أنه مائل عن القصد غالي المذهب سيء الحفظ كثير الوهم مضطرب الحديث))[2]. وقال أبو داود الدهان : ((سمعت شريك بن عبد الله يقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر))[3] . فعلق الذهبي على ذلك بقوله : ((ولا ريب أن هذا ليس على ظاهره ، فإن شريكا لا يعتقد قطعا أن عليا خير من الانبياء ما بقى إلا أنه أراد خير البشر في وقت ، وبلا شك هو خير البشر في أيام خلافته))[4]. و تبريره هذا صحيح إن كان شريك سنيا مُتشيعا ، وأما إن كان شيعيا إماميا ، فهو يقول بذلك ، لأن الإمامية قد فضلوا أئمتهم على الأنبياء، عندما جعلوهم يعلمون ما كان وما سيكون، وغالوا فيهم غلوا كبيرا[5]. فإن صح هذا فواضح منه أن الرجل كان رافضيا غاليا في التشيع والرفض والسبئية ، بلغ به الأمر إلى تكفير من يخالف موقفه الفاسد . وأما ما رُوي أنه لم يكن غاليا وكان يحط على الرافضة، فهو إما أنه فعل ذلك تقية على طريقة الإمامية لتضليل أهل السنة، حتى أن أحمد بن حنبل عندما سُئل عن موقف شريك من علي وعثمان قال : لا أدري[6]. فهذا شاهد على أن الرجل كان يجتهد على إخفاء حاله. اللهم إلا إذا كان قال ذلك في مرحلة من حياته ثم غير موقفه.

وأما الشيعة الإمامية فهم أيضا جعلوه من رجالهم، ومن أصحاب بعض أئمتهم ، ورووا عنه روايات إمامية في كتبهم الخاصة بهم[7]. لكن خلاصة حال الرجل أنه ضعيف ، والراجح أنه شيعي إمامي كان يُمارس التقية في علاقته بأهل الحديث. ولذلك فإن الحديث لا يصح من جهته .

---

[1] المعارف ، ص: 139 .

[2] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص:232 . و أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 225 ، رقم: 1159. و العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ص: 196 ، رقم: 285 .

[3] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج 5 ص: 7.

[4] الذهبي: ميزان الاعتدال ، ج 3 ص: 231 .

[5] أنظر مثلا: الكليني: الكافي ، ج 1 ص: 486 و ما بعدها، 489 و ما بعدها، ج 2 ص: 118 و ما بعدها . و ابن بابويه : الأمالي، ج 3 ص: 330 . و الطبرسي : الاحتجاج ، ج 2 ص: 333 .

[6] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 225 ، رقم: 1159.

[7] أنظر مثلا: أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج، ج 2 ص: 199 و ما بعدها. و أحمد الرحماني الهمداني: الإمام علي، ترجمه عن الفارسية حسين استادولي، ج 1 ص: 243 . و المفيد : الفصول المختارة ، دار المفيد، بيروت ، ص: 267 .

والطريق الثالث: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ...))[1].

إسناده لا يصح لأن من رواته: سفيان الثوري، وعبد الملك بن عمير ، وأبو سلمة ، هؤلاء لا يصح الإسناد من جهتهم لما ذكرناه عنهم في الطريق الأول.

وأما أبو نعيم ، فهو: أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن ((130- 219هـ)، قيل فيه: ثقة ، مأمون ، متقن ، يدلس ، له أحاديث مناكير[2]، و((متقن حافظ إذا روى عن الثقات فحديثه حجة أحج ما يكون)) ، وهو معدود من المُدلسين[3]. وعده ابن قتيبة من رجال الشيعة[4] . وقال فيه ابن الأثير : ((وكان شيعيا وله طائفة تنسب إليه يقال لها الدكينية))[5] . وقال الذهبي: ((الفضل بن دكين ، أبو نعيم . حافظ حجة إلا أنه يتشيع من غير غلو ولا سب . قال ابن الجنيد الختلي : سمعت ابن معين يقول : كان أبو نعيم إذا ذكر إنسانا فقال هو جيد وأثنى عليه فهو شيعي ، وإذا قال : فلان كان مرجئا فاعلم أنه صاحب سنة لا بأس به))[6] . وعده خير الدين الزركلي من الشيعة الإمامية[7] . وقال فيه الجوزجاني: ((فكان أبو نعيم كوفي المذهب صدوق اللسان))[8] أي أنه كان شيعيا .

ومن مظاهر تلاعبه وقلة صدقه وممارسته للتقية أنه رُوي أن رجلا قال له : ((يا أبا نعيم اشتهي ان اكتب اسمك من فيك فقال: اكتب واثلة بن الأسقع قال بن مخلد قال لي أبو الحسن الضبي شيخنا هذا فحدثت بهذا شيخا من إخواننا فقال لي يا أبا الحسن رأيت خراسانيا بمكة يقول حدثنا واثلة بن الأسقع فقلت هذا ممن جاز عليه عبث أبي نعيم))[9].

و من مظاهر تشيع الفضل ابن دكين : إنه كا يُخفي تشيعه الإمامي، ويبدو أن بعض الناس قد تنبه إلى ذلك، فروى حفيده أحمد بن ميثم بن أبي

---

[1] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 2 ص: 393 ، رقم: 9099 .
[2] المزي: تهذيب الكمال ، رقم: 4732 ، ج 23، ص: 210 و ما بعدها . و ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 2 ص: 11 و ما بعدها
[3] ابن حجر : تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، ط1 ، مكتبة المنار ، الأردن ، رقم: 21 ، ص: 23 .
[4] ابن قتيبة : المعارف، ص: 139 .
[5] الكامل في التاريخ ، ج 6 ص: 15 .
[6] الذهبي : ميزان الاعتدال ، رقم: 6720، ج 5 ص: 295 . و المغني ، رقم: 4915 ، ص: 250 .
[7] الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ، ج 11 ص: 63 .
[8] الجوزجاني أحوال الرجال ، رقم : 106 ، ص: 11 .
[9] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج 12 ص: 347 .

نعيم أنه قال : ((قدم جدي أبو نعيم الفضل بن دكين بغداد ونحن معه فنزل الرملية ونُصب له كرسي عظيم فجلس عليه ليحدث فقام إليه رجل ظننته من أهل خراسان فقال. يا أبا نعيم أتتشيع ؟، فكره الشيخ مقالته وصرف وجهه وتمثل بقول مطيع بن إياس: وما زال بي حبيك حتى كأنني برجع جواب السائلي عنك أعجم لأسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي على الناس يسلم فلم يفقه الرجل مراده. فعاد سائلا فقال: يا أبا نعيم أتتشيع ؟، فقال الشيخ: يا هذا كيف بليت بك وأي ريح هبت إلي بك سمعت الحسن بن صالح يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: حب علي عبادة وأفضل العبادة ما كتم))[1]. فهذا شاهد دامغ على أنه كان إماميا يُمارس التقية في علاقته بالمحدثين . فهو لم يُنكر تشيعه ، وإنما أكده بكلامه ، علما بأن حب علي ليس عبادة، وإنما هو من الإيمان ، لأن حب الصحابة والمسلمين من الإيمان لأن المؤمنين إخوة .

ومن مظاهر تشيعه أيضا أن الخطيب البغدادي روى أن عبد الله بن الصلت قال : ((كنت عند أبي نعيم الفضل بن دكين فجاءه ابنه يبكي فقال له : ما لك فقال الناس يقولون انك تتشيع فأنشأ يقول: وما زال كتمانيك حتى كأنني برجع جواب السائلي عنك أعجم لأسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي على الناس يسلم)) [2] . فواضح من ذلك أن الرجل وأهله كانوا معروفين بين الناس بالتشيع الإمامي، و هو قد كرر هنا أنه يُمارس التقية من جهة أنه لا يُظهر غلوه ، وسماها الكتمان.

ومما يشهد على تشيعه وممارسته للتقية اخفاءً لتشيعه ما رواه الخطيب البغدادي بقوله : ((أخبرني محمد بن الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا محمد بن عبد الله بن احمد بن عتاب، حدثنا احمد بن ملاعب قال: حدثني صديق لي يقال له يوسف بن حسان ثقة قال: قال أبو نعيم ما كتبت على الحفظة أني سببت معاوية قال: قلت احكى هذا عنك قال نعم احكه عني))[3] .

وأما عند الشيعة ، فعدوه من رجالهم[4] ، و رواياته موجودة في كتب الشيعة الإمامية الخاصة بهم، منها كتاب الكافي للكليني[5] ، ومنها كتاب

---

[1] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج 12 ص: 350-351 .
[2] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج 12 ص: -351 .
[3] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج 12 ص: -351 .
[4] محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم: 100 ، ج 2 ص: 70 .
[5] ج 17 ص: 342 .

خصائص الأئمة للشريف الراضي[1]. وذكر الشيعة أن الفضل بن دكين كان يُمارس التقية ، فذكر بعضهم حادثة وقعت له في بغداد، فقال ((قدم أبو نعيم الفضل بن دكين بغداد فنزل الرميلة وهي محلة بها، فاجتمع إليه أصحاب الحديث ونصبوا له كرسيا صعد عليه وأخذ يعظ الناس ويذكرهم، ويروي لهم الاحاديث، وكانت أياما صعبة في التقية، فقام رجل من آخر المجلس وقال له: يا أبا نعيم أتتشيع ؟ قال فكره الشيخ مقالته واعرض عنه وتمثل بهذين البيتين:

وما زال بى حبيك حتى كأنني ** برد جواب السائلي عنك اعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمي ** سلمت وهل حي من الناس يسلم .

قال :فلم يفطن الرجل بمراده، وعاد إلى السؤال وقال يا أبا نعيم اتتشيع ؟ فقال يا هذا كيف بليت بك ؟ وأي ريح هبت بك إلي ؟ نعم سمعت الحسن بن صالح ابن حي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: حب علي عبادة وخير العبادة ما كتمت))[2] . لاحظ هذه هي التقية ، وليس صحيحا أن خير العبادة ما كُتم، وإنما العبادة أنواع منها الظاهر ومنها الخفي، وهي حسب النيات حتى وإن كانت خفية ، فالرجل يُمارس التقية، ويضحك بها على المُغفلين من الناس.

واستنتاجا من ذلك أقول: واضح من أحوال هذا الرجل- الفضل بن دكين- أنه كان متأثرا بتشيعه في الحكم على الرواة ، وأنه كان يُمارس التقية ويُخفي حقيقته ،وبها التبس حاله على كثير من المحدثين، فالرجل يتظاهر بعدم الغلو كوسيلة من وسائل ممارسة التقية وإخفاء حاله، ونشر الروايات التي يريد بثها بين الناس. فكان لا يُظهر غلوه علانية فظن من انطل عليه أمره أنه ليس شيعيا إماميا.

ولا يغيب عنا أن حسن الظن لا يصح دائما، فلا بد من الحزم والحذر واستخدام سوء الظن للكشف عن الرواة الضعفاء ومروياتهم. فليس سوء الظن كله مُنهى عنه ، وإنما بعضه إثم ، فإذا كان في محله فهو مطلوب، يندرج ضمن أخذ الحذر الذي أمرنا الشرع به . وقد تمكن هذا الرجل- الفضل بن دكين- من إخفاء حقيقة مذهبه عن أكثر المحدثين ودس بينهم فكره، وعاش بينهم مخادعا لهم.

---

[1] مجمع البحوث، مشهد ، إيران ، 1406، ص: 71 .

[2] عباس القمي: الكُنى و الألقاب ، رقم: 167 ، ج 1 ص : 182 .

والطريق الرابع: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع قال ثنا شريك عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ...))[1].

إسناده لا يصح ، لأن من رجاله: شريك، وعبد الملك بن عمير، وأبو سلمة ، وهؤلاء لا يصح الإسناد من جهتهم لما ذكرناه عنهم سابقا.

وأما وكيع ، فهو: وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي (128-196هـ)، وثقه أكثر المحدثين، وأثنوا عليه[2]، وجعله ابن قتيبة من رجال الشيعة[3]. وقال ابن المدينى : وكيع كان فيه تشيع قليل))[4] . والشيعة هم أيضا عدوه من رجالهم[5] . وكان وكيع يُدلس فيُخفي أسماء الضعفاء عندما يروي عنهم ، وكان كثير الخطأ أيضا[6]. فالإسناد لا يصح من طريقه لتشيعه وضعفه، ومتن الحديث فيه ما يُنكر .

والطريق الخامس: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: ...))[7].

إسناده لا يصح ، لأن مر رواته: عبد الملك بن عمير، وأبو سلمة، وشعبة ، الأول والثاني ينطبق عليهما ما ذكرناه عنهما سابقا.

وأما شعبة بن الحجاج بن الورد (82-160 هـ)، فقد قيل فيه : ثقة ثبت[8]، كان كثير الخطأ في أسامي الرواة ،ويُقلبها[9] . وقد ورد في كتاب جامع التحصيل لأبي سعيد العلائي أن شعبة كان لا يُدلس، ويتشدد فيه. وقال أحمد بن حنبل: (لم يسمع شعبة من طلحة بن مصرف إلا حديثا واحدا من منح بمنيحة)[10]. فهذا يعني أنه لم يُحدث عنه حديثا آخر سماعا ولا عنعنة . لكن وجدت له روايات أخرى عنه معنعنة من دون ذلك الحديث ، وهذا يعني أنه لم يسمعها منه وإنما دلسها عنه . ومنها أن البيهقي روى أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : ((زينوا القرآن

---

[1] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 2 ص: 444 ، رقم: 9735 .
[2] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 211 ، ج 10 ص: 85 و ما بعدها .
[3] المعارف ، ص: 139 .
[4] الذهبي : ميزان الاعتدال ، ج 4 ص: 220 .
[5] محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم : 129 ج 2 ص: 228 . شرف الدين الموسوي: المراجعات ، ط 2 ، الجمعية الإسلامية، بيروت ، 1982 ، رقم: 94 ، ج 1 ص: 236 و ما بعدها .
[6] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، رقم: 2834 ، ج 1 ص : 76 و ما بعدها .
[7] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 2 ص: 458 ، رقم: 9907 .
[8] ابن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم : 590 ، ج 3 ص: 233 و ما بعدها .
[9] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ،رقم: 1161 ، ج 2 ص: 140 .
[10] أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب ، بيروت، 1966، ص: 196.

بأصواتكم)) رواه من طريقين الثاني قال فيه: ((ورواه شعبة ، عن طلحة بن مصرف ، وزاد : قال عبد الرحمن : وكنت نسيت هذه الكلمة حتى ذكرنيها الضحاك بن مزاحم))[1]. ومنها قوله ((... حدثنا شعبة عن طلحة بن مصرف قال سمعت عبد الرحمن بن عوسجة يحدث عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتينا إذا قمنا إلى الصلاة فيمسح عواتقنا وصدورنا ويقول :« لا تختلفوا فتختلف قلوبكم إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول أو قال :« الصفوف الأول »))[2].))[2].

ومن ذلك أيضا أن أحمد بن حنبل قال : ((لم يحدث شعبة عن أبي نعامة العدوي شيئا))[3] . ولكن الحقيقة خلاف ذلك إن صح قول أحمد، فقد حدث عنه رواية معنعنة مرفوعة رواها مسلم[4] ، وروى عنه أثرين معنعنين أيضا عن بعض السلف رواهما ابن أبي شيبة[5]، مما يعني أنه كان يُدلس.

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن مهدي ((عن شعبة سمعت أبا بكر بن محمد بن حزم ...)) ، فأنكره أحمد بن حنبل وقال : ((لم يسمع شعبة من أحد من أهل المدينة من القدماء ...))[6] . فإن صح هذا الخبر ، فهو شاهد دامغ على أن شعبة كان يُدلس، بل أنه تعمد الرواية عمن لم يسمع منه، وهذا من الكذب .

ومن ذلك أيضا أن شعبة كان قد ذكر عن نفسه أنه لا يُدلس ، وأنه يبغضه[7] ، مما يعني أنه كان يُفرق بين التحديث بالسماع وبين الرواية بالعنعنة في مروياته، وأنه كان حريصا على أن لا يُدلس. وهذا يتطلب منه الالتزام بذلك ، واستخدام الألفاظ الدالة على السماع والبعد عن الألفاظ الموهمة لذالك ، وعدم استخدام الألفاظ الدالة على التدليس. لكننا إذا رجعنا إلى المرويات التي صحت عنه لا نجده يلتزم بذلك. فمرة يُذكر أنه قال : ((... حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني ...))[8] ، ، و ((...حدثنا آدم قال حدثنا شعبة عن قتادة...))[9] و مرة يُذكر أنه قال :

---

[1] السنن الصغري ، رقم: 1006- 1007 ، ج 1 ص: 320 .
[2] البيهقي : السنن الكبرى ، رقم: 5401 ،ج 3 ص: 103 .
[3] أحمد بن حنبل : العلل و معرفة الرجال ، رقم: 1325 ، ج 3 ص: 112 .
[4] الصحيح، رقم: 1502 ، ج 2 ص: 122 .
[5] مصنف ابن أبي شيبة، رقم : 11735 ج 3 ص: 22 و رقم: 16786 ، ج 3 ص: 528 .
[6] ابن رجب : شرح علل الترمذي ، حققه نور الدين عتر، مكتبة الرشد، الرياض، 1421 ، ج 2 ص: 33 .
[7] ابن حجر : تهذيب التهذيب ، رقم : 590 ، ج 3 ص: 233 و ما بعدها .
[8] الألباني: صحيح ابن ماجة ، رقم: 4215 ، ج 2 ص: 413 .
[9] البخاري : الصحيح ، رقم: 15 ، ج 1 ص: 12 .

((... حدثنا أبو أسامة عن شعبة حدثني خليد بن جعفر ...))[1] ،ومرة يروى أنه قال : ((... حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي قالا حدثنا شعبة قال يحيى عن عبد الله بن أبي المجالد ...)) ،و((... حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة))[2] . و هذه أمثلة من باب التمثيل الضيّق لا الواسع ، ولا هي من باب الحصر أيضا، وإلا فالأمثلة على ذلك كثيرة جدا في كتب الحديث، وهي شواهد دامغة على أن شعبة لم يلتزم بالألفاظ الدالة على السماع ، مما يشهد على أنه كان يُدلس ، وانه كان يُفرق بين تلك الألفاظ . وإما إذا قيل: إنه لم يُدلس ، وإنما عبر عن السماع بألفاظ التدليس . فأقول : هذا اعتراض غير مقبول ، لأن الرجل كان يُميز بين تلك الألفاظ ، ولأنه ذكر أنه لا يُدلس ، وهذا يتطلب منه الإلتزام به بعدم استخدام الألفاظ الدالة عليه وإلا يكون قد نقض التزامه. ولأنه عاش في زمن كان فيه التفريق بين السماع والعنعنة معروفا ومعمولا به، ومطلوبا أيضا، وهذا يتطلب منه الالتزام به . وإذا قيل : إنه كان ثقة ، واستخدامه لألفاظ التدليس لا يعني أنه كان يُدلس . فأقول: هذا اعتراض تابع للأول ، وغير مقبول أيضا ، لأن التدليس لا يعني بالضرورة أن صاحبه ثقة أو ضعيف ، و لهذا وجدنا المدلسين من الثقات والضعفاء معا ، كهشيم بن بشير ،وسفيان الثوري ، وابن إسحاق . وبما أنه ذكر أنه لا يُدلس فيجب عليه أن يلتزم بذلك، ولا يُخلط علينا مروياته بألفاظ السماع والتدليس معا . فمن حق الناقد المحقق أن ينتقده في ذلك ويتوقف في مروياته، وإلا نحن كيف نميز بين المسموع والمُعنعن ؟؟!!. وفي إمكان أي راوٍ أن يقول كقوله، ثم يتصرف في مروياته كما يحب، ونحن من جهتنا لاً نقبل منه ذلك إلا بحجة صحيحة، ونطالبه بأن يلتزم بالمنهج العلمي الصحيح ، ولا يُشوش علينا مروياتنا ولا يُفسدها علينا. والحَكم هنا هو الأفعال لا الأقوال ، لأن الأقوال وحدها لا تكفي، وإذا خالفتها الأفعال سقطت الأقوال ولا اعتبار لها .قال تعالى : ((كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)(الصف: 3)) .

وأُشير هنا إلى أن ابن قتيبة والشهرستاني قد ذكرا شعبة بن الحجاج من بين رجال الشيعة[3]. لكن لم أعثر لدى أهل السنة على ما يدل على أن شعبة شعبة كان من الشيعة الإمامية، وما ذكرناه عن ابن قتيبة والشهرستاني يعني أنه كان من شيعة أهل السنة لا من شيعة الإمامية . والشيعة الإمامية لم يذكروا في رجالهم أنه كان إماميا، وإنما كان من الذين رووا عن بعض

[1] مسلم : الصحيح ، 6018 ، ج 7 ص: 47 .
[2] مسلم: الصحيح، رقم: 7593 ، ج 8 ص: 208 .
[3] المعارف، ص: 139 . و الملل و النحل، ج 1 ص: 172 .

أئمتهم أخبارا، مع كونه كان عاميا- سنيا- . وهذا الذي أشار إليه الباحث الشيعي عبد الحسين الشبستري في كتابه : أصحاب الإمام الصادق ، بقوله : ((أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي وقيل العتكي بالولاء، الواسطي، البصري. من علماء ومحدثي العامة، ويعدونه من ثقاتهم وعبادهم وكان حافظا، مفسرا ...))[1]. وخلاصة حال الرجل أن مع كونه ثقة ثبت، إلا أنه كان فيه ضعف من جهة ضبطه، وكان يُدلس ، وبما أنه هنا قد عنعن ، ومتن الخبر فيه ما يُنكر كما سنبينه لاحقا، فإن الإسناد لا يصح من جهته.

والطريق الأخير- السادس -: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرحمن عن سفيان قال ثنا عبد الملك بن عمير قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم-: ...))[2].
إسناده لا يصح ، لأن من رجاله: عبد الملك بن عمير، وأبو سلمة ، لا يصح الإسناد من جهتيهما بسبب ما ذكرناه عنهما في الطريق الأول.

وبذلك يتبين أن الحديث بكل طريقه لم يصح إسنادا ، وهو حديث آحاد ولا يُعقل أن حديثا مثله لا يرويه إلا صحابي واحد ، ويكون مداره كله على رجل واحد ضعيف هو عبد الملك بن عمير.

وأما متن الحديث فهو مُنكر ، لأن القول بأن " كل ما خلا الله باطل" لا يصح ، لأن الباطل هو ضد الحق، والزائل والذاهب[3] ، وبما أن المخلوقات لها وجود حقيقي فلا يُمكن أن يكون وجودها باطلا شكليا وزائفا. وعندما تزول بسبب الموت تكون فنيت بمعنى ماتت لا بالمعنى الذي يقصده الغزالي . وقول الشاعر الجاهلي- إن صح قوله- يدل على أنه لم يكن يُؤمن بالمعاد الأخروي ، ولهذا كان يرى أن الموت هو إبطال للمخلوق. فكيف يُؤيده الرسول في هذا القول ؟؟. ونحن نعلم أن من أصول الإيمان : خلود الإنسان في الجنة أو النار فكيف يكون وجود الإنسان باطلا ؟؟. والله تعالى عبر عن نهاية العالم بالفناء لا بالبطلان ((كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ))(الرحمن:

---

[1] رقم: 1588 ، ج 3 ص: 116 . و ذكره أبو جعفر الطوسي في : رجال الطوسي ، رقم : 3015 ، ج 1 ص: 380 . ذكره على أن من الذين رووا عن أحد أئمتهم ، لا أنه من الإمامية . و نفس الكلام ذكره علي البروجردي : طرائف المقال ، رقم: 4373 ، ج 2 ص: 44 .
[2] أحمد بن حنبل: المسند ، ج 2 ص: 470 ، رقم: 10076 .
[3] محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، 1995 ، ص: 73 . والمرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: بطل .

26)) وهو فناء يعني الموت للإنسان ليحيى مرة أخرى ، ولا يعني البطلان والزوال النهائي للإنسان .

وحتى إذا فرضنا جدلا أن ذلك الحديث هو حديث صحيح الإسناد والمتن فيُمكن تفسير متنه تفسيرا شرعيا في إطار الشرع بعيدا عن المعنى الذي فسره به الغزالي عندما نظر إليه بعقيدة بوحدة الوجود . لأن الحديث لم يقل أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله، ولا أنه لا وجود في الحقيقة إلا للواحد. وإنما أثبت وجود المخلوق أولا بقوله: " كل شيء ما خلا الله" ، فهو أثبت وجود موجودات- أشياء- مع الله على الحقيقة- لكنها باطلة وزائلة ليس لأنها لا وجود حقيقي لها ومنفصل عن الله ، وإنما لأنها مخلوقة والله تعالى سيفنيها يوم القيامة. لكنه سبحانه سيبعث بعض مخلوقاته من جديد للمعاد الأخروي. وهذا يعني أن وجود الإنسان كما كان حقيقة في الدنيا سيبقى حقيقة في الآخرة وسيخلد في الجنة أو في النار. وهذا كله ينقض زعم الغزالي من أساسه .

وخامسا إن تعليق الغزالي على الحديث هو أيضا غير صحيح، لأنه بناه على التغليط والتضليل والتلاعب بالألفاظ . لأن المخلوقات بما انها موجودة ، فهي من دون شك لها ذوات وأفعال حقيقية . وكونها مخلوقة لا ينفي عنها وجودها وأفعالها ، فهي من هذه الجهة كالخالق عز وجل، إلا أنها تختلف عنه في أنها مخلوقة، وهو الخالق . وليس صحيحا أن كل ما ليس له قوام بنفسه فهو باطل، فقوله هذا هو الباطل. لأن الإنسان مثلا فمع أنه مخلوق لله ، لكن له اعتبار وقوام حقيقي في الواقع كمخلوق فاعل في الطبيعة، ويوم القيامة لا يفنى وإنما سيخلد في الجنة أو في النار. فكونه مخلوقا لله لم يلغ وجوده، ولا منعه من الخلود ، ولا جعل أفعاله أفعالا لله ولا وجوده باطلا كما زعم الغزالي.ولهذا لا يصح القول بأن وجود المخلوقات وأفعالها ليس وجودا حقيقيا ، فهذا زعم باطل قطعا.

وأخيرا –سادسا- إن الغزالي بعدما مارس التضليل والتحريف والتلاعب ووصل إلى أن كل أفعال المخلوقات هي أفعال لله وليست لها. فلا فاعل إلا الله حسب زعمه. وأن وجودها هو وجود مجازي اعتباري ، وليس لها وجود حقيقي، فهي من هذه الجهة باطلة حسب زعمه. فإنه بعدما قال ذلك تقريرا لوحدة الوجود ختمه بقول إشاري مُلغز مُلغم مُلبس يحمل القول بوحدة الوجود للصوفي سهل بن عبد الله التستري مفاده أنه قال : ((يا

مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول: أنا وأنا، كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان))[1]. ومضمون كلامه أنه دعوة من التستري للصوفية إلى بلوغ الفناء في الله- وحدة الوجود- بممارسة الطريق الصوفي ، ليصبحوا أربابا وآلهة. فقوله: "كن الآن كما لم تكن" . يعني عليك بممارسة الطريق الصوفي حتى تصل إلى الفناء عن الخلق، ثم الفناء في الحق- الله- وعندما تزول بشريتك ورسومك الظاهرة تعود إلى أصلك قبل أن لم تكن حيث لم يكن إلا الله. والآن بعدما تفنى في الله تعود إلى حالتك قبل أن لم تكن حيث كنت إلهاً ، فالله هو الآن كما كان قبل أن لم تكن . فلما فنيت عن بشريتك رجعت إلى أصلك الإلهي فأصبحت أنت الله !!.

وأما لماذا أصر الغزالي على موقفه ومارس من أجله التضليل والتحريف والتلاعب ؟، فإن السبب في ذلك هو أنه عندما يُثبت أن ما نراه من أفعال الكائنات هي في الحقيقة أفعال لله تعالى يعني أنها ليست كائنات حقيقية قائمة بذواتها وأفعالها، لأنها لو كانت كذلك لكانت لها أفعالها وذواتها القائمة بها،فالرجل أصر على موقفه ليقول بأن تلك الموجودات هي مجرد أشباح وظلال ،ورسوم وامتدادات، وإضافات ومجازات لغيرها هو الله. وهذا يعني أن الكون هو الله ، والله هو الكون. ومن جهة أخرى إن الغزالي أصر على نفي وجود افعال حقيقية للكائنات لكي لا يثبت لها وجودا حقيقيا أصلا، لأن إثباته يعني إثبات التعدد في الوجود، بمعنى إثبات الخالق والمخلوق، وهذا ينقض القول بوحدة الوجود الذي يعني : لا موجود على الحقيقة إلا الله حسب زعم الغزالي وأصحابه. ولهذا وجدنا الغزالي كرر مرارا قوله: لا موجود في الحقيقة إلا الله وأفعاله . وقوله هذا معناه واحد جمع فيه بين التوحيدين: الثالث معناه : توحيد الفاعل، والرابع يعني: توحيد الموجود ، فنحن أمام مقدمة ونتيجة: لا فاعل إلا الله ، فالكون هو الله ، فلا موجود إلا الله. فالغزالي ذكر أنواع التوحيد الأخرى من باب التضليل والتحريف ليصل إلى تقرير التوحيد الرابع: وحدة الوجود، لأنه يعلم أن تقريره مباشرة بطلانه ظاهر مكشوف شرعا وعقلا ، فعمد إلى ما ذكرناه من فعله. وعمله هذا من أخطر الأعمال التي قام بها هذا الرجل في ممارسة التقية والتحريف والتضليل انتصارا للتصوف وهدما للوحي والعقل والعلم مع التظاهر بالإسلام والتستر!! .

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 258 .

ثم أن أبا حامد الغزالي قرر وحدة الوجود بدعوى المعرفة بالله التي يصل إليها الصوفي بممارسته لعبادات التصوف ، فقال: ((وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق))[1]. و ((وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله))[2].ومن ((عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه و سلم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فإنها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي إلا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه))[3].

وأقول: كلامه هذا فيه تضليل وتحريف ، وغير صحيح في معظمه، وتضمن القول بوحدة الوجود تلميحا وتصريحا . لأنه أولا أن الغاية المقصودة من العبادات أولا هي طاعة الله تعالى والالتزام بدينه . فهو سبحانه فرض علينا عبادته ، ولم يخلقنا إلا لذلك، ثم بعد ذلك للعبادات الشرعية جانب آخر ينعكس على المسلم نورا وإيمانا وإخلاصا في الدنيا ونجاةً في الآخرة ثانيا. والفكر النافع هو من العبادة الشرعية، لأن الله تعالى أمرنا به في آيات كثيرة. ولهذا ليس المقصود من العبادات في الإسلام " الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق" كما زعم الغزالي. وإنما الذي ذكره يُعبر عن العبادات الصوفية لا الشرعية. لكن الغزالي -كعادته في ممارسة التقية والتضليل- لم يحدد بوضوح العبادات التي يقصدها ، هل الشرعية أم الصوفية ؟، لكن لاشك أنه يقصد الصوفية، لأن تعريفه لها ينطبق عليها لا على الشرعية. لكن قوله هذا يلتبس على أكثر قراء كتاب الإحياء.

علما بأن ذلك القول خطير جدا أوجز به الغزالي غاية عبادات الطريق الصوفي بعبارة موجزة ومُلغزة ، فقوله:((وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق))

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 113 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 1 ص: 320 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 498 .

يتضمن القول بوحدة الوجود، لأن المعرفة التي يصل إليها الصوفي بممارسته للعبادات الصوفية تنقله إلى غيبوبة الهلوسات والتلبيسات الشيطانية وفيها يُلبِّس عليه الشيطان ويُوحي إليه بأنه هو الله وقدعرف أسرار المُلك والملكوت، وهذه الغيبوبة تُعرف أيضا بالجذبة، وفيها يجذب الشيطان ضحيته إليه ويُلبس عليه دينه وفكره وسلوكه. هذه الحالة هي التي أشار إليها الغزالي وعبّر عنها بقوله: ((الاستبصار بحقائق الحق))[1]. و ((وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله))[2]. و((وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز))[3]. فحسب زعمه يصبح العارف يشاهد الله ويستبصر به فيعرف نفسه بالله، ويعرف الله بالله ، ويتكلم بالله ومنه وإليه ، لأنه انكشف له أن الكون هو الله ، والصوفي من الكون ، فهو أيضا رب وإله حسب زعم الغزالي .فالمعرفة الصوفية عند الغزالي والصوفية غايتها النهائية التحقق بوحدة الوجود التي عبروا عنها أيضا باسم المعرفة، والولاية، والفناء في الله . ولاشك أن أنها عقيدة خرافية لا يقولها مسلم ولا عاقل ، وهي هدم للوحي والعقل والعلم .

وثانيا ليس صحيحا أن الصوفي يصل إلى معرفة سر الروح ، فهذا زعم باطل ومخالف للشرع كما سبق أن بيناه في الفصل الثاني، ولن يستطيع الولي ولا العارف الصوفي معرفة ذلك بكشفه ولا بمجاهداته . والإنسان يستطيع أن يعرف نفسه بأنه كائن مخلوق لله تعالى، لكنه لن يستطيع معرفة سر الروح، ولا شك أنه عرف كثيرا من صفاته النفسية والعقلية والبدنية قديما وحديثا لكنها لا تُمكنه من معرفة سر الروح، وإنما تزيده يقينا بأنه كائن ضعيف مخلوق لخالقه . وأما معرفته بربه فإنه بالنظر إلى نفسه ومحيطه فإنه يعرف بأن خالقه متصف بكل صفات الكمال لكنه لن يستطيع معرفه كنه ذاته وصفاته وأفعاله كما زعم الغزالي في بداية الإحياء، وهنا أشار إلى ذلك بالتضمن والإشارة.

وثالثا فبما أنه بينا أن الصوفي أو أي إنسان لن يستطيع معرفة سر الروح، ولا كنه الذات الإلهية بصفاتها وأفعالها فإن قول الغزالي بأن من ((عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب ...))، هو قول غير صحيح، لأن الحقيقة هي أن الإنسان

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 113 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 1 ص: 320 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 336 .

مخلوق لخالق متصف بكل صفات الكمال، وهنا يعرف أنه مخلوق بفطرته وليس أنه أمرا ربانيا بطبعه . لأن الإنسان ككل من مفعولات الله ، أي من مخلوقاته، وليس من صفاته ولا من أفعاله، وأمره سبحانه من أفعاله. فالقرآن مثلا من أمر الله، لكن الإنسان ليس من أمره، وإنما هو مفعول ومخلوق نتيجة لأمر الله ، لقوله سبحانه: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس: 82))، و ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(آل عمران: 59)). ولذلك فإن قول الغزالي يتضمن الإشارة إلى وحدة الوجود. لأنه حسب زعمه فإن من عرف سر الروح عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرفهما عرف أنه من أمر الله- أمر رباني حسب الغزالي- وبما أن أمره سبحانه من أفعاله، وهي من صفاته، وصفاته من ذاته، فهذا يعني أن الإنسان في حقيقته جزء من الله، فهو من الله مما يعني في النهاية أنه هو الله، وبما أن باقي الكائنات هي من أمر الله أيضا فالكون كله هو الله، والله هو الكون ، وهذا معني وحدة الوجود. فكلام الغزالي يتضمن القول بها بطريقة إشارية تلغيزية، وأما ما ذكره من كلمات تثبت التعدد فهي من باب التقية والتضليل من جهة، وهي عند الصوفية مجرد رسوم وأشباح لا وجود حقيقي لها من جهة أخرى، وإنما هي امتدادات وإضافات للذات الإلهية وقد سماها الغزالي الحضرة الربوبية[1].

ولا يصح القول بأن الإنسان أصله أمر رباني لا جسماني، وإنما الصحيح أنه كائن من مخلوقات الله لا من أفعاله ولا أوامره ، جمع بين نفخة الروح وقبضة الطين ، فالإنسان بطبعه لا ينفك عن هذين العنصرين، فلا إنسان بلا روح ، ولا إنسان بلا مادة . وفي المعاد الأخروي يبقى الإنسان إنسانا أيضا جامعا بين الروح والمادة ويتمتع بالنِعَم الروحية والمادية معا ،ولن يصبح ربا ولا روحا فقط . وهذا أمر من قطعيات الشرع لا يحتاج إلى توثيق ، لكن الغزالي أغفله والتف حوله وأدخل فيه المفهوم الصوفي بدلا من المفهوم الشرعي.

ومن أقواله المتضمنة لوحدة الوجود أيضا أنه ذكر عشرة أحوال باطنية تصاحب قارئ القرآن ضمن أعمال القلوب ، فقال عن التاسع : ((التاسع الترقي وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز و جل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز

[1] للتوسع في ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال.الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم .الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره . وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين))[1]. و((ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه، فإذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه ولم يُشاهد إلا الله في قراءته- للقرآن- كُشف له سر الملكوت))[2].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه وفيه تضليل وتحريف، وتضمن القول بوحدة الوجود . لأنه أولا إن الرجل قال ذلك من دون أن يُؤيد رأيه بأي دليل من الشرع في أمر غاية في الأهمية والخطورة من جهة، وأغفل نصوصا وحقائق شرعية لا تُؤيد زعمه من جهة أخرى[3].

وثانيا إن الحقيقة التي لا يُمكن تجاوزها ولا إغفالها ،ولا يصح توهم خلافها هي أننا عند قراءتنا للقرآن الكريم لا نسمع القرآن من الله ، ولا نراه سبحانه وتعالى ، وإنما نقرأ كلامه في كتابه، وهذا أمرنا الله به : قراءة وتدبرا ، اتعاظا واعتبارا . وأية محاولة لنفي هذه الحقيقة فهي باطلة قطعا، لأن الله تعالى أمرنا بقراءة كتابه وبتدبره وفهمه ، ولم يقل لنا: إنكم بقراءة القرآن الكريم تسمعون كلامي وترونني بأفعالي وصفاتي، ولا قال لنا: عليكم أن تجتهدوا لتتوهموا سماع كلامي، ورؤيتي . قال سبحانه: ((فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ...)(المزّمّل: 20))، و((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد: 24))، و((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص: 29)). فالقرآن الكريم أنزله الله لنعبده به ونلتزم بشريعته قلبا وقالبا وليس لنسمعه من الله تعالى، ولا لنراه فيه .

وثالثا إنه من الثابت قطعا أن الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد-عليه الصلاة والسلام- كان ينزل عليه بواسطة جبريل- عليه السلام-

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 287 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 288 .
[3] سنذكر بعضها قريبا .

فهو الذي كان ينقل كلام الله إليه . فهو لم يكن يسمع كلام الله من الله مباشرة، ولا كان يراه فيه، وإنما كان وحيا بواسطة جبريل، قال سبحانه: ((قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)(البقرة: 97)) . وبما أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يكن يسمع كلام الله مباشرة من الله ، ولا رآه في كلامه ، فإنه لن يسمعه غيره من الله قطعا، ولن يراه فيه مهما توهم وتخيل، فإن الأمر لن يتغير، ولا تنفع بعد ذلك المزاعم الجوفاء التي أكثر الغزالي من استخدامها.

ورابعا إن في القرآن الكريم آيات أشارت إلى حالات تفاعل المؤمنين وجدانيا مع القرآن الكريم، ليس من بينها أنهم عندما يقرؤونه أو يسمعونه يتصورون أو يتوهمون أنهم يسمعون القرآن من الله ، ولا أنهم يروون الله في كلامه. من ذلك قوله تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2))، و((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23)). وهذه هي درجة المقربين وليست التي ذكرها الغزالي، لأن الله تعالى لم يقل لنا تدبروا في ذاتي ولا توهموا سماع صوتي كما قال الرجل، وإنما أمرنا أن نطيعه ونخشع له، ونلتزم بشريعته ،ونتدبر كتابه ونطبقه.

وخامسا إن كلام الرجل يتضمن القول بوحدة الوجود، فقوله: ((الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره)) . فقوله هذا يعني أنه على صاحب هذه الدرجة أن يجتهد ليرى الله وصفاته من خلال كتابه. وبما أن الصوفية ومنهم الغزالي يرون أن الكون كله هو من أفعال الله لا من مخلوقاته ، وبما أن القرآن من أفعاله أيضا، فهذا يجعل الصوفي يرى الله ويسمعه في كتابه كما رآه في مختلف مظاهر الكون . بل وهذا الذي صرّح به الغزالي بعد كلامه السابق عندما قال: ((وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز و جل: ((فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ)(الذاريات: 50))، ولقوله: ((وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ)(الذاريات: 51)) . فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره. وكل ما

التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي، بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز و جل))[1].

قوله هذا تضمن القول بوحدة الوجود، وفيه تضليل وتحريف، و هو باطل قطعا، بدليل الشواهد الآتية : أولها إن الآية الأولى التي استشهد بها((فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)(الذاريات: 50)) هي ضده وتنقض زعمه من أساسه، علماً بأن الرجل ذكر جزءاً من الآية ولم يُكملها لأنها ليست في صالحه . فقوله: ((وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه))، يتناقض مع الآية، فهو يدعو إلى مشاهدة الله دون ما سواه- بمعنى لا موجود إلا الله- ، والآية نصت صراحة على تعدد الموجود: الخالق والمخلوق، فدعت المخلوقين إلى الفرار إلى خالقهم ، ولم تنف وجودهم و لا أثبتت الله وحده. ولم تقل لهم: أفنوا أنفسكم، ولا توهموا أنكم غير موجودين، وإنما أمرتهم بالفرار إليه ،وهذا يعني قطعا أنهم لم ينفوا وجودهم، ولا الآية دعتهم إلى ذلك.

والشاهد الثاني : إن الآية الثانية ((وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)(الذاريات: 51))، هي أيضا ذكر الغزالي جزءاً منها فقط لغاية في نفسه. وهي ضده وتنقض زعمه من أساسه أيضا، لأن الآية نهت عن اتخاذ إله مع الله ، ولم تنه عن إثبات مخلوق معه من جهة، وأثبتت وجود المخلوق معه من جهة أخرى ، لأن الآية موجهة إلى بني آدم ، ووجودهم حقيقي من دون شك مع كونهم من مخلوقات الله تعالى.

والشاهد الثالث: إن الله تعالى لم يقل لنا: لا تروا في الكون إلا الله، فهذا افتراء عليه، وباطل قطعا،وإنما أمرنا أن نعترف بأننا مخلوقين له، وأنه ربنا وإلهنا ونتعبده بشريعته التي فرضها علينا. فرؤيتنا لأنفسنا ولمخلوقات الله الأخرى ليست حراما ولا شركا، بل هي من أركان الإيمان ، وقد أمرنا الله تعالى بأن ننظر ونتدبر في أنفسنا وفي السموات والأرض لنعرف عظمة خالقها، ولنسخرها لخدمة الإنسان. وهذا لا يُمكن أن يكون شركا أبدا، لأن الله سبحانه تعالى هو الذي أمرنا بذلك. والشرك ليس هو أثبات وجود المخلوقات كموجودات قائمة بذاتها وأفعالها، وإنما هو أن نُشرك مع الله إلهاً ، أو شريكا، أو مُشرعا، أو نُحب مخلوقا كحب الله .

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 288 .

والشاهد الأخير- الرابع- إن قول الغزالي : ((بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز و جل))[1].هو قول يتضمن القول بوحدة الوجود ويكاد يُصرّح بها ، والتوحيد الشرعي ليس هو كما زعم الغزالي، وإنما هو أن يُقر العبد بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا رب ولا خالق للكون سواه . فهو توحيد يُثبت الخالق والمخلوق ويُفرد الخالق بالربوبية والألوهية . وهذا ينقض توحيد الغزالي الذي يعني أن كل ما في الكون هو الله. فهذا ليس توحيدا خالصا، وإنما هو نقض للتوحيد الشرعي وهدم له، وكفر وضلال ينتهي بصاحبه إلى الكفر بالله ودينه وأنبيائه. بل إلى إنكار وجود الله أصلا ،لأنه إذا كان الكون هو الله، ونحن لا نرى إلا الكون- المخلوقات- فهذا يعني أنه لا موجود إلا الكون ، وليس لا موجود إلا الله. وهذه النتيجة هي نفسها مقولة الملاحدة: لا إله والحياة مادة ، وتعني: لا موجود إلا الكون .

ثم أن الغزالي جعل غناء الصوفية ورقصهم طريقا موصلا إلى وحدة الوجود بالفناء في الله ، فقال : ((ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه . فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته))[2]. ويصل الصوفي الكامل بالسماع إلى أن ((يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعني أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين . فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه))[3].

وأقول: قوله فيه تضليل وتحريف، وتضمن القول بوحدة الوجود ، وناقض لختم النبوة، ومُعطل لدين الإسلام. لأنه أولا إن الرجل بعدما انتصر لغناء الصوفية وزعم أنه مباح وليس بحرام من دون دليل صحيح ، وأنه يكسب الصوفية المواجيد والأحوال " النورانية" زعم أن شيوخ الصوفية يسمعون غناءهم من الله وعليه وفيه . وهذا كلام بلا دليل ولا علم ، ولا يصح ولا يحق أن يقوله مسلم ، بل ولا يقوله عاقل يعي ما يقول . لأن قوله هذا يعني أن الصوفي في سماعه يصبح نبيا بل وأكثر منه لأنه يسمع من الله

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 288 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 404 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 407 .

وعليه وفيه. وبما أن الله تعالى لا يُكلم إلا نبيا ، والنبوة قد خُتمت فقول الغزالي باطل قطعا. وبما أن كلامه يتضمن أيضا أن الصوفي يصبح أعظم من النبي فهذا شاهد آخر على عدم صحة زعمه . ومما يُبطله أيضا أن كلامه يعني أن الصوفي في غنائه ورقصه يصبح هو الله ، لأنه لا يُمكن أن يسمع من الله وعليه وفيه إلا إذا بلغ الصوفي مقام الفناء في الله ، وفيه يصبح ربا وإلهاً حسب زعم الصوفية ، وهذا أشار إليه الغزالي عندما ذكر أن السماع –الغناء- يوصل الصوفي إلى تجاوز الأحوال والمقامات حتى يفنى عن محيطه وذاته إلا عن الواحد المشهود[1]. فدلّ كل ذلك على فساد وبطلان ما قاله الرجل.

وثانيا : لو كان الغناء والرقص الصوفيان يوصلان إلى السماع من الله وعليه وفيه كما زعم الغزالي فلا معنى من إرسال الأنبياء وإنزال الكتب ليتلقى الإنسان من الله الشريعة الإلهية، فيكفيه أن يعقد مجالس الطرب والرقص فيتصل بالله مباشرة ويسمع منه وعليه وفيه، ولا فائدة بعد ذلك من وجود الشريعة وفرضها على بني آدم. وبما أن الأمر ليس كذلك دلّ هذا على بطلان ما زعمه الغزالي قطعا.

وثالثا: لو كان الغناء يُوصل إلى السماع من الله وعليه وفيه كما زعم الرجل فلا معنى من تشريع الصلاة بغسلها ووضوئها وأوقاتها ونوافلها، لتكون الرباط الروحي بين الإنسان وخالقه. وبما أن الله تعالى لم يذكر ذلك السماع في شريعته ولا جعله كما زعم الغزالي، دلّ هذا على بطلان زعمه.

وبما أن الأمر كما بيناه فإن حقيقة ما يجده الصوفية في طربهم ورقصهم ليس سماعا من الله ولا من الملائكة وإنما هي أهواء وعواطف هائجة وتلبيسات شيطانية زين لهم بها إبليس أعمالهم.قال تعالى: ((لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53))، و((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)(الشعراء:221 - 223)) ،و((وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأنعام: 43))، و((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الحجر: 72)) ..فتلك الأحوال والمقامات التي ذكر الغزالي أنها تحدث للصوفية في غنائهم ورقصهم ، هي نفسها تشهد على نفسها ببطلانها، لأن الله تعالى ذكر الأحوال الإيمانية النورانية الربانية التي

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 407 .

يرزق بها عباده المؤمنين المخلصين وفصلها في شرعه ، وليس من بينها ما يحدث للصوفية في طربهم ورقصهم من صياح وهيجان ،ونزع للملابس، وإظهار للدعاوى الجوفاء. مما يعنى أن ما يحدث لهم ليس أحولا شرعية وإنما هي أحوال شهوانية وشيطانية.

وبما أن الغزالي ذكر أيضا أن الصوفي الكامل يُوصله الغناء والرقص إلى الفناء عن الخلق والفناء في الحق- الله- حتى يصبح يسمع لله وبالله وفي الله ومن الله . بمعنى أنه يصل إلى وحدة الوجود وفيها يستشعر الربوبية والألوهية، وصفاء التوحيد حسب زعمه ؛ فإن هذا دليل قطعي على بطلان مزاعم الرجل، لأن هذه الأحوال هي أحوال شيطانية كفرية انتهت بأصحابها إلى الكفر بالله ورسله ودينه ، وليست أحوالا إيمانية شرعية؛ لأنها لو كانت كذلك لما خالفت الشرع ، ولما انتهت بأصحابها إلى هدم الوحي والعقل والعلم.

ودعا الغزالي إلى الفناء للتحقق بوحدة الوجود بقوله: ((فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ؟ ولذلك كان الخوّاص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال: فيم أنت؟ قال: أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل، فقال الحسين: أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد ؟، فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ، وتضمن القول بوحدة الوجود، وفيه تضليل وتحريف . لأنه أولا إن الله تعالى لم يأمرنا في الدنيا بأن تكون حياتنا لإصلاح الباطن، ولا لطلب القرب، وإنما أمرنا أن نعبده ونطيعه ونلتزم بشريعته قلبا وقالبا، وأثناء ذلك تتحقق التزكية القلبية تلقائيا وتكون الجائزة العظمى في الجنة، منها القرب من الله تعالى لمن كان من المقربين . وأما ما ذكره الغزالي ودعا إليه فهو من الدين الصوفي لا من دين الإسلام.

وثانيا إن الغاية التي ذكرها الغزالي وانتصر لها وأيدها بقول الحلاج هي غاية التصوف لا غاية دين الإسلام. لأن الغاية في الشرع هي عبادة الله

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 5 ص: 96 .

تعالى وفق شريعته ، ومآلها جنة الخلد وفيها كل النِعم المادية والمعنوية، وليست هي طلب القرب لبلوغ خرافة الفناء في الله- وحدة الوجود- . إنها غاية لا وجود لها في دين الله تعالى ، لكن الغزالي وأصحابه يُشرعون لأنفسهم ويتبعون الدين الصوفي مع التستر بدين الإسلام تقية وتضليلا.

وليس صحيحا أن طلب الفناء في الله- وحدة الوجود- هو منتهى نعيم الصديقين، فهذا افتراء على الشرع والصديقين ، وإنما هو غاية شيوخ الصوفية الذين يجرون وراء وحدة الوجود ليصبحوا أربابا وآلهة حسب زعمهم. وأما الأنبياء والصديقون والأولياء والشهداء فهم لا يطلبون ذلك ولا هو مقصدهم ولا منتهى نعيمهم ، وإنما يعبدون الله تعالى طاعة له وفق شريعته قلبا وقالبا، فيخافون ناره ويرجون جنته، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: ((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً)(النساء: 69)). وهم من المسارعين والسابقين الذين خاطبهم الله تعالى بقوله : ((وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران: 133))، و((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(الحديد: 21)) .

وأخيرا- ثالثا- إن الرجل ترك الشرع وراء ظهره بل وهدمه وقرر وحدة الوجود- الفناء في الله- عندما استشهد بقول للحلاج ، فأقره عليه وشرحه وبيّن أن مقصوده الفناء في الله !!. فماذا يعني هذا ؟؟، إنه يعني بوضوح أن الغزالي موافق لما قاله الحلاج ومُؤيد له. وانه يتولى الحلاج ولا ينكر عليه ما أنكره المسلمون على هذا الرجل عندما ادعى الألوهية - وحدة الوجود-، فأفتى علماء بغداد بقتله . والنتيجة أنه لا فرق بين الحلاج والغزالي وغيرهما من الصوفية في قولهم بالفناء في الله ، لأن مقصودهم من الفناء أن يفني الصوفي عن ذاته ومحيطه ثم في الله حتى تزول بشريته ويصبح هو الله حسب زعم الصوفية . فيصبح الصوفي لا يرى إلا الله وأفعاله ، فيكون الكون هو الله والله هو الكون ، وهذا يقتضيه كلام الغزالي عندما ذكر مرارا أنه ليس في الكون إلا الله وأفعاله ، وقد سبق أن بينا بطلان زعمه هذا شرعا وعقلا وعلما.

وقبل إنهاء هذا الفصل أُشير هنا إلى أن لأبي حامد الغزالي أقوالا أخرى من خارج كتاب الإحياء وردت في مصنفات كتبها بعد الإحياء تضمنت أقوالا قرر فيها الغزالي وحدة الوجود بمنهج التقية والتضليل والتحريف. مما يعني أن الرجل لم يُغير اعتقاده ولا منهجه في انتصاره للتصوف وقوله بوحدة الوجود التي هي غاية التصوف النهائية. أذكر منها الشواهد الآتية:

أولها مفاده أن الغزالي ذكر أن حقيقة الحقائق هي أن العارفين ترقوا من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله تعالى، وأن ((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص: 88)) لا أنه يصير هالكا في وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلا وأبدا لا يتصور إلا كذلك، فإن كل شيء سواه إذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض ؛ وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول الحق رؤى موجودا لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله تعالى فقط))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف، وتضمن القول بوحدة الوجود . لأنه أولا إن الرجل يقصد بعبارة المجاز أن الموجودات التي نراها لها وجود مجازي اعتباري وليس لها وجود حقيقي، فهي مجرد أشباح ورسوم وتجليات وامتدادات لله ، وقد سبق له أن سماها إضافات في كتابه الإحياء. وحسب زعمه أن الصوفي بعدما يمارس العبادات الصوفية - المعراج الصوفي- ينتهي به الحال إلى الفناء في الله، وفيه يرى بالمشاهدة العيانية أنه هو الله، لأنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله على حد تعبير الغزالي !!!! .

وثانيا إن تفسره للآية لا يصح، من جانبين: الأول إن المخلوقات لها وجود حقيقي خلقها الله تعالى بعد أن لم تكن وليس أنها هالكة أزلا وأبدا ولا يُتصور إلا كذلك كما زعم الرجل. فهي ليست عدما محضا بل كانت معدومة ثم أوجدها الله تعالى من عدم وأصبح لها وجود حقيقي قائم بها وهذا ثابت بدليل الشرع والعلم ومفاده أن الكون لم يكن موجودا ثم خلقه الله تعالى وأصبح له وجود حقيقي . فنحن أمام اثنين: الخالق والمخلوق، وليس أمام واحد هو الخالق فقط كما زعم الغزالي. ومهما قيل في المخلوق فهو في النهاية كائن موجود له كيانه وذاتيته، ولا يصح نفيها كما فعل الرجل

[1] الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 10 .

بالتضليل والتحريف والسفسطة . إن زعمه عناد وإنكار مُتعمد لحقائق الشرع والواقع والعلم ، والتي تقول بأن للمخلوقات كيان حقيقي موجود قائم بها . فهي ليست عدما محضا كما زعم الرجل، فقد كانت كذلك قبل خلقها لكن بعد خلقها أصبحت كائنا حقيقيا لا يصح نفيه ولا القول بأنه معدوم، ولا أنه مجازات وإضافات !!.

والجانب الثاني إن قوله تعالى:((كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص: 88))، ليس معناه كما زعم الرجل، لأن الآية يجب النظر إليها في إطار معطيات النصوص الأخرى ، وما نصت عليه هو تكملة للآية في قوله سبحانه: ((وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص : 88). فهذا الهلاك ليس هلاكا نهائيا ولا إعداما كليا للمخلوقات، ولا نفيا لوجودها الحقيقي، وإنما هو هلاك للعالم الذي نعيشه ، ليأتي العالم الأخروي، وفيه نعود إلى الله تعالى ليكون الحساب، وبعده يكون الخلود إما في النار، وإما في الجنة. وهذا ينفي ما زعمه الرجل، ويعني قطعا استمرار وجود الثنائية بين الخالق والمخلوق، وليس كما زعم الغزالي بأنه ليس في الوجود إلا الله. وإنما الصحيح هو أنه لا موجود أزلي إلا الله تعالى، وأن للمخلوقات وجود حقيقي ليس أزليا، وإنما هو وجود مخلوق خلوده ليس من ذاته، وإنما هو تفضل من الخالق . فنحن هنا أمام وجودين: وجود أزلي لله تعالى، ووجود حقيقي حادث مخلوق يتمثل في مخلوقات الله منها ما سيهلكه نهائيا، ومنها ما يجعله خالدا بأمره وإرادته، لكنه لن يصبح أزليا ، وإنما سيبقى مخلوقا حادثا خالدا[1] تابعا لخالقه.

وأما قول الغزالي: ((فإن كل شيء سواه إذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض؛ وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول الحق رؤى موجودا لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله تعالى فقط))[2]. فهو نفس كلامه السابق ويعني أن الكائنات التي نراها هي مجرد أشباح ورسوم وظلال ، وليس لها وجود حقيقي خاص بها -عدم محض حسب الغزالي-، وإنما هي تجليات وأوجه للوجود الواحد الذي هو الله حسب الرجل . ومع أن زعمه هذا باطل كما سبق أن

[1] الخلود لا يعني الأزلية، وإنما يعني المكوث الطويل، ومنه خلود آخر هو الخلود الأبدي، لكنه لا يُسمى أزليا ، لأن الكائن الخالد أبديا هو حادث مخلوق أخلده الله تعالى أبديا ، لكنه يبقى مخلوقا حادثا - كخلود المؤمنين في الجنة- ولن يصبح خالقا أزليا .
[2] الغزالي: مشكاة الأنوار، ص: 10 .

بيناه مرارا فإنه يتضمن القول بكفرية وحدة الوجود بألفاظ فيها تضليل وتحريف وتمويه لإخفاء اعتقاده بضلالة وحدة الوجود.

والشاهد الثاني: يقول الغزالي: ((وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الإضافات وطاحت الإشارات... فهذه هي غاية الغايات ومنتهى الطلبات))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل قطعا ، وفيه تضليل وتحريف ، وتضمن تقرير وحدة الوجود. ومعناه أن الصوفي بعد ممارسته لعبادات التصوف ويدخل مرحلة الغيبوبة والهلوسات يتلاشى وينمحي عن ذاته ومحيطه وهنا ترتفع الكثرة، ثم عندما يفنى في الحق- الله – تتحقق الوحدة ويستشعر الصوفي أنه هو الله . وبذلك تبطل الأشكال والرسوم والأشباح- الإضافات على حد تعبير الغزالي- وتسقط الإشارات ويكون الصوفي قد أكتشف أنه هو الله حسب زعم الرجل ، ويتبين له أن كل ما كان يراه مجرد أشباح وإضافات، وهنا يصبح الصوفي يعتقد بخرافة وحدة الوجود ، وهي غاية الصوفية ومنتهى طلباتهم على حد تعبير أبي حامد الغزالي. ولاشك أن قوله هذا باطل من دون شك كما سبق أن بيناه، لكنه شاهد على أن الرجل قال بوحدة الوجود ، وان الشيطان أوقعه في شباكه فكان من ضحاياه وأسراه !!!! .

والشاهد الثالث: يقول الغزالي:((العارفون - بعد العروج إلى سماء الحقيقة - اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق. لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميا، ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا. وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا))[2].

وأقول: واضح من كلامه أن قول الصوفية بوحدة الوجود هو من المسلمات لديهم والغزالي منهم، لأن قولهم بأنهم ((لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق)) قرره الرجل وانتصر له مرارا وتكرارا في كتابه الإحياء، وقد ذكرنا منها شواهد كثيرة. ومعنى كلامه المزعوم أن العارفين الذين قطعوا الطريق الصوفي تخلصوا من الفرق- التعدد: الخالق والمخلوق- وفنوا في الجمع الموحد للكل ، وقد سماه الغزالي " الفردانية المحضة".

---

[1] الغزالي: مشكاة الأنوار ، ص: 13 .
[2] الغزالي: مشكاة الأنوار ، ص: 6 .

وبذلك أصبح الغزالي والصوفية كلهم أربابا وآلهة بعد فنائهم في الله ولم يبق إلا هو، فهم منه وهو منهم حسب ما يقتضيه قولهم بخرافة وحدة الوجود .

والشاهد الرابع: يقول الغزالي عن شيوخ الصوفية وهو منهم : ((ولم يفهموا من معنى قوله: (الله أكبر) أنه أكبر من غيره، حاشا لله، إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه؛ بل ليس لغيره رتبة المعية، بل رتبة التبعية. بل ليس لغيره وجود إلا من الوجه الذي يليه. فالموجود وجهه فقط . ومحال أن يقال إنه أكبر من وجهه))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل قطعا، وفيه تضليل وتحريف، وتضمن اعتراف الغزالي بأنه والصوفية يقولون بوحدة الوجود. وقوله هذا باطل بدليل الشرع والعقل . فأما شرعا فبما أن من قطعيات دين الإسلام وجود المخلوقات ، وأن بعضها سيُخلده الله تعالى في المعاد الأخروي ، فلا شك أنه سبحانه أكبر من كل مخلوقاته. ومن ينكر هذا ليس بمسلم، أو أنه مريض مُهلوس مُلبس عليه، أو أنه صاحب هوى أنكر ذلك لغاية في نفسه.

وأما عقلا فقولنا: الله أكبر، يتضمن بالضرورة وجود كائن أو كائنات مع الله هو سبحانه أكبر منها ، وهي المخلوقات التي يتضمنها الكون . ولو كان الله وحده هو الموجود لا يصح أصلا قولنا : الله أكبر ، لأنه يصبح عبثا. وقولنا: إن الله أكبر من الموجودات التي معه ، هو كلام صحيح شرعا وعقلا وعلما . ولا يصح القول بأنه أكبر منها ، لكنها هي جزء منه وامتداد له، وتابعة إليه، وليس لها وجود حقيقي معه ، فهي هو ، وهو هي، وهذا يعني أنه لا يصح القول بأن الله أكبر من نفسه. فإما لا نقولها أصلا، وهذا مخالف للشرع والعقل والعلم ، وإما نقولها كما بيناه ، ولا يصح قولها بطريقة الغزالي بأي حال من الأحوال.

علما بأن الغزالي نفي وجود مخلوق أو أكثر مع الله، لأن هذا يُثبت التعدد لا الوحدة، وينقض العقيدة الصوفية. ولهذا جعل الموجودات التي نراها تابعة له وليس لها وجود حقيقي. فهي امتداد له وجزء منه وليس لها وجود حقيقي. والنتيجة هي أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله، وهذه هي كفرية وحدة الوجود .

[1] الغزالي: مشكاة الأنوار ، ص: 6 .

ومن مغالطات الرجل أنه بعدما قرر أنـه لا موجود إلا الله وأفعالـه فـي كتابه الإحياء ، عبر هنا عن أن أفعاله بالوجه ، وقال: " ومحال أن يقال: إنه أكبر من وجهه ". ، بمعنى: محال أن يُقال إنه أكبر من أفعاله . وهذا مثال صحيح ،لكنه لا يصح بالنسبة للمخلوقات، لأن الثابت شرعا وعقلا وعلما أن الكائنات التي نراها ليست أفعالا لله ولا وجهه ، وإنما هي من مفعولات أفعاله، بمعنى أنها من مخلوقات أفعاله. وبمعنى آخر أنه سبحانه هو الخالق وهي من مخلوقاته وليست أفعاله . ومن ثم فلا شك أن الله أكبر من مخلوقاته، لكن لا يصح أن يُقال: إن الله أكبر من نفسه، ولا من أفعاله، لأنها منه وهو بها ، وهي به . فصفاته وأفعاله سبحانه لا تنفك عنه. فالغزالي شهد على نفسه وأصحابه أنهم يعتقدون بوحدة الوجود، ومن أجلها ضللوا وحرفوا وتلاعبوا بالنصوص الشرعية كما فعلوا مع عبارة ((الله أكبر)) انتصارا للتصوف عامة وكفرية وحدة الوجود خاصة ، لأنها غاية غايات التصوف .

والشاهد الخامس له أهمية خاصة ورد في آخر كتاب صنفه الغزالي المعنّون ب: إلجام العوام عن علم الكلام ، أنهاه قبيل وفاته بأيام قليلة[1] كرر فيه قوله بوحدة الوجود بطريقته الخاصة وبينها بكلام أوضح، مما يعني أنه ظل يقول بوحدة الوجود إلى آخر حياته ، فقال : ((لكن ينبغي أن يُعلم أن الحضرة الإلهية محيطة بكل ما في الوجود، إذ ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، فالكل من الحضرة الإلهية، كما أن جميع أرباب الولايات في المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر فهم من جملة الحضرة السلطانية...فاعلم أن كل ما في الوجود داخل في الحضرة الإلهية))[2].

وأقول: كلامه هذا باطل من دون شك، وفيه تضليل وتحريف، وتضمن القول بوحدة الوجود بتعبير واضح . إنه جعل الموجود واحدا هو الله وأفعاله، وأنكر وجود مخلوقاته معه ، لأنها حسب زعمه هي أفعاله وليس لها وجود حقيقي قائم بها. فالكون بما فيه هو الله وأفعاله ، والكل سماه الحضرة الإلهية ، وشبهه بالمعسكر فكل ما فيه حتى الحراس من المعسكر. ومثاله هذا لا يصح قطعا، وفيه تلاعب وتغليط ،لأن المعسكر ككل لا يوجد ككائن واحد قائم بذاته اسمه المعسكر ، وإنما هو مكون من كائنات منفصلة عن بعضها ، والمعسكر نفسه من مفعولات الإنسان ، فهو من مصنوعاته

[1] وهو آخر ما صنف الغزالي، كتبه في اوائل جمادي الآخرة سنة 505 هـ أي قبيل وفاته بزمن قصير جدا، أقلّ من أسبوعين، حيث توفي يوم الاثنين 14 جمادي الآخرة عام 505 هـ . مشهد العلاف : كتب الإمام الغزالي الثابت منها والمنحول ، ص: 33 .
[2] الغزالي: إلجام العوم عن علم الكلام ، ص: 62 .

ومنفصل عنه تماما .. ولهذا فإن الله تعالى ليس هو الكون، ولا الكون هو الله، ولا يصح جعل الكون من أفعاله، لأن أفعاله تابعة إليه، وليست منفصلة عنه ، والكون منفصل عنه، فهو من مخلوقاته .

ومما يُبطل ذلك أيضا أن المعسكر مصنوع ومن آثار الإنسان ، وليس هو فعل الإنسان، وكذلك الكون هو مخلوق ومن مفعولات الله وليس هو الله ولا أفعاله. فالمثال الذي ضربه الغزالي لا يصح ذكره دليلا على القول بوحدة الوجود وهو في غير محله . ولا شك أن كل الموجدات التي تضمنها المعسكر كانت بداخله ومنتمية إليه ، لكن الكائنات التي تضمنها ليست نوعا واحدا، ولا في مرتبة واحدة، لكن الكل مخلوق وموجود. ونفس الأمر بالنسبة لله والكون فنحن أمام خالق ومخلوق مع أن الكل موجود فهذا الإطار الذي يجمعهما لا يجعلهما كائنا واحدا لأننا أمام خالق ومخلوق من جهة، والمخلوقات مع أنها كلها مخلوقة ، فهي ليست ذاتا واحدة بل هي ذوات كثيرة ومتعددة فلا تصح معها وحدة الوجود، ولا مع خالقها من باب أولى.

والشاهد السادس: يقول الغزالي في أبيات شعرية نُسبت إليه وردت في كتاب معارج القدس المنسوب إليه :

وهل أنا إلا أنت ذاتاً ووحدةً ** وهل أنت إلا نفس عين هويتي

ملأت جهاتي الست منك فأنت لي ** محيط وأيضاً أنت مركز نقطتي

فصرتُ إذا وجهت وجهي مصلياً ** فرايض أوقاتي فنفسي كعبتي

فصار صيامي لي ونسكي وطاعتي ** ونحري وتعريفي وحجي وعمرتي

وحولي طوافي واجبٌ وخلاله ** استلامي لركني من مناسك حجتي

وذكري وتسبيحي وحمدي وقربتي ** لنفسي وتقديسي وصفو سريرتي

ولو لم أُؤدِّ الفرض مني إليَّ لم ** يصح بوجه لي ولم تَبرَ ذمتي[1].

وأقول: تلك الأبيات صريحة بأن أبا حامد الغزالي كان يعتقد بكفرية وحدة الوجود ، ولا يختلف قوله عن قول الحسين الحلاج :

أنا أنت بلا شك *** سبحانك سبحاني

---

[1] الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الأفاق الجديدة، بيروت ، ص: 195 .

توحيدك توحيدي *** وعصيانك عصياني[1].

لكني أُشير هنا إلى أن كتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس هو من بين الكتب التي يحوم حولها الشك من جهة ثبوت نسبتها إلى الغزالي، وقد ذكر الباحث عبد الرحمن بدوي أن كتاب المعارج هذا لا يختلف في مضمونه عما ورد في كتب الغزالي الأخرى[2]. وقوله هذا صحيح ، لأن متن تلك الأبيات لا يختلف عما قرره الغزالي في إحياء علوم الدين في قوله بوحدة الوجود، لكن هذه الأبيات أكثر وضوحا وتصريحا من أقواله السابقة التي مارس فيها التضليل والتحريف.

والشاهد السابع: يقول الغزالي عن توحيد الصوفية وأصحابه : ((هم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ، ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به ، فلم يروا في الدارين غيره ، ولا اطلعوا في الوجود على سواه ...))[3]. قوله هذا يتضمن القول بوحدة الوجود، ولا يختلف عن أقواله التي عبر بها عنها في كتابه إحياء علوم الدين. فحسب زعمه أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله، وما نراه من كائنات هي أشباح وإضافات لله التي هي أفعاله لا مخلوقاته. فالرجل قرر هذه الضلالة في كتابه الإملاء في إشكالات الأحياء الذي دافع فيه عن الإحياء، فهو مُصر على قوله بوحدة الوجود، ولم يُغير موقفه بعدما انتقده كثير من أهل العلم فيما ذكره في الإحياء.

وأخيرا أشير هنا إلى أن الغزالي مع أنه قرر وحدة الوجود وانتصر لها بالتقية والتضليل والتحريف، فإنه أنكر ما رُوي عن الصوفي أبي يزيد البسطامي(ت 188- 261 هـ) بأنه كان يقول صراحة بوحدة الوجود كادعائه بأنه هو الله . قال الغزالي :((وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز و جل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية))[4].

وأقول: أولا إن الغزالي أنكر أن يكون البسطامي قال ذلك ، وإن صح أنه قال ذلك فيُحمل على أنه قاله حكاية عن الله ، فظن الناس أنه قال ذلك عن نفسه. ونفيه ذلك عن البسطامي لا يصح، لأنه نفاه بلا دليل ، فلا جمع

---

[1] ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، ص: 122 .
[2] عبد الرحمن بدوي: مؤلفات الغزالي، ط 2 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ص: 244 .
[3] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 30 .
[4] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 36 .

الروايات ولا حققها ليُميز صحيحها من سقيمها واكتفى بإنكار أن يكون البسطامي قال ذلك. وبما أنه لم يحققها فلا يصح نفيه لها بلا دليل صحيح.

وثانيا إن ذلك القول المروي عن البسطامي موجود في كتب الصوفية أنفسهم وعند غيرهم أيضا، ورووا عنه شطحات كثيرة جدا وليست واحدة، ولا عشرة ، بل مئات، ومنها أنواع كثيرة من الشطحات ، وقد جُمعت في كتب[1]. فمن هذيانه وشطحاته ما حكاه عن معراجه إلى الله ، فقال: ((... حتى أن الله أنشأ لي علما من علمه ، ولسانا من لطفه ، وعينا من نوره ، فنظرت إليه بنوره، وعلمت من علمه ، وناجيته بلسان لطف فقلت : ما بالي بك ؟، فقال: **أنا لك بك لا إله غيرك** ...))[2].
ومن أوهامه وشطحاته وضلالاته أنه قال: ((أدخلني معه مدخلا أراني الخلق كلهم بين الأصبعين))[3]. و((سبحاني ما أعظم شأني)) [4]. وقال : ((أسألك ألا تحجب الخلق بك عنك، وتحجبهم عنك بي ، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون))[5]. و ((أراد موسى -عليه السلام- أن يرى الله تعالى، وأنا ما أردتُ أن أرى الله ، هو أراد أن يراني))[6]. وقال : ((خضتُ بحرا وقف الأنبياء بساحله)) [7]. و قال: ((تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد – صلى الله عليه وسلم- لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين))[8].

فلا يُمكن أن تكون كل تلك الشطحات مكذوبة على البسطامي ، ولا أن الناس فهموها خطأ. ولهذا فإن الغزالي يعلم أنها صحيحة لكنه نفاها تقية وإخفاءً لعورات التصوف وأهله من جهة ، وهي أدلة دامغة على أن الصوفية كانوا يخفون قولهم بوحدة الوجود من جهة ثانية. فلما كانت تلك الشطحات كشطحات البسطامي والحلاج من العبارات الواضحة وليست من إشارات الصوفية التي لغزت أقوالهم في قولهم بوحدة الوجود أنكروها ظاهريا أو أوّلوها لكي لا ينكشف أمرهم. و الذي فعله الغزالي سبقه إليه

---

[1] منها : أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ، ، تحقيق وتقديم قاسم محمد عباس، ط 1 ، دار المدى، دمشق ، بيروت ، 2004 .
[2] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ، ، تحقيق وتقديم قاسم محمد عباس، ط 1 ، دار المدى، دمشق ، بيروت ، 2004 ، ص: 41 .
[3] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .
[4] أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج 1 ص: 480 .
[5] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .
[6] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 45 .
[7] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 49 .
[8] أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ،ص: 48 .

السراج الطوسي في اللمع ، والقشيري في الرسالة القشيرية[1]. ودفاع الغزالي عن البسطامي يندرج ضمن ممارسته للتقية والتضليل والتحريف ، فلما رأى كلامه كاشفا وفاضحا له ولأصحابه وللتصوف تظاهر بإنكار ذلك ونفى أن يكون البسطامي قال بذلك ، مع أن حقيقة قوله قرره الغزالي مرارا في إحيائه كما سبق أن بيناه .

وختاما لهذا الفصل- الرابع- يتبين أن أبا حامد الغزالي مارس التقية الصوفية وترجمها عمليا باستخدام مختلف طرق التضليل والتحريف في تقريره لغايات التصوف ، فقررها وانتصر لها بألفاظ ومصطلحات صوفية كثيرة ، منها : المعرفة، والمشاهدة، والشهود ، والتوحيد،والفناءعن الخلق، والفناء في الله، والفردانية ،والجبر. لكن حقيقتها كانت واحدة في النهاية، فكلها قررت عقيدة واحدة وحدة الوجود: لا موجود إلا الله . و ليس في الوجود إلا الله وأفعاله. فغايات التصوف كلها اجتمعت في النهاية في غاية واحدة، هي كفرية وحدة الوجود التي هي هدم للشرع والعقل والعلم.

واتضح أيضا أن السر الذي كان أبو حامد الغزالي يُخفيه عن الناس ومن أجله مارس مختلف أنواع التضليل والتحريف ، والتغليط والتلاعب ، والتعالي والتعالم على غير الصوفية هو عقيدة وحدة الوجود !!. إنه قررها وانتصر لها وافتخر بها، وهدم بها الشرع والعقل والعلم ، لكنه أثناء ممارسته ذلك كان شديد الحرص على التظاهر بالإسلام والتستر به !!!! . وهنا تكمن مأساة الرجل، إنه جنى على نفسه وغيره ، وضل وأضل ، وجعل الشرع والعقل والعلم وراء ظهره انتصارا لخرافات التصوف وكفرياته.

---

[1] ذلك واضح في كتبيهما عندما كان يشرحان شطحات الصوفية، و أنظر مثلا : كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

الفصل الخامس

متفرقات من تضليلات الغزالي وتحريفاته في كتابه الإحياء

أولا: متفرقات تتعلق بالعلم الصوفي .
ثانيا: متفرقات تتعلق بأصول الدين والتعصب المذهبي
ثالثا: متفرقات تتعلق بعبادات الصوفية وسلوكياتهم.

متفرقات من تضليلات الغزالي وتحريفاته في كتابه الإحياء

توسيعا لبيان ممارسة أبي حامد الغزالي لمختلف طرق التضليل والتحريف وتأكيدا لها تعميقا وإثراءً، أفردتُ هذا الفصل لمتفرقات متنوعة من تضليلات الغزالي وتحريفاته في كتابه إحياء علوم الدين . جمعتُها في ثلاث مجموعات: الأولى تتعلق بالعلم الصوفي، والثانية تتعلق بأصول الدين والمذاهب، والثالثة تضمنت نماذج من عبادات الصوفية وسلوكياتهم.

أولا: متفرقات تتعلق بالعلم الصوفي :

تحتوي هذه المجموعة على ثمانية نماذج متفرقات تتعلق بالعلم الصوفي مارس فيها الغزالي التضليل والتحريف انتصارا للتصوف . أولها مفاده أن أبا حامد الغزالي كان قد أكد مرارا بأن علم المكاشفين من الصوفية- وهو منهم- يقيني ويجعلهم يعلمون أسرار المُلك والملكوت- عالم الغيب والشهادة- ، لكن النموذج الآتي ينقض ذلك[1] ، فقال: ((والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل . وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شيء جديد))[2].

وأقول: أولا إن الغزالي لم يجزم فيما قاله عن علوم العقل وإنما رجح قوله بأن علومه فطرية ومخزونة فيه ، فتأتي الأسباب الخارجية فتُظهرها، فهي كأنها كذلك ولم يقطع بصحة تفسيره. وهذا يتنافى مع قوله بأن العارفين من الصوفية- وهو منهم- عندهم علم المكاشفة، يعلمون به أسرار الكون ،

---

[1] سبق أن توسعنا في إبطال قوله بعلم المكاشفة وعلم الباطن، فصلناه في الفصل الأول، وهنا نوسع الموضوع ونثريه تعميقا وتأكيدا .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 86 .

وعلمهم يقيني. فلماذا توقف هنا ولم يقطع بموقفه ؟؟، أليس هذا دليل دامغ ينقض قوله بعلم المكاشفة ؟؟. لأن مزاعمه تستلزم أنه لا يصح ولا يحق للعارف الصوفي أن يُرجح ، ولا أن يُغلّب الظن ، ولا أن يفرض الاحتمالات ، لأن كل ذلك ينقض قوله بحكاية علم المكاشفة واليقين .

وثانيا إن ترجيحه بأن علوم العقل مخزونة فيه ، لا يصح في عمومه ، لأن علوم العقل الأولية- كالبديهيات- تظهر فيه تدريجيا حسب نموه وتفاعله مع مجتمعه. وأما علومه المكتسبة فهي مكتسبة فعلا من الواقع وليست مخزونة فيه، فهي ثمرة نشاط الإنسان وتفاعله بحواسه وقدراته وغرائزه مع مجتمعه. بدليل الشاهدين الآتيين: الأول قوله تعالى: ((وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل: 78)). فالإنسان يُولد بلا علوم مكتسبة ، لكنه يأتي إلى الدنيا ومزوّد بوسائل تحصيلها كالفؤاد ،والحواس،والفطرة وبتفاعله مع محيطه يكتسب العلوم.

والشاهد الثاني لو كانت العلوم المكتسبة فطرية في الإنسان لظهرت عند كل الناس الذين يعيشون ظروفا متشابهة، بل وعند العلماء الذين يعملون في مخبر واحد. وبما أن الواقع يثبت خلاف هذا دل على أن تلك العلوم مكتسبة وليست فطرية فينا. والمقصود من هذا أن ترجيح الغزالي غير صحيح، وهذا ينفي حكاية علم المكاشفة الذي تغنى به الغزالي وتعالى به على مخالفية وتسلط به عليهم.

والنموذج الثاني مضمونه أن الغزالي أورد قولين لصوفيين فيهما استهزاء بالشرع وتعالٍ عليه، وازدراء بالجنة والنار ذكرهما تأييد لقوله ، وسكت عنهما ولم يرد عليهما. قال: ((فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء وأنه لا لذة فوقها. ولهذا قال أبو سليمان الدارانى: إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله . ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخى له: أخبرنى يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت، فقال: ذكر الموت، فقال: وأى شيء الموت؟ فقال: ذكر القبر والبرزخ ،فقال: وأى شيء القبر؟ فقال: خوف النار ورجاء الجنة، فقال: وأي شيء هذا؟ إن ملكا

هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تضليل وتحريف، وتعالم على الشرع وازدراء به. لأنه أولا لا يصح أن نتكلم عن ثمرة من الثمرات من دون أن نربطها بأصولها وفروعها وصاحبها. لأن معرفة الله ليست نهبا لكل مدعٍ وإن كَثُر المدعون ، فلن يظفر بها حقا إلا المؤمنون المتقون. لأن الله فرض علينا عبادته وفق شريعته ، ومن لم يُؤمن بدينه ويلتزم به فلن ينال ثمارها كحب الله ورؤيته. وأمر العبادة أعظم من لذة المعرفة في ذاتها، لأن الله تعالى خلقنا لعبادته وفق شريعته، ثم بعدها يكون الجزاء.

وثانيا إن الغزالي قرر المعرفة الصوفية ولم يُقرر المحبة والرؤية الشرعيتين ، ولهذا وجدناه استشهد بقولين لصوفيين خالفا الشرع واستهزآ به، وتعالما وتكبرا عليه، ثم ادعيا المعرفة وحب الله تعالى. ومع هذا استشهد بهما الغزالي واستحسنا قوليهما، ولم يعترض ولم يُعلق عليهما لبيان مخالفتهما للشرع. لكن لا عجب فالغزالي لم يكن يتكلم عن موقف الشرع ولا كان يُدافع عنه وإنما كان يتكلم عن المعرفة في الدين الصوفي، لكنه لم ينس التظاهر بالإسلام والتستر به، فالرجل يُتقن ممارسة التضليل والتحريف تطبيقا للتقية الصوفية . علما بأن الصادق في حب الله تعالى الحب الصحيح لا بد أن يتبع شريعته ، لأن المحب لمن يُحب مطيع ، ومن يدعي حبه ولا يلتزم بدينه فهو يعبد هواه ولا يعبد الله . ومن لا يخاف النار ولا يرجو الجنة فهو مغرور ومريض ومتبع لهواه لا لله. لأن الله تعالى هو الذي أمرنا بحبه وطاعته وطلب جنته والتعوذ منه من ناره. فكيف لا نطيعه في ذلك ونلتزم بما أمرنا به ؟؟. وبما أن الله تعالى جعل أكبر جوائزه وثمار عبادتنا له تكون في جنته ، وجعل أكبر عذابه وأشده وأعظمه يكون في النار، فلا يُمكن لعابد محب طائع مخلص أن يقول لله: أنا مشغول بك لا بجنتك ولا بنارك !! . أو يقول له: ماذا تعنى نارك أو جنتك !! . ومن يقول هذا فهو جاهل، أو مريض، أو ضال مضل . وهل يُعقل أن من يُحب الله يقول له: أنت خلقتنا لعبادتك، وفرضت علينا شريعتك ، وحلقت الجنة لمن يُطيعك وحببتها لنا، وخلقت النار لمن يعصيك، وخوفتنا منها. لكن أنا أقول لك: أنا أخالفك في ذلك ، وأرفض كل ما فرضته علينا ولا أريد جنتك ولا أخاف نارك، وإنما أريدك أنت، وأنا أحبك لكن لا أتبع شريعتك !!!! . فهل

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 418 – 419.

هذا محب لله ، وطائع له ؟ !! . طبعا لا وألف لا ، ومن يقول ذلك عن وعي وقصد فهو لا يعبد الله على دين الإسلام وإنما يعبده على الدين الصوفي . ودين الله هو الإسلام لا التصوف ولا غيره .

والنموذج الثالث: يقول الغزالي: ((الاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير. وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى ، فلذلك لا تجد اختلافا وتضادا أصلا))[1].

وأقول: كلامه المتعلق بعالم الغيب- الملكوت- غير صحيح، وفيه تضليل وتحريف، لأن الأمر ليس كما قال ، والحقيقة في علم الشهادة والغيب هي نفسها حقيقة ولا تتناقض مع غيرها من حقائق الغيب والشهادة. إلا أن الخلل قد يحدث عندما يكون الفهم خاطئا ، أو الرؤية ناقصة، أو دخول عوامل أخرى من أوهام وخيالات وهلوسات وتلبيسات إلى حقائق الغيب والشهادة فتلتبس الأمور ويصعب التمييز بين صحيحها من باطلها. بل إن عالم الغيب أكثر التباسا وصعوبة من عالم الشهادة بحكم أنه لا يخضع لمقاييس موضوعية من العقل والعلم ، ويفتح مجالا واسعا للمزاعم الجوفاء والدعاوى العريضة والطويلة، وفي مقدور كل إنسان أن يدعي الأباطيل والأكاذيب بدعوى أنه من أرباب القلوب والمكاشفات. ولهذا فالأمر ليس كما قال الغزالي، وعالم الغيب-الملكوت- أكثر أوهاما وأكاذيب وأباطيل. والدليل القطعي على صحة ذلك هو أنه تبين في كتابنا هذا أن الغزالي وأصحابه من الصوفية وقعوا في أخطاء كثيرة جدا شرعية، وعلمية وتاريخية، وقالوا بضلالات هدمت الوحي والعقل والعلم، واختلفوا فيما بينهم وخطّأ بعضهم بعضا كما حدث بين ابن عربي والغزالي مع أنهم كانوا من أرباب القلوب والمكاشفات حسب زعمهم، فأين ما ادعاه أبو حامد الغزالي !!.

والنموذج الرابع: يقول الغزالي أثناء كلامه عن الرؤية الصادقة: ((فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ ، وهي جزء من أجزاء النبوة))[2].

وأقول: قوله هذا غير صحيح ،وفيه تضليل وتحريف وتلاعب، لأن الناس كلهم ينامون وما يرونه من المنامات لا يخرج من أن يكون من

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 345 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 243 .

النفس، أو الشيطان، أو الملِك ، وقد تكون خليطا بين ذلك. وما من إنسان إلا وجرب الرؤيا الصادقة فكانت له إخبارا مُسبقا لما سيحدث لـه. لكنهـا ليست علما يالغيب ولا يصح وصفها بذلك، وليست مطالعة من اللوح المحفوظ ، وإنما هي خاطرة، أو لمة من الملك ولا تتجاوز حدودها المعروفة. ومن يُخرجها عن ذلك فهو مُخطئ ، أو لا يعي ما يقول، أو صاحب هوى قال ذلك لتحقيق غاية في نفسه، فحوّل من أجلها الحبة الصغيرة جدا إلى قبة كبيرة جدا كما فعل الغزالي. والدليل على أن فعله هذا غير صحيح ما سبق أن ذكرته عن حقيقة الرؤيا، وما عند الغزالي من حصيلة فكرية هزيلة جدا. ففقد بينا بالأدلة الدامغة أن معظم ما في التصوف من أصول وفروع وغايات باطلة ومخالفة للشرع والعقل والعلم. ولو كان الأمر كما زعم الغزالي بأن الصوفية يُطالعون اللوح المحفوظ ما كانت تلك حقيقة تصوفهم وحصيلة علمهم المزعوم . مما يعني أنه لم يبق عندهم إلا المزاعم الجوفاء والدعاوى العريضة والطويلة !! .

والنموذج الخامس: ذكر الغزالي أن الخاصية التي يتميز بها الإنسان عن سائر البهائم هو العلم، وأنه لم يُخلق إلا للعلم[1].
قوله هذا غير صحيح في معظمه ، لأن الحيوان له علم مجبول عليه، وله علم آخر يكتشفه في حياته اليومية وكثيرا ما يستفيد من تجاربه، وهذا ملاحظ في حياة الحيوانات. والشاهد على ذلك أيضا قوله تعالى: ((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)(النمل:20 - 24)). واضح من ذلك أن الهدد كان داعية وفقيها ، ويعرف التفريق بين الشرك والتوحيد، بل وأحسن من الصوفية في قوله بالتوحيد، فتوحيده توحيد الإسلام وتوحيدهم توحيد كفرية وحدة الوجود !!. وكذلك قوله تعالى: ((قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ-(النمل: 18)).

وليس صحيحا أن الإنسان لم يُخلق إلا للعلم، وإنما الصحيح أنه خلق لعبادة الله تعالى ، وهذه العبادة تتضمن العلم لأنه منها . قال تعالى: ((وَمَا

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 7 .

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56)) ، و((لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)(النحل: 36))،و((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(البقرة: 21))،و((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(الأعراف: 59)) . فالإنسان مكلف بعبادة الله وهذا يتطلب منه عمارة الأرض وفق شريعة الله تعالى، وهذا يتطلب منه بذل كل ما يستطيع لتحقيق ذلك . ولهذا فإن الإنسان لا يتميز بالعلم فقط ولا خُلق من أجله كما قال الغزالي ، وإنما الإنسان يتميز أساسا عن الحيوان بأنه مُكلف بأداء وحمل الأمانة التي كلفه الله تعالى بها ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)(الأحزاب: 72)) وللقيام بها خلق الله فيه كل القدرات العقلية والنفسية والعضوية التي تُمكنه من القيام بذلك. فأين حكاية المكاشفة وعلم الباطن التي تغنى بها الغزالي كثيرا، وهو من أهلها. لكن الغزالي مع أنه خالف الشرع في ذلك إلا أنه كان يقصد العلم الصوفي بمعنى المعرفة الصوفية، وحسب الغزالي والصوفية أن الصوفي عندما يصل إليها يكون فنى عن الخلق وفنى في الحق، وهنا تتحقق المعرفة ويعرف الصوفي أنه لا موجود هو الله، بمعنى وحدة الوجود ويستشعر الربوبية والألوهية لأنه اكتشف أن الله هو الكون ، والكون هو الله حسب زعم الغزالي وأصحابه. فغاية الإنسان الصوفي ليست عبادة الله وفق شريعته وإنما أن يعلم ويعرف ويكتشف أنه هو الله ويصبح يعتقد بوحدة الوجود. فقول الغزالي السابق هو من تضليلاته وتحريفاتها املغزة والمتسترة بالدين والعقل !! .

والنموذج السادس: ذكر الغزالي أن الأمانة التي حملها الإنسان المذكورة في قوله تعالى: ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)(الأحزاب: 72)) هي المعرفة والتوحيد[1].

وأقول: تفسيره هذا غير صحيح لأنه تفسير صوفي لا شرعي، وفيه تضليل وتحريف ، لأن الله تعالى بين بوضوح معنى الأمانة التي كلف الإنسان بحملها وهي أن الله تعالى فرض عليه عبادته وعمارة الأرض وفق شريعته، قال تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 12 .

))، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153)). فالرجل فسر الآية بلسان التصوف لا بالشرع. ومعنى التوحيد والمعرفة عنده يعني بلوغ الصوفي ضلالة وحدة الوجود، وهذا تحريف للآية وإبطال لها.

فواضح من ذلك أن الغزالي لم يُفسر القرآن بالقرآن وإنما فسره بالتصوف ، وهذا يندرج ضمن ممارسته للتضليل والتحريف في تعامله مع القرآن الكريم . علما بأن العلم بالله هو جزء من العبادة فالله تعالى عرفنا بنفسه ودينه وأمرنا بعبادته والتزام شرعه. لكن الغزالي لم ينظر إلى ذلك من هذه الزاوية وإنما نظر إليه من منظور غاية التصوف: وحدة الوجود.

والنموذج السابع مفاده أن الغزالي عندما تكلم عن شرف العقل وقدره، ومكانته في الشرع ذكر أن الله تعالى سماه نورا في قوله سبحانه: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ)(النور: 35))[1].

أقول: إن قوله هذا فيه تحريف ، وتفسيره لا يصح ،لأن الآية التي ذكرها فهي واضحة وتفسر نفسها بنفسها عند النظر إليها من بدايتها إلى نهايتها. فهي لم تتكلم عن العقل البشري وإنما تكلمت عن الله تعالى ونوره الذي يهدي به عباده المؤمنين ، فالله سبحانه هو هادي السموات والأرض، قال سبحانه: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(النور: 35)) .

والنموذج الأخير- الثامن- مضمونه أن أبا حامد الغزالي عندما انتقد الفقهاء والمتكلمين وألحقهم بعلماء الدنيا ، وأن علمهم هو من علم أعمال الجوارح - فرع من علم المعاملة- ذكر أن كلامه هذا ليس طعنا في الصحابة وكبار فقهاء الإسلام كالأئمة الأربعة ، لأن هؤلاء كانوا من طلاب الآخرة جمعوا بين أعمال الجوارح والقلوب- علم المعاملة- ، فكلامه لا يصدق عليهم[2]. وكلامه هذا ناقص، وفيه تضليل وطعن في هؤلاء ، لأن

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 83 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 24 .

الرجل أخفى الجانب الأخر الذي تعالم وتعالى به على الشرع والصحابة ومن سار على نهجهم ، فقد اخفاه ويتضمن الطعن فيهم والتعالم عليهم. ومفاده أن الغزالي سبق أن ذكرنا أنه في بداية كتابه إحياء علوم الدين ذكر أن العلم علمان: علم المكاشفة، وعلم المعاملة. والثاني يتكون من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح . ثم ذكر أن الشرع جاء بعلم المعاملة دون المكاشفة، وأن النبي أخفاه ولم يشر إليه إلا إيماءً وتلميحا . وعلم المكاشفة خاص بالصديقين والعارفين من الصوفية كأبي حامد الغزالي وأمثاله حسب زعمه. وهذا العلم لا علم به للصحابة والتابعين لهم لأنهم من طلاب الآخرة لا المكاشفة. وهذا أمر سبق أن بيناه ووثقناه. والشاهد عليه أيضا أنه قبل أن يقول كلامه السابق قسم الأمور التي يُتقرب بها إلى الله إلى ثلاثة أنواع: علم مجرد هو علم المكاشفة. وعمل مجرد ، كعدل السلطان وضبطه للناس. وفعل مركب من عمل وعلم وهو طريق الآخرة ، وصاحبه من العلماء العاملين[1]. فالصحابة والتابعين لهم من علماء طريق الآخرة ، فهم أقل رتبة من أصحاب العلم المجرد الذين لا يعملون ، وإنما يكفيهم علم المكاشفة ليعلموا ما كان وما سيكون ويدركون كل أسرار الربوبية والكون وهم في أعلى الدرجات ، وهم الصوفية كالغزالي وأصحابه، وهم لا يرجون جنة ،ولا يخافون نارا حسب زعم الصوفية وقد سبق ذكر أقوال الغزالي المتعلقة بذلك. أليس هذا طعن فيهم وفي الشرع وتعالم وتعالٍ على الجميع ؟؟. فلماذا هذا التلاعب والتدليس ؟؟.

علما بأن الغزالي كما أنه جعل الأئمة الأربعة من علماء الآخرة، فإنه وصفهم أيضا بأنهم من علماء الظاهر المقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب، كأحمد والشافعي اللذين كانا يسألان بعض الصوفية في أمور تتعلق بأعمال القلوب[2]. وخبره هذا سبق أن بينا عدم صحته . فخبره هذا ينقض ما قاله في مدح هؤلاء الأئمة بأنهم جمعوا بين أعمال القلوب والجوارح. فالرجل يُغالط ويضلل لغاية في نفسه. ويجب أن ننتبه إلى أن علماء الآخرة عند الغزالي ليسوا هم علماء الباطن والمكاشفة وإنما هم من علماء علم المعاملة حسب زعمه. وعنده أن علماء الآخرة يطلبون الجنة ويخافون النار، وأما علماء الصوفية- أصحاب الكشف- فهم لا يخافون نارا ولا يرجون جنة وإنما يطلبون وحدة الوجود في الدنيا ليصبحوا أربابا وآلهة حسب زعمهم[3].

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 24 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 22 .
[3] سبق توثيق ذلك وتوسعنا في الرد على الغزالي والصوفية في قولهم بذلك .

ثانيا: متفرقات تتعلق بأصول الدين والتعصب المذهبي :

يتضمن هذا المبحث خمسة نماذج متفرقات تتعلق بقضايا أصول الدين والتعصب المذهبي، أولها: يقول الغزالي في وصفه لكلام الله : ((الكلام وأنه تعالى متكلم آمر ناهٍ، واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق، فليس بصوت يحدث من انسلال هواه أو اصطكاك أجرام، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام.وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق . وأن موسى صلى الله عليه و سلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف . كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض .وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات))[1].

أقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ،وفيه تحريف وتضليل وتلاعب بالألفاظ. لأنه أولا إن قوله مخالف للشرع مخالفة صريحة، لأن الله تعالى وصف نفسه بأنه متصف بصفات الكمال، وأنه فعال لما يريد، وأن كلامه لا نهاية له، وأنه يتكلم متى شاء، وبما شاء، وكيفما شاء، وأنه كلم الملائكة وأنبيائه وأنزل عليهم كتبه، وانه سيُكلم عباده يوم القيامة. والآيات على ذلك كثيرة ، منها قوله سبحانه: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)(البقرة: 30)) ، و((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى: 51))، و((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)(النساء: 164))، و((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(القصص: 68)). فهو سبحانه لا يِشبه مخلوقاته في ذاته وصفاته وأفعاله. فهو سبحانه عندما يتكلم فكلامه يليق به ، وهو فعال لما يريد، ولا يصح البحث عن كيفيته. ولهذا فكل من يحاول إخراج هذه الآيات عن معناها الواضح فهو محرف للقرآن وممارس للتأويل الفاسد، ولا يحق له فعل ذلك، وهو على خطأ من دون شك .

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص : 91 .

وثانيا: إن الغزالي قرر كلامه بعيدا عن الشرع في معظمه، وقرر وجهة نظر الأشعرية بلا دليل صحيح من الشرع ولا من العقل، ولهذا موقفه غير صحيح وفيه تضليل وتحريف للشرع والعقل. فكان منطلقه الظن والتحكم والفكر المسبق وبه تسلط على النصوص الشرعية توجيها وتحريفا.ولهذا خالف الوحي الصحيح والعقل الصريح. لأنه نظر إلى صفة الكلام من منطلق التشبيه والتمثيل لا من التنزيه ، ولهذا قال: ((فليس بصوت يحدث من انسلال هواء، أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف يتقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان)). فهذا كلام لا يصح قوله أبدا ولا الإشارة إليه، لأن من يقوله لا ينظر إلى صفات الله تعالى عامة وصفة الكلام خاصة من منظور شرعي تنزيهي، ولا من منطلق عقلي صحيح، وإنما ينظر إليه من منظور التشبيه والتمثيل والتجسيم. فلو نظر الرجل إلى صفات الله تعالى من منظور التنزيه الذي وضعه الشرع، بأنه سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ما وقع في ذلك الخطأ والانحراف المنهجي في موقفه من الصفات. ولهذا فالله تعالى فعال لما يريد، ومتصف بصفات الكمال وعلى كل شيء قدير، مما يعني أنه سبحانه كما تكلم بالقرآن لفظا ومعنى، هو قادر أيضا أن يُخاطب أي مخلوق من مخلوقاته بأية وسيلة يريدها ، وبأية لغة يشاؤها، وهذه صفات كمال لا نقص، وتكلُمه سبحانه بلغات بعض مخلوقاته هو من الممكنات لا من المستحيلات، ولا من النقائص، بل هو من الكمال لأنه سبحانه فعال لما يريد، ويفعل ما يشاء ويختار.

وثالثا: إن قوله بأن كلام الله أزلي قديم قائم بذاته لا يتبعض ولا يتجزأ وهو كلام واحد ، هو قول مخالف للشرع والعقل. لأن الشرع – كما وضحناه سابقا- أكد صراحة بأن الله تعالى فعال لما يريد، وانه يتكلم متى شاء، وكيفما يشاء، وبما يشاء. وأما عقلا فإنه لا يصح عقلا أن يكون الإله لا يستطيع أن يتكلم في أي وقت شاء، وبما يشاء ،وكيفما يشاء. ومن يقول خلاف هذا فهو مخالف للعقل ومتناقض مع نفسه. لأنه إما أن يكون الله تعالى لا يتكلم ، ومن ثم لا كلام عنده ولا أنزل كتبا، وإما أنه يتكلم ، وبما أنه سبحانه يتكلم فهذا يعني أنه يتكلم متى يريد وبما يريد، ولا يصح أبدا التهرب وفرض التحكمات الذاتية على الله تعالى بدعوى أن كلامه أزلي قديم قائم بذاته ، فهذا كلام باطل قطعا ، لأنه مجرد ظن وتحكم ورجم بالغيب ، ومخالف للوحي الصحيح والعقل الصريح. ويتضمن تناقضا صريحا صارخا ، مفاده: إن القول بأنه سبحانه تكلم به قديما فإن تصوّره يكفي لإبطاله، فهو إما أنه لم يتكلم به فهو لا يتكلم اصلا، وإما أنه تكلم به،

وبما أن الرجل قال أنه تكلم به، فهو ليس أزليا ولا قديما ، وقادر أن يتكلم مرة أخرى متى يريد وبما يريد. ولهذا لا يُمكن أن يكون التكلم أزليا، وإنما صفة الكلام هي التي أزلية، وأما التكلم فهو مرتبط بإرادة الله تعالى لأنه فعال لما يريد، وتكلمه هذا ليس مخلوقا ، ولا أزليا ولا قديما ، ولا يصح وصفه بأن مخلوق ولا أزلي كما سنبينه قريبا. ولا ينفع التهرب والاحتماء بكلمة أزلي وقديم، فهو بما أنه يتكلم فيستطيع أن يتكلم في أي وقت يريد من دون شك . فكلام الغزالي قائم على تناقض واضح ، هو سبب فساد معظم كلامه.

ورابعا إن قوله بأن القرآن الكريم كلام الله أزلي قديم لا يصح، لأنه يتضمن إثبات موجود أزلي مع الله، وهذا يتناقض مع التوحيد، ولا يصح القول بأنه أزلي قائم بالذات ، لأن القرآن هو كلام الله حقيقة لفظا ومعنى وهو بين أيدينا، وهو من أفعاله لا من مفعولاته. ومن ثم فقوله يتضمن القول بوجود أزليين ، وهذا لا يصح لأنه ينقض التوحيد. وهو أيضا ليس مخلوقا ، لأن المخلوق هو من مفعولات الله- مخلوقاته- . لأنه من الثابت شرعا وعقلا أن إيجاد أي مخلوق ، أو مصنوع يتطلب وجود: الفاعل، والفعل ، والمفعول، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(يس: 82)). فالله هو المريد والفاعل، و عبارة" كن " من كلام الله وهي الفعل، و " فيكون " هي المفعول – المخلوق-. وهذا المخلوق منفصل عن خالقه كموجود مستقل بكيانه، لكن فعله- قوله كن – لا ينفصل عنه وليس مخلوقا لأنه من أفعال صفاته سبحانه، ولهذا كان القرآن من كلام الله منه بدأ وإليه يعود وليس من كلام مخلوقاته . وهذا نفسه ينطبق على الإنسان في مصنوعاته واختراعاته ، مثاله صناعة السيارة، فلا تُصنع إلا بوجود: الصانع ، و الفعل- عملية الصنع- ، وهذا يُنتج المصنوع- السيارة- فالسيارة منفصلة تماما عن الصانع ، وهي كائن جديد، لكن عمله تابع إليه ولا ينفصل عنه تماما وسيرجع إليه، وحتى إذا انفصل عنه كالكلام فهو يبقى تابعا له، وليس كائنا جديدا. وذلك يعني أن القرآن الكريم من فِعل صفة الكلام، من الله خرج وإليه يعود، ولا يصح وصفه بأنه قديم، ولا أنه مخلوق، لكن يصح وصفه بأنه جديد، بمعنى أن القرآن الكريم لم يكن معروفا عند البشر ، لكن خاتم الأنبياء محمدا-عليه الصلاة والسلام- جاء به من عند ربه، فهو جديد على البشرية، وليس هو التوراة ولا الإنجيل ولا غيره من الكتب المنزلة. والشاهد على ذلك قوله تعالى: ((وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ)(الشعراء: 5))، بمعنى أنه جديد، لم يكن موجودا من قبل. وهو جديد لأن الله تعالى تكلم به ، كما

تكلم بالتوراة والإنجيل والكتب الأخرى، وهو سبحانه فعال لما يريد يتكلم متى يشاء، بما يشاء، وكيفما يشاء، لأن هذه صفة كمال لا صفة نقص. وهذا أمر ثابت شرعا وعقلا .

وخامسا إن قول الغزالي بأن ((القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال ، والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق))، هو تناقض واضح، وتصوره يحكم بتناقضه واستحالته. فإما أن يكون القرآن قائم بذات الله أزلي لا يقبل الانفصال والتبعيض والانتقال، وهذا يستلزم أنه لا يُمكن أن يكون عندنا محفوظا ومكتوبا في المصاحف . وإما أنه مقروء ومكتوب ومحفوظ وهو بين أيدنا، وهذا يستلزم أن القرآن ليس أزليا قديما قائما بذات الله ولا يقبل الانفصال والانتقال والتبعيض كما زعم الغزالي . فكلام الرجل لا يصح بدليل الشرع والعقل . والقرآن الكريم يشهد بنفسه أنه من كلام الله ، وكلامه سبحانه من صفة الكلام وهي التي أزلية، وأما القرآن فهو من كلامه الذي تكلم به مع بعض مخلوقاته، ومن الكتب التي أنزلها على أنبيائه. وقد أنزله الله تعالى على نبيه منجما مفرقا في آيات وسور ، وعندما اكتمل أنزل سبحانه: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)(المائدة: 3)). ولا يُمكن أن يكون كلام الله واحدا في ذاته لا يتعدد ولا يتبعض، لأنه لو كان كذلك ما كان القرآن متنوعا في مضامينه وموضوعاته، وقضاياه وحوادثه التاريخية التي سجلها، وما قال سبحانه: ((قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)(الكهف: 109)) . بل ولو كان الأمر كما زعم الغزالي لقال الله تعالى حرفا واحدا وما زاد عليه، لأن زيادة حرف يعني التنوع والانفصال والتبعيض.وبما أن الله تعالى أنزل كُتبا كثيرة، وضمنها مواضيع ومضامين متنوعة ، وبما أن كلامه لا نهاية له دل هذا على بطلان ما قاله الغزالي.

لكن لا يغيب عنا أنه مع ظهور عدم صحة قول الغزالي، ومخالفته للشرع والعقل فإن قوله يتفق تماما مع قوله بوحدة الوجود، لأن القول بوجود القرآن في كتاب منفصل عن الله وهو أزلي عند الغزالي يعني إثبات التعدد في الوجود، وهذا لا يتفق مع قوله بأنه لا موجود على الحقيقة إلا الله وأفعاله.فالقرآن عنده هو كغيره ممن نراه من كائنات هي إضافات وامتدادات لله ، مما يعني أن كل ما نراه هو أزلي لأنه جزء من الله ولا

ينفصل عنه ، بل هو الله نفسه حسب وحدة الوجود. وقولنا هذا ليس تصويبا لموقف الرجل وإنما هو توضيح وربط له بعقيدته التي حرص على إخفائها مع الانتصار لها ؛ وإلا فإن قول الرجل باطل من أساسه كما بيناه مرارا.

وبذلك يتبين أن الغزالي قد خالف الشرع والعقل فيما قاله عن كلام الله، وأن الرجل لا يُمكن أن يكون من الراسخين في العلم ، ولا هو من أرباب علم الباطن والمكاشفة كما وصف نفسه وأمثاله من شيوخ الصوفية . لأنه لو كان كذلك ما خالف الشرع والعقل، وما أخطأ في معظم ما قاله عن كلام الله تعالى. بل ولا احتاج أن يقول مثل ذلك الكلام .فأين حكاية علم المكاشفة واليقين ؟؟ .

والنموذج الثاني: مفاده أن من التضليل الذي مارسه الغزالي أنه ذكر أن من الموانع التي تمنع المريد من ممارسة المجاهدة الصوفية وبلوغ غايتها حجاب التقليد والتعصب للمذاهب، فقال: ((وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا))[1].

وأقول: قوله هذا فيه حق وباطل، وتضليل وتلاعب لغاية في نفس الغزالي، وهو حق أُريد به باطل انتصارا للتصوف. لأنه أولا لا شك أن التقليد والتعصب بالباطل وتقديمهما على الشرع والدليل هما من الأمراض والأغلال التي تفسد العقول والأديان والعمران. لكن الغزالي استغل هذا ليس من أجل أن يُخرج هؤلاء الناس مما هم فيه من تعصب أعمى وضلال طويل وعريض، إلى رحاب التحرر من قيود المذاهب والتعصبات ، وإنما ليُضعف فيهم تمسكهم بمذاهبهم، ثم بعد ذلك يسهل عليه إخراجهم منها ونقلهم إلى الدين الصوفي.وهنا يحثهم على التمسك به وتقليده والتمسك به وعدم عصيان ومخالفة شيوخ الصوفية ، حتى أنه قال:((فيحتاج إلى إمام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 100- 101 .

سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة))[1].

وثانيا لا يصح نصحه للمريد بأنه عليه عندما يعمل على التخلص من التقليد والتعصب للمذاهب أن يتأكد من ذلك بالمجاهدة لا بالمجادلة. لا يصح لأن من المجاهدة طلب الدليل الشرعي والعقلي والعلمي، وهي لا تنفي المجادلة أيضا. لأن المجادلة ليس مكروهة في ذاتها ، وإنما هي حسب نوايا وخلفيات وغايات أصحابها. ومن الثابت شرعا وتاريخا أن الأنبياء وأتباعهم جادلوا الكفار بالتي هي أحسن. قال سبحانه : ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ9(النحل: 125))، و((لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(العنكبوت: 46)). وهناك أمور علمية لا يُمكن للمجاهدة العملية أن توصل صاحبها إلى الإجابة عليها، بدليل ما بيناه من كثرة أخطاء الغزالي وانحرافاته عندما ادعى أن المجاهدة الصوفية توصل أصحابها إلى علم المكاشفة. ولذا يجب عليه أن يرجع إلى أدلة الشرع والعقل والعلم لمعرفتها. ولهذا جمع الله تعالى في دينه بين ادلة الوحي، والعلم، والعقل والقلب في آيات كثيرة. منها قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)(الحج: 8)).

وكلام الرجل الأخير يتضمن اعترافا خطيرا منه لم يُفصح عنه عندما قال: ((إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلا)). والسبب في ذلك هو أن المقلد الذي يترك مذاهبه التي كان يعتقدها ويصبح صوفيا مريدا يكون قد انتقل من دين إلى دين ومن ثم فهو غير مُطالب بأن يعتقد أو يلتزم بمذاهب الأديان الأخرى. فيصبح التصوف هو دينه ومذهبه وسره الذي درج الصوفية على إخفائه على المسلمين قديما وحديثا.

والنموذج الثالث: يقول الغزالي: ((فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف، قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى: "هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي "[2]. وإن خطر

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 101 .
[2] هو حديث قدسي ، أنظر: أحمد بن حنبل: المسند ، ج 4 ص: 186 ، رقم: 18696 .

ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ، ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية ،أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل .وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه و سلم إذ قال: " احتج آدم موسى -عليهما الصلاة والسلام- عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما . قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال:نعم ،قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة .قال صلى الله عليه و سلم: "فحج آدم موسى".فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فإن كان عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع ،والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق. ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ،ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقا ،وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا ،والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلى وترك فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته. فلست أقول: مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع ،بل إذا كُشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله. فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب، وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له ،فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا، وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا. فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة))[1].

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 230- 231 .

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه خلط وتضليل وتحريف للشرع، بل هو هدم للشرع والعقل والعلم قاله انتصارا للجبر الصوفي الموصل إلى وحدة الوجود. لأنه أولا إن قوله : ((فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف، قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى: "هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي")). فهو كلام فيه حق وباطل، وموجه لغاية في نفس الغزالي. نعم إن الله تعالى يفعل ما يشاء ويختار لكن الأمر ليس كما عرضه الرجل ، والذي يعرف الله حق معرفته لا يقول قوله ، لأن معرفة الغزالي المزعومة هي معرفة الدين الصوفي لا معرفة دين الإسلام، وقوله مأخوذ من عقيدة وحدة الوجود القائمة على وحدة الفاعل لا على تعدده. ولهذا فإن الله تعالى كما وصف نفسه بأنه يفعل ما يشاء وفعال لما يريد، فإنه سبحانه أخبرنا أنه حكيم وعادل ولا يظلم أحدا، وأن أفعاله ليست خبطة عشواء، ولا هي من الظلم ولا من العبث، وإنما هي بمقدار، ولا تخرج عن العدل، أو الإحسان، أو الحكمة فلا تخرج أفعاله عن ذلك . وإلا ما كان حكيما ولا رحيما ولا عادلا، وبما أنه سبحانه وصف نفسه بذلك فيستحيل أن يُوجد في أفعاله ما ليس من الحكمة، أو العدل، أو الإحسان، فلا ظلم ولا عبثية ولا عشوائية في أفعاله سبحانه. ولذلك فهو عندما يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف ، لا يعني أنه يظلم ويعبث ، وينتقم بغير حق، ويعطي بلا حكمة،ويمنع من يستحق، ويعطي من لا يستحق، نعم يستطيع أن يفعل ذلك، لكن لا يفعله لأنه حكيم وعادل ولا يظلم أحدا. وإنما يعني أنه يفعل ذلك وهو يعلم أنه أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة ، والعدل والإحسان، ولهذا فهو لا يُبالي ، ويحكم بما يريد ولا يخاف أن تصدر أفعاله بغير حكمة وعدل وإحسان . فلا عبث ،ولا عشوائية ،ولا ظلم في أفعاله سبحانه وتعالى .

وأما استشهاده بالملائكة وإبليس بقوله: " قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة " فلا يصح، لأن ذلك لا يخرج عن حكمته وعدله وإحسانه وفضله أيضا. فهو سبحانه شاء واختار بحكمته وإحسانه وفضله أن يجعل الملائكة مُسخرين خيّرين غير مُكلفين ولا يحق لأحد ان يعترض عليه في ذلك، فهو سبحانه حكيم وعادل ومُحسن ، ولا ظُلم في أفعاله ،ولا أحد في مرتبته لكي يعترض عليه ويسأله عن أفعاله، قال سبحانه: ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)(الأنبياء : 23) .

وأما إبليس فهو من الجن ، فهم كالإنس خلقهم الله تعالى بحكمته وعدله وإحسانه وجعلهم مُكلفين مُختارين لهم القدرة على الطاعة والمعصية ، فمن أطاعه فقد فاز، ومن عصاه فقد خسر. ولهذا فإن إبليس كان مُكلفا مختارا أمره الله تعالى بالسجود لآدم فعصى وتكبر وأنكر الجميل والنعيم الذي كان فيه باختياره عن قصد وسبق إصرار. فعاقبه الله تعالى. ولهذا لا تصح المقارنة بين الملائكة وإبليس ، ولا اتخاذها ذريعة للتشويش ونفي العدل والحكمة والإحسان وإدخال كل ذلك في المشيئة، ونسبة الظلم لله تعالى ، وتبرئة الإنسان منه.

وثانيا إن قوله : " وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع ...". فهو قول باطل قطعا وإنكار صريح لما نص عليه الشرع، واتهام لله تعالى بأنه أجبر العصاة على عصيانهم وأجبر الطائعين على طاعتهم. وهذا باطل دون شك. لأن الله تعالى خلق الإنسان وجعله مختارا حرا مُكلفا ، وله القدرة على اختيار الطريق الذي يريد، ولهذا فهو الذي يصنع واقعه ومستقبله بأفعاله في حدود حريته وقدرته. قال سبحانه: ((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)(الليل:5 - 10)). ولا يصح الاحتجاج بالقضاء والقدر لأنه علم مُسبق ولا يعني الجبر في حدود حرية الإنسان وقدرته. ولهذا فسبق العلم لا يعني الجبر ، وإنما هو علم مُسبق لما سيحدث في الدنيا، فهو من كمال علم الله وليس من القهر. فالله سبحانه وتعالى سجل للعباد أفعالهم التي فعلوها هم بإرادتهم ولم يجبرهم عليها أبدا. وهذا العلم من كمال الألوهية وليس جبرا ولا قهرا في شيء. فالله تعالى لم يُجبر أحدا على الطاعة ولا على المعصية، وإنما زود الإنسان بالقدرة على العمل والاختيار في مجاله المحدد له ، وأعطاه أن يختار ما يريد ، فسجل لكل إنسان ما أراده واختاره ولم يُجبره عليه كما زعم الغزالي. فهذا هو الأصل والمنطلق، ولا يتناقض مع الشرع ولا مع العقل ، وإنما قول الغزالي هو المخالف للشرع والعقل و العلم ، لكنه موافق لقوله بوحدة الوجود ، فقد سبق أن ذكرنا أقواله في قوله بوحدة الفاعل ثم وحدة الموجود . فهو قد نفى أن تكون للكائنات ذوات وأفعال مستقلة قائمة بها ، وجعلها إضافات وامتدادات لله ، فالكائنات حسب زعمه هي الله ، والله هو الكائنات. فالرجل لم يقرر حكم الشرع ولا العقل ولا الواقع مع تظاهره بذلك ، وإنما قرر حكم وحدة الوجود مُتسترا

بالإسلام عندما استشهد بالحديثين السابقين. وبما أنه سبق أن بينا بطلان قوله بوحدة الوجود فقوله السابق غير صحيح بدليل الوحي والعقل والعلم.

وأما استشهاده على صحة موقفه بحديث ((احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى فقال: ..... قال : فحج آدم موسى)) فالحديث لا يصح إسنادا ولا متنا، فأما إسنادا فقد عثرتُ له على 19 طريقا ، أولها: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو كامل ثنا إبراهيم ثنا بن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم-: احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال له موسى أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم وأنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وبرسالته تلومني على أمر قدر على قبل ان أخلق قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم-: فحج آدم موسى فحج آدم موسى))[1].

إسناده لا يصح لأن من رجاله: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني (108- 185 هـ) ، قيل فيه : ثقة، صدوق، حجة، ربما أخطأ في الحديث، تكلم فيه يحيى بن سعيد فأشار إلى أنه ليّن الحديث، وتركه وكيع، ثم حدث عنه[2]. وذكره ابن عدي في الضعفاء، وأشار إلى أن له مراسيل، وانفرد بأحاديث[3] . علما بأن الشيعة الإمامية جعلوه أيضا من رجالهم ، ومن أصحاب بعض أئمتهم ، فترجم له بعضهم بقوله : ((أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي، الزهري، العوفي، المدني. من محدثي وفقهاء الإمامية الممدوحين، وكان متكلما، حافظا، قاضيا، ويعده العامة من ثقاتهم ...))[4]. فالرجل ضعيف ولم يثبت توثيقه .

ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري(نحو:52- 124هـ) : ثقة، متقن، مُدلس، كثير الإرسال، إرساله كالريح، حدث عن أقوام ولم يسمع منهم[5]. وهو هنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من طريقه.

[1] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 264 ، رقم: 7578 .
[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 81 ، ج 15 ص: 315 و مابعدها . و ابن حجر: تهذيب التهذيب ،ج 12 ص: 78، رقم: 216، و ما بعدها. و ابن سعد : الطبقات، ج 6 ص: 178 .
[3] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج 1 ص: 97 و ما بعدها ، رقم: 77 .
[4] عبد الحسين الشبستري : أصحاب الإمام الصادق، ج 1 ص: 39 ، رقم:41 . و أبو جعفر الطوسي: رجال الطوسي ، ج 1 ص: 249، رقم: 1726 .
[5] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 8 ص: 332 . و أبو زرعة العراقي: كتاب المدلسين، ط1، دار الوفاء، 195، ص: 89 و ما بعدها .

وحميد بن عبد الرحمن بن عوف : (ت 105هـ) : أرسل عن بعض الصحابة كأبي بكر الصديق[1]- فهو قد روى عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم ، وبما أنه كذلك وهنا لم يصرّح بالسماع وإنما عنعن ،فالإسناد لا يثبت من جهته لأنه يُحتمل أنه لم يسمع منه ويقوي ذلك أن متن الحديث فيه ما يُنكر .

والطريق الثاني: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري حدثني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: ...))[2].

إسناده غير صحيح ، لأن من رواته : شعيب بن أبي حمزة أبو بشر الحمصي (ت 162 هـ أو بعدها) : ثقة ، لكنه عنعن ، مع أنه عاش في زمن التفريق بين العنعنة والسماع معمول به و مطلوب. ولم أعثر له على موقف خاص به يتعلق بالعنعنة. وله أحاديث كثيرة صرّح فيها بالسماع وأخرى لم يُصرح فيها بذلك ، مما يعني أنه كان يُفرّق بينهما[3]. ، ولهذا يحتمل أنه مرسل لأنه لم يصرح بالسماع ، وعليه فإن الإسناد لم يثبت اتصاله من جهته.

وحميد بن عبد الرحمن بن عوف : (ت 105هـ) : ثقة، أرسل عن بعض الصحابة كأبي بكر الصديق[4]، فهو قد روى عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم ، وبما أنه كذلك وهنا لم يصرّح بالسماع ، وإنما إسناده مُؤنن ،فالإسناد لا يصح من جهته لأنه يُحتمل أنه لم يسمع منه ويقوي ذلك أن متن الحديث فيه ما يُنكر. علما بأن من يحدث عمن لم يسمع فهو إما أنه أسقط الراوي الذي بينهما ، أو انه اختلق الخبر ، ومن يفعل هذا فلا مانع من أن يُحدث الثقة عمن سمع بما لم يسمع منه ولا يصرح بالسماع ، وهنا يكون مدلسا، والتدليس يتقاطع مع الإرسال.

والطريق الثالث: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أيوب بن النجار ثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: ...))[5].

إسناده لا يصح، لأن من رجاله: أيوب بن النجار بن زياد الحنفي اليمامي : ثقة، صالح، ضعيف[1]. ويحيى بن أبي كثير الطائي أبو نصر اليمامي(ت

---

[1] ابن حجر: تقريب التهذيب، ج 1 ص: 143 . وأبو سعيد العلائي: جامع التحصيل، عالم الكتب، بيروت، ص: 168 .
[2] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 264 ، رقم: 7579 .
[3] أنظر مثلا: البخاري: الصحيح، ج 6 ص: 86، ج 8 ص: 66 ،
[4] ابن حجر: تقريب التهذيب، ج 1 ص: 143 . وأبو سعيد العلائي: جامع التحصيل، عالم الكتب، بيروت، ص: 168 .
[5] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 287 ، رقم: 7843 .

132هـ أو قبلها) : ثقة، ثبت ، يرسل، يُدلس[2]. وهنا قد عنعن ، فلا يصح الإسناد من جهته.

وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عوف الزهري المدني (مولده سنة بضع وعشرين، وتوفي 94 أو 104هـ هـ): ثقة ، أرسل عن كثير من الصحابة[3]. وهنا لم يصرح بالسماع فالحديث يحتمل أنه لم يسمعه منه بحكم أنه حدث عمن لم يسمع ، لذا فالإسناد لم يثبت اتصاله من طريقه، فيُحتمل أنه لم يسمعه منه، ويقوي ذلك أن المتن فيه ما يُنكر.

والطريق الرابع: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسين ثنا جرير عن محمد عن أبي هريرة قال: ...))[4].

إسناده لا يصح ، لأن من رجاله: جرير: جرير بن حازم بن زيد الأزدي أبو النضر: (ت 170 هـ): ثقة، في حديثه ضعف عن قتادة، له أوهام إذا حدث من حفظه[5].

ومحمد بن إسحاق بن يسار: محمد بن إسحاق بن يسار المدني (ت 150هـ)، قيل فيه: ثقة، ليس بحجة، صدوق، دجال، مُتهم بالكذب ، مُدلس ، رُمي بالتشيع ، وكان يُدلس إذا لم يُصرّح بالسماع، لا يُبالي عمن يروي. كان يتصرف في الأخبار التي يرويها بالزيادة والنقصان. وقال فيه أحمد بن جنبل: ((" هو كثير التدليس جدًا ")) فقيل له: ((فإذا قال: حدثني وأخبرني، فهو ثقة، قال: هو يقول: أخبرني فيخالف)) . وقال فيه أيضا : ((كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه)). وقيل لأحمد أيضا : ((حدث ابن إسحاق، حدثنا نافع، عن ابن عمر ؟ يزكى عن العبد النصراني، فقال: هذا أشر على ابن إسحاق)). وذُكر عنده محمد بن إسحاق فقال : ((أما في المغازي وأشباهه فيكتب، وأما في الحلال والحرام فيحتاج إلى مثل هذا، ومد يده وضم أصابعه))[6]. وقد عده الشيعة من رجالهم[7] .

---

[1] أبو الوليد الباجي: التعديل والتجريح، ج 1 ص: 350 .

[2] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 3 ص: 89 .

[3] ابن حجر: تهذيب التهذيب، رقم: 536 ، ج 11 ص: 73 .

[4] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 392 ، رقم: 9084 .

[5] ابن حجر: تقريب التهذيب، ج 1 ص: 156 .

[6] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 51 ، ج8 ص: 28 و ما بعدها. و الذهبي: المغني في الضعفاء، رقم: 5275 ، ج 2 ص: 552.و أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم: 2275، ج 3 ص: 211 .

[7] أبو جعفر الطوسي: رجال الطوسي ، رقم: 3998 ، ج 1 ص: 462 . و ابن داود الحلي: رجال ابن داود، رقم: 1312 ، ص: 234 .

واضح من أحواله أن الرجل لم يكن صافيا، إنما كان مخلطا جامعا بين الصدق والكذب . وربما كان يمارس التقية، أو كان مستهترا. والله تعالى أعلم بحقيقة بحاله ، و من هذا حاله فهو ضعيف سواء صرّح بالسماع أو لم يُصرّح به ، خاصة إن كان متن الرواية مُنكرا، وهو هنا قد عنعن، فالإسناد لا يصح من جهته .

والطريق الخامس: ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ...))[1].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: سليمان بن مهران الأعمش (61-148 هـ) : قيل فيه : ثقة ، ثبت ، حافظ ، في حديثه اضطراب كثير، فيه تشيع، مُدلس روى عن أناس أحاديث كثيرة جدا لم يسمعها منهم، وقد دلس عن الثقات والضعفاء ،وعن المشهورين والمغمورين. وكان كثير الوهم في أحاديث الضعفاء الذين دلس عليهم[2]. وقال ابن المبارك : ((إنما أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو إسحاق. كره أحمد مراسيل الأعمش، لأنه كان لا يُبالي عمن يُحدث، ويُسقط الضعيف الذي بينه وبين الثقة[3]. وفعله هذا عمل مُتعمد ،وهو من أنواع التحريف والافتراء والتغليط !!.

وقال فيه أحد المحدثين : (("أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق وأعمشكم". قال الذهبي: " كأنه عنى الرواية عمن جاء"))[4]. وجعله ابن قتيبة من رجال الشيعة[5] ،وعده الجوزجاني من بين محدثي شيعة الكوفة الذين لم يحمد الناس مذاهبهم ، لكنهم حملوهم لصدق ألسنتهم[6] . وعده الشهرستاني من بين رجال الشيعة أيضا[7]. وقال يزيد بن زريع عن سليمان الأعمش : ((وكان والله خربيا سبئيا ، والله لولا أن شعبة حدث عنه ما رويت عنه حديثا أبدا))[8] . وهذا كلام خطير جدا، و شهادة دامغة منه ضد الأعمش ، بأنه ليس بثقة ، ويجب الحذر من مروياته.

---

[1] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 398 ، رقم: 9165 .
[2] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 386 ، ج 3 ص: 150 و ما بعدها . و سبط ابن العجمي: التبيين لاسماء المدلسين ، رقم: 33 ، ص: 5 . و الذهبي : ميزان الاعتدال ، رقم: 3517، ج 4 ص: 153 .
[3] ابن قيم الجوزية: تهذيب سنن أبي داود و إيضاح مشكلاته، ج 1 ص: 9. و ابن عبد البر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، ج 1 ص: 32. و العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ج 1 ص: 32.
[4] الذهبي: المغني في الضعفاء، رقم : 2628، ص: 135 .
[5] المعارف ، ص: 139 .
[6] أبو إسحاق الجوزجاني: أحوال الرجال ، ص: 10 . ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 47 .
[7] الشهرستاني : الملل و النحل ، حققه سيد كيلاني، دار المعرفبيروت ، 1404 - ج 1 ص: 172 .
[8] أحمد بن حنبل : العلل و معرفة الرجال ، ط1 ، المكتب الإسلامي ، دار الخاني ، بيروت ، الياض، 1408، 1988 ، رقم: 2517، ج ص: 342 .

ومن مظاهر تلاعبه بالروايات ممارستة للتحريف والتقية ، قال يحيى بن سَعِيد : ((كتبتُ عن الأعمش أحاديث عن مجاهد كلها ملزقة لم يسمعها))[1].ومن مظاهر ممارسته للدس والتقية التظاهر بالاعتراف والتوبة:َقَال عَبد الله بن نمير : سمعت الأعمش يقول : حدثت بأحاديث على التعجب ، فبلغني أن قوما اتخذوها دينا ، لا عدت لشيء منها))[2].

وأقول : الرجل يفتري ويُضلل ويُحرف عن تعمد وسبق إصرار وترصد ، ثم عندما ينكشف أمره يُظهر الاعتراف والتوبة !! ، فلماذا لم يذكر منذ البداية بأنها للتعجب ؟؟، ولماذا سكت عنها في البداية ؟؟، ولماذا يرويها أصلا، فهل أصبح الحديث عنده للتفكه ؟؟!! . فقد كان يجب عليه أن يذكر ذلك للناس ، لأنه لا يصح رواية الأحاديث الضعيفة ثم السكوت عن حالها. فهو الذي قال بأنها أحاديث، فاتخذها الناس كذلك بحسن ظنهم فيه ، ثم يُحملهم المسؤولية بعدما انكشف أمره !!!. فهذا تلاعب وتخليط وتدليس وتضليل، وافتراء مُتعمد على الناس، ومظهر من مظاهر ممارسته التقية !!.

ومن مظاهر عدم صدقه أنه لم يكتف بالإسقاط العمدي للضعفاء، والتحديث عمن لم يسمع منهم بالعنعنة ، وإنما بلغ به الأمر إلى التحديث بالسماع عمن لم يسمع منه. من ذلك أنه حدث عن مالك بن أنس بالعنعنة ولم يسمع منه[3].لكنه حدث عنه أيضا بالسماع ، فقد أورد له الخطيب البغدادي رواية تقول: ((قال الآبار حدثنا جعفر بن محمد بن عمران التغلبي حدثنا أبو يحيى الحماني عن الأعمش قال سمعت أنسا يقول: إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة وأقوم قيلا فقال: اقوم وأصوب واحد))[4]. وقد أفرد الخطيب البغدادي ترجمة مطولة للأعمش ، وذكر أخبارا دلت على أن سماعه من أنس بن مالك لم يثبت ، وإنما رآه فقط[5]. فإذا صح ذلك عنه يكون الرجل قد تعمد الكذب والتحريف والتحريف و التضليل !!.

---

[1] ابن أبي حاتم: الجح و لتعديل ، ح 1 ص: 443 .

[2] أحمد بن حنبل : العلل و معرفة الرجال ، ج 1 ص: 121.

[3] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 189.

[4] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 9 ص: 4 . و هذه الرواية سنعود إلى مناقشتها و تحقيقها إسنادا و متنا لاحقا .

[5] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج 9 ص: 4 .

ومن مظاهر تلاعبه وممارسته للتقية أنه من الرواة الذين رووا القراءات الصحيحة المتواترة التي كان المسلمون يقرؤون بها من جهة، وأنه أحد أئمة قراء القراءات الشاذة من جهة أخرى[1]. فالرجل كما كان ثقة وضعيفا في الحديث، كان ثقة وضعيفا في القراءات .. فماذا يعنى هذا ؟ ولماذا كان كذلك ؟ . ومن أين له بتلك القراءات الشاذة ؟؟. وهل رجل هذا حاله يُوثق فيه ويُعتمد عليه وتُتخذ أقواله دينا ؟؟!!.

وهو عند الشيعة من أصحاب إمامهم جعفر الصادق، ومن ثقات محدثي الإمامية[2]. ومروياته عن أئمتهم في كتبهم الإمامية ، منها : ((عن سليمان بن مهران، قال: قلت لجعفر بن محمد عليهما السلام : هل يجوز أن نقول: إن الله عزوجل في مكان ؟ ...)). ومنها ((عن سليمان بن مهران، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : (والأرض جميعا قبضته يوم القيمة) فقال:...))[3] . ومنها ((حدثنا أبو معاوية[4] ،عن سليمان بن مهران، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: عشر خصال من صفات الامام: العصمة، والنصوص، وأن يكون أعلم الناس وأتقاهم لله وأعلمهم بكتاب الله، وأن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز والدليل، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يكون له فيء، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه))[5]. ومنها ((حدثنا أبو معاوية، عن عن سليمان بن مهران، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: لما حضرت رسول الله -صلى الله عليه وآله- الوفاة دعاني فلما دخلت عليه قال لي: يا علي أنت وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي، في حياتي وبعد موتي، وليك وليي ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، يا علي المنكر لولايتك بعدي كالمنكر لرسالتي في حياتي لانك مني وأنا منك، ثم أدناني فأسر إلي ألف باب من العلم، كل باب يفتح ألف باب. خلق الله عز وجل ألف ألف عالم وألف ألف آدم))[6].

---

[1] السيد أحمد بن عبد الرحيم: أسانيد القراء العشرة، ص: 40 .

[2] عبد الحسين الشبستري : أصحاب الإمام جعفر الصادق ، رقم: 1531 ، ج 3 ص: 93 . و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، ج 1 ص: 363 .

[3] ابن بابويه القمي: كتاب التوحيد ، منشورات جماعة المدرسين، قم ، إيران ، ص:291، 325 .

[4] تذكر معاوية ، هذا فقد كنا أشرنا إلى أنه شيعي ، و سنذكر بعض مروياته في كتب الإمامية، و هي كثيرة ، ذكرنا منها هنا مثالين عنه و عن الأعمش .

[5] بن بابويه القمي: كتاب الخصال ، منشوات جماعة المدرسين، قم ، إيران ، ج 2 ص: 284 .

[6] بن بابويه القمي: كتاب الخصال ، منشوات جماعة المدرسين، قم ، إيران ، ج 3 ص: 224 . وأُشير هنا إلى أن كل ما يرويه الشيعة من أحاديث وأخبار عن وصية النبي لعلي بالخلافة فهي مكذوبة وباطلة قطعا لأن موضوع الإمامة-الخلافة- حسمها القرآن حسما عندما أكد على أنها شورى بين المسلمين. وطبق ذلك النبي-عليه الصلاة والسلام- عندما توفي ولم يُوص لأحد. ولهذا اختلف الصحابة فيما بينهم حول من يتولى منهم الخلافة ، ولم يختلفوا في: هل الخلافة شورى أم هي لعلي أو لغيره من الصحابة.

وأُشير هنا أيضا إلى أن الأعمش كان من الرواة الذين يتعمدون إسقاط الراوي الضعيف الذي بينه وبين الثقة ، ومن يفعل هذا فهو مُضلل ومُفترٍ يتعمد الافتراء على الله ورسوله والمسلمين . ولا ينفعه استخدام العنعنة ، فهي تضلل السامع فقط وتجعل قوله يحتمل السماع من عدمه، لكنها في الحقيقة كذب مُتعمد ، وهو يعلم بأنها كذب، ومن ثم فإن ذلك الاحتمال لا ينفي عنها حقيقة أمرها بأنها كذب. وعليه فإن المُدلس الذي يفعل ذلك كالأعمش، فإنه عندما يُصرّح بالسماع -سواء كان ضعيفا أو موثقا عند الناس- ، فإن هذا السماع لا يُقبل منه حتى وإن كان ثقة عندهم، وإنما يجب التأكد من أمره في كل خبر يرويه ، ولا يُقبل منه لمجرد أنه ثقة عند الناس. لأنه قد يُمارس في السماع ما مارسه في التدليس . فكما سمح لنفسه بالكذب في التدليس، فهو أيضا قد يُمارسه عندما يُصرح بالسماع من الثقات، فيروي عنهم ما لم يسمعه منهم . لأنه في هذه الحالة يكون أكثر أمانا من أن ينكشف أمره . فبما أنه سمع منه والناس يعلمون ذلك، فلا مانع عنده من أن يروي عنه بالسماع ما لم يسمع منه، لأن الكذاب هو الكذاب . فكما كذب في التدليس بالعنعنة، فهو قد يكذب أيضا في التحديث بالسماع.ولا يصح أن يُقال:إنه كان كذابا في التدليس، ولم يكن كذابا في التحديث بالسماع !!!.

وخلاصة قولنا في هذا الرجل أنه لا يُمكن أن يكون الأعمش ثقة عند الفريقين(السنة والشيعة) ومن كبار علمائهم ، إلا إذا أنه كان يُمارس التقية ، وما يترتب عنها من تحريفات وتلاعبات ، وتغليطات وتدليسات .وبها أخفى حاله عن كثير من علماء أهل السنة . فالرجل كان متعدد الخطاب الأدوار والخدمات ، أفسد بها كثيرا من مرويات الحديث والقراءات والتاريخ . فقد كان من رواة القراءات الصحيحة من جهة ، و من أئمة رواة القراءات الشاذة من جهة أخرى. وهو من كبار رواة الأحاديث الصحيحة من ناحية، ومن كبار رواة الأحاديث الضعيفة والمكذوبة ومن مفسدي أحاديث الكوفة من ناحية أخرى . وهذا كله نتيجة لتشيعه الإمامي وممارسته للتقية.

ولا شك أن من يكون ذلك حاله ، فهو دليل دامغ على أنه مارس ذلك عن تعمد وسبق إصرار وترصد لغايات في نفسه . لأن الذي يُخطئ قد يُخطئ في بعض الروايات الرواة خاصة المغمورين منهم. لكن هذا الرجل دلس

علـى الأعيـان والمشـهورين مـن بعـض الصـحابة كـأنس بـن مالـك، وكبـار التـابعين كالحسـن البصـري مـثلا[1]. ممـا يعنـي أن فعـل الـذي فعـل عـن تعمـد وتخطيط مُسبق لتحقيق غايات في نفسه.

وعليه فإن هذا الرجل- الأعمش- لم يكـن فـي المسـتوى المطلـوب عدالـة ولا ضبطا . وبما أن كذلك ، وهو في هذه الرواية قد عنعن ،فـإن رواياتـه لا تُقبـل سـواء صـرّح فيهـا بالسـماع أم لـم يُصـرح بـه ، لأنـه قامـت الأدلـة الدامغة على عدم ثبوت توثيقه ، بـل وعلـى عـدم صـدقه، فمروياتـه لا تُقبـل إذا انفرد بها. ومع أن حاله كذلك فهو هنا عنعن أيضا وهو مدلس .

وأمـا الأخيـر: مـولى أم هـاني بـاذام – مـن الطبقـة الثالثـة- ، فهـو ضـعيف ويرسل[2].

والطريق السادس: ((حـدثنا عبـد الله حـدثني أبـي ثنـا يزيـد قـال أنـا بـن عون عن محمد عن أبي هريرة قال: ...))[3].

إسناده لا يصح لأن من رجالـه: عبـد الله بـن عـون بـن أرطبـان البصـري أبو عون(ت 150هـ عن 87 سنة) : ثقة ثبت[4]، حدث عن بعض الـرواة مـا لم يسمعه منهم ، وأرسل عن بعضهم[5]. و بما أن ذلك حاله، وهنا قد عنعن، عنعن، فيُحتمل أنه لم يسمع عمن روى عنه ، فالإسناد لم يثبت اتصاله بينـه وبين ابن سيرين.

ومحمـد بـن سـيرين (ت110 هــ عـن 77 سـنة) : ثقـة ثبـت[6] ، كثيـر الإرسال، حدث عن أقوام لم يدركهم، وآخرين لم يسمع منـهم، فـأرسل عـن ابن عباس، وابن عمر، وعائشة وغيرهم[7] . وهنا قد عنعن، فيُحتمـل أنـه لـم يسمع منه هذا الحديث، لأنه لم يصرح بالسماع منه، مع أنه كـان يُصـرّح بـه في روايات أخرى[8]، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته.

[1] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 386 ، ج 3 ص: 150 و ما بعدها . و سبط ابن العجمي: التبيين لاسماء المدلسين ، رقم: 33 ، ص: 5 . و الذهبي : ميزان الاعتدال ، رقم: 3517، ج 4 ص: 153 .

[2] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 1 ص: 119 .

[3] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 448 ، رقم: 9791 .

[4] ابن حجر: التقريب ، ج 1 ض: 520.

[5] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 215، رقم: 389. و ابن أبي شيبة : المصنف، ج 4 ص: 319. و ابن أبي حاتم : تفسير ابن أبي حاتم، ج 2 ص: 64.

[6] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 2 ص: 85 .

[7] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 264.

[8] أنظر مثلا: البخاري: الصحيح، ج 1 ص: 80 ، رقم: 351 ، وج 6 ص: 187 ، رقم: 5007 .

والطريق السابع : ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد عن عمار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ...))[1].

إسناده لا يصح، لأن من رجاله: حماد بن سلمة بن دينار السلمي أبو سلمة (ت 167 هـ عن نحو 80 سنة)، قيل فيه : ثقة له أوهام[2] ،عابد، أمين، فيه غفلة، له أوهام وغرائب، وغيره أثبت منه[3].. روى عن الزبير أبي عبد السلام مراسيل[4] وكان كثير الخطأ[5]. وذكر أحمد بن حنبل أن حمادا أسند عن أيوب السختياني أحاديث لم يسندها الناس عنه[6]. وقال ابن حجر: ((حماد بن سلمة بن دينار البصري أحد الأئمة الأثبات إلا أنه ساء حفظه في الآخر. استشهد به البخاري تعليقا ولم يخرج له احتجاجا، ولا مقرونا ،ولا متابعة إلا في موضع واحد قال فيه: قال لنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة فذكره .وهو في كتاب الرقاق وهذه الصيغة يستعملها البخاري في الأحاديث الموقوفة وفي المرفوعة أيضا إذا كان في إسنادها من لا يحتج به عنده))[7]. وبناء على هذا فإن حمادا ضعيف عند البخاري. البخاري. ويزيد ذلك ضعفا أنه هنا قد عنعن .

وعمار بن أبي عمار(ت بعد 120هـ):، ثقة ، صدوق ، ربما أخطأ، لا بأس به، تكلم فيه شعبة،كان يُخطئ[8]. وبناءً على ضعفه،وهنا قد عنعن فالإسناد لا يثبت اتصاله من جهته .

والطريق الثامن: - ((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عفان قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن عن رجل قال حماد أظنه جندب بن عبد الله البجلي عن النبي - صلى الله عليه و سلم- قال: ...))[9].
إسناده لا يصح لأن من رجاله: حماد بن سلمة بن دينار السلمي أبو سلمة (ت 167 هـ عن نحو 80 سنة)، ضعيف بما ذكرناه عنه في الطريق السابق .

---

[1] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 464 ، رقم: 9990 .
[2] الذهبي: ميزان الاعتدال ، رقم: 2251، ج 1 ص: 394 .
[3] المزي: تهذيب الكمال ، رقم: 14 ، ج 2 ص: 8 . و الذهبي: المغني في الضعفاء، رقم: 1711 ، ص: 185 .
[4] البخاري: التاريخ الكبير ، رقم: 1372 ج 3 ص: 125 .
[5] ابن عدي: الكامل ، في الضعفاء، رقم: 431 ، ج 2 ص:، 270 ، 275 ، و ما بعدها .
[6] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد، رقم: 615 ، ج 1 ص: ، 270، 271 .
[7] أبن حجر: مقدمة فتح الباري ، ج 2 ص: 286.
[8] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 2 ص: 205 . وتهذيب التهذيب، ج6 ص: 292 .
[9] أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ج 2 ص: 464 ، رقم: 9991 .

وحميد بن أبي حميد الطويل البصري أبو عبيدة (ت 143 هـ) : ثقة ، يدلس ، صدوق ، في حديثه شيء[1]. وهنا قد عنعن ، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته .

والحسن بن أَبي الحسن البَصْرِيّ (ت 110هـ قارب 90 سنة) : ثقة ، يرسل كثيرا ويدلس ، روى عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا ،يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة[2].وبما أنه كذلك، وهنا قد قد عنعن ، فالإسناد غير متصل من جهته .

والطريق التاسع : قال ابن ماجة ((حدثنا هشام بن عمار ويعقوب بن حميد بن كاسب قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار سمع طاوسا يقول سمعت أبا هريرة يخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ...))[3].

إسناده لا يصح لأن من رواته : هشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي الخطيب المقرئ(153- 245هـ): صدوق، ثقة، يقرأ من كتابه، فلما كبر تغير حاله فأصبح كلما لُقن تلقن ، ثم يُحدث بها .حدث ب :400 حديث مسندة ليس لها أصل ، طياش خفيف ، كان يبيع الحديث، لا يُحدث دون مال ،قليل الاتقان لحديثه[4]. قال الذهبي: ((هشام عظيم القدر، بعيد الصيت، وغيره أتقن منه وأعدل))[5]. ذكره ابن قتيبة من بين رجال الشيعة[6].

ويعقوب بن حميد بن كاسب المدني: (ت 241هـ)، قيل فيه: صدوق، ضعيف، ليس بثقة[7].

وسفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي (107- 198 هـ) : ثقة، ثبت ، حجة[8]. كان يُدلس كثيرا ، لهذا كان الذين يسمعون منه يُكثرون من التأكد مما يرويه، فيسألونه : هل سمعته من فلان !، حتى أن أحمد ابن حنبل قال: ((ما كان أشد على ابن عيينة أن يقول: حدثنا)).وكان كثير الغلط في

---

[1] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 2 ص: 25، 26 .
[2] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 1 ص: 200 . وتهذيب التهذيب، ج6 ص: 292 .
[3] ابن ماجة: السنن ، دار الفكر، بيروت، ج 1 ص: 30 ، رقم: 80 .
[4] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 10 ص: 34 و ما بعدها.
[5] سير أعلام النبلاء، ج 22 ص: 6 .
[6] المعارف، ص: 139.
[7] ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج 5 ص: 207، رقم: 861 .
[8] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 205 ، ج 3 ص: 78 .

حديث الكوفيين[1]. وقال سبط ابن العجمي في تدليسات ابن عيينة : ((لكنه لم يدلس إلا عن ثقة كثقته . وحكى بن عبد البر عن أئمة الحديث أنهم قالوا: يقبل تدليس بن عيينة ،لأنه إذا وقف أحال على ابن جريج ومعمر ونظائرهما .وهذا ما رجحه بن حبان وقال: هذا شيء ليس في الدنيا إلا لابن عيينة فإنه كان يدلس ولا يدلس الا عن ثقة متقن ولا يكاد يوجد لابن عيينة خبر دلس فيه إلا وقد بين سماعه عن ثقة مثل ثقته))[2] .

وفي كتاب المدلسين لأبي زرعة عن سفيان بن عيينة ((مشهور بالتدليس أيضاً. قلت: لكن اتفقوا مع ذلك على قبول عنعنته كما حكاه غير واحد))[3] . و((نَسبه ابن عدي الي شيء من التشيع فقال في ترجمة عبد الرزاق: ذكر ابن عيينة حديثا فقيل له: هل فيه ذكر عثمان قال: نعم ،ولكني سكتُ لأني غلام كوفي)) [4] . إن ثبُت ذلك عنه فهو تصرف هذا لا لا يصح ومرفوض شرعا وعقلا وعلما، لأنه تعمد في إخفاء للحقيقة، وكتمان لها ، ويندرج ضمن التحريف والتغليط والتدليس . فكما فعل هذا يُمكن أن يفعل أمرا آخر بدعوى أنه غلام كوفي، بمعنى أنه شيعي. وقال الذهبي: ((كان مدلسا لكن على الثقات))[5].

فهل صحيح أن سفيان بن عيينة لم يكن يُدلس إلا عن ثقة ؟؟!!، إن هذا لم يثبت، وخلافه هو الصحيح. بمعنى أنه دلّس عن الثقات والضعفاء من دون استثناء. فمن تدليساته عن غير الثقات ما ذكره الدارقطني : ((لم يسمع حديث علي في ((أبي بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة)) من فراس ، إنما أخذه عن الحسن بن عمارة))[6]. والحسن بن عمارة الكوفي(153هـ)، ضعيف ، متروك ، وكان ابن عيينة يُضعفه[7]، فهو هنا قد دلس ليس عن ثقة، وإنما عن ضعيف ، ولهذا هو أسقطه من الإسناد عن قصد وترصد.

ومن تدليساته أيضا أنه أسقط العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي المدني (ت نحو: 132هـ) من بعض روايته تدليسا، و قد اعترف بذلك عندما سأله بعض الرواة وألح عليه . وهذا الراوي ليس بالقوي ،و معدود

[1] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، ج 2 ص: 55 و ما بعده ، 62 ، 64 .
[2] سبط ابن العجمي: التبيين لأسماء المدلسين، ص: 4 ، رقم: 29 .
[3] أبو زرعة العراقي: كتاب المدلسين، ص: 53 ، رقم: 22 .
[4] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 205 ، ج 3 ص: 78 .
[5] الذهبي : تذكرة لحفاظ، رقم : 249، ج 1 ص: 193 .
[6] الداقطني : موسوعة أقوال الداقطني، جمع أبو المعاطي النوري، ص: 111 .
[7] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج 2 ص: 310 ، رقم: 445.

في الضعفاء[1]. وهو قد عنعن عن ابن جريج أحاديث، عنعنها هو أيضا[2] . فمدلس دلس عن مدلس، فكيف يكون تدليس ابن عيينة صحيحا ؟؟. مع أن ابن جريج كان كثير التدليس والإرسال،قال يحيى بن سعيد: ((كان بن جريج صدوقا ، فإذا قال: حدثني فهو سماع ، وإذا قال: أخبرنا ، أو أخبرني فهو قراءة ، وإذا قال: قال ، فهو شبه الريح)) . وقال الدارقطني : ((تجنب تدليس بن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح)) .وعن أحمد بن حنبل:((إذا قال ابن جُرَيْج"قال فلان""وَقَال فلان" "وأخبرت"جاء بمناكير، وإذا قال : أخبرني"وسمعت"فحسبك به . و إذا قال ابن جُرَيْج"قال"فاحذره ، وإذا قال : سمعت"أو"سألت"جاء بشيءٍ ليس في النفس منه نشئ)) [3]. وقال عبد الله بن أحمد: ((قال أبي: بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها، يعني قوله: أخبرت، وحدثت عن فلان)) .وقال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: ابن جريج أشر الناس في عطاء)). وقال أحمد أيضاٌ: ((كل شيء يقول ابن جريج: قال عطاء، أو عن عطاء فإنه لم يسمعه من عطاء))[4].

وأما فيما يتعلق بتشيعه فلم يذكر ابن فتيبة ابن عيينة من بين رجال الشيعة[5] . وذكر ابن داود الحلي الإمامي الاثنى عشري(ت 707هـ)أن كلا من سفيان الثوري وسفيان بن عيينة، ليسا من أصحابه[6]. ونفس الأمر نص نص عليه وأكده أبو منصور ابن المطهر الحلي (ت 726هـ)[7] بمعنى أنهما أنهما نفيا أن يكونا على مذهبهما الإمامي الاثنى عشري. لكن هذا لا ينفى عنهما تشيعهما السني، لأن الرجلين نفيا عنهما تشيعهما الإمامي(الرافضي ، السبئي).

والمهم أن سفيان بن عيينة سمح لنفسه أن يُحدث عن أقوام لم يسمع منهم باستخدام العنعنة. وكان يعتمد أساسا على حفظ الأحاديث، وقد خانه

[1] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج 6 ص: 239 ، رقم 1372. و أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، ج2ص: 57 ، رقم:997.
[2] أنظر مثلا: مسلم، الصحيح، ج 5 ص: 17 ، رقم: 3989 .
[3] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 758، ج 5 ص: 279 و ما بعدها . و المزي: تهذيب الكمال ، ج 18 ص: 348 .
[4] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم:1632 ، ج 2 ص: 345 و ما بعدها ، 348 .
[5] المعارف ، ص: 139 .
[6] ابن داود الحلي : رجال ابن داود ، رقم: 215، 216، ج 1 ص: 352 .
[7] أبو منصور ابن المطهر الحلي : خلاصة الأقول ، ط1 ، مؤسسة النشر الإسلامي، 1417، ج 2 ص: 96، 97 .

حفظه في مرات كثيرة ، وكان له غلط كثير في حديث الكوفيين[1]. وهو هنا قد عنعن ، فالإسناد لم يصح من طريقه .

وعمرو بن دينار المكي (ولد سنة 45 أو 46 ، وتوفي سنة 126 هـ) ، قيل فيه : ثقة ، ثبت ، يُدلس ، حدث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم ، كأبي هريرة، والبراء بن عازب، وروى عن بعضهم ما لم يسمعه منهم ، أُتهم بالتشيع ،وحسب الذهبي أنه لم يثبت ذلك في حقه[2]. وذكر الذهبي أن يحيى بن معين قال:((" أهل المدينة لا يرضون عمرا، يرمونه بالتشيع والتحامل على ابن الزبير. ولا بأس به، هو بريء مما يقولون"))[3].

وأقول: إن الحافظ الذهبي قال ذلك من دون أن يُؤيد دفاعه بأي دليل صحيح، والرواية قالت: أهل المدينة ، ولم تقل فردا أو طائفة قليلة منهم ، مما يشير إلى أن الأمر له أصل ، وإلا فلا يُعقل أن يكون لأهل المدينة رأي غالب على الأقل في موقفهم من عمرو بن دينار من دون أن يكون لموقفهم ما يُبرره ، ومن دون أن تكون عندهم أدلة تؤيد موقفهم من الرجل. فلا يصح رد موقف أهل المدينة بهذه الطريقة من دون أي دليل صحيح . إن موقفهم قوي جدا لا يقف أمامه اعتراض الذهبي أبدا، بل إنه موقف صحيح بدليل الشواهد الآتية:أولها إن إجماع أهل المدينة أو معظمهم على رمي ابن دينار بالتشيع هو بنفسه دليل قوي لا يقف أمامه من أنكر عليهم ذلك. وهم لا يكذبون عليه ، فلو لم يكن متشيعا ما رموه بذلك، وما أجمعوا عليه. والشاهد الثاني إن سبب تحامل ابن دينار على عبد الله ابن الزبير- رضي الله عنهما- هو شاهد على تشيع الرجل ،لأن الشيعة الإمامية معروف عنهم تحاملهم على ابن الزبير وطعنهم فيه ، لأنه هو الذي قضى على ثورتهم التي تزعمها المختار الثقفي الكذاب المتوفى سنة 67 هـ.فابن دينار تحامل على ابن الزبير انتصارا للشيعة الذين ينتمي إليهم، وإلا ما تعصب لهم.

والشاهد الأخير- الثالث- إن مما يُؤيد ذلك أيضا أن الشيعة الإمامية ذكروا عمرو بن دينار من بين رجالهم ، وترجموا له في كتبهم الرجالية ،

---

[1] أحمد بن حنبل : موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ، ج2 ص: 46 ، 50 .
[2] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 45 ، ج 7 ص: 20 . و العلائي: جامع التحصيل ، ص: 243 ، رقم: 563. و أبو بكر البيهقي: معرفة السنن و الآثار ، ج 7 ص: 143.
[3] الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 144 ، ج 9 ص: 363 .

وأثنوا عليه بالفضل والعلم ،ووثقه بعضهم[1]. وهذا ليس من عادتهم ولا من مذهبهم في موقفهم من علماء أهل السنة ، فإما السكوت عنهم ، أو انتقادهم، أو وصفهم بأنهم عاميون، أو من العامة . فموقفهم هذا ليس موقفا جزافيا ، وإنما له خلفية مذهبية هم يعرفونها تتعلق بالتشيع الإمامي . وعليه فيتبين من ذلك أن عمرو بن دينار كان شيعيا إماميا ، أو الراجح أنه كذلك .

وخلاصة حال الرجل أنه ضعيف، والراجح أنه شيعي إمامي كان يُمارس التقية في علاقته بأهل الحديث، فالإسناد لا يصح من طريقه .

وطاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري الجندي (ت 106هـ) : ثقة ، كان يُدلس ، من ذلك أنه روى عن ابن عباس أشياء لم يسمعها منه، وأرسل الحديث عن بعض الصحابة ولم يسمع منهم ، كمعاذ بن جبل[2]، وقال سفيان الثوري: كان طاووس يتشيع[3] . وجعله ابن قتيبة من رجال الشيعة، وألحقه بهم أيضا الشهرستاني[4] . وعده الشيعة الإمامية من رجالهم ،وأحد أصحاب بعض أئمتهم[5]. وبما أنه كذلك ومتن الحديث فيه ما ينكر فالإسناد لا يصح من جهته.

والطريق العاشر: ((حدثنا أحمد بن صالح قال ثنا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال:قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- : ...))[6].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: أحمد بن صالح المصري أبو جعفر الحافظ المعروف بابن الطبري (ت 175- 248هـ) : وثقه أكثر أهل الحديث ، فيه تيه وصلف، تكلم فيه النسائي بسوء، وأنكر عليه أحاديث ، واتهمه يحيى بن معين بالكذب ، و قيل أنه قصد غيره له نفس الاسم[7].فتوثيقه لم يثبت .

---

[1] ابن داود الحلي: رجال ابن داود ، رقم : 1120 ، ص: 205 . و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، رقم: 1523 ، ج 1 ص: 226 . علي البروجردي: طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال ، ط1 ، مكتبة المرعشي، قم ، 1410هـ ، رقم: 5044 ، ج 2 ص: 103 .

[2] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 14 ، ج 4 ص: 6 . و أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، رقم: 26 ، جص:107.

[3] الذهبي: سير أعلام ، رقم: 13 ، ج 5 ص: 44 .

[4] المعارف ، ص: 139 . الشهرستاني: الملل و النحل، ج 1 ص: 172 .

[5] محمد جعفر الطبسي : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، رقم: 54 ، ج : 1 ص: 331 و ما بعدها . و أبو جعفر الطوسي : رجال الطوسي ، رقم: 1166 ، ج 1 ص: 187 . و ابن داود الحلي: رجال ابن داود، رقم: 787 ، ص: 153 .

[6] أبو داود السجستاني: السنن ، دار الفكر ، بيروت ، ج 2 ص: 638 ، رقم: 4702 .

[7] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 68، ج 12 ص: 25 و ما بعدها .

وهشام بن سعد (ت نحو 160هـ) : ضعيف، ليس بالقوي، متشيع ، صدوق[1].

وزيد بن أسلم العدوي مولى عمر أبو عبد الله وأبو أسامة المدني(ت 136 هـ) : ثقة ،يرسل ، مدلس ، قال بن عيينة :كان زيد بن أسلم رجلا صالحا وكان في حفظه شيء ،وروى عن أقوام لم يسمع منهم، فلم يسمع من سعد بن أبي وقاص، ولا من أبي أمامة، وأرسل عن علي ، وأبي سعيد الخدري، وروى عن محمود بن لبيد ولم يسمع منه[2]. وذكره ابن عدي في الضعفاء، وأنكر عليه الذهبي ذلك[3] . لكن الحقيقة هي أن ذكر ابن عدي له في الضعفاء له ما يُبرره ، لأن ضعفه بسبب الإرسال والتدليس وقلة الضبط . وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح بينه وبين والده ، ويكون قد أسقط الراوي الذي بينهما.

والطريق الحادي عشر: ((أخبرنا يحيى بن حبيب بن عربي قال حدثنا معتمر يعني بن سليمان قال حدثنا أبي عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ...))[4].
إسناده لا يصح لأن من رجاله: معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي (100- 187 هـ)، قيل فيه: ثقة ، صدوق، سيء الحفظ[5] ، رجل صالح يأخذ عن الكل ، ضعيف من جهة الضبط ، من ذلك ما رواه يحيى بن سعيد ، فقال : ((قال لي سفيان الثوري: كان عندي ابن التيمي- أي معتمر-، فلم يفرق بين ليث، ومنصور، إلا أنه كان رجلاً صالحًا))[6]. فالرجل ضعيف من جهة ضبطه .
وسليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر البصري (ت 143هـ عن 97 سنة): ثقة، مُدلس، كان مائلا إلى علي بن أبي طالب، مُرسلاته شبه لا شيء ، حدث عن أقوام لم يسمع منهم[7]. وذكره ابن قتيبة من رجال الشيعة[8] الشيعة[8] . لكن لم أعثر على ما يدل على أن الشيعة الإمامية جعلوه من

---

[1] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 10 ص: 26 .
[2] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم : 728، ج 1 ص: 256 . و ابن عبد البر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، حققه مصطفى العلوي، و محمد البكري، مؤسسة قرطبة، ج 4 ص: 339 .
[3] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، رقم: 704، ج 4: ص: 214 . و الذهبي: ميزان الاعتدال ، رقم: 2989 ، ج 3 ص: 80 .
[4] النسائي" السنن الكبرى ، ج 6 ص: 418 . رقم : 11443.
[5] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، رقم: 417 ، ج 9 ص: 162 .
[6] أحمد بن حنبل: موسوعة أقوال الإمام أحمد ، رقم : 2575 ، ج 3 ص: 335 .
[7] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 135 و ما بعدها .
[8] المعارف، ص: 139 .

رجالهم .ولهذا فلعل الرجل كان شيعيا سنيا لا إماميا. وبما أنه كان يُدلس ، وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من جهته .

وسليمان بن مهران الأعمش، سبق تفيصل حاله، وتبين أنه ضعيف، وكان شيعيا إماميا يُمارس التقية في علاقته بالمحدثين . وآخرهم: مولى أم هاني باذام : ضعيف ، يرسل[1].

والطريق الثاني عشر: ((أنا محمد بن عبد الله بن يزيد نا أيوب بن النجار الحنفي اليمامي قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ...))[2].

إسناده لا يصح لأن من رواته: أيوب بن النجار الحنفي اليمامي قال: ثقة، صدوق، ضعيف جدا[3].
ويحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي(ت 132هـ): ثقة ثبت، لكنه يدلس ويرسل[4]. وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن فالإسناد غير متصل من جهته.

وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عوف الزهري المدني (مولده سنة بضع وعشرين، وتوفي 94 أو 104هـ هـ): ثقة ، أرسل عن كثير من الصحابة[5]. وبما أنه كذلك، وهنا قد عنعن فلم يُصرّح بالسماع فيُحتمل أنه لم يسمع من أبي هريرة هذا الحديث، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته.

والطريق الثالث عشر: ((أنا عبيد الله بن فضالة بن إبراهيم أنا موسى بن إسماعيل نا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ...))[6].
إسناده لا يصح ، لأن من رواته: موسى بن إسماعيل المنقري التبوذكي البصري أبو سلمة (ت 223هـ) : ثقة ، قال ابن خراش((تكلم الناس فيه وهو صدوق))[1]. فالرجل ضعيف، لأن توثيقه لم يثبت .

---

[1] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 1 ص: 119 .
[2] النسائي" السنن الكبرى ، ج 6 ص: 383 رقم: .11328.
[3] ابن حجر: تقريب التهذيب، ج 12 ص: 277 .
[4] ابن حجر: تقريب التهذيب، ج 3 ص: 89 .
[5] ابن حجر: تهذيب التهذيب، رقم: 536 ، ج 11 ص: 73 .
[6] النسائي" السنن الكبرى ، ج 6 ص: 370 ، رقم: 11318 .

وحماد بن سلمة، و حميد الطويل، والحسن البصري، لا يصح الإسناد من طريقهم بما ذكرناه عنهم في الطريق الثامن .

والطريق الرابع عشر: ((أنا قتيبة بن سعيد نا يعقوب عن عمرو عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ...))[2].
إسناده لا يصح، لأن من رجاله: يعقوب بن عبد الرحمن الاسكندراني (ت 181هـ) : ثقة[3]. لكن يبقى احتمال أنه لم يسمع من الذي روى عنه لأنه عنعن ، وقد عاش في زمن كان التفريق فيه بين التصريح بالسماع من عدمه معمولا به ومطلوبا. ولهذا يحتمل أنه لم يسمع من عمرو بن أبي عمرو. وهو نفسه كان يُفرق بينهما في رواياته[4]. فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته.

وعَمْرو بن أَبي عَمْرو مولى المطلب (ت 150هـ)، قيل فيه: ثقة، ليس بالقوي، ليس بحجة، ليس بذاك، ضعيف ، يرسل، يهم صدوق[5]. وهنا قد عنعن على ضعفه . فالإسناد لا يصح من طريقه.

والطريق الخامس عشر: ((حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ...))[6].
إسناده لا يصح ، لأن من رواته: الصلت بن محمد بن عبد الرحمن البصري أبو همام الخاركي (ت بعد 210 هـ): صدوق ، ثقة، صالح الحديث[7]. ويبدو أن الرجل فيه ضعف من ناحية ضبطه لهذا عندما ذكره ابن حجر في التقريب اكتفى بقوله: صَدُوق[8].وعبارة صدوق تشعر بالعدالة لا بالضبط وصاحبها ليس بحجة .

---

[1] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 9 ص: 238 .
[2] النسائي" السنن الكبرى ، ج 6 ص: 287 ، رقم: 11060 .
[3] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 10 ص: 276 .
[4] أنظر مثلا: البخاري: الصحيح، ج 2 ص: 9، 80 .
[5] ابن حجر: تهذيب التهذيب ، ج 7 ص: 59 .
[6] البخاري: الصحيح، ج 6 ص: 96 ، رقم: 4736 .
[7] ابن حجر: التقريب، ج 1 ص: 438. وتهذيب التهذيب ، ج 3 ص: 300 .
[8] ابن حجر: التقريب، ج 1 ص: 438.

ومحمد بن سيرين (ت110 هـ عن 77 سنة) : ثقة ثبت[1] ، كثير الإرسال، حدث عن أقوام لم يدركهم، وآخرين لم يسمع منهم، فأرسل عن ابن عباس، وابن عمر، وعائشة وغيرهم[2] . وهنا قد عنعن، فيُحتمل أنه لم يسمع منه هذا الحديث، لأنه لم يصرح بالسماع منه، مع أنه كان يُصرّح به في روايات أخرى[3]، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته، ويقوي ذلك أن الحديث فيه ما يُنكر.

والطريق السادس عشر: ((حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ...))[4].

إسناده لا يصح، يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي مولاهم المصري (ت 231هـ عن 77 سنة) : ثقة، ضعيف، يكتب حديثه ولا يُحتج به، ليس بثقة، ليس بشيء ، صدوق[5]. فالرجل ضعيف ، خاصة وأن المتن فيه ما يُنكر.

وعقيل بن خالد الإيلي أبو خالد الأموي مولاهم (ت 142هـ): ثقة ، صدوق[6]. لكنه هنا لم يصرّح بالسماع، وقد عاش في زمن التفريق بين السماع من عدمه مطلوبا ومعمولا به، فيُحتمل أنه لم يسمعه منه، فالإسناد لم يثبت اتصاله من جهته، ويقوي ذلك أن المتن فيه ما يُنكر .

وحميد بن عبد الرحمن: حميد بن عبد الرحمن بن عوف : (ت 105هـ) : أرسل عن بعض الصحابة كأبي بكر الصديق[7]- روى عنه ولم يسمع منه-. وهنا لم يصرّح بالسماع، وحديثه هنا معنعن ، فيُحتمل أنه لم يسمعه منه.

والطريق السابع عشر: ((حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس فيما قرئ عليه عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ...))[8].

إسناده لا يصح، لأن من رجاله: قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي أبو رجاء البغلاني(ت 240هـ عن 90 سنة): ثقة ثبت[1]، لكنه هنا لم يُصرّح بالسماع ،

---

[1] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 2 ص: 85 .
[2] العلائي: جامع التحصيل ، ص: 264.
[3] أنظر مثلا: البخاري: الصحيح، ج 1 ص: 80 ، رقم: 351 ، وج 6 ص: 187 ، رقم: 5007 .
[4] البخاري: الصحيح، ج 9 ص: 148 رقم: 7515 .
[5] الذهبي: المغني في الضعفاء، ص: 363، رقم: 7005 . وابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 10 ص: 164.
[6] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 6 ص: 185 وما بعدها .
[7] ابن حجر: تقريب التهذيب، ج 1 ص: 143 . وأبو سعيد العلائي: جامع التحصيل، عالم الكتب، بيروت، ص: 168 .
[8] مسلم : الصحيح ، ج 8 ص: 49 ، رقم: 6913 .

وله أحاديث صرّح فيها بالسماع عن مالك[2]، وبما أنه كذلك وقد عاش في زمن التفريق بين السماع من عدمه معروف ومطلوب، وهو هنا لم يُصرّح بالسماع فيُحتمل أنه لم يسمع منه هذا الحديث، ولهذا فاتصال الإسناد غير ثابت من جهته.

والإسناد غير متصل بين مالك وعبد الله بن ذكوان، فقد قرئ عليه عنه ، ولم يسمع منه ، ولا يُعرف الواسطة الذي بينهما . فالإسناد لم يثبت اتصاله.

وعبد الله بن ذكوان القرشي أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد (ت 130 ،أو 131، أو 132 هـ عن 66 سنة): ثقة ، أرسل عن بعض الصحابة ولم يلحق بهم أصلا كعبد الله بن عمر[3]. وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن يُحتمل أنه لم يسمع منه ، لأنه لم يُصرّح بالسماع منه. وقد عاش في زمن التفريق بين السماع والعنعنة معروف ومطلوب، فالإسناد من جهته لم يثبت اتصاله، ويقوي ذلك أن المتن فيه ما يُنكر .

والطريق الثامن عشر: ((حدثنا إسحاق بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن يزيد الأنصارى حدثنا أنس بن عياض حدثنى الحارث بن أبى ذباب عن يزيد - وهو ابن هرمز - وعبد الرحمن الأعرج قالا سمعنا أبا هريرة قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ...))[4].

وإسناده لا يصح، لأن من رواته: أنس بن عياض بن ضمرة أو عبد الرحمن الليثي أبو ضمرة المدني(ت 200 هـ عن 96 سنة): ثقة ، أحمق ، فيه غفلة، صويلح، لا بأس به[5]. فالرجل فيه ضعف من جهة ضبطه .

وحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذباب الدوسي (ت 146هـ): ليس بالقوي ، ضعيف، صدوق، يهم[6]. وإلى جانب ذلك فهو هنا قد عنعن .

---

[1] ابن حجر: تقريب التهذيب، ج 2 ص: 303 .
[2] أنظر مثلا: مسلم : الصحيح، ج 4 ص: 87 ، رقم: 3246 .
[3] أبو سعيد العلائي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، ص: 210 .
[4] مسلم : الصحيح ، ج 8 ص: 50 ، رقم: 6914 .
[5] ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج12 ص: 253 .
[6] الذهبي: الكاشف ، رقم: 860 ، ج 1، ص: 59 . ابن حجر: تعجيل المنفعة، رقم: 1073 ، ج 2 ص: 284 . وتقريب التهذيب، ج 1 ص: 173.

والطريق الأخير - التاسع عشر- : ((حدثنى زهير بن حرب وابن حاتم قالا حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-))[1].

إسناده لا يصح، لأن من رجاله: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني (108- 185 هـ) ، قيل فيه : ثقة، صدوق، حجة، ربما أخطأ في الحديث، تكلم فيه يحيى بن سعيد فأشار إلى أنه ليّن الحديث، وتركه وكيع، ثم حدث عنه[2]. وذكره ابن عدي في الضعفاء، وأشار إلى أن له مراسيل، وانفرد بأحاديث[3] . علما بأن الشيعة الإمامية جعلوه من رجالهم ، ومن أصحاب بعض أئمتهم ، فترجم له بعضهم بقوله : ((أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي، الزهري، العوفي، المدني. من محدثي وفقهاء الإمامية الممدوحين، وكان متكلما، حافظا، قاضيا، ويعده العامة من ثقاتهم ...))[4]. فالرجل ضعيف ومتهم، وأقل تقدير أن عدالته لم تثبت وبما أنه كذلك و هنا قد عنعن ، فالإسناد لا يصح من جهته.

وابن شهاب الزهري، تقدم أنه ثقة كثير التدليس والإرسال، وبما أنه كذلك وهنا قد عنعن فلا يصح الإسناد من طريقه. وأما حميد بن عبد الرحمن فينطبق عليه ما ذكرناه عنه سابقا، فالإسناد لا يصح من جهته.

وبذلك يتضح من تلك الطرق-19 طريقا- أنها لم يصح منها ولا واحد، ومدارها أساسا على أبي هريرة- 17 طريقا- وطريق عن عمر بن الخطيب وآخر عن جندب بن عبد الله البجلي . فالحديث هو حديث آحاد وهذا شاهد آخر على عدم صحته. لأنه لا يُعقل أن حديثا خطيرا جدا كذلك الحديث لا يرويه عدد كبير من الصحابة، بل إن حديثا مثله يجب أن يصلنا بالتواتر لو كان صحيحا ، لأنه حديث ناقض لمبدأ العبادة في الإسلام، بل للأمانة التي حملها الإنسان، بل إنه هادم للدين كله .

---

[1] مسلم : الصحيح ، ج 8 ص: 50 ، رقم: 6915 .

[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 81 ، ج 15 ص: 315 و مابعدها . و ابن حجر: تهذيب التهذيب ،ج 12 ص: 78، رقم: 216، و ما بعدها. و ابن سعد : الطبقات، ج 6 ص: 178 .

[3] ابن عدي: الكامل في الضعفاء، ج 1 ص: 97 و ما بعدها ، رقم: 77 .

[4] عبد الحسين الشبستري : أصحاب الإمام الصادق، ج 1 ص: 39 ، رقم:41 . و أبو جعفر الطوسي: رجال الطوسي ، ج 1 ص: 249، رقم: 1726 .

وأما متنا فهو ظاهر البطلان بدليل الشاهدين الآتيين: الأول إن الله تعالى ذكر صراحة في القرآن أن سبب خروج آدم من الجنة لم يكن قهرا ولا جبرا، وإنما كان حكمة وعدلا وحقا ، بدليل أنه نسب المعصية لآدم وحمله مسؤولية فعله وما ترتب عنه ،كما في قوله سبحانه: ((وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)(طه: 121)) و((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)(طه: 115))، و((فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(البقرة: 37)). فهل يُعقل أن يكون الله هو فعل ذلك وينسبه إلى آدم وحواء ؟؟ !!. كلا وألف كلا رغم أنف الجبرية كالغزالي وأمثاله .

والشاهد الثاني مفاده أن حجة آدم على موسى المزعومة ضعيفة بل لا تصح ، وهي هدم للعدل الإلهي، ونقض لمبدأ التكليف بالعبادة. لأن تلك الحجة المنسوبة لآدم ليست أصلا حجة، لأنها لا تصح، لأن آدم فعلا عصى ربه كما بيناه أعلاه وهو الذي يتحمل المسؤولية. ولو لم يعصه ما ندم ولا تاب الله عليه . ولو فرضنا صحتها فيصح لكل البشر أن يحتجوا بها على الله تعالى ، ويتهمونه بالظلم ، لأنه كتب عليهم أعمالهم وأجبرهم عليها ثم هو يُكلفهم ويُحاسبهم عليها . وبهذا تصبح حجة البشر قوية وصحيحة على الله تعالى بدعوى أنه هو الذي يتحمل كل أعمالهم. وهذا باطل قطعا لأن الله تعالى اعطى للإنسان الحرية التامة في مجال اختياره ومسؤوليته من جهة، وانه سبحانه أقام حجته على البشر ولا يُمكن أن تكون حجتهم عليه. قال سبحانه: ((قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)(الأنعام : 149)) ،و((رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)(النساء: 165)). علما بأن سبق العلم الإلهي لا يعني الجبر، وإنما هو علم انكشاف من كمال الصفات الإلهية وضرورياتها.

وأما ما قاله الغزالي عن السبع في افتراسه للإنسان وتعقيبه على ذلك بقوله: " أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله".فلا يصح إن أراد منه إثبات الجبر من خلال الحيوان وتطبيقه على الله تعالى في علاقة الإنسان بالله من جهة ، وأن فعل السبع هو فعل الله انطلاقا من قوله بوحدة الفاعل ووحدة الموجود من جهة أخرى. نعم لا ننكر وجود الجبر في الكون لأن الله تعالى هو الذي خلق كل هذا الكون ولم يكن له فيه اختيار ، لكن نحن هنا نتكلم عن الإنسان المُكلف والمختار فيما هو حر فيه . فلاشك أن الإنسان هو نفسه مُسير كغيره من المخلوقات

لكن الله تعالى كلفه وجعله مختارا في جانب من حياته هو مسؤول عنه. وأما فيما يخص السبع فلا شك أنه كغيره من الحيوانات مخلوق ومُسير وأقل حرية من الإنسان. لكنه من جهة أخرى يتمتع بهامش من حرية الاختيار في حياته ، فهو ليس كالماء، ولا كالحجر، فيستطيع أن يتحرك ويعمل ويمتنع من أمور قد يطلبها منه الإنسان. والسبع الذي يجوع ليس بالضرورة أنه سيفترس، فقد يجد الطعام سهلا فلا يفترس، وقد يجد الظروف غير مهيأة فيصبر، وقد يسعى للافتراس لكنه عندما يجد الفريسة أقوى منه يختفي ويتراجع، وقد يأتي بمن يُساعده من الأسود عندما تكون الفريسة قوية، فيتعاون الأسود ويحتالون عليها حتى يطرحونها أرضا. فهذه الأفعال ليست هي من أفعال الله، وإنما هي من أفعال هذه السباع . لأن هذه السباع هي من مخلوقات الله وليست من أفعاله، ومن ثم فالذي قامت به السباع هو من أفعالها وليست أفعالا لله، وإنما الله تعالى خلقها وأعطاها القدرة على البحث والعمل، وعلى التعلم والتربية أيضا ، حتى أن السباع المدربة تتخلى عن جانب كبير من وحشيتها وضراوتها ، فتصبح لا تؤذي مدربها. ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- قال « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[1]. فهذا يعني أن الحيوانات لها قدر من الاختيار والمسؤولية هي التي تتحملها، وإلا فلا معنى من الاقتصاص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

وبذلك يتبين أن الغزالي قال ذلك بسبب تصوفه لا أخذا بالشرع، لأنه يرى أن كل ما في الكون هو من أفعال الله، وبما أن أفعاله من صفاته وهي من ذاته، فهذه المخلوقات التي نراها هي مجرد اشباح ورسوم وأشكال غير حقيقية، وإنما هي في الحقيقة امتداد وظلال لله تعالى، ومن ثم فكل ما نراه هو مجبر على ما هو عليه ، ولا يصح تغييره، ولا نقدر على ذلك لأنه هو الله في النهاية. فالرجل قرر وحدة الفاعل ليصل في النهاية إلى القول بوحدة الموجود، بمعنى لا موجود إلا الله، وهذا قول بكفرية وحدة الوجود. ولهذا وجدنا الرجل تحمس لهذه الفكرة ودافع عنها بقوة، واتهم من يخالفه بقلة الفهم والمعرفة تلبيسا وتضليلا وتحريفا للشرع لكي يصل إلى ما خطط له مسبقا.

وسيترتب عن قول الغزالي أن من يدخلهم الله في النار يكون قد ظلمهم لأنه أدخلهم بسبب أفعال مُحرمة هو فعلها بحكم أنهم وما يفعلون هم من أفعال الله. ومن يدخلهم الجنة يكون أدخلهم إليها بأعمال ليست من أعمالهم،

---

[1]مسلم: الصحيح ، ج 8 ص: 18 ، رقم: 6745 .

ومن ثم أعطاهم ما لا يستحقون. وهنا يكون الله تعالى لم يعدل بين البشر. بل وأكثر من ذلك، فبما أنه زعم أن ما في الكون هي أفعال لله فهذا يعني أن كل الكائنات من أنس وجن وجنة ونار هي أفعال لله ، وهذا يعني أنها هي الله بالضرورة لأن أفعاله جزء منه وامتداد له منه بدأت وإليه تعود .. فتكون النتيجة هي أن الكون هو الله والله هو الكون!! .وهذه هي ضلالة وحدة الوجود التي يطلبها الصوفية خوفا ورجاء ويُدندنون حولها ويحرصون على إخفائها. ولاشك أن القول بها باطل قطعا بدليل الشرع والعقل والعلم كما سبق أن بيناه[1]، أوصلهم إليها التصوف بأصوله وفروعه وغاياته.

وأخيرا إن قوله: " فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا، وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا". فهو كلام امتداد لما سبق أن قاله، وباطل قطعا لأنه مخالف لقطعيات الشرع. والصواب هو أن الله تعالى خلق الجنة والنار، وأعطى لبني آدم حرية الاختيار، وقال لهم اعملوا وتنافسوا وأن كل نفس ما كسبت رهينة. نعم إنه سبحانه كان يعلم من سيدخل الجنة، ومن سيدخل النار، لكن هذا العلم هو مجرد علم مُسبق لأنه سبحانه علام الغيوب، لكن لا دخل لله في إجبار الناس على دخول الجنة ولا على دخول جهنم. وإنما كل إنسان يسير في الطريق الذي يختاره بنفسه فيسجله الله تعالى عليه ثم يُجازيه يوم القيامة. ولهذا فإن أفعال البشر التي فعلوها بكل حرية هي التي تحدد مصيرهم يوم القيامة لقوله تعالى: (((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)(الليل:5 - 10))، و(وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(السجدة : 14)). فالأمر ليس حضا ، ولا عبثا ولا عشوائية ولا فيه ظلم ولا محاباة ، وإنما كما قال سبحانه: ((فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ (القارعة:6 - 11)).

والنموذج الأخير- الرابع - : مفاده أن الغزالي واصل كلامه عن القدر فتكلم بلا شرع ولا عقل، واتهم الله تعالى بالعشوائية والظلم، وأساء الظن فيه بدعوى أنه فعال لما يريد ولا يُبالي بأحد إن أهلكه أو نجاه. والشاهد على ذلك أن الغزالي عندما أورد ما حكاه الله تعالى عن المسيح بقوله: ((إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(المائدة : 118)) عقّب على ذلك بقوله: ((فوض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه

---

[1] عن ذلك أنظر كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

بالكلية من البين لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان .وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض من ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه وفيه تضليل وتحريف للشرع، لأنه أولا إن كلامه فيه سوء ظن بالله تعالى واتهام له بالظلم بدعوى أنه مُطلق المشيئة وفعال لما يريد، وهذا مع أنه صحيح لكن يجب النظر إلى الأمر من كل زواياه وليس من زاوية واحدة، لأن الله تعالى كما أنه فعال لما يريد، فإنه أخبرنا أنه سبحانه ((وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ)(الزمر: 7))، وأن ((اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الحديد : 28))، وأنه ((وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)(الكهف : 49))، ونهانا عن سوء الظن به: ((الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً)(الفتح : 6)). وهو سبحانه عندما يمكر بالكفار والضالين فإن مكره بهم بعدل وحكمة وليس بظلم وعشوائية وعبثية ، فهو سبحانه خير الماكرين في تعامله مع الماكرين ولهذا قال: ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)(الأنفال: 30)). لكنه سبحانه لا يمكر بعباده المؤمنين الأتقياء، فهو يحبهم ويدافع عنهم ، قال سبحانه: ((يحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)(المائدة : 54))، و((إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)(الحج: 38))، و((الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)(الأنعام : 82))، و((يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ)(إبراهيم: 27)) . ولهذا قيل: "إنما يعثر من لم يُخلص" . فهو سبحانه يفعل ما يريد لكن فعله لا ظلم فيه أبدا ولا يخرج عن الحكمة، والعدل، والرحمة، والفضل، والإحسان . فأفعاله سبحانه لا تتناقض مع الوحي ، ولا مع العقل ،ولا مع العلم ، نعم منها أفعال لا ندرك حكمتها ، لكنها لا تتناقض مع الوحي والعقل والعلم ، فليس فيها ظلم ولا جور ولا عشوائية ، حتى وإن لم ندرك حكمتها.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 230- 231 .

وثانيا إن الرجل هوّل الأمر وبالغ فيه بدعوى أن مشيئة العبد مرتبطة بمشيئة ((من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ...)). وهذا لا يعني جبرا ولا ظلما ولا عشوائية، وإنما يجب النظر إليه من جميع صفات الله تعالى، فمع أنه سبحانه لا يحدث في كونه إلا ما أراده حتى وإن كان مخالفا لما يُحبه، فهو سبحانه حكيم وعادل ولا يظلم أحدا أبدا، ولهذا فإنه عندما أهلك الكفار والظالمين لم يكن ظالما لهم ، وإنما بيّن لهم الطريق وأنذرهم فلما أصروا على ظلالهم أهلكهم قال سبحانه: ((وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)(الزخرف: 76))، و((وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ)(إبراهيم: 27)). فهو سبحانه عندما أهلك الظالمين ولم يبال بإهلاكهم لا يعني أنه ظلمهم ، فلو كانوا مؤمنين أتقياء ما فعل بهم ذلك. فعدم المبالاة لا يعني الظلم والعشوائية، لأن أفعال الله تعالى لا ظلم فيها ولا عشوائية أبدا، فهي كلها في مكانها الصحيح ،. فهو سبحانه لم يبال بهؤلاء بعدل وحكمة لا بظلم وعشوائية وعبث.وكلامنا هذا من قطعيات الشرع ، لكن العجب من الغزالي ترك الوحي الصحيح وراء ظهره وبدأ يتكلم ويتهم في الله تعالى ويسوء الظن به بدعوى المعرفة الصوفية وخرافة الكشف الصوفي ليصل إلى تقرير توحيد الفاعل، ومنه إلى توحيد الموجود: لا موجود إلا الله !!.

ثالثا: متفرقات تتعلق بعبادات الصوفية وسلوكياتهم :

يتضمن هذا المبحث ستة نماذج متفرقات تتعلق بعبادات الطريق الصوفي، أولها يتعلق بالأوراد اليومية ، ومفاده أن الغزالي قال : ((وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار))[1].

أقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه،وفيه تضليل وتحريف وتعطيل للشرع ، لأنه أولا إن الصحيح هو أن محبة الله تعالى الشرعية الحقيقية لا تحصل بمجرد دوام ذكر الله تعالى والمواظبة عليه، وإنما تحصل بالإيمان والإخلاص وإتباع شريعة الله تعالى قلبا وقالبا، منها الأخذ بالذكر الشرعي ، بدليل قوله تعالى: ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 330 .

ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(آل عمران: 31)) ،و((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(المائدة: 54))، و((قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة: 24)).

وأما يجده الذاكرون من لذة في ممارستهم للذكر وتفرغهم له، فهذا ليس دليلا على الوصول، ولا على الاستقامة، ولا على فلاح الإنسان، ولا على الإيمان الصحيح ، لأنه أمر يجده كل من يمارسه ، ويظهر على كل النساك والصوفية من مختلف الأديان على ضلالهم وكفرهم، بل وحتى الملحد لو مارسه لانعكس ذلك على روحه. لأن ما يُمارسونه هو رياضة معنوية تنعكس عليهم آثارها، كما تنعكس الأعمال البدنية على أصحابها عندما يكثرون من ممارستها كالرياضيين مثلا. فالمحبة الشرعية الصحيحة لا تحصل بمجرد دوام ذكر الله تعالى، وإنما لابد من الإيمان والإخلاص والالتزام بدين الله تعالى.

وثانيا إن العلم بالله تعالى – المعرفة به حسب الصوفية- لا يحصل بالفكر في الله وفي صفاته وفي افعاله كما قال الغزالي، وإنما يحصل العلم الصحيح به سبحانه بالإيمان به والإخلاص له وإتباع شريعته في كل ما أمرنا به، قال سبحانه: ((وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(البقرة: 282))، فتقوى الله تعالى هي التي توصلنا إلى العلم الصحيح بالله وشريعته. والله تعالى لم يأمرننا بالتفكر في ذاته ، وإنما أمرنا بالتفكر في كتابيه المسطور و المنظور، لأنه لا يُمكن لمخلوق أن يعرف كنه ذات الله تعالى، ولهذا قال سبحانه –على لسان نبيه عيسى- : ((تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)(المائدة: 116)) .ولا يوجد أي دليل شرعي صحيح يؤيد ما قاله الغزالي.

لكن واضح من كلام الرجل أنه قال ذلك لأنه الطريق الذي يوصل إلى الفناء الصوفي المزعوم، وفيها يصل الصوفي إلى المكاشفة حسب زعم الغزالي، وفيها يصبح الصوفي ربا وإلها- وحدة الوجود- والدليل على ذلك

أنه قال مباشرة : ((وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله))، وقوله هذا يتضمن القول بوحدة الوجود، بمعنى أنه لا موجود إلا الله حسب زعم الصوفية. وهذا باطل قطعا بدليل الشرع والعقل والعلم، لأن الحقيقة أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى ومخلوقاته ، وهي ليست أفعاله ، وإنما من مفعولاته .

وثالثا إن قوله الأخير : ((ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار))[1]. هو قول ليس من دين الإسلام وإنما هو من ممارسات الطريق الصوفي الذي ينتهي بأصحابه إلى الفناء في الله- وحدة الوجود- . لأن الله تعالى خلقنا لعبادته وعمارة الأرض بشريعته، وسخر لنا ما في السموات والأرض، وأحل لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث ،ولم يأمرنا باعتزال عمارة الأرض وترك خيراتها وملذاتها الحلال التي هي من قوام الحياة .ولم يأمرنا بأخذ قدر البُلغة والضرورة من الدنيا، وإنما أمرنا بالاعتدال وعدم الإسراف في كل أحولنا، لقوله سبحانه: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: 31))،و((كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأنعام 141))، و((وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً)(الإسراء: 29))، و((وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً)(الفرقان: 67)). ولهذا فالغزالي وأصحابه ذموا الدنيا ليس من أجل الآخرة، ولا التزاما بالشرع، وإنما ذموها ودعوا إلى العزلة وممارسة عبادات الطريق الصوفي طلبا لبلوغ مقام الفناء في الله- المكاشفة، وحدة الوجود- .

والنموذج الثاني مضمونه أن أبا حامد الغزالي وصف الصوفية بأنهم منصرفون بهممهم إلى الله سبحانه[2].وقوله هذا مخالف للشرع والعقل والعلم، وفيه تضليل وتحريف . لأن الحقيقة هي أن الصوفية منصرفون بهممهم إلى ممارسة عبادات الدين الصوفي طلبا لغاياته، وأكبرها وحدة الوجود. فلا يصح وصف هؤلاء بما وصفهم به الغزالي، لأن من يُوصف بذلك حقا وصدقا يجب أن يكون ملتزما بشريعة الله تعالى قلبا وقالبا، ولا يكون صوفيا أصلا. لأنه لا يُمكن الجمع بين دين الإسلام والدين الصوفي،

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 330 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 336.

ومن يجمع بينهما فإما أنه جاهل بهما أو بأحدهما، أو أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه، أو أنه صوفي يُخفي حقيقة تصوفه تسترا بالإسلام[1]. والدليل القطعي على عدم صحة ما وصف به الغزالي الصوفية هو ما أثبتناه من مخالفة التصوف لدين الإسلام في أصوله وفروعه وغاياته من جهة ، وفي كثرة أخطائهم وانحرافاتهم الشرعية العقلية والعلمية من جهة أخرى. فلو كان هؤلاء منصرفين بهممهم إلى الله تعالى وفق شريعته وعلى صراطه المستقيم ما كان حالهم مع الشرع والعقل والعلم كما ذكرناه. ومن ذلك حاله لا يصح أن يوصف بما وصفه به الغزالي، وإنما هو منصرف بهممه ليس مع الله وإنما مع تصوفه وأخطائه وانحرافاته، وهلوساته وخرافاته.

والنموذج الثالث : زعم الغزالي أن السماع الصوفي- الغناء والرقص- يُوصل الصوفية إلى حالة الوجد ، ومن صفاته ما ذكره : ((أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد: إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب. ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله ... وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت))[2].

أقول: قوله هذا غير صحيح، وفيه تضليل وتحريف ، ومخالف للشرع مخالفة صريحة . لأنه أولا إن مما يُبطل زعمه هو أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان منوراً بالوحي ومع هذا لم يكن يعلم الغيب. وقد نص الله تعالى على أنه لا أحد من مخلوقاته يعلم الغيب كما بيناه في الفصل الثاني. وقد كان الصحابة قمة في الإيمان والعمل الصالح- بعد نبيهم عليه الصلاة والسلام- وشهد لهم الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح ومع ذلك لم يكونوا يعلمون الغيب ولا استكشفوا ملكوت السموات والأرض.

وثانيا إن مما يُبطل زعم الرجل علميا وواقعيا أن الناظر فيما عند الصوفية يجد أن غالب ما عندهم هو من المزاعم الجوفاء والأوهام والخرافات ، مع كثرة الأخطاء والانحرافات والهلوسات والتلبيسات الشيطانية ، وهذا أمر بيناه بالأدلة الكثيرة والدامغة في كتابنا هذا وفي مصنف آخر قبله[3].ولذلك يجب أن لا تغرنا مزاعم القوم ودعاويهم الطنانة

---

[1] توسعت في هذا الموضوع وذكرت الأدلة والشواهد على موقفي في كتاب: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 410 .
[3] هو : نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.

والرنانة في قولهم بعلم المكاشفة والباطن، فقد تبين بالأدلة الصحيحة أن الغزالي كان غارقا في أخطائه وانحرافاته الشرعية والتاريخية والعلمية ، فلو كان الأمر كما زعم ما كان ذلك حاله. ويُلاحظ عليه في قوله السابق أنه قرر ما يُخالف الشرع صراحة ولم يبال وكأن الأمر عنده عادي وطبيعي تماما ، وسلوكه هذا يندرج ضمن منهجه في ممارسة التضليل والتحريف انتصارا للتصوف.

والنموذج الرابع يتعلق بالتاجر الصوفي في طلبه للرزق، يقول الغزالي: ((فإن كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تضليل وتحريف، و ليس من دين الإسلام وإنما هو من الدين الصوفي، لأنه لا يوجد في الإسلام أمر بأنه على التاجر أو الصانع أو العامل أن يجمع قوت يومه فقط ويرجع إلى المسجد أو البيت طلبا للآخرة. لأنه من الثابت أن الصحابة كانوا يحرصون على كسب المال الحلال في يومهم سواء كان قليلا أو كثيرا. فكان منهم الأغنياء، والميسورون، والفقراء، وكل منهم كان يجتهد لجمع ما يستطيع من مال . ولهذا وجد في الصحابة- زمن النبوة- أغنياء كثيرون من المهاجرين والأنصار، ثم أصبحوا كلهم اغنياء أو من الميسورين زمن الخلافة الراشدة. ولو كان الشرع أمرهم بجمع قوت يومهم فقط ما كان ذلك حالهم، بل ولما شرع الله تعالى الزكاة أصلا وما جعلها من أركان الإسلام. لأن الذي يُخرج الزكاة بالضرورة أنه كسب أكثر من قوت يومه.

علما بأن قوله: ((فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد))[2]. ليس من دين الإسلام، وإنما هو من الدين الصوفي، لأن العبادة في ديننا ليست محصورة في المسجد، وإنما هي تشمل كل مجالات الحياة، منها عمارة الأرض وجمع المال الحلال لبناء المجتمع المسلم والدولة الإسلامية، ولنشر العدل بين الناس،

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 338 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 338 .

ولامتلاك القوة دفاعا عن ديننا وأمتنا وجهادا في سبيل الله. فالتزود للآخرة لا يتمثل فيما قاله الغزالي، وإنما في الالتزام بكل أوامر الشرع قلبا وقالبا، وفي كل مجالات الحياة .ولهذا فالتزود الذي ذكره الغزالي ليس من أجل الآخرة، وإنما هو من أجل غاية التصوف الكبرى التي دندن حولها هو وأصحابه قديما وحديثا، وهي وحدة الوجود.

والنموذج الخامس: نصح الغزالي شيوخ الصوفية في تربيتهم للمريدين بنصائح ، منها أنه قال: ((وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها، فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه، نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه، فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه. وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة))[1].

وأقول: كلامه هذا فيه تلاعب وتحريف، وتضمن ما يُخالف الشرع وتشجيع على عدم الالتزام به وتسخيره ليكون في خدمة التصوف وأهله. وتفصيل ذلك هو أن الغزالي حث الشيخ الصوفي على أن يأمر المريد بترك المعاصي التي كان مقترفا لها، لكنه نقض نصحه هذا عندما حثه على القيام ببعض الأفعال في تربيته له وهي مخالفة لدين الإسلام. منها قوله: ((فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه)). وهذا لا يصح، لأن النبي-عليه الصلاة والسلام – ربى الصحابة وفيهم كثير من أهل اليسار والغنى، ولم يأخذ أموالهم ، ولا أمرهم بالتخلي عنها، ولا اشترط عليهم تركهم لأموالهم ليتربوا على يديه، وليبلغوا مقام المقربين والأولياء.

ومنها أيضا أنه برر قوله بدعوى إذلال النفس، وهذا ليس من التربية الإسلامية ولا من أهدافها، لأن الله تعالى أمرنا بمجاهدة أنفسنا وحملها على طاعته كما في قوله سبحانه: ((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)(النازعات:37 - 41))، لكنه سبحانه لم

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 82 .

يأمرنا بإذلال أنفسنا، ولهذا حرم علينا التسول، وقال سبحانه: ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(المنافقون: 8)). فحرام على المسلم أن يذل نفسه، أو يسعى لإذلالها، وهناك فرق كبير بين ان يتذلل المسلم لإخوانه بالحلال كخفض الجناح وبين أن يذل نفسه لإهانتها وإذهاب مروءتها، وبعصيان الله تعالى أيضا !!.

ومنها أيضا أن الغزالي نصح الشيخ الصوفي المربي بقوله: ((وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة ...)). وهذا لا يصح، لأن التربية الشرعية لا تكون بتربية المسلمين بالحرام ومخالفة الشرع. لأن التسول نهى الإسلام عن ممارسته، وحرمه إلا لمضطر وبشروط ،لقول النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ،ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش - أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا))[1]. وقد ربى عليه الصلاة والسلام أصحابه ورعاهم بطاعة الله، ولم يربهم بعصيانه. لكن الغزالي حث المريد على مخالفة الشرع بدعوى تربية المريد وتخليصه من بعض أمراضه، من دون أن يكون مُضطرا إلى ممارسة ذلك. وطرق التربية كثيرة ، ويُمكن تربية النفوس بالحلال والمباح من دون اللجوء إلى ارتكاب المحرمات. وقد ربي النبي- عليه الصلاة والسلام- أصحابه على الإخلاص والتواضع، وخلّصهم من عيوب أنفسهم ، وأوصلهم إلى مقام التزكية بطاعة الله وليس بعصيانه.

وبذلك يتضح جليا أن التربية الإسلامية تقوم على طاعة الله ومن أجله، ولا تقوم على الانتهازية والنفعية ، لكن التربية الصوفية تقوم أساسا على عصيان الله تعالى وتعطيل شرعه ، وعلى النفعية ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة. فمدام الصوفي يتربى على التصوف لبلوغ مقام المكاشفة، ومنه الفناء في الله- وحدة الوجود -، فلا يهم عندهم كيف يصل إليها ، ولا شك أنه لن يصل إليها بالشرع لأنها مناقضة له وللعقل والوحي، وإنما يصل إليها بانحرافات التصوف وضلالاته .

[1] مسلم : الصحيح، ج 3 ص: 97 ، رقم:2451 .

وواضح من كلام الغزالي أنه لم يُبال بتناقضه عندما حث على تخليص المريد من المعاصي من جهة، وتربيته بمخالفة الشرع من جهة أخرى. لأنه كان يتكلم عن التربية في الدين الصوفي لا في دين الإسلام . وفعله هذا يندرج ضمن ممارسته للتقية والتضليل والتحريف انتصارا للتصوف مع التظاهر بالإسلام والتستر به بدعوى تربية النفس وتطهيرها من أمراضها.

والنموذج الأخير- السادس- يتعلق بالأخوة ومراتبها، يقول الغزالي: ((وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله: ((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(الشورى : 38)) أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلى لأنه أضافه إلى نفسه))[1].

وأقول: أولا قوله هذا غير صحيح، وفيه تضليل وتحريف متعمد للشرع، لأن الآية لم تقل: ((وأموالهم ملك جماعي بينهم ، أو أموالهم بينهم ، أو أموالهم مختلطة بينهم)) ، ولا يصح تفسير الآية كما زعم الرجل ، ومعناها لا يستقيم مع تفسيره . بل إن أول الآية ينفي قوله ، لأنها قالت: ((وأمرهم شورى)) ، أي شأنهم ويعنى أن شؤونهم تكون بالتشاور بينهم. ولا يصح القول: " أموالهم شورى"، ولا " أمرهم أموالهم بينهم ". ثم ان آخر الآية يُبطل تأويله الفاسد أيضا، فقولها ((وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ))، يعني أن الصحابة كانت لهم أموال يُنفقون منها، ولو كانت خليطا بينهم وملك مُشاع بينهم فلا معنى للحث على الانفاق، بل ولا يجدون ما ينفقون، لأن أموالهم كلها خليط بينهم. ولو كانوا كما زعم الرجل ما ذكر القرآن وجود طائفة منهم كانت فقيرة ((لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(البقرة: 273))، وفي مقابل هؤلاء وجدت طائفة من الصحابة كانت غنية وميسورة الحال ، وهي التي حثها الله تعالى على الإنفاق وإخراج زكاة أموالها . قال تعالى: ((مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(الحشر : 7))، و((وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 241 .

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(النور: 22)).

وثانيا ليس صحيحا أن الصحابة كانوا كما زعم الرجل، فهذا باطل قطعا، فكانوا إخوة متاحبين ، لكنهم لم يكونوا خلطاء في الأموال، فهذا لم يحدث، وافتراء واختلاق مُتعمد من الغزالي انتصارا للتصوف وأهله. لأن الثابت أن الصحابة كان منهم الأغنياء والميسورون والفقراء، ولهذا حث الله تعالى المسلمين على أنفاق أموالهم في سبيل الله في آيات كثيرة. فكان الصحابة يأتون بأموالهم كل حسب نيته وقدرته. فعن ((عمر بن الخطاب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما قال فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله قلت والله لا أسبقه إلى شيء أبدا))[1].فلو كان الصحابة خلطاء في أموالهم ما حدث ذلك، ولا وُجد فيهم الأغنياء ، والميسورون، والفقراء.

وعند الأزمات ومتطلبات الدعوة والجهاد في سبيل الله كان المسلمون كلهم يُشاركون في ذلك حسب قدراتهم ، ولو كانت أموالهم كما زعم الرجل ما حدث ذلك. وكذلك حديث الأشعريين كما في قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : (((إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جعلوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني و أنا منهم)) [2]. لكن أموالهم لم تكن مُختلطة، وإنما في حالات المجاعة والأزمات كانوا يجمعون ما عندهم تعاونا وتواسيا فيما بينهم لمواجهة الأزمة ، لا أن أموالهم كانت مختلطة في الأصل. ولو كانت مختلطة ما فعلوا ذلك أصلا ، ولا مدحهم الحديث عندما يرملون .

وثالثا إن مما يُبطل زعمه أيضا أنه عندما كثرت الخيرات زمن الخلافة الراشدة لم يجعل عمر بن الخطاب الأموال خليطا بين المسلمين، وإنما أنشأ بيت مال المسلمين، ثم قسم الأرزاق عليهم حسب ما يستحقون بناء على السابقة والعمل وعدد أفراد الأسرة. لكنه لم يجعل الأموال خليطا، ولا سوى بين الناس كلهم في مقدار العطاء.

---

[1] الألباني: صحيح أبي داود، ج 3 ص: 202 ، رقم : 2902 .
[2] الألباني: صحيح الجامع الصغير، ج 1 ص: 143 ، رقم: 1582 .

ورابعا إنه واضح من كلام الغزالي أنه تعمد تحريف الآية انتصارا للتصوف وأهله لتكون على مقاسهم ، فهم بما أنهم تركوا الدنيا واعتزلوا الناس واجتمعوا في الأربطة والزوايا وتركوا التكسب بدعوى العبادة، وتفرغوا للأكل ومجالس الطرب والرقص، فلا بد أن يكون ما يصلهم من أموال وطعام مشاعا بينهم ، فهم مشتركون فيه كما هم مشتركون في تصوفهم ولعبهم وكسلهم. فالقوم حريصون على مصالحهم على حساب الشرع والناس، وعملهم هذا تحصيل حاصل لما هم فيه وليس موافقة للشرع ولا لمصلحة المجتمع الإسلامي. فالقوم صيادون اتخذوا التصوف شبكة كبيرة يصطادون بها ضحاياهم .

فواضح من ذلك أن الغزالي من أجل التصوف تعمد تحريف الآية والافتراء على الصحابة !!!! . إنه فسر الآية على مقاس التصوف وأهله . مع أن الآية لم تقل أن أموالهم خليط بينهم، ولا شركة فيما بينهم، وإنما قالت: ((و أمرهم شورى بينهم)) . فالرجل كان يتكلم عن مجتمع الصوفية الكسالى الفاشلين الذين يجمعون الأموال والطعام وكل ما يحتاجون بالتسول واستعطاف الناس، ويقتسمونها فيما بينهم، ومن أجلهم فسر تلك الآية على مقاسهم لتنطبق عليهم ،وزعم أن أموال الصحابة كانت خليطا بينهم !!!!.

وإنهاءً لهذا الفصل – الخامس- يتبين منه أن ما ذكرناه فيه من ممارسات الغزالي في التضليل والتحريف هي شواهد تُضاف إلى ما ذكرناه منها في الفصول السابقة وتزيدها تأكيداً وإثراءً وتعميقا من جهة، وتُؤيد ما أثبتناه بأن الغزالي أقام كتابه الإحياء على التضليل والتحريف من جهة ثانية، وأنه مارس ذلك مُتعمدا انتصارا للتصوف ومُتسترا بالإسلام من جهة ثالثة.

الفصل السادس

نتائج وأسباب، اعتراضات وتساؤلات

أولا: نتائج وأسباب.
ثانيا: اعتراضات وتساؤلات.

نتائج وأسباب، اعتراضات وتساؤلات

أُفردُ هذا الفصل –السادس والأخير- لاستخراج ورصد أهم نتائج كتابي هذا أتناولها عرضا ومناقشة وتقريرا فيما يتعلق بممارسة الغزالي لمختلف طرق للتضليل والتحريف في كتابه إحياء علوم الدين. ثم بعدها أقف عند البحث عن الأسباب والخلفيات التي أدت بالرجل إلى ممارسة التضليل والتحريف بشكل واسع وعن تعمد وسبق إصرار. ثم بعد ذلك يأتي المبحث الثاني وفيه أعرض طائفة من الاعتراضات والتساؤلات تتعلق بما أثرناه من قضايا وأفكار مثيرة للجدل .

أولا: نتائج وأسباب:

أظهر بحثنا هذا نتائج وحقائق كثيرة تتعلق بأبي حامد الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين تشمل جوانب متعددة من الكتاب وصاحبه أهمها ممارسة الرجل للتضليل والتحريف وما ترتب عنهما من آثار على الغزالي وفكره.

منها أولا فقد تبين من بحثنا هذا أن الغزالي في ممارسته للتضليل والتحريف استخدم عدة وسائل مكنته من القيام بذلك. الأولى: تقرير مبدأ التقية كأصل من أصول التصوف ، وبه سمح لنفسه تطبيق مبدأ: الغاية تُبرر الوسيلة. وقد مكنت التقية الصوفية من تحقيق كثير من أهدافهم بين الناس وبها حافظوا على تصوفهم وجماعتهم بينهم . فهي المبرر العقدي عندهم

لممارسة كل أنواع التضليل والتحريف والتغليط. وقد طبقها الغزالى بقوة وحماس في كتابه إحياء علوم الدين.

والثانية: تقرير وجود عِلمين: الأول هو الأصل والمعبر عن علم الصوفية وقد سماه علم المكاشفة. والثاني أقل من الأول وتابع له ومحكوم به، هو: علم المعاملة، ويعني علوم الشرع .

والوسيلة الثالثة: استخدام الغزالي للأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها لتأييد التصوف وعلمه المزعوم. فلم يهتم بتحصيل الأحاديث الصحيحة، ولا اهتم بتحقيق أحاديثه، وإنما ركز أساسا على الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها لتبرير وتأييد قوله بأسرار التصوف ودفاعه عنه وعن أهله .

والوسيلة الرابعة استخدام الغزالي لقدراته الفكرية في الجدل والتغليط والتلاعب بالألفاظ وممارسة مختلف أنواع التأويل التحريفي للنصوص الشرعية وأقوال العلماء. إنه كان بارعا في ذلك بسبب تكوينه العلمي في الفقه والخلاف، وعلم الكلام والفلسفة ، وفي التصوف أيضا.،لأن التصوف هو أيضا له جدله وإشاراته وألغازه وطلاسمه وسفسطته. فأصبح الغزالي بذلك سفسطائيا من كبار سفاسطة الفلاسفة والصوفية، مارس ذلك بتوسع وعمق وتلاعب وتدليس في كتابه إحياء علوم الدين.

واتضح أيضا أن منهج الاستدلال الذي طبقه الغزالي في الإحياء وتعامل به مع الشرع في تقريره للتصوف وانتصاره له كان منهجا غير علمي في معظم قضايا التصوف التي تناولها في كتابه الإحياء. من مميزاته أن الغزالي مارس التضليل والتحريف والانتقاء في موقفه من النصوص الشرعية ،وأغفل التي تخالف مواقفه وكأنها غير موجودة وقرر ما يخالفها صراحة ، أو أوّلها تأويلات فاسدة.

ويُلاحظ عليه أنه توسع في تطبيق ذلك التزاما بالتقية وممارسة لها ، وقد غطى عمله هذا جانبا كبيرا من الاحياء، بل هو الأساس الذي قام عليه الكتاب ومن دونه ما كان الغزالي يستطيع إخراج إحيائه بالحالة التي أخرجه فيها. والشاهد على ذلك ما ذكرناه من نماذج وشواهد كثيرة جدا من

ممارساته للتضليل والتحريف ، والتي ذكرناها ليست قليلة ولا كانت شاملة لكل ممارساته ، وإنما كانت من باب التمثيل الواسع لا الحصر.

ومنها أنه اعتمد كثيرا على الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها ، وأخرى لا وجود لها خارج كتابه. ولم يكن يجمع كل النصوص المتعلقة بالموضوع الصوفي الذي يبحث فيه بحثا عن الحقيقة، وإنما كان يختار غالبا ما يتفق مع مواقفه، وإن ذَكَرَها تسلط عليها بالتأويل الفاسد. ومنها أنه كثيرا ما كان يغفل الشرع ويُقرر مواقفه برأيه وبذكر أقوال شيوخ الصوفية وكأنهم حجة بأنفسهم.

ومنها أن الغزالي من بداية كتاب الاحياء وهو ينبه إلى أنه يخفي علم المكاشفة إلا قليلا لأن الاحياء خصصه لعلوم المعاملة حسب زعمه. لكن الحقيقة هي أن الرجل قال ذلك كوسيلة من وسائل التضليل والتغليط ولم يلتزم بما أشار إليه، ، فقد نشر ما كان يخفيه في مواضع متفرقة وكثيرة من كتابه، لكي لا يُثير القارئ ويتمكن هو من تحقيق غايته في التأصيل للتصوف والدفاع عنه باسم الإسلام. من ذلك مثلا فقد توسع في ذكر أنواع الموحدين وتوحيدهم ، فذكر دعاة وحدة الوجود وهم الصوفية ، ودعاة وحدة الوجود من الملاحدة - المنكرون للخالق- ، وأصحاب التوحيد الشركي ، وهم المسلمون حسب زعمه ثم ختم كلامه بقوله: ((وإذا تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ، ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة))[1]. فبعدما حقق هدفه ودوّن مبتغاة وقرره وانتصر له وألحق المسلمين بالمشركين قال ذلك الكلام !!!!.

ومن تلك الخصائص أيضا أن الغزالي ازدرى بأهل العلم- من غير الصوفية- وقزمهم وطعن في علومهم بدعوى أنهم من أهل الظاهر والصوفية من أصحاب الباطن؛ فتسلط عليهم بحكاية علم اليقين والمكاشفة وتستر بها في تقرير عقائد التصوف والانتصار له بدعوى أن للقلب علوما وقدرات خارقة لا يعرفها إلا الصوفية الذين هم أرباب القلوب وأما غيرهم فهم من علماء الظاهر لا قدرة لهم من الخوض في علوم القلب ولا تحصيلها ولا فهمها . وزعمه هذا سبق أن ناقشناه فيه وبينا بطلانه في الفصل الثاني فلا نعيده هنا.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 4 ص: 120 .

وتلك الخاصية هي وسيلة من وسائل الإرهاب الفكري، فقد مارسها بتوسع وقوة ، فهي من باب الترهيب لا الترغيب، وقد تسلط بها على معارضيه بلا هوادة. بهذه الوسيلة الخطيرة والمرهبة رد الغزالي على مخالفيه وتكبر بها عليهم بل وتعالم بها أيضا حتى على الشرع !!.

لكنه من جهة أخرى استخدم الترغيب والتزيين، فقد اجتهد في حث الناس على الأخذ بالتصوف وممارسة عباداته طلبا لليقين والأنوار الربانية، والمكاشفة وعلومها الخارقة حسب زعمه . لكن الحقيقة طبعا لم تكن كذلك قطعا، وإنما الأمر كله سراب وضلالات ، وهلوسات وتلبيسات كما سبق أن بيناه.

ومنها أن الغزالي اتبع منهجا جمع فيه بين الحرص على إخفاء أسرار الصوفية كعقيدة وحدة الوجود من جهة ، والاجتهاد لنشر التصوف والانتصار له بكل الوسائل الممكنة مع التستر بالإسلام من جهة أخرى.

تلك هي أهم خصائص منهج الغزالي في البحث والاستدلال ، ومنهج تلك مميزاته وذلك حاله لا يقبل ولا يُمكن أن يكون منهجا شرعيا ولا عقليا ولا علميا، وإنما هو منهج أصحاب التأويل التحريفي وأمثالهم من أهل الأهواء .

وأما مدح الغزالي لعلم الصوفية ومنهجهم في التحصيل والاستدلال ، فهو كلام غير صحيح . يقول الغزالي: ((فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة))[1].

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 25 .

وأقول: لا نتوسع في الرد عليه وإظهار فساد وبطلان معظم ما قاله، لأن ما ذكرناه في كتابنا هذا هو دليل قطعي على فساد وبطلان قوله. من ذلك أولا إن الزعم بأن للصوفية علوم إلهامية هو زعم غير صحيح ، لأن ما عندهم ليس علما ولا علوما وإنما هو خليط من الأفكار الصحيحة والفاسدة، ومن الهلوسات والأوهام والتلبيسات النفسية والشيطانية. والدليل على ذلك أن تصوفهم- وهو علمهم- بأصوله وفروعه الأساسية وغاياته غير صحيح تماما ، لأنه مخالف للشرع والعقل والعلم، وما فيه من صحيح فهو موجود في هامش التصوف لا في صلبه وأساسياته[1]. فلو كان للقوم علوم إلهامية صحيحة ما كان ذلك حال تصوفهم الذي تعاونوا في إقامته ومارسوا التقية من أجله، وتستروا بالإسلام انتصارا له.

وثانيا إن تركهم للعلوم الشرعية والإنسانية والطبيعية الصحيحة ليس هو مما يُمدح به الصوفية، وإنما هو مما يُذمون به ، لأن تركهم لتلك العلوم هو سبب انحرافهم . فتركوا العلوم الصحيحة وارتموا في أحضان الأوهام والهلوسات وخداع الحواس، والتلبيسات النفسية والشيطانية وأخذوا منها علومهم المزعومة. وفكر هذا حاله ليس علما ، ولا يصح وصفه بذلك. فالقوم أوردوا أنفسهم المهالك بذلك الموقف. فماذا ننتظر من علم يعترف أصاحبه أنهم لم يأخذوه من الشرع، ولا من العقل ، ولا من العلم ؟؟. فالقوم شهدوا على أنفسهم وعلمهم بعدم صحته، مع أنهم ذكروا ذلك من باب المدح لا الذم ، لكنه اعتراف هام وخطير جدا، لأنه سبق أن بينا فساد منهجهم في تلقي العلم.

وثالثا إن الرجل بيّن الطريق الذي أوصل الصوفية إلى علومهم المزعومة وهو ممارستهم لعبادات الطريق الصوفي القائم على المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. لكن الحقيقة ليست كذلك لأن القوم لم يُجاهدوا أنفسهم على طاعة الله وإتباع شريعته، وإنما جاهدوها لمخالفة الشرع وإتباع أهوائهم في تأسيسهم للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته. فكانت النتيجة أنهم أفسدوا أنفسهم ولم يُصلحوها، وأبعدوها عن الله ورموا بها في أحضان وحدة الوجود. وهذا أمر سبق أن أقمنا الأدلة الدامغة على صحته[2].

---

[1] أثبتُ ذلك بالأدلة الدامغة في كتابينا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.
[2] بينتُ ذلك في كتابينا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف.

وليس صحيحا أن القلب البشري يحتاج إلى صقل وتجلية ليتلقى علوم الملكوت ، وإنما القلب كغيره من قِوى الإنسان يحتاج إلى تربية وتعلم واجتهاد ليكسب العلوم والتجارب. والدليل على ذلك قوله تعالى: ((وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(النحل: 78)). فالإنسان يُولد ولا يعلم شيئا لكنه يولد بقدرات واستعدادات عقلية وقلبية وعضوية بها يكتسب العلوم والتجارب تدريجيا حسب نموه العقلي والنفسي والبدني، وهذا أمر ثابت علميا ومُشاهد في الواقع. ولهذا فالقلب لا يتلقى العلوم بالصقل والتجلية كما قال الغزالي، وإنما يتلقاها بالاجتهاد والتعلم وممارسة العبادات الشرعية.

وبما أن الأمر كذلك والأنبياء أنفسهم يتلقون الوحي من الله تعالى من جهة ، ويُعلمهم ويزكيهم من جهة أخرى بدليل قوله سبحانه: ((وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: 113)). فإنه لا علم دون تربية وتعلم، والقلب البشري لن يتلقى علوم دون كسب وتعلم ، ولا ينفع معه الصقل ولا التجلية، ولا مزاعم الصوفية وأحوالهم.

وأخيرا- رابعا- إن قوله بأن نتيجة منهجهم أن الله تقبلهم ونورهم وكشف لهم أسرار الملكوت ، فهو زعم باطل قطعا . لأن تصوفهم شاهد عليهم ، فلو كان كما زعم ما كان مخالفا للشرع وهادما للوحي والعقل والعلم كما سبق أن وضحناه في بحثنا هذا. وقد بينا في كتابنا هذا بطلان حكاية الكشف والإلهام عند الصوفية، وذكرنا شواهد كثيرة على فساد علمهم المزعوم ،وأن حقيقة ما عندهم غالبه أوهام وظنون، وهلوسات وخداع حواس، وتلبيسات نفسية وشيطانية، والصحيح الذي فيه هو من الإسلام يوجد في هوامش التصوف لا في صلبه ومكوناته الأساسية.

وأما فيما يخص الجانب التربوي عند الغزالي في كتابه الإحياء، فقد تبين أنه انتصر غالبا للمنهج التربوي الصوفي على حساب المنهج التربوي في الإسلام. من ذلك مثلا أنه كثيرا ما اجتهد لتيئيس الناس من قدرتهم على تطبيق الشرع ليدفعهم إلى التصوف وينتصر له على حساب الإسلام . كما فعل في موضوع الزواج عندما حث المريد على ترك الزواج بدعوى عدم قدرته على اتباع السنة في الجمع بين الزواج وتكاليفه. ومنها أنه أظهر الميل إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى أنه صعب وأن

الغالب من يفعله يندم عليه. ومنها حثه على العزلة وترك المخالطة بقوله : ((. ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك))[1]. فالرجل يعطل الشرع وينتصر للتصوف بالتخويف والتصعيب والتحذير ، مع أن الله تعالى أمرنا بإتباع الكتاب والسنة لا الغزالي ولا التصوف ولا شيوخه. والرجل مارس ذلك عن سبق إصرار وترصد انتصارا للتصوف مع التستر بالإسلام .

واتضح أيضا أنه من الخطأ الثناء على الإحياء بأنه كتاب تربوي جيد يربي الإنسان ويجعله يهتم بتزكية نفسه وقلبه. لأنه تبين أن الكتاب قائم على التزكية وفق الطريق الصوفي الموصل إلى وحدة الوجود التي هي هدم للوحي والعقل والعلم . وهذا الأمر هو الذي سماه الغزالي علم المكاشفة. وأما الجانب القلبي في الشرع فقد ألحقه الغزالي بعلم المعاملة وجعله أقل أهمية من علم المكاشفة حسب تعبيره. ولهذا يجب أن لا ننخدع بما يقوله الغزالي عن النفس والقلب وعجائبه ، وعلينا أن نُميز اللسان الذي يتكلم به الرجل والقلب الذي يقصده. علما بأن التزكية الشرعيه عنده هي من علم الظاهر لا علم المكاشفة- الباطن- ، وقد ازدرى بها مرارا بدعوى أنها تقوم على خوف النار ورجاء الجنة، لكن التزكية الصوفية عنده أفضل منها لأنها لا تقوم على ذلك وإنما تقوم على عبادة الله لذاته، وهذا أمر سبق أن بينا بطلانه . ولهذا يجب الحذر من الثناء على الكتاب بأنه جيد فيما يتعلق بالتزكية القلبية، مما يجعل من الأحسن التنفير منه بدلا من الثناء عليه بتلك الخاصية،لأن الرجل شبك كتابه بمختلف طرق التضليل والتحريف والتلاعب انتصارا للتصوف وتسترا بالإسلام.

وأما إذا قيل أليس من المعروف عند كثير من الناس أن كتاب إحياء علوم الدين من أحسن الكتب التي صُنفت في التزكية النفسية والقلبية ، حتى أن بعض أهل العلم اختصره ليكون أكثر نفعا ،فمنهم من سمى مختصره: منهاج القاصدين، ومنهم من سماه: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، ومنهم من عنونه ب: المستخلص في تزكية النفس. فهل حقا أن كتاب الإحياء هام جدا لتربية النفس وتزكيتها ؟؟.

وأقول: أولا إن حقيقة كتاب الإحياء في صميمه وصلبه ليس مزكيا للنفس ولا مطهرا ولا مربيا لها، وإنما هو مدمر لها، وهادم للشرع والعقل

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 320 .

والعلم. لكنه تضمن في أطرافه جوانب كثيرة كانت خادمة له أكثر مما كان هو خادما لها بفارق كبير جدا. استخدمها الغزالي ووظفها لتعضيد التصوف والانتصار له.

وثانيا إن تلك الجوانب الموجودة في أطرافه معظمها نقله الغزالي من مختلف المصنفات حسب علومها. منها الأحاديث النبوية، فيها الصحيح والضعيف والموضوع . ومنها الأبواب الفقهية نقلها من كتب الفقه. ومنها الإسرائيليات معظمها غير صحيح . ومنها أخبار الصحابة والزهاد والصوفية ، فيها الصحيح والضعيف، والنافع والضار. فهذه الجوانب منها قسم كبير يتفق مع التصوف ومنها قسم آخر لا يتفق معه لكن الغزالي استخدمه بدعوى إحياء علوم الدين من جهة ، ووظفه لإخفاء حقيقة ما كان يدعو إليه من جهة أخرى. وهذا الجانب لا يصح نسبته إلى إحياء علوم الدين ، لأنه منقول من خارج التصوف ولا يتفق معه ، لكن الرجل أدخله فيه لغاية في نفسه. وبتجريد إحياء علوم الدين من الفقه والأحاديث الصحيحة والروايات والأفكار التي لا تتفق مع التصوف لأنها ليست منه، فلا يبقى في الكتاب إلا التصوف وما يتفق معه. وهذا القسم يتضمن فكر الغزالي وتراث الصوفية الذين سبقوه، وهو المكوِّن والمقوِّم الأساسي الوحيد الذي قام عليه الكتاب وتَحكم في تشعباته وغاياته. ولهذا قلنا : إن هذا الكتاب مدمر للنفس البشرية وليس مزكيا لها، وهادم للدين وليس مُحييا له. والصحيح الموجود فيه معظمه ليس منه، ويجب إرجاعه إلى مصادره ولا ننسبه إلى الإحياء عندما نحكم على الكتاب، ويُمكن الحصول على تلك الفوائد من خارجه .

وتبين أيضا أن الغزالي في انتصاره للمنهج التربوي الصوفي اهتم كثيرا بموضوع وساوس الشيطان وإضلاله للإنسان وتوسع في بيان مخاطره وطرق مقاومته ، فكان مما قاله: ((وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس إبليس فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده. فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم))[1].

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 39 .

لكن الأمر الخطير والغريب والمؤسف أيضا أن الغزالي كان من ضحايا تلبيسات الشيطان ووساوسه ولم يقدر على مقاومته وكشف حيله وتجنب سُبله. أوقعه في شِراكه عندما نقله إلى الدين الصوفي، وجعله يُمارس التقية ومختلف طرق التضليل والتحريف والتغليط انتصارا للتصوف، وعندما جعله يُخالف الشرع مخالفات صريحة ويُقرر ما يناقضه بل وما يُعطله ويهدمه !!. فكانت مجاهدات الغزالي في ممارسته للطريق الصوفي الغالب عليها أنها كانت في مخالفة الشرع لا في الالتزام به !!. فأين حكاية علم المكاشفة ؟؟، فلماذا لم ينقذه من الضلال الذي أوقعه فيه الشيطان مع أنه توسع كثيرا في شرح كيفية مقاومته وكشف تلبيساته ؟؟ !! .

واتضح أن الغزالي في موقفه من الدنيا أنه ذمها وبالغ في ذلك مبالغة شديدة، ومدح الآخرة وحبب في طلبها ؛ لكنه من جهة أخرى ذم الآخرة واجتهد في طلب الدنيا الصوفية بالدنيا والآخرة . فكيف ذلك ؟. إنه أظهر تفضيله للآخرة على الدنيا انتصارا للجانب القلبي من علوم المعاملة، لكنه ذم الدنيا والآخرة طلبا للدنيا الصوفية انتصارا لعلم المكاشفة- ثمرة التصوف- وفيها يصبح الصوفي يعتقد بوحدة الوجود . وهذه هي المعاد الصوفي الذي دندن حوله الصوفية وأخفوا اعتقادهم به قديما وحديثا منهم الغزالي. وبذلك يعود الصوفي إلى الدنيا من جهتين: الأولى الدنيا التي ذمها يعود إلى الاغتراف منها لأن الصوفي العارف حسب زعم شيوخ الصوفية قد تجوهر ولا تضره الدنيا، ولا يحتاج ليُجاهد نفسه مرة أخرى وهنا من حقه تناول كل ما لذ وطاب من الدنيا، وقد سجل التاريخ جانبا كبيرا من انهماك الصوفية في تناول ملذات الدنيا أثناء عقد مجالس الغناء والرقص التي هي من ممارسات عبادات الطريق الصوفي. منها ما ذكره المؤرخ قطب الدين اليونيني عنهم (القرن 8 هـ) ، موجزه: وموجزه : بعد صلاة المغرب مُدّ سِماط عظيم فيه أنواع كثيرة من المأكولات ، منها : مائة خروف، وتسعمائة طير من الدجاج . وبعد صلاة العشاء افتتح مجلس الغناء والرقص ،واستمر إلى قرب صلاة الفجر ؛و قد قُسّم المجلس إلى ثلاث نوبات ، في الأولى غنوا و رقصوا ، ثم توقفوا لتناول الحلويات . ثم نهضوا للنوبة الثانية ، فغنوا ورقصوا ، ثم جلسوا لتناول الفواكه النادرة والمتنوعة . ثم قاموا للثالثة فغنوا و رقصوا ، ثم مدّ لهم سماط فيه البندق والفستق ،والزبيب والكعك ، وغيرها من المأكولات. ثم أدخلهم الأمير إلى الحمام

،وأعطى لبعضهم ملابس جديدة حسنة ، لأنهم كانوا قد خلعوا قمصانهم في الرقص ، ثم أخذهم إلى داره وسقاهم الأشربة وأعطاهم الحلويات[1] .

والجهة الثانية إن الصوفي يتمتع بالدنيا الصوفية التي وصل إليها بممارسته لعبادات الطريق الصوفي، فهو يصبح مجذوبا إلى الحضرة الإلهية حسب زعم الصوفيه، وفيها يستشعر الصوفية الربوبية المزعومة عندما يكون في هلوساته وتلبيساته . فالغزالي وأمثاله ذم الدنيا لترك الآخرة وطلب الدنيا من الجهتين كما بيناه .

وبذلك يتضح أن الغزالي مارس تضليلا كبيرا وخطيرا في حرصه على ذم الدنيا والتحذير منها حتى أنه أفرد لها كتابا في إحيائه وتوسع في بيانه وذكر شواهده . فالرجل لم يفعل ذلك طلبا للآخرة – المعاد الشرعي- وإنما طلبا للدنيا الصوفية- المعاد الصوفي- .

ولذلك فإن مبالغة الغزالي في ذم الدنيا هدفه طلبها بذلك الذم الذي يجعل الصوفي يُمارس عبادات الطريق الصوفي ليصل إلى غاية التصوف النهائية وليس لعبادة الله وطاعته والتزام شريعته ورجاء جنته وخوف ناره. علما بأن الشرع -الذي تستر به الغزالي في ذمه للدنيا- لم يذم الدنيا مطلقا ولا مدحها مُطلقا ، وإنما هي مزرعة الآخرة فمن آمن وعمل صالحه كانت الدنيا له جنة في الدنيا والآخرة، ومن كفر وانحرف عن الشرع وعمل المنكرات كانت الدنيا جحيما له في الدنيا والآخرة. ولا معنى لذلك الغلو في ذم الدنيا، والتحذير منها بتلك الطريقة مع أن الدنيا هي الطريق إلى الجنة أو النار . وبما أن الدنيا هي التي تدخلنا إلى النار ، أو إلى الجنة فلا يصح ذمها مُطلقا والغلو في التحذير منها، وإنما يجب النظر إليها على أنها كسيف ذي حدين ، يُستخدم في الخير والشر .

وثانيا فقد تبين من نقدنا لكتاب الإحياء أن موضوعه الأساسي الذي قام عليه ليس إحياء علوم دين الإسلام وإنما هو إحياء التصوف والانتصار له عامة وتقرير وحدة الوجود خاصة، مع إحاطة ذلك بهوامش من دين الإسلام . وقد بذل الغزالي جهدا كبيرا من أجل تحقيق ذلك مستخدما التقية عقيدة ،ومختلف أنواع التضليل والتحريف وسيلة، والتظاهر بالإسلام تسترا، والحرص على استخدام مصطلحات شرعية بمضامين صوفية.

[1] قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، ج 2 ص : 301 ، 302 .

ولتطبيق ذلك تطلب الأمر منه ممارسة التضليل والتحريف في تقرير التصوف والانتصار له، وفي إخفاء انحرافات التصوف وضلالاته، وفي تأويل النصوص الشرعية تأويلات فاسدة لتطويعها وتحريفها.

وثالثا فقد اتضح من بحثنا هذا أن علم المكاشفة الذي تغنى به الغزالي ودافع عنه بكل ما يستطيع هو حالة مرضية يصل إليها الصوفي عندما يفنى عن الخلق ويفنى في الحق حسب زعم الصوفية. بمعنى عندما ينجذب الصوفي ويفنى عن ذاته ومحيطه ويستشعر الربوبية والألوهية، وفيها يكتشف أنه هو الله ، والله هو الكون ، فلا موجود إلا الله، وهذه الحالة هي المعروفة بعقيدة وحدة الوجود. ونحن قد ناقشنا الرجل وبينا بالأدلة الدامغة بطلان قوله بعلم المكاشفة ، وكشفنا أنه كان يقول بوحدة الوجود، وله فيها كلام كثيرة عبّر به عن اعتقاده بها ، وقد ناقشناه في ذلك وبينا فسادها وأنها عقيدة كفرية هادمة للوحي والعقل والعلم.

علما بأن قول الغزالي بعلم المكاشفة ووحدة الوجود ليس أمرا جديدا عند الصوفية، فقد قال بذلك شيوخ الصوفية الأوائل وعبّروا عنه بإشاراتهم الملغزة غالبا . منها الأقوال الآتية: كتب الجنيد رسالة إلى أحد الصوفية، مطلعها : ((هنأك الله كرامته، فأنت غيث لأهل مودته ... ومنتسب إلى وحدانيته ، ومُخبر عنه به،ومن اصطنعه لنفسه في قديم أزليته ، وأطلعه على مكنون سره ...))[1].
وقال أبو بكر الشبلي : ((إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق)) [2]. وقال سهل بن عبد الله التستري: ((للعالم ثلاثة علوم؛ علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسع إظهاره إلاّ لأهله، وعلم هو سرّ بين اللّه وبين العالم هو حقيقة إيمانه، لا يظهره لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن))[3]. وقال أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي (ت 303 هـ) ((فإن كل الخَلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق))[4].

وقال السراج الطوسي(ت 378 هـ) :((وللصوفية أيضا مُستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخف في العبارة من دقتها ولطافتها ؛ وذلك في معنى

---

[1] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 316 .
[2] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ، ص: 389 .
[3] أبو طالب المكي: قوت القلوب ، ج 2 ص: 2 . والغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 22 .
[4] القشيري : الرسالة القشيرية، حققه عبد الحليم محمود، و محمود بن الشريف، ج 1 ، هامش ص: 85.

العوارض والعوائق والعلائق والحجب، وخبايا السر ومقامات الإخلاص وأحوال المعارف وحقائق العبودية، ومحو الكون بالأزل ، وتلاشي المُحدث إذا قورن بالقديم، وفناء رؤية الأعواض، وبقاء رؤية المعطي بفناء رؤية العطاء، وعبور الأحوال والمقامات ، وجمع المتفرقات، وفناء رؤية القصد ببقاء رؤية المقصود، والإعراض عن رؤية الأعواض،وترك الاعتراض، والهجوم على سلوك سبل منطمسة ، وعبور مفاوز مهلكة))[1].

واتضح أيضا أن الغزالي غالى كثيرا في تعظيمه لعلم المكاشفة حتى أنه زعم أن هذا العلم يجعل الصوفي يعلم كل أسرار عالم الغيب والشهادة، ويعلم حتى ذات الله وصفاته وأفعاله !!!!. فناقشناه في ذلك وبينا بطلان زعمه من أساسه، فكانت حصيلة ما كتبه في الإحياء صفرية ، بدليل الشواهد الآتية:

أولها إنه تبين أن التصوف بكل مقوماته مخالف للشرع أصولا وفروعا وغاية، وهذا دليل قطعي على فساد وبطلان التصوف كله. والشاهد الثاني إن التصوف ناقض للنبوة ، وهادم للوحي والعقل والعلم كما سبق أن بيناه، وهذا دليل قطعي على بطلان حكاية علم المكاشفة ، لأنه لو كان صحيحا ويقينيا ما كان ذلك حاله. والشاهد الثالث –على صفرية التصوف وعلمه- أنه لو كان أمر المكاشفة كما زعم الغزالي لأصبح الغزالي أكبر عالم في الكون بأسره ولكان عبقريا في كل العلوم وما احتاج إلى أن يأخذ العلوم من مصادرها المعروفة. وبما أننا وجدناه أخذ القضايا المتعلقة بالطب عن الأطباء، والمتعلقة بالفلسفية كالعقول العشرة ، ونظرية الفيض، ونظرية المثل ، والمنطق، والفلك وجدناه أخذ كل ذلك من كتب الفلسفة فإن فعله هذا دليل قطعي على أن علمه المزعوم-المكاشفة- علم باطل وزائف لم يُكسبه شيئا حقيقيا إلا المزاعم الطويلة والعريضة، والدعاوى الطنانة والرنانة من جهة، وجعل الغزالي من أكثر العلماء خطأ وانحرافا عن الشرع والعقل والعلم من جهة أخرى.

والشاهد الرابع إن مما يُبطل زعم الغزالي ويشهد على حصيلته الصفرية هو أن الرجل كما أنه لم يجن من المكاشفة علما حتى أنه أخذ ما كتبه عن غيره من أهل العلم ، فإن علمه هذا لم ينقذه ولا جنبه من نقل الأخطاء العلمية ، ولا هداه إلى تمييز صحيحها من سقيمها ، حتى أنه ووقع في أخطاء شرعية وتاريخية وعلمية كثيرة جدا.

---

[1] السراج الطوسي: اللمع ، ص: 32 .

والشاهد الأخير- الخامس- مفاده أن التصوف وعلمه المزعوم أجبرا الغزالي على ممارسة التضليل والتحريف والتلاعب بشكل كبير ومتنوع غطى معظم جوانب كتاب الإحياء كما سبق أن بيناه . وهذا دليل قطعي على بطلان التصوف وعلمه المزعوم، لأن الفكر الصحيح لا يحتاج أبدا إلى استخدام تلك الوسائل التحريفية والهادمة للشرع والعقل والعلم؛ لأنه لو كان صحيحا فهو بالضرورة موافق للوحي والعقل والعلم. وبما أن الغزالي مارس تلك الطرق التحريفية والتضليلية والتأويلية الفاسدة فهي أدلة قطعية على فساد التصوف وعلمه المزعوم. وبتلك الشواهد الدامغة يتبين قطعا أن حصيلة علم المكاشفة المزعوم هي حصيلة صفرية من جهة ، وهي أدلة دامغة على فساده وبطلانه من جهة ثانية ، وأن أبا حامد الغزالي كان ضحية علمه المزعوم من جهة ثالثة، فانتقل من ضلال الفلسفة وشبهاتها إلى ضلال التصوف وهلوساته وتلبيساته الشيطانية ، فالرجل انتقل من ضلال إلى ضلال، ولم يُنقذ من الضلال !!.

ورابعا فقد تبين من نقدنا لكتاب إحياء علوم الدين أن الغزالي بتصنيفه له لم يكتب كتابا واحدا وإنما صنف كتابين في كتاب واحد وبلسانين مختلفين: الأول خصصه للتصوف وهو أصل الإحياء وصلبه، والثاني ضمنه علوم الشرع وجعله في هوامش الكتاب الأول و تابِع له. لأن الرجل وإن كان لم يتوسع في شرح التصوف بكل مقوماته كما فعل في علوم الكتاب الثاني فإنه عرضه بخلفية صوفية، واستخدمه لتأييد التصوف، وجعله خادما له. بل إنه توسع فعلا في كثير من مواضيع الكتاب عندما تكلم عن الجوع ، وذم الدنيا، والسهر، والمجاهدة، والرياء، والمحبة ،،،، وهذه المواضيع من صلب الدين الصوفي. فالرجل في الحقيقة توسع في كتاب التصوف ولم يلتزم بعدم التوسع فيه كما قال. إنه توسع فيه تقريرا للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته. وفعله هذا هو من عمليات التضليل والتحريف التي مارسها الرجل، ففي الوقت الذي يزعم أن علوم المكاشفة المزعومة لا يجوز كشفها ، وجدناه لم يترك أمرا من الدين الصوفي إلا ذكره وانتصر له تلميحا وإشارة ، أو تصريحا وتوضيحا. ولهذا لو استخلصنا واستخرجنا مواضيع التصوف من الإحياء لوجدناها نحو ثلث الكتاب أو أكثر وهذا ليس قليلا ، ومخالف لما قاله بأنه لا يجوز ذكر علوم المكاشفة. وأما إذا نظرنا إلى المفاهيم والأفكار الأساسية التي قام عليها كتاب الأحياء وإلى روحه المهيمنة عليه والمتحكمة في خلفياته وغايته فكلها صوفية من دون شك .
ولهذا فلو نزعنا ما يتعلق بالتصوف بأصوله ومضامينه من الإحياء لانهار الكتاب وانفرط عقده . وهذا لا ينفي صحة ما قاله الغزالي من أن هدفه علوم

المعاملة- علوم الدين- لأن هذه العلوم كانت الغطاء الذي تستر به الرجل ومن خلاله كتب كتابه الأول بلسان التصوف وبلسانه الثاني صنف كتابه الثاني، لكنه من منظور الأول ومن أجله . ولهذا فإن حقيقة الإحياء أنه كتاب صوفي متستر بعلوم الإسلام . وهذا من ممارسات مؤلفه في التضليل والتحريف والتلاعب انتصارا للتصوف لا لدين الإسلام. فكتاب الإحياء ليس كتابا لأحياء علوم الشرع وإنما هو كتاب لهدم دين الإسلام وإحياء الدين الصوفي!!!!.

علما بأن الغزالي كما مارس ازدواجية الخطاب في الإحياء فإنه اعترف صراحة بأنه يفعل ذلك ويحث عليه وأن تعدد الخطاب من صفات الإنسان الكامل فقال: ((...ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار. فأما المذهب بالاعتبار الأول، فهو نمط الآباء والأجداد ... المذهب الثاني ما ينطبق في الإرشاد والتعليم على من جاءه مستفيداً مسترشداً... المذهب الثالث ما يعتقده الرجل سراً بينه وبين الله عز وجل، لا يطلع عليه غير الله تعالى، ولا يذكره إلا مع من هو شريكه في الاطلاع على ما اطلع، أو بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهم))[1]. وقوله هذا دليل دامغ يشهد بلسان الغزالي على أنه ليس ثقة في كل ما يكتبه وأنه يتعمد التلاعب بالكلام حسب مصلحته.

ويُلاحظ على أبي حامد الغزالي أنه لم يعمل على أسلمة التصوف ولا تصويف الإسلام ، وإنما أبقى كلا منهما منفصلا عن الآخر ووصل بينهما بروابط انتصارا للتصوف ليكون الإسلام تابعا وساترا له. والشواهد الدالة على ذلك كثيرة، أولها إن الغزالي في بداية إحيائه فرق بين عِلمين : علم المعاملة ويتضمن أعمال القلوب والجوارح، وهو الذي جاءت به الأنبياء، والمُتمثل في دين الإسلام الذي جاء به خاتم الأنبياء محمد- عليه الصلاة والسلام- . وعلم المكاشفة لم يأت به الأنبياء ولا فرضه الله تعالى على عباده، وإنما هو علم يُمثل غاية التصوف النهائية، يصل إليه ويظفر به أولياء الصوفية وبه يكتشفون أسرار الكون حسب زعمهم . فهم أنبياء الدين الصوفي ولا خاتم لهم ، لكن دين الإسلام خُتم أنبياؤه .

والشاهد الثاني مفاده أن الغزالي تكلم عن أصول الدين الصوفي وقررها- الحب الصوفي، التوكل الصوفي، ذم الدنيا وتركها- فانتصر لها بكل ما يستطيع وخالف بها دين الإسلام مخالفات صريحة .

---

[1] الغزالي: ميزان العمل ، حققه سليمان دنيا، دار المعارف ، القاهرة، 1964 ،ص: 405 .

والشاهد الثالث مضمونه أن الرجل تكلم عن عبادات الدين الصوفي- الخلوة، الجوع، العطش، الصمت، السهر، الغناء- وانتصر لها، ودافع عنها بكل ما يستطيع، وخالف بها دين الإسلام ولم يكترث بذلك كما سبق أن بيناه.

والشاهد الرابع إن الغزالي سوى بين الأنبياء وأولياء الصوفية في اكتساب العلم ، وفي النور الذي يتلقونه، بل إنه فضل أولياء الصوفية على الأنبياء. وبذلك نقض ختم النبوة، وعطل دين الإسلام، وجعل للدين الصوفي أنبياء سماهم أولياء.

والشاهد الأخير- الخامس- إن الرجل تكلم عن غايات الدين الصوفي عامة وغايته الكبرى خاصة ، وهي وحدة الوجود – الفناء عن الخلق والفناء في الحق- وانتصر لها في عدة مواضع من كتابه بالتضليل والتحريف. وبها عطل الإسلام وهدمه ، ودمر الوحي والعقل والعلم انتصارا للدين الصوفي وتقريرا له .

وذلك العمل الذي قام به الغزالي يُمكن تشبيهه بما سيقوم به ابن رشد الحفيد (ت 595 هـ) فيما بعد في كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، وفيه قرر الفصل بين الفلسفة الأرسطية والدين الإسلامي من جهة ، وأبقى الوصل رابطا بينهما من جهة أخرى[1]. ولعل ابن رشد قد تأثر بالغزالي فيما دوّنه في كتابه الإحياء، لأن الرجلين متشابهيّن كثيرا فيما قام به كل منهما انتصاراً لدينه وإيجاداً للعلاقة بينه وبين الإسلام تسترا به وتضليلا للمسلمين.

واتضح أيضا أن كتاب الإحياء في صميمه وغايته لم يكن يحمل مشروعا إسلاميا من أجل الإسلام والمسلمين وإنما كان يحمل مشروعا صوفيا من أجل التصوف وأهله يستلزم تطبيقه تعطيل الإسلام وهدمه. ولا كان مشروعا علميا للنهوض بالعقل المسلم في كل مجالات العلوم ، وإنما كان مشروعا صوفيا لنشر الخرافات والأوهام ، والأكاذيب والضلالات بدعوى الكرامات، وعلم المكاشفة ، ووحدة الوجود، والأنوار القلبية. هذا المشروع التخريبي الهادم للوحي والعقل والعلم هو الذي صخر له الغزالي كل قدراته ودوّنه في إحيائه مُستخدما مُختلف أنواع التضليل والتحريف لتقريره والانتصار له والدعوة إليه . ولتحقيق مشروعه وجدناه حريصا

[1] عن ذلك أنظر كتابنا: نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد على ضوء الشرع والعقل والعلم . والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

شديد الحرص على أمرين: الأول الحرص على تقرير التصوف والانتصار له على حساب الوحي والعقل والعلم . والثاني الحرص على إخفاء حقيقة التصوف- المناقض للشرع والعقل والعلم- وعدم كشفها بكلام واضح بيّن لا يحتمل أي تأويل.

وبناءً على ما ذكرناه عن كتاب الإحياء فإنه لا يصح أن نُصدر حكما على الكتاب بقولنا مثلا: محاسنه أكثر من مساوئه، أو سلبياته أكثر من إيجابياته. لأن هذا الكتاب ليس كتابا واحدا بل يمثل كتابين في كتاب واحد كما بيناه سابقا، وكل كتاب مناقض للآخر ويُمثل دينا قائما بذاته. فإذا نظرنا إلى الأول وجدناه مكانه في صلب كتاب الإحياء ويُمثل التصوف ومُعطل للشرع وهادم له. وإذا نظرنا إلى الثاني وجدناه يُمثل الإسلام ومكانه في هوامش الإحياء من جهة، ويتضمن خليطا من السلبيات والإيجابيات والحقائق والأباطيل من جهة أخرى. وهذا الذي يعرفه أكثر الناس عن إحياء علوم الدين، فاختلفوا في الحكم عليه بسبب ازدواجية خطاب الكتاب بين لسان التصوف ولسان الإسلام وهيمنة الأول على الثاني. ولكي نتخذ موقفا صحيحا من الإحياء يجب أن نفصّل موقفنا ولا نحكم عليه حكما مجملا ولا واحدا ، وإنما نصدر حكمين منفصلين الأول يتعلق بكتاب التصوف كما بيناه أعلاه، والثاني يتعلق بكتاب علوم الشرع كما عرفناه سابقا . وبصفة عامة فإن كتاب الإحياء هو كتاب صوفي بامتياز هادم للوحي والعقل والعلم ، وما يُوجد فيه من إسلام في أطرافه لا يُغير من حقيقته شيئا.

وخامسا تبين أيضا أن أبا حامد الغزالي أهمل تحقيق الأحاديث النبوية رغم كثرة اعتماده عليها، ولا حرص على تحصيل الصحيح منها ، ولا استعان بمن يُحقق له أحاديثه ، ولا اعتمد أساسا على المرويات الصحيحة. وقد ذكر الباحث محمود عبد الرؤوف القاسم أن كتاب إحياء علوم الدين للغزالي تضمن أكثر من 400 حديث موضوع ومكذوب، منها قسم لم يجده محقق الكتاب الحافظ العراقي، وآخر لم يجد له أصلا. ثم قال: ((مما يجعلنا نظن أن الواضع لها أو لبعضها على الأقل هو الغزالي نفسه، أو كشفه. وأما إذا أردنا الحق فيبقى الغزالي متهما بوضعها كلها حتى يثبت العكس))[1]. ويُضاف إلى تلك الأحاديث- الموضوعة- أحاديث أخرى ضعيفة يزيد

---

[1] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1987، ص: 637.

عددها عن الموضوعة، وبذلك يكون مجموعها قريبا من نصف مجموع أحاديث الكتاب، إن لم تكن أكثر[1].

واتهام ذلك الباحث للغزالي بوضع تلك الأحاديث أمر وارد جدا، لأن الغزالي كغيره من الصوفية قالوا بالتقية ومارسوها لإخفاء حقيقتهم عن المسلمين. وبها سمحوا لأنفسهم بمخالفة الشرع والعقل والعلم انتصارا للتصوف كما سبق أن بيناه. وقد طبق الغزالي ذلك بشكل واسع جدا بعمليات التضليل والتحريف التي مارسها في الإحياء انتصارا للتصوف وتسترا بالإسلام وهدما له كما بيناه سابقا. ومن يفعل ذلك لا يهتم أصلا بتحقيق الأحاديث ولا يحرص على تحصيل صحيحها ، وإنما همه الوحيد هو تقرير التصوف والدفاع عنه بكل ما يستطيع . والشاهد على ذلك أن الغزالي في مواضع من كتابه ذكر أن الحديث في الصحيح: مسلم، أو البخاري، أو فيهما معا[2]، وفعله هذا هو نوع من التوثيق والإشارة إلى أن الحديث صحيح، لكنه من جهة أخرى لم يفعل ذلك مع أحاديث كثيرة جدا في الإحياء، فكان يرويها بأسلوب الإثبات والتأكيد ، كقوله: قال، ذَكَر[3] ، مع أنها أحاديث ضعيفة، أو موضوعة، أو لا أصل لها، أو لا وجود لها خارج كتابه إحياء علوم الدين . وهنا كان عليه على الأقل أن يرويها بأسلوب التمريض والتشكيك، كأن يقول: قيل، يُروى، يُقال ، يُحكى، حُكي . فلماذا لم يفعل هذا وفعل ذلك ؟؟ !!.

ومن ذلك أيضا أن الغزالي أكثر من الاهتمام بأمر المجاهدة وتعظيمها من أجل الآخرة، ومن هذا اهتمامه يجب عليه شرعا وعقلا أن يهتم بطلب الحديث الصحيح وتحصيله ، لأنه من الدين وموصل إلى المجاهدة الصحيحة وإلى الآخرة . لكن الرجل فعل خلاف ذلك تماما ، فقد أهمل طلب الصحيح، وأقبل على الأحاديث الضعيفة والموضوعة يغترف منهما اغترافا بأعداد كبيرة. فلماذا فعل هذا ؟؟ !!.

إنه فعل ذلك لغاية في نفسه عن سبق إصرار وترصد، إنه كان يعلم أنه لن يتمكن من تقرير التصوف وتأصيله وشرحه وتأييده باسم الإسلام إذا هو طلب الحديث الصحيح واهتم بتحقيق مروياته، وإنما ليتم له ذلك فلا بد من

---

[1] محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1987، ص: 637.

[2] أنظر مثلا: الغزالي: إحياء علوم الدين، ط دار المعرفة، ، ج 4 ص: 543 ، 546 .

[3] الكتاب مملوء بذلك ،أنظر مثلا: الغزالي: إحياء علوم الدين، ط دار المعرفة، ، ج 4 ص: 146ن 147 .

الاعتماد أساسا على الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها، ولا وجود لها أيضا في المصنفات الحديثية. ولهذا اعتمد عليها اعتمادا أساسيا وروى منها كماً كبيرا . وبذلك يكون الغزالي قد مارس الانتهازية والتضليل والتحريف انتصارا للتصوف ، فجاء الإحياء مُعبرا عن ذلك بشكل واضح كما بيناه في كتابنا هذا !! .

وسادسا إن مما يجدر ذكره هنا أن الفيلسوف ابن رشد الحفيد اتبع منهج الغزالي في تعامله مع الشرع وانتصاره للتصوف في كتابه إحياء علوم الدين ؛ نفس الطريقة اتبعها ابن رشد في انتصاره للفلسفة الأرسطية باسم الشريعة في كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال[1]. فكل منهما انتصر لعقيدته ، فميزها وفصلها وعظمها من جهة، ووصلها بالشرع وألبسها ثوبه من جهة ثانية، وتعالى وتعالم على الإسلام وصخره لخدمة دينه من جهة ثالثة. فكل منهما كان يسعى للتمكين لدينه باسم الشرع مع العمل على تعطيل الإسلام وهدمه في النهاية ، والحرص الشديد على اتقان ممارسة التقية وحسن تطبيقها بمختلف وسائل التضليل والتحريف.

ومن ذلك أيضا أن كلا منهما بالغ وتطرف في الثناء على علمه وأصحابه وتجاوز حدود الشرع والعقل والعلم، بل وبلغ به الأمر درجة الجنون بسبب تعصبه الأعمى لدينه. فالغزالي عرّف علمه المزعوم وأصحابه بقوله:((وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحِكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ،ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ،ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار ،وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب .ومعنى قوله تعالى: "اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً" -الإسراء : 14-. ومعنى قوله تعالى:" وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون

[1] للوقوف على ذلك أنظر كتابنا: نقد فكر ابن رشد الحفيد على ضوء الشرع والعقل والعلم ، والكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا .

وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"-العنكبوت : 64 - ومعنى لقاء الله عز و جل والنظر إلى وجهه الكريم . ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ... فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم- في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار .وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه و سلم بقوله : "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى" فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه))[1].

وأما ابن رشد فقد سار على طريق الغزالي في الغلو والتطرف لكنه لم يخص ذلك بالصوفية ولا بكل الفلاسفة وإنما خصه بأرسطو ، فقد غالى فيه غلوا كبيرا ، لكنه أقل غلوا من الغزالي . من ذلك أن ابن رشد وصف[2] أرسطو بأنه الحكيم الأول[3] . و أنه لم يُقصّر في موقفه من هالة الشمس و القمر ، فهكذا ينبغي أن ((يُفهم الأمر عن أرسطو في هذه الأشياء ، لا أنه قصّر قي ذلك و ترك شيئا يجب ذكره في هذا العلم و لا في غيره . فسبحان الذي خصّه بالكمال الإنساني،و كان المُدرَك عنده بسهولة ، هو المُدرَك عند الناس بعد فحص طويل و صعوبة كثيرة .و المُدرك عند غيره بسهولة خلاف المدرك عنده . و لذلك كثيرا ما ينشأ للمفسرين شكوك على أقاويل

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 19- 20 .
[2] سنعتمد في ذلك على كتب ابن رشد أولا ،و على مصنفات الرشديين المتخصصين في ابن رشد عندما يتعذر علينا العثور على بعض أقوله من كتبه مباشرة .
[3] ابن رشد : تهافت التهافت ، ص: 220 .

هذا الرجل ، ثم يتبين بعد زمان طويل صواب قوله ، و تقصير نظر الغير ، بالإظافة إلى نظره . و بهذه القوة الإلهية التي وُجدت فيه كان هو الموجد للحكمة و المتمم لها . و ذلك شيء يقل وجوده في الصنائع ، أي صناعة كانت ، فكيف في هذه الصناعة العظمى ؟ . و إنما قلنا أنه الموجد و المُتمم لأن ما سلف لغيره في هذه الأشياء ليست تستأهل أن تُجعل شكوكا على هذه الأشياء ، فضلا عن أن تكون مبادئ . و إذ قد تبين هذا ، فإذن ليس في أقاويل أرسطو شيء يحتاج إلى تتميم ، كما زعم أبو بكر بن الصائغ-ابن باجة- . نعم فيها أشياء كثيرة لم يفهمها هو و لا نحن بعده ،و بخاصة في الكتب التي لم تصل إلينا ، فيها أقاويل المفسرين . و لذلك كان الواجب عليه أن يستعمل الفحص عن كلامه لا بتلك الأشياء الخارجة عن طريقة التعليم))[1] .

ومن ذلك أيضا أنه –أي ابن رشد- كان يعتقد أن نظر أرسطو فوق نظر جميع الناس[2] .و أنه قال –فيما بعد الطبيعة قولا ((تاما و حل كل الشكوك في ذلك))،و ((رأيه هو الرأي الذي تنفصل عنه جميع الاعتراضات ، و تنحل به جميع الشكوك الواقعة في المبادئ))[3]. وإذا كان واجبا على أرسطو شكر من تقدمه مع ((قلة ما كان عند من تقدمه من معرفة الحق ،و عِظَم ما أتى به من الحق بعدهم و انفرد به ، حتى انه كَمُل عنده الحق . فكم أضعاف ... ما يجب على من جاء بعده من شكره و معرفة حقه،و شكره الخاص به ، إنما هو العناية بأقاويله و شرحها و إيضاحها لجميع الناس))[4].

ووصفه بأنه أكبر الناس عقلا ،و هو الذي ألف علوم المنطق و الطبيعيات ، و ما بعد الطبيعة و أكملها . و سبب قوله هذا هو أن جميع الكتب التي أُلفت في هذه العلوم قبل مجيء أرسطو لا تستحق جهد التحدث عنها . ثم قال : ((نحمد الله كثيرا على اختياره ذلك الرجل-أي أرسطو- للكمال ، فوضعه في أسمى درجات العقل البشري ،و التي لم يستطع أن يصل إليها أي رجل في أي عصر))[5] ،وهو أعقل اليونان و واضع علوم المنطق و الطبيعيات ،و ما وراء الطبيعة و متممها ... و لا وجدوا خطأ فيها ، ...و ((يُوجب تسميته ملكا إلهيا لا بشرا)) ،و إننا نحمد الله حمدا كثيرا لأنه قدّر الكمال لهذا الرجل، و وضعه في درجة لم يبغلها أحد غيره من البشر في جميع الزمان ،و ربما كان البارئ مُشيرا إليه لما قال في كتابه ((

[1] ابن رشد : تلخيص الآثار العلوية ، ص: 145 ، 146 .
[2] الجابري: ابن رشد ، ص: 165-، 166 .
[3] محمد المصباحي : الوجه الآخر لحداثة ابن رشد ، ص: 76 .
[4] نفسه ، ص: 76 ، 77 . و الجابري : المرجع السابق ، ص: 179 ، 180 .
[5] عاطف العراقي : الفيلسوف ابن رشد ، ص: 53 .

و الفضل لله يُؤتيه من يشاء))[1] ، و برهانه لهو ((الحق المبين ،و يمكننا أن نقول عنه : إن العناية الإلهية أرسلته إلينا لتعليمنا ما يمكن علمه))[2] .

ومذهب أرسطو –عند ابن رشد – هو ((المذهب الذي ترتفع عنه جميع الشكوك المتقدمة التي تلزم الفريقين ، مع أنه أمر حق في نفسه، ومعروف بما تعرف به الأوائل . فما اشد مطابقة مذهب أرسطو للحق ،و ما أبعد الناس من الفهم عنه في كثير من الأشياء المعروفة بنفسها ، فضلا عن المعروفة بغيرها ،و الله يُؤتي فضله من يشاء))[3]. فانظر إلى ما يفعل التعصب الأعمى بأصحابه !!!! .

وسابعا فقد تبين من بحثنا هذا أن ممارسة الغزالي للتضليل والتحريف في الإحياء بشكل كبير وواسع أوقعته في تناقضات كثيرة . أولها مفاده أن الغزالي انتقد القصاص فيما يروونه من أخبار واشترط عليهم شروطا ،فقال: ((وإن كان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى بها بأسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتفكيرات متداركة بحسنات تغطى عليها فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت))[4]. وواصل قوله : ((وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار))[5].

أقول: واضح من كلام الرجل أنه اشترط على القصاص عندما يقصون على الناس أن يلتزموا الصدق ورواية الأخبار الصحيحة، وأن يتجنبوا الكذب، ويأخذوا القصص من القرآن والكتب التي تضمنت الأخبار الصحيحة، وأن لا يتساهلوا في مروياتهم . وهذه شروط جيدة ومطلوبة تجعل عمل القاص مفيدا نافعا غير مُضرٍ . لكن الرجل –كما هو معروف وثابت عنه- نقض قوله هذا ولم يلتزم به وبالغ في مخالفته عندما ملأ كتابه إحياء علوم الدين بالأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والتي لا أصل لها ، ولا وجود لها في المصنفات الحديثية من جهة ، ولم يحرص على تحصيل الأحاديث الصحيحة، ولا اجتهد لتحقيقها، ولا استعان بمن يُحققها له جهة أخرى !!. فالرجل لم يلتزم بما نصح به القصاص واشترطه عليهم ، وكان

[1] هذه الآية ذكرها بالمعنى ،و نصها هو ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))-سورة الجمعة : 4 -

[2] فرج أنطون : ابن رشد و فلسفته ، ص: 88 .

[3] محمد المصباحي : المرجع السابق ، ص: 131 .

[4] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 35 .

[5] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 35 .

من الواجب أن يلتزم هو بها قبل أن ينصح بها هؤلاء !! . لم يفعل ذلك لغاية في نفسه لا تتحقق إلا بالمرويات الضعيفة والموضوعة، وبممارسة مختلف طرق التضليل والتحريف !! .

ومن ذلك أيضا أن الغزالي اتهم ناقديه بذكر حكايات موضوعة في نقدهم له بقوله: ((متشبثين بدعاوى كاذبة، مُتصفين بحكايات موضوعة))[1]. لكنه نسي أو تناسي أنه هو شخصيا ملأ كتابه إحياء علوم الدين بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والتي لا أصل لها ، ونسبها إلى النبي-عليه الصلاة والسلام- من دون حرج ،ولا ورع ،ولا خوف، ولا حرص على تحقيقها!!.

والتناقض الثاني: لقد أكثر الغزالي في إحياء علوم الدين من التركيز على الآخرة وعلومها والحث على الاهتمام بها ، والثناء على أهلها من الصحابة والتابعين ، ومن أجلها انتقد علماء الدنيا وتكلم فيهم[2]. لكنه نقض موقفه هذا عندما قرر ما يُخالف الشرع ويهدمه كتقريره لعقيدة وحدة الوجود ، وعندما انتصر لشيوخ الصوفية وأثنى عليهم عندما أعلنوا صراحة بأنهم لا يرجون دنيا ولا آخرة[3] !! .

والتناقض الثالث: أكثر الغزالي من الكلام عن أعمال القلوب، وعلى مجاهدة النفس والترفع عن الخصومات ، وحث على الأخلاق الحميدة كالصدق والصبر والورع وحبب فيه[4].وعندما تكلم عن مداخل الشيطان التي توصله إلى الإيقاع بالإنسان ذكر من بينها : ((التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العُبَاد والفساق جميعا))، و((فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق))[5].

تلك النصائح والتوجيهات لاشك أنها قيمة ومن الأخلاق السامية، لكن الغزالي نقضها ولم يلتزم بها في كثير من مواقفه . بدليل الشواهد الآتية:

[1] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 13 .
[2] أنظر مثلا : الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 4 ، 5 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 419.
[4] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 19.
[5] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3 ص: 45 ،48.

أولها إنه نقض دعوته إلى الصدق بتقريره للتقية وممارستها باستخدام مختلف وسائل التضليل والتحريف، ومن يفعل ذلك لن يكن صادقا مع الله ولا مع الناس ولا مع نفسه .

والشاهد الثاني إن الرجل نقض دعوته إلى الورع والصبر على المخالفين عندما هاجم الفقهاء بحق وبغير حق ،ووصفهم بأنهم من علماء الظاهر ،وشن عليهم هجوما عنيفا واتهمهم في نواياهم ، وتعالم عليهم بدعوى أنه من العارفين وأرباب القلوب، وهم من أهل الظاهر ، ومنع عليهم الاشتغال بأعمال الباطن بدعوى أنهم ليسوا من أهله ، ووصفهم بالتطفل إن هم فعلوا ذلك[1].

والشاهد الأخير- الثالث- إن الغزالي نقض دعوته إلى محاسبة النفس والصبر على المخالفين ،والترفع عن الخصومات ، والبعد عن الكلام البذيء . وذلك أنه عندما انتقده بعض علماء عصره في مواضع من كتابه الإحياء شن عليهم هجوما عنيفا تجريحا وتشهيرا واتهاما ، فقال: ((سألتَ...عن بعض ما وقع في الإملاء الملقب بالإحياء مما أشكل على من حُجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قِدْحه وسهمه، وأظهرت التحزن لما شوش به شركاء الطغام وأمثال الأنعام وإجماع العوام وسفهاء الأحلام وذعار أهل الإسلام، حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته، وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة بإطراحه ومنابذته، ونسبوا ممليه إلى ضلال وإضلال، ونبذوا قراءه ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال؛ فإلى الله انصرافهم ومآلهم وعليه في العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمين في شقاق بعيد ولا عجب فقد ثوى أدلاء الطريق وذهب أرباب التحقيق فلم يبق في الغالب إلا أهل الزور والفسوق إلى أن قال حجبوا عن الحقيقة بأربعة الجهل والإصرار ومحبة الدنيا والإظهار.....))[2]. فأين أخلاق الصبر وحسن المعاملة، والتسامح ومجاهدة النفس التي توسع الغزالي في شرحها والدعوة إليها في كتابه الإحياء ؟؟ !! . فهل تلك الشتائم

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 19.
[2] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 13 – 14 .

والاتهامات والألفاظ الجارحة هي من أخلاق العلماء الربانيين وأرباب القلوب ؟؟ !! . وهل ،،، ؟وهل ،،، ؟ .

وأقول أيضاً: أولا إن ذلك الرد العنيف والفاضح لصاحبه هو رد من الغزالي على كل من ينقده ويتجرأ على الرد عليه من معاصريه ومن جاء بعدهم إلى يوم الدين، فهو رد يشملهم كلهم منهم مؤلف هذا الكتاب. وهو رد عنيف لا مبرر له، وليس من الشرع ولا من العقل ولا من العلم في شيء من جهة، وهو شاهد على أن الرجل خاف من أن ينكشف أمره فيما فعله في الإحياء من تضليل وتحريف من جهة أخرى. لهذا ظهر الرجل عنيفا مُضطربا قلقا متعاليا متعالما مُجهلا مُقزما لناقديه ورافضا لنقدهم له ، حتى بلغ به الأمر إلى أنه ألحقهم بالأنعام والطغام- الأوغاد،الرعاع- ، والذعار وأهل الزور والفسوق، وهم عنده جهال في علمهم، فعلوا كل ذلك طلبا للدنيا ، أو محبة ثناء، أو مغالبة نظراء !!!!!!.

وثانيا واضح من كلام الغزالي أنه اتهم ناقديه في نواياهم ولم يُحسن فيهم الظن ولا اعترف لهم بحقهم في الرد عليه . فاتهمهم بأنهم تألفوا جميعا على المنكر، و" تصافوا بسرهم على الخديعة والمكر". وكلامه هذا لا مُبرر صحيح له، ويشهد ضده بأنه كان يخشى أن يُؤدي نقدهم له إلى كشف أسرار الصوفية التي أخفاها ومارس التضليل والتحريف من أجلها . فالرجل قَلِق واضطرب وثار لمجرد نقد بعض الفقهاء له فيما كتبه في الإحياء !!، وردوده تلك ليست من أخلاق العلماء الصادقين النزهاء.

وثالثا إن الرجل تعالم على ناقديه وتكبر عليهم بدعوى أنه من أهل الكشف وهم لم يصلوا درجته ، لذلك لم يستطيعوا فهم كلامه. لكنه نسي أو تناسى أنه هو السبب في ذلك عندما تعمد تلغيز وتعمية ما كتبه عن أسرار التصوف وأباطيله وضلالاته. أليس هو الذي كتب إحياءه بلسانين ؟؟، فلماذا لم يكن صريحا واضحا فيما كتبه عن حقيقة التصوف وأهله ؟؟. كان عليه أن ينتقد نفسه ويُحاسبها ويُجاهدها قبل أن ينتقد ناقديه ويتهمهم في نواياهم وعلمهم وأخلاقهم. فكان عليه أن يعلم أنه من حق أهل العلم أن ينقدوه ، وعليه أن يتقبل انتقادهم له بصدر رحب دون غضب ولا سوء ظن لأمرين أساسيين: الأول إن كان هو متأكدا من صحة ما كتبه ، فلا مبرر للغضب والهيجان والاتهام ، ويكفي أن يرد عليهم ويُبين لهم أخطاءهم في انتقادهم له . والأمر الثاني: وإن كان مُخطئا يجب عليه أن يعترف بخطئه

وصواب منتقديه ،ويشكرهم على تصويبهم له ويأخذ بصحيحهم ويتخلى عن أخطائه وكبريائه وتعالمه. ونحن نعلم قطعا أن الغزالي وقع في أخطاء وانحرافات شرعية وتاريخية وعلمية كثيرة جدا.

ورابعا إن الغزالي برده السابق على ناقديه يشهد على نفسه بأن تصوفه وممارسته للطريق الصوفي مدة طويلة لم تخلصه من الكبرياء والتعالي والتعالم وسوء الظن والازدراء بالناقدين له. فهل هذه الصفات المذمومة كانت فيه من قبل ولم يتخلص منها بعد تصوفه ، أو أن التصوف هو الذي أوجدها فيه ؟؟. والحقيقة أن حال الغزالي جمع بين الأمرين، بدليل الشاهدين الآتيين: الأول هو أن التصوف أوجد في الغزالي جانبا من تلك الصفات وعمق بعضها فيه بدليل أنه أكثر في الإحياء من التفاخر والتعالم على العلماء من غير الصوفية بدعوى أنه من أهل الكشف وعلم الباطن وهؤلاء من أهل الظاهر لا علم لهم بعلوم القلب واليقين والأنوار الربانية.

والشاهد الثاني مفاده أن الغزالي بعد تصوفه ظل متصفا بكثير من الصفات المذمومة التي كانت فيه قبل تصوفه، بدليل أن تلميذه عبد الغافر بن إسماعيل وصف جانبا منها قبل تصوف وبعده بقوله : ((ولقد زرته مراراً، وما كنت أحدس في نفسي مع ما عهدته في سالف الزمان عليه من الزعارة، وإيحاش الناس، والنظر إليهم بعين الإزدراء، والاستخفاف بهم كبراً وخيلاء واغتراراً بما رزق من البسطة في النطق، والخاطر، والعبارة، وطلب الجاه، والعلو في المنزلة أنه صار على الضد، وتصفى من تلك الكدورات. وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف، متنمس بما صار إليه، فتحققت بعد السبر والتنقير أن الأمر على خلاف المظنون، وأن الرجل أفاق بعد الجنون))[1]. لكن الحقيقة هي أن الغزالي ظل متصفا بكثير من أخلاقه المذمومة حتى بعد تصوفه ، بدليل رده السابق على منتقديه ولا يقف أمامه قول تلميذه بأن الرجل أفاق بعد الجنون ،لأن الحقيقة المرة هي أنه انتقل من ضلال إلى ضلال، ومن جنون إلى جنون أخطر من الأول انتهى به إلى تقرير ما يهدم الشرع والعقل والعلم !!!! .

والتناقض الرابع: لقد نقد الغزالي المبتدعة من مختلف الطوائف بأنهم خالفوا منهج الصحابة ولم يلتزموا بمنهجهم، فلو تركوا هذيانهم ما زادوا

---

[1] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 35 ص: 115.

على ما كان عليه الصحابة[1] . لكنه نسى أو تناسى بأنه نقض قوله هذا ، لأن انتقاده لهؤلاء ينطبق عليه هو أيضا بشكل أوسع وأشمل وأخطر. لأنه هو والصوفية ليس فقط أنهم خالفوا الشرع ومنهج الصحابة بتبنيهم للتصوف فهذا أمر مؤكد قطعا ، وإنما هدموا الوحي والعقل والعلم بقولهم بعلم المكاشفة و وحدة الوجود، فأصبحوا أربابا وآلهة حسب زعمهم . أليس هذا تناقض صريح صارخ مع انتقاد الغزالي للمبتدعة ؟؟ !! .

والتناقض الخامس: انتقد الغزالي التأويل الباطني وأهله ، فكان مما قاله: ((فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهر المصنف في الرد على الباطنية))[2].

وأقول: نعم ذلك نقد صحيح وجهه الغزالي للتفسير الباطني وأهله ، لكنه ناقض نفسه، ونسي أو تناسى أنه هو شخصيا من أقطاب التأويل الباطني الداعين إليه والممارسين له !!. إنه بالتفسير بالباطني قال بعلم المكاشفة وعلم الباطن ،وبه قال بوحدة الفاعل ووحدة الوجود ، وبه فسرّ نصوصا شرعية كثيرة بتأويلات فاسدة ، وبه هدم الوحي والعقل والعلم، وبه تعالم على كل أهل العلم بدعوى أنه من أهل الباطن وهم من أهل الظاهر!! .

والتناقض السادس: عندما تكلم الغزالي عن أفعال المخلوقات وذواتهم اجتهد بالتضليل والتحريف ،والتلاعب والتغليط ليُبرهن أن أفعالها ليست منها وإنما هي من أفعال الله، وان ذواتها ليس لها وجود حقيقي وإنما هي امتدادات لله وظلال له ليُقرر في النهاية كفرية وخرافة وحدة الوجود. لكنه نقض مقدماته وبراهينه الباطلة بأقواله وأفعاله عندما دخل في معارك ومواجهات فكرية مع مخالفيه من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء، ووجه الانتقادات اللاذعة للذين انتقدوه فيما كتبه في الإحياء، وشن عليهم هجوما عنيفا واتهمهم بمختلف الاتهامات تشنيعا وتشهيرا وتجهيلا .فهل كل هذه الأعمال فعلها الله ، أم الملائكة ، أم الغزالي ، أم الجن ، أم الصوفية ؟؟

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 22 .
[2] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 37 .

لاشك أن الغزالي هو الذي فعل كل ذلك وليس هؤلاء ، ولا ريب أن من يقوم بما فعله الغزالي لا بد أنه كائن مستقل بذاته وأفعاله وله حرية التصرف فيما قام به . فالغزالي نقض بأقواله وأعماله ما قرره نظريا في قوله بوحدة الفاعل ووحدة الموجود .

والتناقض السابع : إن الغزالي أكثر من إظهار تعظيمه للشرع والالتزام به ، كقوله :((الأصل الأول معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان))[1]. لكنه نقض ذلك مرارا وتكرارا عندما تعالم على الشرع وقرر خلافه في عشرات المواقف كما سبق أن بيناه. وعندما نفى أن تكون أفعال البشر من ذواتهم مع أن الشرع ذكر في عشرات النصوص أن الإنسان كائن مسؤول عن أعماله وهو الفاعل لها.وخالفه أيضا عندما قرر أنه لا موجود إلا الله ، وهذا مخالف لقطعيات الإسلام في قوله بوجود الخالق والمخلوق. وهدم الإسلام عندما قرر وحدة الوجود . وعندما تكلم عن موضوع الصفات الإلهية نقضه أيضا بقوله : ((دقيق وغامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع ؛ فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ،وما خالف أولوه. فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد-أي الشرع- فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف.))[2]. ومعنى كلامه أن موضوع الصفات لا يُعرف حقيقة من الله ورسوله وإنما يُؤخذ من أوهام وهلوسات الصوفية التي سماها الغزالي نورا ويقينا !! . فهل من يقول بهذه الأباطيل يعظم الشرع ويتبعه ، أم انه يعمل على مخالفته وهدمه ؟؟ !! .

والتناقض الثامن: إن الغزالي توسع في بيان فضل القرآن وتلاوته وآداب وشروط قراءته، وخصص في الإحياء قسما سماه: كتاب آداب تلاوة القرآن[3]. لكنه نقض ذلك عندما فضل مجالس غناء الصوفية ورقصهم على مجالس سماع القرآن بالنسبة للصوفية بدعوى أن الغناء أشد تهييجا لهم من القرآن[4]. وتبريره هذا شاهد على تناقض الرجل والصوفية في موقفهم من

---

[1] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 105 .
[2] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين مج 1 ص : 180 .
[3] الغزالي: إحياء ،ج 1 ص: 272 .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج 2 ص: 298 .

القرآن الكريم، فهم أهل أهواء وهلوسات وتلبيسات وليسوا أهل قرآن. ولهذا وجدنا الرجل يتظاهر بتعظيم الشرع وسماع القرآن لكنه نصح الصوفية بتقديم مجالس الغناء والرقص على مجالس سماع القرآن الكريم !! .

والتناقض التاسع: إن الغزالي قرر التوكل الصوفي في السفر بلا زاد[1] بقوله: ((أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة . فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به ...)) [2]. ثم نقض توكله بقوله: ((فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متصلة .وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فإن كان ممن يصبر على الجوع أسبوعا أو عشرا مثلا أو يقدر على أن يكتفي بالحشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة))[3].

وتفصيل ذلك هو أن التوكل الذي قرره الرجل ليس توكلا بلا زاد ولا بلا أسباب، بل هو أخذ بالأسباب وتوكل على القافلة، أو على قدرة التحمل، أو على الحشيش، أو على القرى المتقاربة . ومن تناقضه أيضا أنه في البداية قال: ((فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به))، ثم نقضه بقوله : ((فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة))[4]. فكيف يكون التوكل بلا زاد لا بأس به، ثم يصبح الخروج بلا زاد معصية وإلقاء بالنفس إلى التهلكة !! .

والتناقض العاشر: يقول الغزالي : ((أما بعد فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن

---

[1] سبق أن ناقشنا الغزالي في قوله بالتوكل الصوفي وبينا فساده ومخالفته للشرع في الفصل الثالث .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 362 .
[3] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 362 .
[4] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 362 .

صادق لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها))[1].

وأقول: كلامه هذا جيد وصحيح بلا شك ، فالرجل هنا بيّن مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشرع ، ووصف حال المسلمين في زمانه عندما عطلوا الحسبة . لكنه من جهة أخرى مع تحصره وتأسفه ناقض نفسه ونسي أو تناسى أنه هو شخصيا بأقواله وأفعاله لم يأمر بالمعروف وإنما نهى عنه وشارك في تعطيله، وحث على المنكر ومارسه وشجع عليه. لأنه نقض ختم النبوة بحكاية علم المكاشفة، وهدم الإسلام بتقريره عقيدة وحدة الوجود، فأصبح من الواجب الرد عليه والتصدي له احتسابا لوجه الله . ولأنه حث على العزلة وحذّر من المخالطة، وخوّف من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضل ترك ذلك طلبا للسلامة . والشاهد على ذلك أنه قال : ((ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر، إذ ربما يجره طلب الخلاص عنها إلى معاص هي أكبر مما نهى عنه ابتداء . وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق... وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور... ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلا. نعم لو وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك))[2]. فهذا الرجل خالف الشرع وعطله وهدمه بتقريره للتصوف وانتصاره لأباطيله وضلالاته ، ثم حث الناس وشجعهم على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى العزلة وطلب السلامة !! . وبذلك أصبح من الواجب شرعا الرد على هذا الرجل وممارسة الحسبة ضده لتقويمه ، لأنه أصبح مشجعا للمنكر ومُثبطا على القيام بالمعروف مع تستره بالإسلام !!.

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 428 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 322 .

والتناقض الحادي عشر مفاده أن كتاب إحياء علوم الدين كله قائم على تناقض صريح صارخ ، وبيانه أن الكتاب في أساسه وصلبه وصميمه قائم على مخالفة الإسلام وتعطيله وهدمه ، لأن مؤلفه أقامه على التصوف، وبه نقض مبدأ التكليف والعبودية في الشرع عندما قرر وحدة الفاعل، وبه هدم دين الإسلام كله عندما قرر وحدة الموجود: لا موجود إلا الله ، وتعني وحدة الوجود . لكن الكتاب من جهة أخرى تضمنت هوامشه وظاهره علوم الإسلام بعنوان: إحياء علوم الدين ، والمفهوم منه دين الإسلام ، اللهم إلا إذا أراد به الغزالي " إحياء علوم الدين الصوفي" ضمن ممارسته للتضليل والتحريف . فالكتاب مضمونه ينقض ظاهره ، وظاهره ينقض مضمونه!!.

والتناقض الثاني عشر: إن الغزالي ألف كتابه إحياء علوم الدين ، باسم الإسلام ومن أجله وإحياءً لعلومه . لكنه نقض ذلك في معظم مباحث الكتاب وقضاياه الأساسية عندما انتصر فيها للتصوف لا للإسلام . من ذلك أنه عندما تكلم عن أصول التصوف انتصر فيها للحب والتوكل الصوفيين، ولموقف الصوفية من الدنيا. وعندما تكلم عن مجاهدات وعبادات الطريق الصوفي انتصر فيه للخلوة، والجوع، والعطش، والصمت، والسهر على الطريقة الصوفية لا الشرعية. وعندما تكلم عن غايات العبادة انتصر فيها للتوحيد، والمعرفة، والوَلاية عند الصوفية ولم يقُرر المفهوم الشرعي لتلك الغايات ولا انتصر لها.

والتناقض الأخير- الثالث عشر- : إن الغزالي أكد مرارا في إحيائه على أنه لا فاعل إلا الله، ولا موجود إلا هو . مما يعني أن الله هو الكون ، والكون هو الله حسب زعمه، وهذه هي عقيدة وحدة الوجود . لكن الرجل نقض ذلك عندما حث الناس على تبني التصوف وممارسة عباداته ، مما يعني أن الناس لهم ذواتهم وأفعالهم وهذا ينقض قوله بوحدة الفاعل والموجود. وإلا يكون الله يُخاطب نفسه ويأمرها بالعبادات الصوفية، فيعبد الله نفسه بنفسه. ولاشك أن هذا زعم باطل جرنا إليه قول الغزالي بخرافة وضلالة وحدة الفاعل والموجود !!.

وبذلك يتبين أن ممارسة الغزالي لمختلف طرق للتضليل والتحريف انتصارا للتصوف كانت لها أثار سلبية كثيرة على الرجل وفكره وعلى الشرع والعقل والعلم أيضا ، منها كثرة أخطائه وانحرافاته وتناقضاته. فما هي الأسباب الحقيقية التي أوقعته في ذلك ؟؟.

وأقول: أولا إن المتدبر بعمق في سير الغزالي إلى التصوف وتبنيه وانتصاره له، وممارسته للتضليل والتحريف من أجله، يتبين له أن السبب الأساسي في ذلك هو أن الرجل وقع في ثلاثة أخطاء كبرى كانت سببا فيما وصل إليه. أولها أنه أخطأ منذ الخطوة الأولى عندما حصر طرق الطالبين للحق في: طريق الفلاسفة، طريق المتكلمين، طريق الصوفية، طريقة الشيعة الإمامية [1]. فلم يذكر الطريق الشرعي- الكتاب والسنة- . فالرجل ضل الطريق من الخطوة الأولى.

والخطأ الثاني هو أن الرجل عندما اختار التصوف، - الخطوة الثانية في ضلاله- أخطأ في ذلك، لأن اختياره له نقله من الشرع والعقل والعلم إلى الأوهام والهلوسات والتلبيسات النفسية والشيطانية كما بيناه في الفصل الثاني.

والخطأ الثالث هو ممارسة الغزالي لعبادات الطريق الصوفي مدة طويلة حتى وصل إلى غاياته كما حكى هو عن نفسه في المنقذ من الضلال. وهنا كانت الخطوة الثالثة في ضلاله، وفيها أصبح صوفيا قلبا وقالبا، وتبين له مخالفة التصوف للوحي وبدائه العقول وحقائق الوجود المعروفة عند كل الناس .لكنه لم يقم بمراجعة مساره وقناعاته وعقائده الصوفية بعرضها على ميزان الوحي والعقل والعلم ، وإنما الذي حدث له هو أنه جند نفسه لممارسة التضليل والتحريف انتصارا للتصوف وهدما للوحي والعقل والعلم. فأنى له أن يستفيق ويرجع إلى الصراط المستقيم !!.

ولذلك فإذا كان تلميذه الفقيه المتكلم أبو بكر بن العربي قال: ((شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر))[2]، فإن الأخطر من ذلك هو أن الغزالي دخل في آخر حياته في بطن التصوف عن اختيار فصرعه واستحوذ عليه ، وأصبح من ضحاياه ، فلا هو تمكن من نقده ، ولا حاول الخروج منه، ولا تمكن من الانفلات منه. إنه جنى على نفسه ولم ينفعه إطلاعه الواسع على العلوم، بل أضرته عندما استخدمها في ممارسة التضليل والتحريف . فكان فعله هذا من مظاهر مأساة الرجل، فضلّ وأضل، وأفسد الشرع والعقل والعلم انتصارا للتصوف !!.

---

[1] أنظر: الغزالي: المنقذ من الضلال ، ص: 3 وما بعدها .

[2] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 4 ص: 66 .

وثانيا إن الغزالي عندما أخطأ في خطواته الأولى وما ترتب عنها من انحراف عن الصراط المستقيم واصل انحرافه ومارس مقتضياته عن سبق إصرار وترصد . فتبنى التقية عقيدة وطبقها مسلكاً وممارسة ، من ذلك أنه صنف كتاب الإحياء بلسانين متناقضين ، هما: لسان يُعبر عن التصوف، ولسان يُعبر عن علوم الشرع. فتطلب منه ذلك استخدام مختلف طرق التضليل والتحريف ليقرر التصوف وينتصر له ويخفي أباطيله وضلالاته عن المسلمين من جهة، وليُخالف الشرع ويُعطله ويهدمه مع التستر به من جهة أخرى . فعل ذلك بعدما تبين له أن التصوف لا يُمكن الجمع بينه وبين الشرع والعقل والعلم، لأن التصوف في حقيقته النهائية هو هدم للوحي والعقل والعلم ، والرجل قد أدرك ذلك من دون شك ، ولهذا جنّد نفسه للقيام بذلك، وطبقه من بداية الإحياء إلى نهايته، ولم يستطع تدارك أخطائه وانحرافاته ليُنقذ نفسه مما هو فيه من ضلال وانحراف، فكان ضحية اختياره وتصوفه ، ودفع ضريبة انحرافه عن الوحي والعقل والعلم، وهذا من مظاهر مأساة الرجل !!!!.

وثالثا إن كثرة تناقضات الرجل هي نتائج حتمية وتتفق تماما مع تبني الغزالي للتصوف وانعكاساته عليه ، وتجد تفسيراتها وأسبابها في ذلك. فالرجل لما كان على منهج منحرف عن الصراط المستقيم منطلقا ومسلكاً ، ولما كان مُصرا على تقرير التصوف والانتصار له مارس مختلف أنواع التضليل والتحريف ، والتدليس والتغليط لتحقيق غاياته، فأوقعه هذا في كثرة الأخطاء والانحرافات والتناقضات كما بيناه في كتابنا هذا .

وإنهاءً لذلك أقول: انطلاقا مما ذكرناه عن الغزالي في كتابنا هذا فهل يصح تبرير أفعاله والاعتذار له فيها ؟؟ !! . لا يصح الاعتذار للرجل فيما فعله ولا تبريره ، لأنه فعل ما ذكرناه عن رضا وطواعية، وعن سبق إصرار وترصد من جهة، وارتكب جرائم كبرى في حق الوحي والعقل والعلم من جهة أخرى. فهو مسؤول عن أعماله ، ويتحمل مسؤوليته كاملة أمام الشرع والعقل والعلم .

ثانيا: اعتراضات وتساؤلات:

يتضمن هذا المبحث طائفة من الاعتراضات والتساؤلات تتعلق كلها بما ذكرناه في كتابنا هذا من ممارسة الغزالي لمختلف أنواع التضليل والتحريف، وما نتج عنها من نتائج وآثار سلبية كثيرة جدا.

فبالنسبة للاعتراضات فسأذكر منها تسعة ، **أولها:** ربما يعترض علينا بعض أهل العلم بأننا حملنا أقوال الغزالي ما لا تحتمل، وقولناها ما لم تقل . خاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود لقول الغزالي بالفناء عن الخلق والفناء في الله ، مع أنه وُجد من علماء المسلمين الملتزمين بالمنهج السلفي من أستخدم نفس المصطلحين منهم الشيخان : تقي الدين بن تيمية في مجموع الفتاوى وابن قيم الجوزية في مدارج السالكين، ولم يُتهما بأنهما قالا بوحدة الوجود، فلماذا يُتهم الغزالي بأنه قال بها .

وأقول: إن الأمر ليس كذلك، لأن معنى الفناء بنوعيه عند الصوفية ومنهم الغزالي واضح بيناه بأقوالهم ومن الكتب التي حددت مصطلحاتهم[1]. فهي تشهد عليهم بأنهم قصدوا بالفناء في الله القول بوحدة الوجود، بمعنى لا موجود إلا الله. وقد بينا بعدة شواهد أن الغزالي قال أولا بتوحيد الفاعل وهو توحيد المرتبة الثالثة حسب تقسيمه للتوحيد، وفيه يفنى الصوفي عن ذاته ومحيطه. ثم ذكر التوحيد الرابع ويعني توحيد الموجود ، فلا موجود عنده إلا الله . وهذا التوحيد هو نفسه وحدة الوجود.

وأما ما فعله ابن تيمية وابن قيم الجوزية فهما استخدما مصطلحات صوفية بمضامين شرعية لا صوفية . فهما لم يقصدا ما قصده الصوفية، وقد ردا على قول الصوفية بتوحيد الفاعل وتوحيد الموجود. لكن مع ذلك ليتهما تجنبا استخدام مصطلحات الصوفية، لأن المصطلحات الشرعية وغير الصوفية أيضا هي أفضل من مصطلحات الصوفية الملغزة التي تعمدوا تلغيزها وتعميتها بإشاراتهم المعروفة عنهم لتحقيق غايات في نفوسهم . فاستخدام الشيخين لها أحدث خلطا وإرباكا في الفهم ، وأعطى للصوفية مبررا وتسويغا وفرصة لتسويق أفكارهم ونشرها بين المسلمين بمضامين صوفية لا شرعية . ومع أنه لا مشاحة في الاصطلاح بعد تحديد المعاني فكان من الأولى تجنب استخدام مصطلحات الصوفية.

والاعتراض الثاني: قد يعترض علينا بعض الناس في نقدنا للغزالي بأنه يجب إحسان الظن به لحسن نيته واجتهاده في طلب الحق، أولى من اتهامه وانتقاده والحط عليه. فمن الأحسن اتباع ما فعله الحافظ الذهبي عندما قال عن الغزالي: ((رأيت غير واحد من الأئمة يقولون، إنه رد على

[1] بينا ذلك في هذا المصنف ، وفي كتابنا: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

الفلاسفة في مواضع، ووافقهم عليها في بعض تواليفه ، ووقع في شكوك، نسأل الله السلامة واليقين، ولكنه مثال حسن القصد))[1].

وأقول: أولا إن الأخطاء والتضليلات والتحريفات ستبقى كذلك ولن يرفعها حسن الظن ،ولا حسن المقصد، ولا يصح الاعتذار فيها لصاحبها بحسن الظن والمقصد. وثانيا فيما يخص الغزالي فهو قد اعترف أنه متعدد الخطاب وأنه يُخفي عقيدته ولهذا كتب الإحياء بلسانيّن . ومن هذا حاله لا يصح إحسان الظن فيه لأنه يُشرع للتقية والتدليس والتلاعب والتضليل، فكيف نحسن نحن به الظن وهو يُمارس ذلك عن سبق إصرا وترصد ؟؟.علما بأن سلوكه هذا ليس من دين الإسلام الذي يقوم على الصدق والكلام الواضح لا على التلاعب والتدليس والتضليل. فمنهج الغزالي مرفوض شرعا وعقلا وعلما . وثالثا إن من يُمارس كل ما ذكرناه من تضليلات وتحريفات وتلاعبات لا يصح إحسان الظن به ولا النظر إلى حسن مقصده. ومن يكون له حسن مقصد لا يُمكن إن يقوم بما فعله الغزالي لأنه يتناقض تماما مع أفعاله. لذلك فإن الحقيقة هي أن الغزالي كانت له نية حسنة وحسن مقصد انطلاقا من الدين الصوفي لا من دين الإسلام. وكل عمليات التضليل والتحريف التي مارسها كان مصدرها التصوف ومن أجله قصد تقريره والانتصار له من جهة ، وهدم الوحي والعقل والعلم من جهة أخرى. فالرجل كان مخلصا للتصوف لا لدين الإسلام، ولا للعقل ، ولا للعلم . ولهذا لا يصح ومن الخطأ إحسان الظن في أبي حامد الغزالي بعد تصوفه ، لأنه باع الشرع والعقل والعلم بالتصوف.

والاعتراض الثالث: ربما ينكر عليّ بعض أهل العلم وصفي لأبي حامد الغزالي بأنه انحرف عن الشرع ومارس مختلف طرق التضليل والتحريف انتصارا للتصوف .

وأقول: نعم أنا قلتّ ذلك فيه، بل ووصفته بأكثر من ذلك، لكني لم أكذب عليه ولا حرّفت كلامه ليوافق ما قلتُه. وكل نقدي له مؤيد بالأدلة الواضحة من أقواله. علما بأن وصفي له بذلك ليس جديدا فقد قاله بعض أهل العلم قديما وحديثا . والشاهد على ذلك أن الغزالي نفسه ذكر في كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء أن الذين نقدوه نسبوه ((إلى ضلال وإضلال، ونبذوا قرُاءه ومنتحليه بزيغ في الشريعة وإخلال))[2]. ولاشك أن الذين اتهموه بذلك

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 19 ص: 335 .
[2] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية ، ص: 13 .

لم يكن اتهامهم له بلا دليل، وإنما أقاموا اتهامهم له على معطيات صحيحة من أقوال الرجل نفسه موجودة في إحياء علوم الدين. بدليل أننا ذكرنا منها أمثلة كثيرة تشهد على الغزالي بأنه خالف للشرع والعقل والعلم في أكثر مواقفه الصوفية.

والاعتراض الرابع: ربما يعترض علينا بعض أهل العلم فيقول: إن مؤلف هذا الكتاب أخطأ عندما اتهم الغزالي بأنه كان يقول بوحدة الوجود ودافع عنها في إحيائه ، بدليل أنه أنكر على من قال بالحلول والاتحاد كما في قوله: ((وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر ،وإلى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم: أنا الحق .وضل النصارى في عيسى -عليه السلام- فقالوا : هو الإله. وقال آخرون منهم: تدرع الناسوت باللاهوت. وقال آخرون: اتحد به .وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون))[1]. وقال أيضا : ((((وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال: أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم .وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذ ظهر فيها لون الحمرة مقابلها وإذا كان هذا لا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض))[2].

وأقول: إني لم اتهم الرجل ولا حملتُ أقواله ما لا تحتمل، ولا حرفتها ولا تلاعبت بها كما فعل هو في إحيائه، وأنا على يقين أني لم أفعل ذلك. فإن تبين أني فعلتُ ذلك في حقه فسأتراجع عن موقفي واعترف بخطئي فيما قلته ونسبته إليه.وأما بالنسبة للاعتراض فإن الغزالي قد قال بوحدة الوجود حقا وفعلا بطرق مختلفة سبق بيانها. وأما قوله المذكور في الاعتراض فهو شاهد آخر على ممارسة الغزالي للتضليل والتحريف وقوله بوحدة الوجود أيضا. لأنه أولا لم يُنكر وحدة الوجود وإنما أنكر ما يُثبت التعدد - الخالق والمخلوق- كالتشبيه ، والتمثيل ، والاتحاد ، والحلول. لأن كلا من التشبيه والتمثيل يتطلب التعدد لا الوحدة لكي يتم ذلك . والاتحاد يتطلب وجود اثنين يحدث بينهما امتزاج ليحدث الاتحاد. والحلول يتطلب اثنين أيضا ليحل

---

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4 ص: 414 .
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 2 ص: 407 .

أحدهما في الآخر. فلا اتحاد ولا حلول إلا بتعدد الوجود ، ولا يحدثان بوحدة الوجود. فالغزالي أنكر الحلول والاتحاد إنكارا صوفيا لا شرعيا، لأنهما يتناقضان مع وحدة الوجود- التوحيد الصوفي- ، وليس لأنهما مُخالفان للتوحيد في دين الإسلام.

وثانيا يُلاحظ على الغزالي أنه تجنب الإشارة إلى الموقف الشرعي من القضية التي يُناقشها. وهي موضوع الصفات الإلهية، فهي وإن حدثت حولها خلافات ومجادلات كثيرة بين مختلف الطوائف الإسلامية نفيا وإثباتا ، وتنزيها وتشبيها، فإن الموقف الشرعي منها يبقى هو الحَكم والأصل الذي يُرجع إليه وليس تلك الفرق ،ولا اعتبار لمواقفها إذا خالفت الوحي الصحيح. ومن الثابت شرعا أن موضوع الصفات ليس مشكلة أصلا في دين الإسلام، لأنها من محكمات الكتاب ، والفهم الصحيح لها واضح لا إشكال فيه. ولا عبرة لآراء وتأويلات المحرفين وأهل الأهواء من موضوع الصفات. ولهذا فإن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات جمعاً بين الإثبات والتنزيه، ونفيا للتشبيه والتمثيل والتأويل الفاسد. قال سبحانه: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى: 11))، وهذه الآية وحدها تكفي لتوضيح المفهوم الشرعي والرد على كل المنحرفين عن الشرع في موضع الصفات الإلهية[1].لكن الذي يهمنا هنا هو أن الغزالي تجنب الإشارة إلى الموقف الشرعي من الصفات لأنه يقوم على إثبات التعدد – الخالق والمخلوق- مع تنزيه الله من مشابهة ومماثلة مخلوقاته . فهو موقف ينقض القول بوحدة الوجود ، لهذا تجنب الغزالي الإشارة إليه .

لكن الرجل من جهة أخرى مع أنه لم يذكر وحدة الوجود صراحة إلا أنه أشار إليها بالتضمن عندما أنكر المواقف التي تقوم على التعدد ، وعندما ذكر أن أهل المكاشفة- شيوخ الصوفية- ((اتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون)). فما هو هذا السر؟، ولماذا لم يذكره ويشرحه بوضوح وصراحة ؟؟!! . وهذا السر المزعوم من بداية الكتاب والرجل يتكلم عنه ويُذكر به ، وقد أشار إليه مرارا بعبارات ملغزة، وفي مواقف أخرى أفصح عنه تقريبا كما سبق أن بيناه. إنه سر مزعوم يُسمى وحدة الوجود دمر به الغزالي نفسه وهدم به الشرع والعقل والعلم. و لا يصح أن يُقال: إن السر

[1] ليس هنا مجال التوسع في ذلك والاحتجاج له. لكن سبق أن فصلتُ فيها في بعض كتبي، منها: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث. وجناية المعتزلة على العقل والشرع .

الذي أشار إليه يقصد به التوحيد الإسلامي ؛ هذا لا يصح لأن التوحيد الإسلامي لم يكن سرا ، ويعرفه المسلمون والكفار، ومُدوّن في القرآن .

علما بأن الصوفية الذين أظهروا الحلول والاتحاد بألسنتهم فإنهم كانوا يقصدون بهما وحدة الوجود-الفناء في الله- لا الاتحاد والحلول القائمين على تعدد الوجود، لأن اتحادهم وحلولهم قائمان على وحدة الوجود لا على تعدده. وهذا يندرج ضمن قولهم: إثبات الجمع بالفرق ، بمعى إثبات الوحدة بالكثرة . لأن القول بوحدة الوجود يجعل الأفراد بالضرورة هم آلهة أيضا بحكم أنهم أشباح ورسوم وتجليات وإضافات لله حسب زعم الغزالي والصوفية.

والاعتراض الخامس: ربما يُقال: إن مؤلف هذا الكتاب تحامل كثيرا على الغزالي في مواقفه، مع أنه كان يقرر الحكم الشرعي في الاحياء، والكتاب نفسه ألفه لإحياء علوم الدين ؟؟.

وأقول: هنالك مواقف لم يُقرر فيها الغزالي الحكم الشرعي، بل أغفله وألحقه بالحكم الصوفي وقد ذكرنا جانبا من ذلك. لكن أكثر مواقفه أنه كان يذكر فيها الموقف الشرعي، واختلاف آراء العلماء. لكن هذا لا يرفع عنه النقد لأمرين أساسيين: الأول أن الغزالي لم يكتب الإحياء بلسان واحد، وإنما كتبه بلسانين: لسان عبّر به عن الدين الصوفي، ولسان تستر بها عبّر به عن دين الإسلام. فَذِكره للأحكام الشرعية هو أمر عادي وطبيعي. والأمر الثاني هو أن الغزالي كان ينتصر دوما للتصوف بطريق أو آخر، صراحة أو تضمنا. ومن أجل ذلك مارس التضليل والتحريف، والإغفال والتغليط والتعالم والتكبر على الشرع والعلماء من غير الصوفية. فَذِكر الرجل للأحكام الشرعية لا يرفع عنه النقد ولا اللوم، لأن لولا علوم الإسلام التي تستر بها ما استطاع أن يطبق خطته وينتصر للتصوف، ولذلك كتب إحياءه بلسانين متناقضين !! .

والاعتراض السادس: ربما يُقال: إن قول الغزالي بعلم المكاشفة، ورفع الحجاب ومعرفة الغيب والذات الإلهية وكل ما في الكون وفي الجنة والنار، كان من باب الشرح والحكاية لا من باب الاعتقاد به .

وأقول: أولا إن الغزالي أعلن صراحة أنه يتبنى التصوف اعتقادا وتطبيقا، وأنه مارسه وبلغ إلى نهايته ، وقد صرّح بذلك في كتابيه المنقذ والإحياء ، وانتصر له في كتبه الأخرى ، وتعالم به على الشرع والمسلمين. وعندما انتقده بعض أهل العلم غضب وحط عليهم لأنهم اعترضوا عليه وهو من المكاشفين والأبدال والعارفين حسب رأيه . ولهذا لا يصح الاعتذار له بذلك، لأن كلامه كان يصدق عليه أولا.

وحتى إذا فرضنا جدلا صحة ذلك الاعتراض فالنقد يبقى موجها لأبي حامد الغزالي وفكره لأنه حكاه وانتصر له وأيده مع أنه مخالف للشرع والعقل والعلم. وهنا يبقى الرد علي الغزالي واجبا في قوله بعلم المكاشفة. وإلا لماذا حكاه وسكت عنه ؟؟ ، ولماذا لم يُبين بطلانه كما كان يرد على مخالفيه ؟؟. ولماذا حكاه وأيده وتباهى به وافتخر به على مخالفيه ؟؟ فنقدنا له يبقى مطلوبا وينطبق عليه وعلى علمه المزعوم في حالتي القول به، وفي عدم الاعتقاد به.

والاعتراض السابع: ربما يعترض علينا بعض أهل العلم بأن انتقادنا للغزالي بتعدد خطابه وكتابته للإحياء بلسانين له ما يُبرره، وقد فعله بعض الصحابة كما رُوي عن أبي هريرة أنه كان يقول: ((عندي جرابان من حديث النبي عليه السلام أحدهما أحدثكم به والآخر لو حدثتكم به قتلتموني ...))[1].

وأقول: لا يصح الاعتراض علينا بذلك لأنه أولا إن الخبر لا يصح إسنادا لأن من رجاله: الحسن بن ذكوان أبو سلمة البصري[2]. ، قيل فيه: صدوق، يخطئ ، يُدلس، ورمي بالقدر [3]. فالرجل ضعيف ، وبما أنه كذلك ويُدلس وهنا قد عنعن فالإسناد لا يصح من طريقه.

وثانيا إن فرضنا جدلا صحة الرواية فهي لا تعني أن أبا هريرة كان يُخفي أشياء من دين الإسلام كما هو حال الغزالي وأمثاله، لأن كل ما يتعلق بالدين سبق أن بينا أن الله تعالى بينه في كتابه وسنة نبيه ، ولا يصح شرعا ولا عقلا القول بأن الرسول أو صحابته أخفوا عن الأمة امرا من دينها. ولهذا فإن ما كان يخفيه أبو هريرة في جرابه الثاني- على فرض صحته- فهو يتعلق بالفتن والمصائب التي حدثت بعد قتل الخليفة الشهيد عثمان بن

---

[1] البخاري: التاريخ الكبير ، حققه هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، ج 4 ص: 183 .
[2] روى الخبر من طريقين معنعنين: الأول عن محمد بين سيرين عن أبي هريرة ،والثاني عن الحسن البصري عن أبي هريرة[2].
[3] ابن حجر: تقريب التهذيب ، ج 4 ص: 202 .

عفان وما نتج عن ذلك من انقسام الأمة ودخولها في حروب وصراعات لا تكاد تتوقف .

فلا يصح الاحتجاج بذلك الخبر لتبرير موقف الغزالي وممارسته للتقية وازدواجية خطابه ، لأن ما كان يُخفيه الغزالي وأصحابه يتعلق بالعقائد وأصول الدين وفروعه ، وقد اعترفوا بأنها مخالفة للشرع ولِما كان عليه المسلمون، وقد تبين أنها أفكار وعقائد هدامة للوحي والعقل والعلم .

والاعتراض الثامن: ربما يُقال: لا يصح اتهام الغزالي بأنه كان يعتقد بوحدة الوجود، لأنه فرق في مواضع عديدة من الإحياء بين الخالق والمخلوق[1]. وهذا ينفي عنه القول بوحدة الوجود لأنه أثبت التعدد بإثباته للخالق والمخلوق.

وأقول: نعم إن الغزالي استخدم عبارات الخالق ، والمخلوق، والمخلوقات في كتابه إحياء علوم الدين ، لكنه لم يكن يقصد بها إثبات التعدد الحقيقي بمعنى الفرق بين الخالق والمخلوقات كذوات قائمة بذاتها وفاعلة حقيقة ، وإنما ذكر مررا أن حقيقة الكون هي أنه لا فاعل إلا الله، ولا موجود إلا الله . وذكر صراحة أن الكائنات التي نراها ليس لها وجود حقيقي قائم بها ذاتا ولا فعلا ، وإنما هي رسوم وأشباح وإضافات وامتدادات لله ، فهي منه وهو منها . بمعنى أنه لا فاعل إلا الله ، ولا موجود إلا هو. وهذا يعني أن الغزالي استخدم عبارات : الخالق، والمخلوق، والمخلوقات بالمعنى الصوفي لا بالمعني الشرعي والعقلي والعلمي . وفعله هذا من تضليلات الرجل وتحريفاته التي برع في استخدامها وتمكن بها من إخفاء كثير من أخطاء وانحرافات وضلالات التصوف وأهله.

والاعتراض الأخير – التاسع - : ربما يُقال: لقد تبين من خلال هذا الكتاب أن أبا حامد الغزالي وقع في أخطاء وانحرافات كثيرة جدا، ومارس مختلف أنواع التضليل والتحريف، لكن ألا يسقط عنه كل ذلك بما رُوي أنه تاب في آخر حياته عن التصوف ورجع إلى مذهب السلف، وتفرغ لسماع صحيحي البخاري ومسلم ؟.

وأقول: إن ما ذكرتُه في كتابي هذا من الأخطاء والانحرافات ، والتضليلات والتحريفات في كتاب إحياء علوم الدين يبقى قائما ومطلوبا

---

[1] أنظر مثلا: الإحياء، ج 1 ص: 109 ، ج 2 ص: 291 .

ويصدق على الكتاب سواء صحت توبة الرجل عن التصوف أو لم تصح . لأنه أولا إن كتاب الإحياء كان وما يزال هو أول وأهم كتاب للغزالي وفكره ، فهو مُجمع على أنه كتابه ، وهو من أخطرها وأكثرها تأثيرا. ولهذا فما ذكرتُه عنه يبقى صحيحا وصادقا ومطلوبا ومنطبقا على الكتاب. ومن جهة أخرى فإن الغزالي ظل مُصرا على أفكاره التي سجلها في إحيائه ولم يتراجع عنها ، خاصة التي تتعلق بالتصوف ،وقد أكد على ذلك في كتابه الإملاء في إشكالات الإحياء.

وثانيا إن ما يُروى عن الغزالي بأنه تاب عن التصوف في آخر حياته لم يثبت بل الصحيح أنه ظل صوفيا إلى أن توفي بدليل الشواهد الآتية: أولها إنه لم يترك لنا وصية ولا رسالة ولا شيئا مكتوبا يُعلن فيه تراجعه عن التصوف وعن أفكاره الصوفية التي دونها في الإحياء، وهي أفكار خطيرة وهادمة للوحي والعقل والعلم من تاب عنها يجب عليه أن يعلن بأنه تاب عنها .

والشاهد الثاني مفاده أن الغزالي في آخر كتاب له عنوانه: إلجام العوم عن علم الكلام أنهاه قبيل وفاته بنحو أسبوعين[1]. لم يذكر فيه تراجعه عن التصوف، وإنما سجل فيه تمسكه به عندما قرر العقيدة الصوفية في وحدة الوجود والتي كان قد رددها كثيرا في الإحياء، فقال في آخر كتاب له : ((لكن ينبغي أن يُعلم أن الحضرة الإلهية محيطة بكل ما في الوجود، إذ ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، فالكل من الحضرة الإلهية، كما أن جميع أرباب الولايات في المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر فهم من جملة الحضرة السلطانية...فاعلم أن كل ما في الوجود داخل في الحضرة الإلهية)) [2]. وظل يعتقد بخصوصية العارفين وتفوقهم وتقدمهم على غيرهم من الطالبين[3].

والشاهد الثالث مفاده أن ما يُروى عن الغزالي بأنه تاب عن التصوف في آخر حياته بدعوى تفرغه لسماع الصحيحين فهذا لم يثبت لأن الخبر الذي رواه تلميذه عبد الغافر بن إسماعيل يقول : ((وعاد إلى بيته، وأتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم، وخانقاه للصوفية، ووزع أوقاته على وظائف الحاضرين، من ختم القرآن، ومجالسته أصحاب القلوب، والقعود للتدريس

---

[1] وهو آخر ما صنف الغزالي، كتبه في اوائل جمادي الآخرة سنة 505هـ أي قبيل وفاته بزمن قصير جدا، أقلّ من أسبوعين، حيث توفي يوم الاثنين14 جمادي الآخرة عام 505 هـ . مشهد العلاف : كتب الإمام الغزالي الثابت منها والمنحول ، ص: 33 .

[2] الغزالي: إلجام العوم عن علم الكلام ، ص: 62 .

[3] الغزالي: إلجام العوم عن علم الكلام ، ص: 62 ، وما بعدها .

لطالبه ...وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب حديث المصطفى- صلى الله عليه وسلم- ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين))[1].
وأما ابن الجوزي فذكر أن الغزالي ((عاد إلى وطنه واتخذ في جواره مدرسة ورباطا للمتصوفة وبنى دارا حسنة وغرس فيها بستانا تشاغل بحفظ القرآن وسمع الصحاح))[2].

واضح من الروايتين أن الغزالي عندما استقر به المقام في وطنه ظل صوفيا مشتغلا بالتصوف ومخالطا لأهله بدليل أنه بنى رباطا للصوفية، وكان يُجالس أرباب القلوب وهم الصوفية . واشتغاله في المدرسة وبحفظ القرآن وسماع الحديث لا يعني أنه ترك التصوف ، وإنما يندرج فيه وقائم عليه ، وليس خروجا منه، ولا ردا ولا انتقادا له، ولا كفرا به ، ولا توبة عنه وإنما هو نشاط علمي قائم على التصوف . فالرجل لم يتخل عن التصوف ولا رجع إلى مذهب أهل الحديث، لأن الاشتغال بالقرآن والحديث ليس دليلا على تخليه عن التصوف لأن كل علماء الفرق الإسلامية يشتغلون بالقرآن والحديث انطلاقا من مذاهبهم وتأييدا لها، وتسخيرا للشرع لخدمتها باستخدام التأويلات الفاسدة غالبا . علما بأن سماعه لصحيح البخاري ليس جديدا فقد قرأه وسمعه من قبل عندما كان ينقل منه في الإحياء، بل وسمعه في دمشق عندما أقام بها أثناء ممارسته للطريق الصوفي نحو عشر سنين[3].
وهل موت رجل وفي يده كتاب ما، هو دليل صحيح على أنه كان يعتقد بما فيه ؟؟ طبعا لا ، فقد يموت المسلم وبيد التوراة، أو الأناجيل،وهو ليس نصرانيا ولا يهوديا، وقد يموت الكافر وبيده القرآن الكريم ، وهو ليس بمسلم .
فلو تخلى الغزالي عن التصوف ما بنى رباطا للصوفية، ولا كان مخالطا لهم ، ولا قرر عقيدة وحدة الوجود في آخر مصنفاته وقد أنهاه قبيل أيام قليلة من وفاته. فتلك التوبة المزعومة لم تثبت والصحيح أن الرجل ظل صوفيا إلى أن مات .

وأما بالنسبة للتساؤلات فسأذكر منها ما يأتي: **أولها** : هل ترك أبو حامد الغزالي الشرع والعقل والعلم وراء ظهره عندما اعتنق التصوف وانتصر له؟؟.

[1] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 35 ص: 118.
[2] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر، بيروت، ج 9 ص: 170.
[3] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 35 ص: 118.

وأقول: في الحقيقة أن أبا حامد الغزالي كان يحتكم في إحيائه إلى التصوف ، وترك الشرع والعقل والعلم وراء ظهره من جهة الاحتكام والخضوع والالتزام بهذه المصادر. لكنه من جهة أخرى استخدم هذه المصادر- الوحي والعقل والعلم- كوسيلة لخدمة التصوف والانتصار له فاستخدمها بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة لتكون في خدمته لا لتكو ميزانا يزن بها التصوف ليميز صحيحه القليل من باطله الكثير.

والتساؤل الثاني: هل عندما أحرق المرابطون كتاب إحياء علوم الدين بمختلف جهات المغرب والأندلس بسبب ما فيه من أخطاء وانحرافات كثيرة كان عملا صائبا ؟؟ .

وأقول: بما أنه تبين بالأدلة الدامغة أن كتاب إحياء علوم الدين هادم للشرع والعقل والعلم بما تضمنه من أخطاء وانحرافات وتضليلات وتحريفات فلاشك أنه يستحق الإحراق والإعدام ، لكن ليس بالنار والتمزيق ، وإنما بالرد عليه وكشفه أمام الناس وتعريفهم بحقيقة الكتاب وصاحبه، وتنفيرهم منه بالأدلة الشرعية والعقلية والعلمية لا بالسب والتهويل ولا بالحرق . فبذلك وغيره يُحرق الكتاب ويُعدم ، لأن إحراقه وتمزيقه ورقيا يُحول الكتاب وصاحبه إلى شهيدين عند كثير من الناس ، ويُحدث فيهم ردة فعل تجعلهم يغضون الطرف عن أخطاء الكتاب وانحرافاته وينتصرون له ولصاحبه ، ويقفون ضد الذين أحرقوه ،ويتهمونهم بالتعصب والتزمت وضيق الأفق وقلة العلم والحكمة.

والتساؤل الثالث: هل مارس أبو حامد الغزالي التضليل والتحريف عن قصد، وهل يُعذر في ممارسته لذلك ؟؟.

أقول: لقد أقمتُ الأدلة القطعية بأن الغزالي مارس ذلك عن قصد ووعي كامل وعن سبق إصرار وترصد. مارسه لأنه كان يعتقد أنه على حق وصواب باختياره للتصوف- الذي هو دين قائم بذاته- . فهذا الاعتقاد جعله يُمارس التضليل والتحريف والتلاعب بكل ما يستطيع وبشكل واسع جدا انتصارا للتصوف. لكنه أخطأ في ذلك خطأ كبيرا وفاحشا ومدمرا ، لأمرين أساسيين: الأول إنه لم ينتبه إلى أن الدين أو الفكر الذي يخالف الوحي الصحيح والعقل الصريح والعلم الصحيح لا يُمكن أن يكون صحيحا.لكن الرجل غابت عنه هذه الحقيقة لأنه وقع أسيرا للتصوف بهلوساته وتلبيساته.

والثاني إنه غاب عن الرجل أنه لا يصح الانتصار لأي دين أو فكر بالتضليل والتحريف والتلبيس ، لأن من يحتاج إلى ذلك فهو غير صحيح قطعا ،والحق لا يحتاج أبدا إلى مثل تلك الوسائل. لكن الغزالي غابت عنه هذه الحقيقة لأن التصوف أفسد فكره ومشاعره وأعماه عن رؤية الحقيقة.

ولذلك لا يصح الاعتذار لأبي حامد الغزالي فيما وقع فيه وفعله، فهو مسؤول عن ذلك، وكان في مقدوره أن يراجع نفسه لكنه ذهب ضحية اختياره وتصوفه وغفلته، ولم ينفعه سعة اطلاعه على العلوم ، وهذا من مظاهر مأساة أبي حامد الغزالي !! .

والتساؤل الرابع: بناء على ما تبين في هذا الكتاب، هل يصح تسمية أبي حامد الغزالي بحجة الإسلام ؟؟.

وأقول: إن من يُمارس التضليل والتحريف، تعطيلا للإسلام وتحريفا وهدما له انتصارا للتصوف ، لا يُمكن بأي حال من الأحوال أن يكون حجة الإسلام، ولا يستحق هذا اللقب ، ولا تصح تسميته به . لأنه من الجريمة في حق الشرع والعقل والعلم ، ومن الخطأ الفادح تسميته بذلك !! . ومن يصر على تسمية هذا الرجل بحجة الإسلام فهو قد أساء إلى الإسلام والغزالي معا. إنه أساء إلى الإسلام لأنه نسب إليه عالما اجتهد لتعطيل الشرع وهدمه ،وقرر ما يُخالفه صراحة. ويكون قد أساء إلى أبي حامد الغزالي لأنه نسبه إلى دين اجتهد هو بكل قواه لتحريفه وهدمه انتصارا للتصوف. والإنسان الموضوعي و الصادق مع نفسه يرفض أن يُنسب إلى دين لا يُؤمن به وقد أمضى حياته في محاربته .

والتساؤل الخامس: ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال أنه بعد بحث وقلق واضطراب طلبا للحقيقة وصل إلى اليقين، وجده في التصوف بعدما مارس طريقه ووصل إلى غاياته. فكتب إحياء علوم الدين انطلاقا من اليقين الذي قال أنه وصل إليه . فهل صحيح أنه وجد الحق الذي طلبه وبلغ درجة اليقين في ذلك ؟ .

وأقول: إن الغزالي لم يصل إلى الحق ولا إلى اليقين ، وأجزم أنه لم يصل إليهما قطعا ، بدليل الشواهد الثلاثة الآتية:

أولها: لو كان حقا أن الرجل وصل إلى الحق ما مارس ما ذكرناه من مختلف أنواع التضليل والتحريف والتلاعب والتدليس انتصارا للتصوف، وما خالف بذلك الشرع والعقل والعلم. لأن الحق لا يُمكن أن يخالف الوحي والعقل والعلم، ولا ينتصر بتلك الوسائل ولا يقوم عليها أبدا .
والشاهد الثاني: إن الرجل لو كان فعلا وصل إلى الحق لما أخطأ في عشرات المواقف التي تبناها ، فخالف بها الشرع والعقل والعلم كما سبق أن بيناه.
والشاهد الثالث لا يُمكن للغزالي أو غيره أن يصل إلى الحق عن طريق الدين الصوفي لأنه أقمنا الأدلة الدامغة بل والقطعية على بطلان التصوف بكل مقوماته الأساسية[1]، ولا يُمكن أن يكون التصوف مصدرا للحق واليقين وهو يقول بكفرية وخرافة وحدة الوجود !!. ومن هذا حاله لا يُمكن أن يكون حقا ولا مصدرا للحق واليقين.

وأما قول الغزالي بأنه وصل إلى اليقين كما عبّر عن حاله في الإحياء وسجله في كتابه المنقذ من الضلال، فهو يقين خادع زائف لُبس فيه عليه بأنه بلغ اليقين، لأنه كان واقعا تحت تأثير الهلوسات والتلبيسات والجذبات الشيطانية التي دخل فيه أثناء ممارسته للطريق الصوفي، فظن الرجل أنه بلغ اليقين، لكن الحقيقة أن ما بلغه كان يقينا زائفا مغشوشا فاسدا من تلبيسات النفس والشياطين .ولذلك وجدناه متناقضا وممارسا لمختلف وسائل التضليل والتحريف، والتلاعب التدليس انتصارا للباطل. وكان قلقا في مقدمة كتابه الإملاء في إشكالات الإحياء عندما شن هجوما عنيفا على ناقديه واتهمهم في نواياهم ووصفهم بأوصاف لا يصح وصفهم بها، ولم يكن صدره رحبا لتقبل انتقاداتهم له. ولهذا فإن الحقيقة هي أن الغزالي انتقل من ضلال علم الكلام والفلسفة إلى ضلال التصوف. ولم ينقذه التصوف من الضلال بل أوقعه في ضلال هو أكثر ضلالا من ضلال الكلام والفلسفة . لأن التصوف نقله من عالم الشرع والعقل والعلم إلى عالم الأوهام والأمراض والهلوسات والتلبيسات الشيطانية.

وأما لماذا الغزالي انتقل من الضلال إلى الضلال، فهو أمر متوقع بأن يقع فيه لأنه ذكر في كتابه المنقذ من الضلال أن طرق السالكين والطالبين التي كانت أمامه هي أربعة، بل وحصرها فيها : مسلك علم الكلام. مسلك الشيعة الإمامية ، مسلك الفلسفة، مسلك التصوف، وقال:" الحق لا يعدو عن

[1] بينا ذلك في هذا المصنف ، وفي كتاب: نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف .

هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع ". ثم ارتضى لنفسه في النهاية طريق التصوف[1]. وبما أن كل هذه المسالك غير صحيحة[2] فلا شك أنها لن توصل صاحبها إلى الحق واليقين . لأنه أغفل الطريق الصحيح الوحيد الموصل إلى الحق واليقين، وهو طريق الله تعالى المُتمثل في دين الإسلام- القرآن والسنة الصحيحة -، فهو الصراط المستقيم وغيره من المسالك من سُبل الشيطان، وهو النور وغيره من طرق الظلام . قال سبحانه: ((هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)(الحديد: 9)) ، و((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153)) . فعجبا من الغزالي كيف نسي أو تناسى طريق الله ورسوله ؟؟!!، وكيف أغفل أو تغافل عن صراط الله المستقيم ؟؟!!. فلا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما أن يُترك كتاب الله وسنة رسوله ، وتُطلب سبُل الأهواء والشياطين !! . فالرجل أخطأ الطريق من البداية فكانت النتيجة أنه استمر على خطئه وضلاله إلى النهاية، ولم يثبت أنه تراجع عن التصوف في آخر حياته وهذا سبق أن بيناه في مطلب الاعتراضات. إن ذلك من مظاهر مأساة الرجل .

والتساؤل السادس: كيف نُفسر تكفير الغزالي للفلاسفة مع أن قوله بوحدة الوجود يُلحقه بهم ويجعله كافرا مثلهم ؟؟.

وأقول: من المعروف عن أبي حامد الغزالي أنه كفر الفلاسفة المسلمين في ثلاثة أمور وبدعهم في 17 أمرا كما ذكرها في كتابه المنقذ من الضلال[3]. وتكفيره لهم ثابت بالتصوف والشرع ، فهم كفار بميزان التصوف لأن الفلاسفة المسلمين الذين كفرهم كانوا من المشائين يقولون بأزلية الخالق والعالم، فهم عند الغزالي كفار لأنهم يقولون بتعدد الوجود : الله والكون ، وقد سبق أن بينا أن الغزالي كفر الملاحدة الذين يقولون بوحدة الوجود الذي يعني عندهم: لا موجود إلا الكون ، فهم ينكرون وجود الله تعالى. وكذلك كفرّ من يقول بتعدد الوجود- الخالق والمخلوق- وجعلهم من المشركين منهم هؤلاء الفلاسفة الذين كفرهم.

[1] الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي: المنقذ من الضلال ، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، ص: 578 ، 581 .
[2] ليس هنا مجال إثبات ذلك، لكن بينته في كثير من كتبي، وهي متوفرة في الشبكة المعلوماتية، منها مثلا: موقع صيد الفوائد . وتلك المذاهب والاتجاهات لم تقم على الإسلام، وإنما قامت على أفكارها وأقاويل شيوخها، لكنها مُتسترة بالإسلام، مع اختلافا درجات انحرافها عنه من فرقة إلى أخرى.
[3] الغزالي: المنقذ من الضلال ، ص: 6 .

وهم كفار أيضا بميزان الشرع وهذا الذي استخدمه في الحكم عليهم في كتابه المنقذ من الضلال، لأنه كفرهم لقولهم بأزلية العالم، وأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، وقالوا بالمعاد المعنوي دون المادي[1]. فهؤلاء الفلاسفة هم كفار عند الغزالي بميزان الشرع والتصوف معا.

وأما إلحاق الغزالي بهم لقوله بوحدة الوجود، فهذا موقف لا يتخذه الغزالي من نفسه وإنما يتخذه الناقدون له. ولاشك أن قول الغزالي بوحدة الوجود يُلحقه بهم ، فهو لا يقل بطلانا وضلالا وكفرا عن قول هؤلاء. لأن القول بوحدة الوجود يهدم الوحي والعقل والعلم من دون شك .

والتساؤل السابع: من أجل ماذا مارس أبو حامد الغزالي في إحيائه التقية ومختلف وسائل التضليل والتحريف، والتلاعب والتدليس ؟؟ . إنه فعل ذلك تقريرا للتصوف وانتصارا له ودفاعا عنه مع التستر بالدين والعمل على هدم الشرع والعقل والعلم ، لأنه لن يستطيع أن يُقرر التصوف ويدافع عنه إلا بفعل ذلك !! .

والتساؤل الأخير- الثامن - : لماذا لم يستطع الغزالي تحقيق غايته إلا بممارسة التقية ومختلف أنواع التضليل والتحريف ؟؟. إنه لم يستطع ذلك لأن التصوف الذي انتصر له مخالف وهادم للوحي والعقل والعلم . فوجد نفسه بين طريقين: إما أن يكفر بالتصوف ويتخلص منه ويعود إلى الشرع والعقل والعلم ، ولا يُمارس تقية ولا تضليلا ولا تحريفا . وإما أن يبقى مُتمسكا بالتصوف وهذا يفرض عليه ممارسة التقية والتضليل والتحريف . فاختار الطريق الثاني ،فَضَلّ وأضلّ ،وانحرف عن الصراط المستقيم ،وغرق في الأخطاء والانحرافات ،والهلوسات والتلبيسات الشيطانية.

وإنهاءً لهذا الفصل – السادس والأخير- يتبين منه أن ممارسة أبي حامد الغزالي لمختلف أنواع التضليل والتحريف انتصارا للتصوف ترتبت عنها وقوع الرجل في أخطاء وانحرافات خطيرة وكثيرة جدا من جهة، وأن الأسباب الحقيقية والأساسية فيما فعله الرجل تعود إلى تبنيه للتصوف : عقيدة وممارسة وغاية من جهة أخرى. وأن أية اعتراضات وتساؤلات

---

[1] الغزالي: المنقذ من الضلال ، ص: 6 .

للدفاع عن الرجل وتبرئته مما ذكرناه في حقه هي محاولة فاشلة لأني لم أكذب عليه ولا حرفتُ كلامه .

الخاتمة

أظهر كتابنا هذا حقائق هامة وخطيرة جدا، وتضمن استنتاجات وفوائد كثيرة هي مبثوثة بين ثناياه . منها مثلا أن أبا حامد الغزالي قرر مبدأ التقية وتبناه كأصل من أصول التصوف ، وبها أصل لمبدأ تعدد الخطاب، وبه سمح لنفسه بممارسة مختلف أنواع التضليل والتحريف، تقريرا للتصوف وانتصارا له ، وهدما بالباطل للوحي والعقل والعلم .

واتضح أن علم المكاشفة الذي تبناه الغزالي وبالغ في تعظيمه وتسلط به على مخالفيه هو علم مزعوم وباطل مُنطلقا وممارسة وغاية ، وليس له أي أساس علمي موضوعي يقوم عليه ؛ وإنما هو علم زائف فاسد قائم على الأوهام والهلوسات والتلبيسات الشيطانية من جهة، ومُفسد للوحي والعقل والعلم من جهة ثانية ، وأنتهي بالغزالي وأصحابه إلى أخطاء وانحرافات وضلالات مدمرة للإنسان من جهة ثالثة.

ومنها أيضا فقد تبين أن أبا حامد الغزالي مارس مختلف أنواع التضليل والتحريف كأصل من الأصول التي أقام عليها كتابه إحياء علوم الدين ولم يُمارسها استثناءً . ولهذا وجدناه طبقها بشكل واسع وُمكثف غطت مساحات كبيرة من الكتاب انتصارا للتصوف بأصوله وفروعه وغاياته من جهة، وسعيا منه لهدم كل ما يُخالف التصوف من الشرع والعقل والعلم من جهة أخرى . من ذلك ما فعله مع التوحيد، فلم يأخذ بالتوحيد الشرعي وانتصر للتوحيد الصوفي الهادم للشرع والعقل والعلم.

ومنها فقد اتضح أن ممارسة الغزالي للتقية وتعدد خطابه واستخدامه لمختلف طرق التضليل والتحريف كانت الغاية من كل ذلك تقرير التصوف والانتصار له، مع الحرص الشديد على التستر بالإسلام من جهة ،وإخفاء ضلالات وأباطيل الصوفية عن المسلمين من جهة ثانية. كقولهم بوحدة

الوجود، والتي قررها الغزالي وقال بها وأكد عليها في عدة مواضع من إحيائه عندما قال بوحدة الفاعل ووحدة الموجود. وقد ناقشناه في ذلك وبينا بطلان أدلته ومزاعمه في قوله بوحدة الوجود.

وتبين أيضا أن الغزالي كان يقول بوحدة الوجود ، وقد استخدم في قوله بها مختلف طرق التضليل والتحريف والتلاعب والتدليس لتقريرها والانتصار لها من ناحية، ولإخفائها والتعمية عليها لكي لا ينكشف اعتقاده بها أمام الناس من ناحية أخرى. وهذا هو السر الذي كان الرجل يُخفيه وينوّه به وقال بأن إظهاره كفر ويُؤدي إلى إبطال النبوة والعلم !!. وقوله هذا صحيح، لأن الاعتقاد وخرافة وحدة الوجود يُؤدي حتما إلى هدم الوحي والعقل والعلم، وينقل صاحبه من الصحة إلى المرض، ومن الوعي إلى الغيبوبة ، ومن الشرع والعلم إلى الهلوسات والتلبيسات الشيطانة .

وأخيرا أقول: إني لم أكذب على الرجل ،ولا حرفتُ كلامه ولا حملتُه ما لا يحتمل، وكل ما ذكرتُه عنه مُؤيد بأقواله. والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

تم الكتاب ولله الحمد

الأستاذ الدكتور خالد كبير علال
الجزائر: رجب 1435 هـ / ماي 2014 م

من مصادر الكتاب ومراجعه :

1- القرآن الكريم
2- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار صادر، بيروت .
3- ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب .
4 - ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت .
4- ابن رشد : تلخيص السماء و العالم ، حققه جمال الدين العلوي .
5 -ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة ، حققه عثمان أمين ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ،1958 .
6- ابن عربي: الفتوحات المكية .
7 - ابن عجيبة : البحر المديد، دار الكتب العلمية ، بيروت .
8 - ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم .
9 - ابن ماجة : السنن ، حققه فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت .
10 -ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض .
11 -ابن حجر : تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، ط1 ، مكتبة المنار ، الأردن .
12- ابن حجر: تهذيب التهذيب، دار الفكر ، بيروت .
13 -ابن خلكان: وفيات الأعيان ، دار صادر، بيروت
14- ابن رجب : شرح علل الترمذي ، حققه نور الدين عتر، مكتبة الرشد، الرياض .
15- ابن عبد البر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، حققه مصطفى العلوي، و محمد البكري، مؤسسة قرطبة.
16- ابن بابويه القمي: كتاب التوحيد ، منشورات جماعة المدرسين، قم ، إيران
17 - ابن بابويه القمي: كتاب الخصال ، منشوات جماعة المدرسين، قم ، إيران.

18 -أبو سعيد العلائي: جامع التحصيل، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب ، بيروت، 1966.
19 - أبو زرعة العراقي: كتاب المدلسين، ط1، دار الوفاء، 1995
20- أبو يزيد البسطامي: المجموعة الصوفية الكاملة ، ويليها كتاب تأويل الشطح ، ، تحقيق وتقديم قاسم محمد عباس، ط 1 ، دار المدى، دمشق ، بيروت ، 2004 .
21- أبو منصور ابن المطهر الحلي : خلاصة الأقول ، ط1 ، مؤسسة النشر الإسلامي، .1417
22 -أبو نعيم الأصبهاني: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية
23- أبو طالب المكي: قوت القلوب .
24 - أحمد بن حنبل: المُسند ، مؤسسة قرطبة، القاهرة .
25- أحمد بن حنبل : العلل و معرفة الرجال ، ط1 ن المكتب الإسلامي ، دار الخاني ، بيروت ، ، 1408هـ، 1988 .
26 -أرسطو : كتاب طبائع الحيوان البري و البحري ، المقالة الرابعة عشر ، حققته عزة محمد سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985
27 - الألباني: صحيح الجامع الصغير ، المكتب الإسلامي، بيروت .
28- الألباني: ضعيف سنن الترمذي .
29- آن تري هوايت: النجوم، ترجمة إسماعيل حقي، ط 7 ، دار المعارف، القاهرة، 1992.
30 -البخاري: الصحيح، حققه محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة .
31- البخاري: التاريخ الكبير ، حققه هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت .
32- الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
ديوجين لا يرتيوس : مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة طبعة القاهرة.
33- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، بيروت .
34- الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت .
35- زينب عفيفي : العالم في فلسفة ابن رشد الطبيعية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1993 .
36- زينب عفيفي: الفلسفة الطبيعية و الإلهية عند الفارابي ، القاهرة .
37- السراج الطوسي : اللمع في التصوف .

38 - الشهرستاني : الملل و النحل ، حققه سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت ، 1404 .
39- عبد الله مصطفى نومسك : البوذية ، تاريخها وعقائدها ، وعلاقة الصوفية بها .
40- عبد الرحمن بدوي: مؤلفات الغزالي، ط 2 ، وكالة المطبوعات ، الكويت.
41- عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير ، دار الكتب العلمية، بيروت .
42- عبد الحميد سماحة: في أعماق الفضاء، دار الشروق، القاهرة، 1980.
43- علي القاري الهروي المكي: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب .
44 - علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992.
45- علي البروجردي: طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال ، ط1 ، مكتبة المرعشي، قم ، 1410هـ .
46- الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة ، بيروت .
47- الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الآفاق العربية، حققه محمد محمد تامر، ط1 ، القاهرة، 2004 .
48- الغزالي: المنقذ من الضلال .
49- الغزالي: مشكاة الأنوار .
50 - الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت .
51- الغزالي: ميزان العمل ، حققه سليمان دنيا، دار المعارف ، القاهرة، 1964 .
52- الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام .
[1] الغزالي: ملحق إحياء علوم الدين : الإملاء في إشكالات الإحياء، المكتبة التجارية .
53- الغزالي: رسائل الإمام الغزالي: قانون التأويل، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
54- الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي: المنقذ من الضلال ، المكتبة التوفيقية، القاهرة
55- الغزالي: ميزان العمل ، حققه سليمان دنيا، دار المعارف ، القاهرة، 1964

56- الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف .
57- محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط 1 ، دار الصحابة، بيروت ، 1987 .
58- محمد الحوت: أسمى المراتب في أحاديث مختلفة المراتب ، دار الكتب العلمية، بيروت .
59 - محمد عبد الرحمن مرحبا : الكندي - فلسفته مُنتخبات – عويدات ، بيروت ، باريس ، 1985
60- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، 1995 .
61 - مسلم: الصحيح ، دار الجيل ، بيروت .
62 - يحيى بن معاذ : جواهر التصوف ، جمع وتعليق سعيد عاشور،، مكتبة الآداب ن القاهرة، 2002 .

محتويات الكتاب

الخاتمة :

من مصادر الكتاب ومراجعه :

مصنفات للمؤلف:

1- صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة في بغداد .
2-الداروينية في ميزان الإسلام والعلم .
3- قضية التحكيم في موقعة صفين – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل
4- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل-
5- مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه .
6- الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى – دراسة وفق منهج أهل الجرح و التعديل
7- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث .
8- أخطاء المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة
9- الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري و محمد أركون
10-أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم و النبي محمد-عليه الصلاة و السلام- -دراسة نقدية لدحض أباطيل الجابري ،و خرافات هشام جعيط-
11- نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد –على ضوء الشرع و العقل و العلم
12- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي- خلال العصر الإسلامي-
13- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى-وفق منهج علم الجرح و التعديل-
14- مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .
15- وقفات مع أدعياء العقلانية - قراءة نقدية لفكر حسن حنفي ، و نصر حامد أبي زيد ، وهشام جعيط ، و أمثالهم- .
16- تناقض الروايات السنية و الشيعية حول تاريخ صدر الإسلام- مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه- .
17- جنايات أرسطو في حق العقل و العلم .
18- مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم .
19- منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين-أُسسه و تطبيقاته-
20- قضايا تاريخية وفكرية من تاريخنا الإسلامي .
21- تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت - مظاهره ، آثاره ، أسبابه-
22- جناية المعتزلة على العقل و الشرع – مظاهرها ، آثارها ، أسبابها –

23- الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد (من القرن: 3 إلى الخامس الهجري)
24- الحركة العلمية الحنبلة و أثرها في المشرق الإسلامي(ق: 6 إلى 7 الهجري)
25- نقض كتاب بسط التجربة النبوية للباحث الإيراني عبد الكريم سروش.
26- نقض الروايات القائلة بتحريف القرآن الكريم الواردة في المصادر السنية- مظاهرها وآثارها ، مصادرها و أسبابها-
27- المرويات التاريخية عند المسلمين: أساليب النقد وظاهرة الوضع فيها- مبرة الآل والأصحاب، الكويت، 1431هـ/ 2010 .
28- نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف-- قراءة نقدية لأسانيد ومضامين الروايات المؤسسة للتصوف بكل مقوماته -
29- التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.